

الجزء الثاني
من كتاب الأغاني



شركة إنشاء شريف الانصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• **المكتبة العصرية**

الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥

تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١

بيروت - لبنان

• **الدار الشامية**

الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥

تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١

بيروت - لبنان

• **المطبعة العصرية**

بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١

تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١

صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر

حقوق التأليف والاعداد محفوظة لدار ابن الأثير/جامعة الموصل
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان
مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو
بأي طريقة، سواء كانت الكترونية أو بالتصوير
أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من
الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb

E. Mail alassrya@cyberia.net.lb

info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

أخبار مجنون بني عامر ونسبه

[نسبه وتصحيح اسمه]

هو - على ما يقوله من صحح نسبه وحديثه - قيس، وقيل: مهدي، والصحيح [أنه] قيس بن الملوح بن مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. ومن الدليل على أن اسمه قيس قول ليلي^(١) صاحبه فيه:

ألا ليت شعري والخطوب كثيرة متى رحل قيس مستقل فراجع^(٢)
[الطويل]

[اسمه الصحيح]

وأخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: سمعت من لا أخصي يقول: اسم المجنون قيس بن الملوح.

[قيل: كانت به لوثة ولم يكن مجنوناً]

وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا الرياشي، وأخبرني الجوهري عن عمر بن شبة أنهما سمعا الأصمعي يقول - وقد سئل عنه - : لم يكن مجنوناً ولكن كانت به لوثة^(٣) كلوثه أبي حية الثميري.

(١) ليلي بنت مهدي بن سعد، أم مالك العامرية من بني كعب من ربيعة. صاحبة (المجنون) قيس بن الملوح. وفي وجودهما شك كبير، قيل في خبرها: مر بها قيس وهي مع بعض النسوة فتحابا وكانت مغرمة بأحاديث الناس والأشعار، وهو من الرواة الحفاظ للأخبار، وكثر تلاقيهما وهما من قبيلة واحدة، ثم حجبت عنه، وامتنع أبوها عن زواجها به، لاشتغال حبهما وأشعاره فيها، وأكرهت على الزواج بشخص آخر، توفيت سنة ٦٨هـ.

(٢) البيت ينسب إلى ليلي الأخيلية المتوفاة سنة ٨٠هـ.

(٣) اللوث: البطء في الأمر. لوث لوثاً والثاث، وهو ألوث. والثاث فلان في عمله أي أبطأ. واللوث، بالضم: الاسترخاء والبطء. ورجل ذو لوث: بطيء متمكث ذو ضعف. ورجل فيه لوثة أي استرخاء وحمق.

[اختلاف الرواة في وجوده]

وأخبرني حبيب بن نصر المَهَلَبِيُّ وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرِيُّ عن ابن شَبَّةَ عن الحِزَامِيِّ قال: حَدَّثَنِي أَيُّوبُ بْنُ عَبَّيَةَ قَالَ: سَأَلْتُ بَنِي عَامِرٍ بَطْنًا بَطْنًا عَنْ مَجْنُونِ بَنِي عَامِرٍ فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا يَعْرِفُهُ.

وأخبرني عَمِّي قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ عَنْ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ ابْنِ ذَأْبٍ قَالَ: قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ: أَتَعْرِفُ الْمَجْنُونَ وَتُرَوِّي مِنْ شَعْرِهِ شَيْئًا؟ قَالَ: أَوْ قَدْ فَرَعْنَا مِنْ شَعْرِ الْعُقَلَاءِ حَتَّى نَرَوِيَ أَشْعَارَ الْمَجَانِينِ! إِنَّهُمْ لَكَثِيرٌ! فَقُلْتُ: لَيْسَ هَؤُلَاءِ أَعْنِي، إِنَّمَا أَعْنِي مَجْنُونَ بَنِي عَامِرٍ الشَّاعِرَ الَّذِي قَتَلَهُ الْعَشَقُ، فَقَالَ: هِيَاهُ! بَنُو عَامِرٍ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنْ ذَاكَ، إِنَّمَا يَكُونُ هَذَا فِي هَذِهِ الْيَمَانِيَةِ الضَّعَافِ قُلُوبُهَا، السَّخِيفَةِ عَقُولُهَا، الصَّلْعَةُ^(١) رَوْوَسُهَا، فَأَمَّا نِزَارٌ فَلَا.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حَدَّثَنَا الرِّيَاشِيُّ قَالَ سَمِعْتُ الْأَصْمَعِي يَقُولُ: رَجُلَانِ مَا عُرِفَا فِي الدُّنْيَا قَطُّ إِلَّا بِاسْمِ الْمَجْنُونِ^(٢): مَجْنُونُ بَنِي عَامِرٍ، وَابْنُ الْقَرِيَّةِ^(٣)، وَإِنَّمَا وَضَعَهُمَا الرُّوَاهُ.

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ عَنْ الْحِزَامِيِّ قَالَ: وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنَ الْحِزَامِيِّ فَكَتَبْتُهُ عَنْ ابْنِ أَبِي سَعْدٍ، قَالَ أَحْمَدُ: وَحَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ أَبِي سَعْدٍ عَنْ الْحِزَامِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ نَوْفَلٍ بْنُ مُسَاحِقٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: سَعَيْتُ^(٤) عَلَى بَنِي عَامِرٍ فَرَأَيْتُ الْمَجْنُونَ وَأَتَيْتُ بِهِ وَأُنْشِدَنِي.

أخبرني علي بن سليمان الأَخْفَشُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ السُّكْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُجَمِّعٍ عَنْ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ: الْمَجْنُونُ الْمَشْهُورُ بِالشَّعْرِ عِنْدَ النَّاسِ صَاحِبُ لَيْلَى قَيْسُ بْنُ مُعَاذٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ، أَحَدُ بَنِي نُمَيْرٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ مِنْ عُقَيْلٍ، قَالَ: وَمِنْهُمْ رَجُلٌ آخِرُ يُقَالُ لَهُ: مَهْدِيُّ بْنُ الْمُلُوحِ مِنْ بَنِي جَعْدَةَ بْنِ كَعْبٍ مِنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ مِنْ صَعْصَعَةَ.

(١) الصَّلْعَةُ: صَعْرُ الرَّأْسِ، وَيُقَالُ: هِيَ أَيْضًا الدَّقَّةُ وَالتُّحُولُ وَالْخِفَّةُ فِي الْبَدَنِ، وَفِي صِفَةِ الْأَخْفِ: كَانَ صَعْلَ الرَّأْسِ.

(٢) ورد في بعض النسخ «الاسم» بدل «باسم المَجْنُونِ».

(٣) هو أيوب بن زيد بن قيس والقرية أمه، وكان لسنًا خطيبًا.

(٤) في حديث وائل بن حُجْرٍ: إِنَّ وَائِلًا يُسْتَسْعَى وَيَتَرَفَّلُ عَلَى الْأَقْوَالِ أَيْ يُسْتَعْمَلُ عَلَى الصَّدَقَاتِ وَيَتَوَلَّى اسْتِخْرَاجَهَا مِنْ أَرْبَابِهَا، وَبِهِ سُمِّيَ عَامِلُ الزَّكَاةِ السَّاعِي.

المجنون فتى من أمية؟

وأخبرني عمي عن الكُرانيّ قال: حدّثنا ابن أبي سَعْد عن عليّ بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبيّ قال: حدّث أنّ حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى ابنة عم له، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها، فوضع حديث المجنون وقال الأشعار التي يروونها الناس للمجنون ونسبها إليه.

أخبرني الحسين بن يحيى وأبو الحسن الأسديّ قالا: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: اسم المجنون قيس بن مُعَاذٍ أحد بني جَعْدَةَ بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

وأخبرني أبو سَعْد الحسن بن عليّ بن زَكْرِيَّا العدويّ قال: حدّثنا حمّاد بن طالوت بن عباد: أنه سأل الأصمعيّ عنه، فقال: لم يكن مجنوناً، بل كانت به لَوْنَةٌ أحدثها العشق فيه، كان يهوى امرأة من قومه يقال لها لَيْلى، واسمه قيس بن مُعَاذٍ. وذكر عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه أنّ اسمه قيس بن مُعَاذٍ.

وذكر شُعَيْب بن السَّكَن عن يونس النّحويّ أن اسمه قيس بن الملوّح، قال أبو عمرو الشيبانيّ: وحدّثني رجل من أهل اليمن أنه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه، فذكر أنّه قيس بن الملوّح.

وذكر هشام بن محمد الكلبيّ أنّه قيس بن الملوّح، وحدّث أن أباه مات قبل اختلاطه^(١)، فعقر^(٢) على قبره ناقته وقال في ذلك:

عَقَرْتُ عَلَى قَبْرِ الْمُلَوِّحِ نَاقَتِي بِذِي السَّرْحِ لَمَّا أَنْ جَفَاهُ الْأَقَارِبُ
وَقُلْتُ لَهَا كُونِي عَقِيرًا فَلِئَنِّي عَدَا رَاجِلٌ أَمْشِي وَبِالْأَمْسِ رَاكِبُ

(١) اختلط: تغير وفسد، ووقع القوم في خُلَيْطٍ وخُلَيْطٍ مثال السُّمَيْهِى أي اختلاطٍ فاختلف عليهم أمرهم. والتخليط في الأمر: الإفساد فيه.

(٢) أصل العَقْرُ ضَرْبُ قَوَائِمِ البَعِيرِ أو الشاة بالسيف، وهو قائم. وفي الحديث: «ولا تَعْقِرْنَ شاةً ولا بَعِيرًا إِلَّا لِمَاكَلَةٍ»، وإنما نهى عنه لأنه مثله وتعذيبٌ للحيوان؛ ومنه حديث ابن الأَكوَع: وما زِلْتُ أُرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ بِهِمْ أَي أَقْتُلُ مَرْكُوبَهُمْ؛ يقال: عَقَرْتُ به إذا قتلت مركوبه وجعلته راجلاً؛ ومنه الحديث: فَعَقَرَ حَنْظَلَةُ الرَّاهِبِ أَبِي سَفْيَانَ بن حَرْبٍ أَي عَرَقَبَ ذَاتَهُ ثُمَّ اتَّسَعَ فِي الْعَقْرِ حَتَّى اسْتَعْمَلَ فِي الْقَتْلِ وَالْهَلَاكِ؛ ومنه الحديث: أَنَّهُ قَالَ لِمُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ: وَإِنْ أَذْبَرْتُ لِيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ أَي لِيُهْلِكَكَ، وقيل: أصله من عَقَرَ النخل، وهو أَنْ تَقْطَعَ رَوْسَهَا فَتَبْسُ؛ ومنه حديث أُم زَرْع: وَعَقَرُ جَارَتِهَا أَي هَلَكَهَا مِنَ الْحَسَدِ وَالْغِيْظِ. وقولهم: عَقَرْتُ بِي أَي أَطْلَتُ حَبْسِي كَأَنَّكَ عَقَرْتَ بَعِيرِي فلا أقدر على السير.

فَلَا يُبْعِدَنَّكَ اللَّهُ يَا بْنَ مُزَاحِمٍ فَكُلُّ بَكَاسِ الْمَوْتِ لَا شَكَّ شَارِبُ

[الطويل]

وذكر إبراهيم بن المُنْذِرِ الحِزَامِيُّ وأبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بنِ الْمُثَنَّى أَنَّ اسْمَهُ الْبُحْتَرِيُّ ابن الجَعْد.

وذكر مُصْعَبُ الزُّبَيْرِيِّ والرِّيَاشِيُّ وأبو الْعَالِيَةِ أَنَّ اسْمَهُ الْأَقْرَعُ بنِ مُعَاذٍ. وقال خَالِدُ بنِ كُلْثُومٍ: اسْمُهُ مَهْدِيُّ بنِ الْمَلُوحِ.

وأخبرني الْأَخْفَشُ عن السُّكَّرِيِّ عن أَبِي زِيَادِ الْكَلَابِيِّ، قَالَ: لَيْلَى صَاحِبَةُ الْمَجْنُونِ هِيَ لَيْلَى بِنْتُ سَعْدِ بنِ مَهْدِيٍّ بنِ رَبِيعَةَ بنِ الْحَرِيشِ بنِ كَعْبِ بنِ رَبِيعَةَ بنِ عَامِرِ بنِ صَعْصَعَةَ.

أخبرني مُحَمَّدُ بنِ خَلْفٍ وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو قُلَابَةَ الرَّقَاشِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ بنِ الْمُعَدَّلِ، قَالَ: سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ وَقَدْ تَذَاكَرْنَا مَجْنُونِ بَنِي عَامِرٍ يَقُولُ: لَمْ يَكُنْ مَجْنُونًا وَإِنَّمَا كَانَتْ بِهِ لَوْثَةٌ، وَهُوَ الْقَائِلُ:

أَخَذْتُ مَحَاسِنَ كُلِّ مَا ضَلَّتْ مَحَاسِنُهُ بِحُسْنِهِ
كَأَدَّ الْعَزَالَ يَكُونُهَا لَوْلَا الشَّوَى^(١) وَنُشُوزُ^(٢) قَرْنِهِ

[مجزوء الوافر]

[لَقِبَ بِالْمَجْنُونِ كَثِيرٌ غَيْرُهُ]

وأخبرني عَمْرُ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ جَمِيلِ الْعَتَكِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُ بنُ شَبَّةٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ بَنِي عَامِرِ بنِ صَعْصَعَةَ عَنِ الْمَجْنُونِ الْعَامِرِيِّ فَقَالَ: عَنْ أَيِّهِمْ تَسْأَلُنِي؟ فَقَدْ كَانَ فِينَا جَمَاعَةٌ رُمُوا بِالْجَنُونِ، فَعَنْ أَيِّهِمْ تَسْأَلُ؟ فَقُلْتُ: عَنِ الَّذِي كَانَ يُشَبَّبُ بَلِيلَى، فَقَالَ: كُلُّهُمْ كَانَ يُشَبَّبُ بَلِيلَى، قُلْتُ: فَأَنْشِدْنِي لِبَعْضِهِمْ، فَأَنْشَدَنِي لِمُزَاحِمِ بنِ الْحَارِثِ الْمَجْنُونِ^(٣):

(١) قيل: شَوَايَةُ الشَّاةِ مَا قَطَعَهُ الْجَاوِزُ مِنْ أَطْرَافِهَا. وَالشَّوَايَةُ، بِالضَّمِّ: الشَّيْءُ الصَّغِيرُ مِنَ الْكَبِيرِ كَالْقِطْعَةِ مِنَ الشَّاةِ.

(٢) النَّشْرُ وَالنَّشْرُ: الْمَتْنُ الْمَرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ، وَهُوَ أَيْضًا مَا ارْتَفَعَ عَنِ الْوَادِي إِلَى الْأَرْضِ، وَلَيْسَ بِالْغَلِيزِ، وَالْجَمْعُ أَنْشَارٌ وَنُشُوزٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: جَمْعُ النَّشْرِ نُشُوزٌ، وَجَمْعُ النَّشْرِ أَنْشَارٌ وَنِشَارٌ مِثْلُ جَبَلٍ وَأَجْبَالٍ وَجِبَالٍ. وَالنَّشَارُ، بِالْفَتْحِ: كَالنَّشْرِ. وَنَشَرَ يَنْشُرُ نُشُورًا: أَشْرَفَ عَلَى نَشْرِ مِنَ الْأَرْضِ، وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ وَظَهَرَ. يَقَالُ: أَعْدَدْتُ عَلَى ذَلِكَ النَّشَارِ. وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَوْفَى عَلَى نَشْرِ كَبَّرَ أَيْ ارْتَفَعَ عَلَى رَابِيَةٍ فِي سَفَرٍ.

(٣) مُزَاحِمُ الْعَقِيلِيِّ، مُزَاحِمُ بنِ الْحَارِثِ، أَوْ مُزَاحِمُ بنِ عَمْرٍو بنِ مَرَّةِ بنِ الْحَارِثِ، مِنْ بَنِي عَقِيلِ بنِ =

أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الَّذِي لَجَّ هَائِماً وَلَيْدَاً بَلِيلَى لَمْ تَقْطَعْ تَمَائِمَهُ ^(١)
 أَفْتَقَ قَدْ أَفَاقَ الْعَاشِقُونَ وَقَدْ أَنَى ^(٢) لَكَ الْيَوْمَ أَنْ تَلْقَى طَبِيباً تُلَاقِيهِ
 أَجْدَكَ لَا تُنْسِيكَ لَيْلَى مُلِمَّةً تُلِمُّ وَلَا عَهْدٌ يَطُولُ تَقَادُمَهُ
 [الطويل]

قلت: فَأَنْشِدُنِي لغيره منهم، فَأَنْشِدُنِي لَمُعَاذِ بْنِ كَلِيبِ الْمَجْنُونِ:
 أَلَا طَالَمَا لَا عَبْتُ لَيْلَى وَقَادَنِي إِلَى اللَّهِوِ قَلْبٌ لِلْحَسَنِ تَبَوُّعُ
 وَطَالَ أَمْتِرَاءُ ^(٣) الشُّوقِ عَيْنِي كُلَّمَا نَزَفْتُ دُمُوعاً تَسْتَجِدُّ دُمُوعُ
 فَقَدْ طَالَ إِمْسَاكِي عَلَى الْكَبِدِ الَّتِي بِهَا مِنْ هَوَى لَيْلَى الْغَدَاةُ صُدُوعُ
 [الطويل]

قُلْتُ: فَأَنْشِدُنِي لغير هذين ممن ذكرت، فَأَنْشِدُنِي لِمَهْدِي بْنِ الْمُلُوحِ:
 لَوْ أَنَّ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا عُدِلَتْ بِهِ سِوَاهَا وَلَيْلَى بَائِنٌ عَنْكَ بَيْنُهَا
 لَكُنْتَ إِلَى لَيْلَى فَقِيراً وَإِنَّمَا يَقُودُ إِلَيْهَا وَدَّ نَفْسِكَ حِينُهَا
 [الطويل]

قُلْتُ لَهُ: فَأَنْشِدُنِي لِمَنْ بَقِيَ مِنْ هَؤُلَاءِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ! فَوَاللَّهِ إِنَّ فِي وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ لِمَنْ يُوزَنُ بِعَقْلَانِ الْيَوْمِ.

أخبرني محمد بن خَلْفٍ وَكِيعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَرَّازُ قَالَ: قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: كَانَ مُعَاذُ بْنُ كَلِيبِ مَجْنُوناً، وَكَانَ يُحِبُّ لَيْلَى، وَشَرِكَه فِي حُبِّهَا مُزَاحِمُ بْنُ الْحَارِثِ الْعُقَيْلِيُّ، فَقَالَ مُزَاحِمٌ يَوْمًا لِلْمَجْنُونِ:

كِلَانَا يَا مُعَاذُ يُحِبُّ لَيْلَى بَفِيٍّ وَفِيكَ مِنْ لَيْلَى الثُّرَابُ
 شَرِكْتُكَ فِي هَوَى مَنْ كَانَ حَظِّي وَحَظُّكَ مِنْ مَوَدَّتِهَا الْعَذَابُ

= كعب، من عامر بن صعصعة. شاعر غزل بدوي، من الشجعان. كان في زمن جرير والفرزدق، وسئل كل منهما أتعرف أحداً أشعر منك؟ فقال الفرزدق: لا، إلا أن غلاماً من بني عقيل يركب أعجاز الإبل وينعت الفلوات فيجيد. وأجاب جرير بما يشبه ذلك، توفي سنة ١٢٠هـ.

(١) التَّمِيمَةُ: خَرَزَةٌ رُفْطَاءُ تُنْظَمُ فِي السَّيْرِ ثُمَّ يُعْقَدُ فِي الْعُنُقِ، وَهِيَ التَّمَامُ وَالْتِمِيمُ.
 (٢) أَنَى تَحْمِلُ مَعْنَى الزَّمَانِ، وَأَنَى، مَعْنَاهَا: كَيْفَ؟ وَمِنْ أَيْنَ؟.. أَنَى شِئْتُ: كَيْفَ شِئْتُ؟ وَمِنْ أَيْنَ شِئْتُ؟ وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿أَنَّى لَكِ هَذَا﴾. أَي: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟ وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾، أَي: كَيْفَ يَكُونُ؟

(٣) مَتَرُهُ مَتْرًا: قِطْعُهُ. وَرَأَيْتُهُ يَتِمَاتِرُ أَيَّ يَتَجَاذِبُ، وَتَمَاتَرَتِ النَّارُ عِنْدَ الْقَدْحِ كَذَلِكَ. وَالْمَتَرُ: السَّلْحُ إِذَا رُمِيَ بِهِ. وَمَتَرَ بِسَلْحِهِ إِذَا رَمَى بِهِ مِثْلَ مَتَحَ. وَالْمَتَرُ: الْمَدُّ. وَمَتَرَ الْحَبْلَ يَمْتَرُهُ: مَدَّهُ. وَامْتَرَهُ هُوَ: امْتَدَّ، قَالَ: وَرَبَّمَا كُنِيَ بِهِ عَنِ الْبِضَاعِ. وَالْمَتَرُ: لُغَةٌ فِي الْبُتْرِ، وَهُوَ الْقِطْعُ.

لقد خَبَلْتُ فؤادَكَ ثم ثَنَنْتُ بعقلي فهو مخبولٌ مُصابٌ
[الوافر]

قال: فيقال: إنه لما سمع هذه الأبيات التَّبَسَّ وخولطَ في عقله.
وذكر أبو عمرو الشَّيباني: أنه سمع في الليل هاتفاً يهْتَفُ بهذه الأبيات، فكانت
سبب جنونه.

وذكر إبراهيم بن المُنْذِرِ الحِزَامِي عن أيوب بن عَبَّايَةَ: أنَّ فتًى من بني مَرْوان
كان يهوى امرأةً منهم فيقول فيها الشعر وينسبُهُ إلى المجنون، وأنه عَمِلَ له أخباراً
وأضاف إليها ذلك الشعر، فحملة الناس وزادوا فيه.

[المجنون اسن مستعار]

وأخبرني عَمِّي عن الكِرَانِي عن العُمَرِي عن العُتْبِي عن عوانة أنه قال: المجنون
اسم مستعار لا حقيقة له، وليس له في بني عامر أصل ولا نسب، فسُئِلَ من قال هذه
الأشعار؟ فقال: فتى من بني أمية.

وقال الجاحظ: ما ترك الناس شعراً مجهول القائل قيل في ليلى إلا نسبوه إلى
المجنون، ولا شعراً هذه سبيلُهُ قيل في لُبْنَى إلا نسبوه إلى قَيْسِ بن دَرِيح.

وأخبرني محمد بن خَلْفٍ وكَيْعُ قال: حدَّثنا هارونُ بن محمد بن عبد الملك
قال: حدَّثني أبو أيوب المدني قال: حدَّثني الحَكَمُ بن صالح قال: قيل لرجل من بني
عامر: هل تعرفون فيكم المجنون الذي قتله العشْقُ. فقال: هذا باطل، إنما يقتلُ
العشْقُ هذه اليمانية الضعافَ القلوب.

أخبرنا أحمد بن عمر بن موسى قال: حدَّثنا إبراهيم بن المُنْذِرِ الحِزَامِي قال:
حدَّثني أيوبُ بن عَبَّايَةَ قال: حدَّثني مَنْ سأل بني عامر بطناً بطناً عن المجنون فما وجد
فيهم أحداً يعرفه.

[شعره مولد عليه]

أخبرني محمد بن مَزِيد بن أَبِي الأَزْهَر قال: حدَّثنا أحمدُ بن الحارث عن ابن
الأعرابي أنه ذكر عن جماعةٍ من بني عامر سُئِلوا عن المجنون فلم يعرفوه، وذكرُوا أنَّ
هذا الشعر كله مُولَدٌ^(١) عليه.

(١) قال ابن سيده: الوليدة والمولدة الجارية المولودة بين العرب؛ غيره: وعربية مولدة، ورجل مولد
إذا كان عربياً غير محض.

أخبرني أحمد بن عبّيد الله بن عمّار قال: حدّثني أحمد بن سُلَيْمَانَ بن أبي شَيْخ عن أبيه عن محمد بن الحَكَم عن عَوَانَةَ قال: ثلاثة لم يكونوا قَطُّ ولا عُرِفوا: ابن أبي العَقَب صاحبُ قصيدة الملاحم، وابنُ القِرِيَّة، ومجنون بني عامر.

أخبرني أبو الحَسَن الأَسَدِيّ قال: حدّثنا الرِّياشِيّ قال: سمعتُ الأصمعيّ يقول: الذي أُلقيَ على المجنون من الشعر وأُضيف إليه أكثرُ مما قاله هو.

أخبرني عيسى بن الحُسَيْن الوراقُ قال: حدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال: حدّثني إسحاق قال: أنشدتُ أَيُّوبَ بن عَبَّايَةَ هذين البيتين:

وَحَبَّرْتُمَانِي أَنْ تَيْمَاءَ^(١) مَنْزِلٌ لَيْلِي إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَرَاثِيَا
فَهَذِي شُهُورُ الصَّيْفِ عَنَّا قَدْ انْقَضَتْ فَمَا لِلنَّوَى تَرْمِي بَلِيلِي الْمَرَامِيَا
[الطويل]

وسألته عن قائلهما، فقال: جميل، فقلتُ له: إنَّ الناسَ يروُونهما للمجنون، فقال: ومن هو المجنون؟ فأخبرته، فقال: ما لهذا حقيقةً ولا سمعتُ به.

وأخبرني عمي عن عبد الله بن شبيب عن هارونَ بن موسى القرويّ قال: سألت أبا بكر العدويّ عن هذين البيتين فقال: هما لجميل، ولم يعرف المجنون، فقلتُ: فهل معهما غيرهما؟ قال: نعم، وأنشدني:

وَإِنِّي لِأَخْشَى أَنْ أَمُوتَ فُجَاءَةً وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْكَ كَمَا هِيََا
وَإِنِّي لِيُنْسِينِي لِقَاؤُكَ كُلَّمَا لَقَيْتُكَ يَوْمًا أَنْ أَبْثُكَ مَا بِيَا
وَقَالَوَا بِهِ دَاءً عِيَاءً أَصَابَهُ وَقَدْ عَلِمْتَ نَفْسِي مَكَانَ دَوَائِيَا
[الطويل]

وأنا أذكر مما وقع إليّ من أخباره جُملاً مستحسنةً، مُتَبَرِّئاً من العهدة فيها، فإنَّ أكثرَ أشعاره المذكورة في أخباره ينسُبُها بعضُ الرُّوَاةِ إلى غيره وينسُبُها من حُكِيت عنه إليه، وإذا قَدِمْتُ هذه الشريطةَ برئتُ من عيبٍ طاعِنٍ ومُتَتَبِعٍ للعيوب.

[عشق ليلي صغير]

أخبرني بخبره في شغفه بليلي جماعةً من الرُّوَاةِ، ونسختُ ما لم أسمعُه من

(١) تيماء: بلد صغير في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى والأبلى الفرد، حصن السموأل بن عادي اليهودي مشرف عليها، فلذلك كان يقال لها تيماء اليهودي.

الروايات وجمعت ذلك في سياق خبره ما اتسق ولم يختلف، فإذا اختلفت نسبت كل رواية إلى راويها.

فممن أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبیب بن نصر المَهَلَبِي، قالوا: حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّةَ عَنْ رَجَالِهِ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ قُتَيْبَةَ، وَنَسَخْتُ أَخْبَارَهُ مِنْ رِوَايَةِ خَالِدِ بْنِ كُلْثُومٍ وَأَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِي وَابْنِ دَاوُدَ وَهَشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيِّ وَإِسْحَاقَ بْنِ الْجِصَّاصِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الرُّوَاةِ.

قال أبو عمرو الشَّيْبَانِي وأبو عُبَيْدَةَ: كَانَ الْمَجْنُونُ يَهُوَى لَيْلَى بِنْتَ مَهْدِيَّ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَهْدِيَّ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَرِيشِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةَ وَتُكْنَى أُمَّ مَالِكٍ، وَهَمَّا حِينَئِذٍ صَبِيَانِ، فَعَلِقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ وَهَمَّا يَرْعِيَانِ مَوَاشِيَ أَهْلِهِمَا، فَلَمْ يَزَالَا كَذَلِكَ حَتَّى كَبُرَا فَحُجِبَتْ عَنْهُ، قَالَ: وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ:

صوت

تَعَلَّقْتُ لَيْلَى وَهِيَ ذَاتُ ذُؤَابَةِ^(١) وَلَمْ يَبْدُ لِلْأَتْرَابِ مِنْ ثَدْيِهَا حَجْمٌ
صَغِيرِينَ نَرَعَى الْبَهْمَ يَا لَيْتَ أَنَّنَا إِلَى الْيَوْمِ لَمْ نَكْبِرْ وَلَمْ تَكْبِرِ الْبَهْمُ^(٢)
[الطويل]

في هذين البيتين للأخضر الجُدِّي لحنٌ من الثقيل الثاني بالوُسْطَى، ذكره هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات والهشامي.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عَبَّائَةَ، وَنَسَخْتُ هَذَا الْخَبْرَ بَعِينَهُ مِنْ خَطِّ هَارُونَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَاتِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَتَابٍ الْبَصْرِيُّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّافِعِيِّ قَالَ:

بَيْنَا ابْنُ مُلَيْكَةَ يُؤَدِّنُ إِذْ سَمِعَ الْأَخْضَرَ الْجُدِّيَّ يُغَنِّي مِنْ دَارِ الْعَاصِ بْنِ وائِلَ:

وعلقتها غراء ذات ذوائب . . . ولم يبد للأتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا . . . إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم
[الطويل]

(١) ذُؤَابَةٌ وَذَوَائِبٌ وَهِيَ الشَّعْرُ الْمُنْسَدَلُ مِنْ وَسْطِ الرَّأْسِ إِلَى الظَّهْرِ. وَغَلَامٌ مَذَابٌ: لَهُ ذُؤَابَةٌ.

(٢) ورد في الديوان «غَرَّ صَغِيرَةٌ» بدل «ذات ذُؤَابَةٍ».

قال: فأراد أن يقول: حي على الصلاة، فقال: حي على البهم، حتى سمعه أهل مكة فغدا يعتذر إليهم.

وقال ابن الكلبي: حدثني معروف المكي والمعلّى بن هلال وإسحاق بن الحصاص قالوا: كان سبب عشق المجنون ليلي، أنه أقبل ذات يوم على ناقة له كريمة وعليه حُلّتان من حُلل الملوك، فمرّ بامرأة من قومه يقال لها: كريمة، وعندها جماعة نسوة يتحدّثن فيهنّ ليلي، فأعجبهنّ جماله وكماله، فدعونه إلى النزول والحديث، فنزل وجعل يحدثهن وأمر عبداً له كان معه فعقر لهنّ ناقته، وظلّ يحدثهن بقية يومه، فبينا هو كذلك، إذ طلع عليهم فتى عليه بُردة من برد الأعراب يُقال له: مُنازل يسوق مغزى له، فلما رأيته أقبلن عليه وتركن المجنون، فغضب وخرج من عندهنّ وأنشأ يقول:

أَعْقَرَ مَنْ جَرًّا^(١) كَرِيمَةً نَاقَتِي وَوَصَلِي مَفْرُوشٍ لِيَوْصِلَ مُنَازِلِ
إِذَا جَاءَ قَعَقَعَنَ الْحَلِيِّ وَلَمْ أَكُنْ إِذَا جِئْتُ أَرْضِي صَوْتَ تِلْكَ الْخَلَاخِلِ
مَتَى مَا انْتَضَلْنَا^(٢) بِالسَّهَامِ نَضَلْتُهُ وَإِنْ نَرِمَ رَشَقاً عِنْدَهَا فَهَوَ نَاضِلِي
[الطويل]

قال: فلما أصبح لبس حُلّته وركب ناقة له أخرى ومضى مُتَعَرِّضاً لهنّ، فألفى ليلي قاعدةً بفناء بيتها وقد علق حبه بقلبها وهويته، وعندها جَوَيريات يتحدّثن معها، فوقف بهنّ وسلّم، فدعونه إلى النزول وقُلن له: هل لك في مُحادثة من لا يَشْغَلُهُ عنك مُنازل ولا غيره؟ فقال: إي لَعَمْرِي، فنزل وفعل مثل ما فعله بالأمس، فأرادت أن تعلم، هل لها عنده مثل ما له عندها، فجعلت تُعَرِّضُ عن حديثه ساعةً بعد ساعةً وتحديث غيره، وقد كان علق بقلبه مثل حبها إياه وشغفته واستملحها، فبينا هي تحدّثه، إذ أقبل فتى من الحيّ فدعته وسارته سِراراً طويلاً، ثم قالت له: انصرف، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغير وانتقع^(٣) لونه وشق عليه فعلها، فأنشأت تقول:

كَلَانَا مُظْهَرٌ لِلنَّاسِ بُغْضاً وَكُلُّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينُ
تُبَلِّغُنَا الْعَيُونَ بِمَا أَرَدْنَا وَفِي الْقَلْبَيْنِ ثَمَّ هَوَى دَفِينُ
[الوافر]

(١) جراً: فعلت كذا من جرّاءك، أي من أجلك، وهو فعلى، ولا تقل مجراً.
(٢) أنضله نضلاً: سبقته في الرّماء. وناضلت فلاناً فنضلتُه إذا غلبته. الليث: نضل فلان فلاناً إذا نضله في مُراماة فعَلَبه. وخرج القوم يَنْتَضِلُونَ إذا اسْتَبَقُوا فِي رَمْيِ الْأَعْرَاضِ. وناضلت عنه نضالاً: دافعت.

(٣) انْتَقَعَ لَوْنُ الرَّجُلِ وَامْتَنَعَ أَصَوْبُ: تَغَيَّرَ. وَالرَّجُلُ إِذَا شَرِبَ مِنَ الْمَاءِ فَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، يُقَالُ: نَقَعَ.

فلما سمع البيتين شَهَقَ شَهَقَةً شَدِيدَةً وَأَغْمِيَ عَلَيْهِ، فَمَكَثَ عَلَى ذَلِكَ سَاعَةً، وَنَضَحُوا^(١) الْمَاءَ عَلَى وَجْهِهِ «حَتَّى أَفَاقَ» وَتَمَكَّنَ حُبُّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ كُلُّ مَبْلَغٍ.

[المجنون بخطب ليلي]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني هارونُ بن محمد بن عبد الملك قال: حدّثني عبد الرحمن بن إبراهيم عن هشام بن محمد بن موسى المكيّ عن محمد بن سعيد المخزومي عن أبي الهيثم العُقَيْلِيِّ قال: لما شُهِرَ أَمْرُ الْمُجَنُّونِ وَلِيْلَى وَتَنَاشَدَ النَّاسُ شَعْرَهُ فِيهَا، خَطَبَهَا وَبَدَلَ لَهَا خَمْسِينَ نَاقَةً حَمْرَاءَ، وَخَطَبَهَا وَرَدُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعُقَيْلِيُّ وَبَدَلَ لَهَا عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ وَرَاعِيهَا، فَقَالَ أَهْلُهَا: نَحْنُ مَخْضِرُوهَا بَيْنَكُمَا، فَمِنْ اخْتَارَتْ تَزَوُّجَتَهُ، وَدَخَلُوا إِلَيْهَا فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَنْ لَمْ تَخْتَارِي وَرَدًّا لِنُمَثِّلَنَّ بِكَ، فَقَالَ الْمُجَنُّونُ:

أَلَا يَا لَيْلُ إِنِّ مُلِّكَتِ فِينَا خِيَارَكَ فَانْظُرِي لِمَنِ الْخِيَارُ
وَلَا تَسْتَبْدِلِي مِنِّي ذَنْبِيَا وَلَا بَرَمًا^(٢) إِذَا حُبَّ الْقُتَارُ^(٣)
يُهْرَوِلُ فِي الصَّغِيرِ إِذَا رَأَهُ وَتُعْجِزُهُ مُلِمَّاتُ كِبَارُ
فَمِثْلُ تَأَيِّمٍ^(٤) مِنْهُ نِكَاحُ وَمِثْلُ تَمَوُّلٍ مِنْهُ افْتِقَارُ
[الوافر]

فَاخْتَارَتْ وَرَدًّا فَتَزَوَّجَتَهُ عَلَى كُرِّهِ مِنْهَا.

(١) النَّضْحُ: الرَّشُّ. نَضَحَ عَلَيْهِ الْمَاءَ يَنْضَحُهُ نَضْحًا إِذَا ضَرَبَهُ بِشَيْءٍ فَأَصَابَهُ مِنْهُ رَشَاشٌ. وَنَضَحَ عَلَيْهِ الْمَاءُ: ارْتَشَشَ.

(٢) الْأَبْرَامُ: اللَّثَامُ، وَاحِدُهُمْ بَرَمٌ، بَفَتْحِ الرَّاءِ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ الَّذِي لَا يَدْخُلُ مَعَ الْقَوْمِ فِي الْمَيْسِرِ وَلَا يُخْرِجُ مَعَهُمْ فِيهِ شَيْئًا.

(٣) قَتَرَ اللَّحْمَ وَقَتَرَ يَقْتَرِي، بِالْكَسْرِ، وَيَقْتَرُ وَقَتَرًا: سَطَعَتْ رِيحُ قُتَارِهِ. وَالْقُتَارُ: رِيحُ الْعُودِ الَّذِي يُحْرَقُ فَيُدَخَّنُ بِهِ؛ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: هَذَا وَجْهٌ صَحِيحٌ وَقَدْ قَالَهُ غَيْرُهُ، وَقَالَ الْفَرَاءُ: هُوَ آخِرُ رَائِحَةِ الْعُودِ إِذَا بُخِّرَ بِهِ؛ قَالَ فِي كِتَابِ الْمَصَادِرِ، قَالَ: وَالْقُتَارُ عِنْدَ الْعَرَبِ رِيحُ الشَّوَاءِ إِذَا ضَهَبَ عَلَى الْجَمْرِ، وَأَمَّا رَائِحَةُ الْعُودِ إِذَا أُلْقِيَ عَلَى النَّارِ فَإِنَّهُ لَا يَقَالُ لَهُ الْقُتَارُ، وَلَكِنَّ الْعَرَبَ وَصَفَتْ اسْتِطَابَةَ الْمُجْدِبِينَ رَائِحَةَ الشَّوَاءِ أَنَّهُ عِنْدَهُمْ لَشَدَّةَ قَرَمِهِمْ إِلَى أَكْلِهِ كَرَائِحَةِ الْعُودِ لَطِيبِهِ فِي أَنْوْفِهِمْ.

(٤) الْأَيَّامِي: الَّذِينَ لَا أَزْوَاجَ لَهُمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَأَصْلُهُ أَيَّامٌ، فَقُلِبَتْ لِأَنَّ الْوَاحِدَ رَجُلٌ أَيْمٌ سِوَاكَانِ تَزَوُّجٍ قَبْلَ أَوْ لَمْ يَتَزَوَّجْ. ابْنُ سَيِّدِهِ: الْأَيِّمُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا، بِكَرٍّ كَانَتْ أَوْ تَبَيَّأَ، وَمِنَ الرِّجَالِ الَّذِي لَا امْرَأَةً لَهُ، وَجَمْعُ الْأَيِّمِ مِنَ النِّسَاءِ أَيَّامٌ وَأَيَّامِي.

[أبوه يروي قصة جنونه بليلي]

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالوا: حدثنا عمر بن شبة قال: ذكر الهيثم بن عدي عن عثمان بن عمار بن حريم المري قال: خرجت إلى أرض بني عامر لألقى المجنون، فدللت عليه وعلى محلته، فلقيت أباه شيخاً كبيراً وحوله إخوة للمجنون مع أبيهم رجالاً؛ فسألتهم عنه فبكوه، وقال الشيخ: أما والله لهو كان أثر عندي من هؤلاء جميعاً، وإنه عشق امرأة من قومه والله ما كانت تطمع في مثله، فلما فشا أمره وأمرها كره أبوها أن يزوجه إياها بعد ما ظهر من أمرهما، فزوجه غيره، وكان أول ما كلف بها يجلس إليها في نفر من قومها فيتحدثون كما يتحدث الفتيان، وكان أجملهم وأظرفهم وأرواهم لأشعار العرب، فيفيضون في الحديث فيكون أحسنهم فيه إفاضة، فتعرض عنه وتقبل على غيره، وقد وقع له في قلبها مثل ما وقع لها في قلبه، فظنت به ما هو عليه من حبها، فأقبلت عليه يوماً وقد حلت فقالت:

صوت

كلانا مظهر للناس بغضاً وكل عند صاحبه مكين
وأسرار الملاحظ ليس تخفى إذا نطقت بما تخفي العيون
[الوافر]

[هيامه بليلي]

- غنت في الأول عريب خفيف رمل، وقيل: إن هذا الغناء لشارية، والبيت الأخير ليس من شعره - قال: فخر معشياً عليه ثم أفاق فاقدًا عقله، فكان لا يلبس ثوباً إلا خرّقه ولا يمشي إلا عارياً ويلعب بالتراب ويجمع العظام حوله، فإذا ذكرت له ليلي أنشأ يحدث عنها عاقلاً ولا يخطيء حرفاً، وترك الصلاة، فإذا قيل له: ما لك لا تُصلي! لم يرد حرفاً، وكنا نحبسه ونقيده، فيعض لسانه وشفته، حتى خشينا عليه فخلينا سبيله فهو يهيم.

[قصته مع عمر بن عبد الرحمن بن عوف]

قال الهيثم: فولي مروان بن الحكم عمر بن عبد الرحمن بن عوف صدقات بني كعب وقشير وجعدة، والحريش وحبيب وعبد الله، فنظر إلى المجنون قبل أن يستحكم جنونه فكلمه وأنشده فأعجب به، فسأله أن يخرج معه، فأجابه إلى ذلك، فلما أراد الرواح جاءه قومه فأخبروه خبره وخبر ليلي، وأن أهلها استعدوا السلطان

عليه، فأهدر دمه إن أتاهم، فأضرب عما وعده وأمر له بقلائص، فلما علم بذلك وأُتي بالقلائص ردّها عليه وانصرف.

وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم عن جماعة من الرواة: أنَّ المجنون هو الذي سأل عمر بن عبد الرحمن أن يخرج به، قال له: أكون معك في هذا الجمع الذي تجمعه غداً، فأرى في أصحابك، وأنجمل في عشيرتي بك، وأفخرُ بقربك، فجاءه رهطٌ من رهط ليلى وأخبروه بقصته، وأنه لا يريد التجميل به، وإنما يريد أن يدخل عليهم بيوتهم ويفضحهم في امرأة منهم يهواها، وأنهم قد شكوه إلى السلطان فأهدر دمه إن دخل عليهم، فأعرض عما أجابه إليه من أخذه معه وأمر له بقلائص، فردّها وقال «في ذلك»:

رَدَدْتُ قَلَائِصَ الْقُرَشِيِّ لَمَّا رَأَيْتُ النَّقْصَ مِنْهُ لِلْعُهُودِ
وَرَأَوْا مُقْصِرِينَ وَخَلَفُونِي إِلَى حُزْنٍ أَعَالِجُهُ شَدِيدٍ
[الوافر]

قال: ورجع آيساً^(١) فعاد إلى حاله الأولى، قال: فلم تزل تلك حاله، إلا أنه غيرُ مستوحش، إنما يكون في جنبات الحي منفرداً عارياً لا يلبس ثوباً إلا خرّقه، ويَهْذِي وَيُخَطِّطُ في الأرض ويلعب بالتراب والحجارة، ولا يُجِيبُ أحداً سألَه عن شيء، فإذا أَحْبَبُوا أن يتكلّم أو يثوب عقله ذكروا له ليلى، فيقول: بأبي هي وأمي، ثم يرجع إليه عقله فيخاطبونه ويُجيبهم، ويأتيه أحداثُ الحي فيحدثونه عنها ويُشدّونه الشعرَ الغزلَ، فيجيبهم جواباً صحيحاً وينشدهم أشعاراً قالها، حتى سعى عليهم في السنة الثانية بعد عمر بن عبد الرحمن نوفلُ بن مُسَاحِق، فنزل مجمعاً من تلك المِجَامِع فرآه يلعب بالتراب وهو عريان، فقال لغلام له: يا غلام، هاتِ ثوباً، فاتاه به، فقال لبعضهم: خُذْ هذا الثوب فألقه على ذلك الرجل، فقال له: أتعرفه جُعِلْتُ فداك؟ قال: لا، قال: هذا ابنُ سيّد الحيّ، لا والله ما يلبسُ الثياب ولا يزيد على ما تراه يفعلُه الآن، وإذا طَرِحَ عليه شيء خَرَّقَه، ولو كان يلبسُ ثوباً لكان في مال أبيه ما يكفيه، وحدثه عن أمره، فدعا به وكلمه، فجعل لا يعقل شيئاً يكلمه به، فقال له قومه: إن أردت أن يُجيبَكَ جواباً صحيحاً فاذكر له ليلى، فذكرها له وسألَه عن حبه إياها، فأقبل عليه يحدثُه بحدِيثها ويشكو إليه حبه إياها وينشده شعره فيها، فقال له نوفل: الحبُّ صيرَكَ إلى ما أرى؟ قال: نعم، وسينتهي بي إلى ما هو أشدُّ مما ترى، فعجب منه وقال له: أتعجبُ أن أزوجكها؟ قال: نعم، وهل إلى ذلك من سبيل؟ قال:

(١) الجوهرى: أَيْسْتُ مِنْهُ يَأْسُ لُغَةً فِي يَيْسْتُ مِنْهُ أَيَّاسُ يَأْساً، ومصدرهما واحد.

انطلق معي حتى أقدم على أهلها بك وأخطبها عليك وأرغبهم في المهر لها، قال: أتراك فاعلاً؟ قال: نعم، قال: انظر ما تقول! قال: لك علي أن أفعل بك ذلك، ودعا له بثياب فألبسه إياها، وراح معه المجنون كأصح أصحابه يحدثه ويُشيدُهُ، فبلغ ذلك رهطها فتلقوه في السلاح، وقالوا له: يابن مُساحِقٍ لا والله لا يدخل المجنون منازلنا أبداً أو يموت، فقد أهدر لنا السلطان دمه، فأقبل بهم وأذبر، فأبوا، فلما رأى ذلك قال للمجنون: انصرف، فقال له المجنون: والله ما وفيت لي بالعهد، قال له: انصرافك بعد أن آيسني القوم من إجابتك أصلح من سفك الدماء، فقال المجنون:

صوت

أَيَا وَيْحَ مَنْ أَمْسَى تُخْلَسُ^(١) عَقْلُهُ فَاصْبَحَ مَذْهُوباً بِهِ كُلَّ مَذْهَبٍ
خَلِيّاً مِنَ الْخُلَانِ إِلَّا مُعْذراً^(٢) يُضَاحِكُنِي مَنْ كَانَ يَهْوَى تَجَنُّبِي
[الطويل]

الغناء للحسين بن مُحَرِّزٍ ثَقِيلٍ أَوَّلُ بِالْوُسْطَى مِنْ جَامِعِ أَغَانِيهِ:

إِذَا ذُكِرْتُ لَيْلَى عَقَلْتُ وَرَاجَعْتُ رَوَائِعُ عَقْلِي مِنْ هَوَى مُتَشَعِّبٍ
وَقَالُوا صَاحِحٌ مَا بِهِ طَيْفُ جَنَّةٍ^(٣) وَلَا الْهَمُّ إِلَّا بِافْتِرَاءِ التَّكْذُوبِ
وَشَاهِدُ وَجَدِي دَمْعُ عَيْنِي وَخُبُّهَا يَرَى اللَّحْمَ عَنْ أَحْنَاءٍ^(٤) عَظُمِي وَمَنْكَبِي
[الطويل]

(١) خلّس: الاختلاس؛ أخذ الشيء مكابرة، تقول: اختلستُه اختلاساً واجتدأباً. والخلّس والاختلاس: النهزة، والاختلاس أوحاهما وأخصهما. والخلّسة: النهزة.

(٢) وقال الله - جل وعز: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ روى الضحاك عن ابن عباس أنه قرأ «وجاء المُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ». وقال: لعن الله المُعَذِّرِينَ، قلت: يذهب ابن عباس إلى أن المُعَذِّرُونَ هم الذين لهم عُذْر والمُعَذِّرُونَ - بالتشديد -: الذين يعتذرون بلا عذر، كأنهم المقصرون الذين لا عُذْر لهم.

(٣) الجن: جماعة وَلَدِ الْجَانِّ، وجمعهم الجِنَّةُ والجنَّانُ، سُمُّوا به لاستيجنائهم من الناس فلا يُروْنَ. والمَجَنَّةُ: الجنون، وجنَّ الرجلُ، وأجنَّه الله فهو مجنونٌ وهم مجانينٌ.

(٤) جنو كل شيء: اغوجاجه. والجنو: كل شيء فيه اعوجاج أو شبه الاعوجاج، كعظم الحجاج واللّخي والضلع والقفّ والحفّ ومُنْعَرَجِ الوادي، والجمع أحناءٌ وحنيٌّ وحنيٌّ. وجنو الرجل اللّخي والسرج: كلُّ عُودٍ مُعَوَّجٍ من عيدانه، ومنه جنو الجبل. الأزهرى: والجنو والحجاج العظم الذي تحت الحاجب من الإنسان.

صوت

تَجَنَّبْتُ لَيْلَى أَنْ يَلِجَ بِي الْهَوَى وَهَيْهَاتَ كَانَ الْحُبُّ قَبْلَ التَّجَنُّبِ
أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتَ يَا أُمَّ مَالِكٍ صَدَى أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ
[الطويل]

الغناء لإسحاق خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلَ بِإِطْلَاقِ الْوَتَرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ، وفيه لابن
جامع هَزَجٌ من رواية الهشامي وهي قصيدة طويلة .
ومما يَغْنَى فيه منها قَوْلُهُ :

صوت

وَلَمْ أَرْ لَيْلَى بَعْدَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ بِخَيْفٍ مَنَى تَرْمِي جِمَارَ الْمُحَصَّبِ
وَيُبْدِي الْحَصَى مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ مِنْ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخَضَّبِ
فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْعِدَّةَ كَنَاطِرٍ مَعَ الصُّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغْرَبٍ
أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتَ يَا أُمَّ مَالِكٍ صَدَى أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ
[الطويل]

فيه ثَقِيلٌ أَوَّلُ مُطْلَقٌ بِاسْتِهْلَالٍ، ذكر ابنُ المكي أنه لأبيه يحيى، وذكر
الهشامي أنه للواثق، وذكر حَبَشَ أنه لابن مُحَرِّزٍ، وهو في جامع أغاني سليمان
منسوبٌ إليه .

أنشدني الأخفش عن أبي سعيد السُّكْرِيِّ عن محمد بن حبيب للمجنون :

فَوَاللَّهِ ثُمَّ اللَّهُ إِنِّي لَدَائِبٌ أَفْكُرُ مَا ذَنْبِي إِلَيْكَ وَأَعَجَبُ
وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي عِلَامَ قَتَلْتَنِي وَأَيُّ أُمُورِي فِيكَ يَا لَيْلَ أَرْكَبُ
أَقَطُّعُ حَبْلَ الْوَصْلِ فَالْمَوْتُ دُونَهُ أَمْ اشْرَبُ رَنْقًا^(١) مِنْكُمْ لَيْسَ يُشْرَبُ
أَمْ أَصْنَعُ مَاذَا أَمْ أَبُوحُ فَأُغْلَبُ أَمْ أَصْنَعُ مَاذَا أَمْ أَبُوحُ فَأُغْلَبُ
فَأَيُّهُمَا يَا لَيْلَ مَا تَفْعَلِينِي فَإِنِّي لِمَظْلُومٍ وَإِنِّي لَمُعْتَبٌ^(٢)
[الطويل]

(١) وورد في الديوان «كأساً» بدل «رَنْقاً». والرَّوْنَقُ: ماء السيف وصفاءه وحُسْنُهُ. وَرَوْنَقُ الشَّبابِ: أَوَّلُهُ وَمَاؤُهُ، وكذلك رَوْنَقُ الضُّحَى. والرَنْقُ هو الحزن والكدر.

(٢) ورد العجز في الديوان على الشكل التالي: «فَأَوَّلُ مَهْجُورٍ وَآخِرُ مُعْتَبٌ».

[حجّه مع أبيه إلى مكة لسلوان ليلي]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبیب بن نصر المهلبی قالاً: حدّثنا عمر بن شبة قال: ذكر هشام بن الكلبي ووافقه في روايته أبو نصر أحمد بن حاتم وأخبرنا الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن أبي سعد قال: حدّثني علي بن الصّباح عن هشام بن الكلبي عن أبيه: أنّ أبا المجنون وأمه ورجالاً عشيرته اجتمعوا إلى أبي ليلي فوعظوه وناشدوه الله والرحم، وقالوا له: إنّ هذا الرجل لهالك، وقبل ذلك ففي أقبح من الهلاك بذهاب عقله، وإنّك فاجع به أباه وأهله، فنشدناك الله والرحم أن تفعل ذلك، فوالله ما هي أشرف منه، ولا لك مثل مال أبيه، وقد حكّمك في المهر، وإن شئت أن يخلع نفسه إليك من ماله فعل، فأبى وحلف بالله وبطلاق أمّها إنّه لا يزوجه إياها أبداً، وقال: أفضح نفسي وعشيرتي وآتي ما لم يأت أحد من العرب، وأسّم ابنتي بميسم فضيحة! فانصرفوا عنه، وخالفهم لوقته فزوجه رجلاً من قومها وأدخلها إليه، فما أمسى إلا وقد بنى بها، وبلغه الخبر فأيس منها حينئذٍ وزال عقله جملةً، فقال الحي لأبيه: احجج به إلى مكة وادع الله عز وجل له، ومره أن يتعلّق بأستار الكعبة، فيسأل الله أن يعافيه مما به ويبغضها إليه، ففعل الله أن يخلصه من هذا البلاء، فحجّ به أبوه، فلما صاروا بمنى سمع صائحاً في الليل يصيح: يا ليلي، فصرخ صرخةً ظنوا أن نفسه قد تلفت وسقط مغشياً عليه، فلم يزل كذلك حتى أصبح ثم أفاق حائل اللون ذاهلاً، فأنشأ يقول:

صوت

عَرَضْتُ عَلَى قَلْبِي الْعَزَاءَ فَقَالَ لِي
إِذَا بَانَ مَنْ تَهْوَى وَأَصْبَحَ نَائِيًا
وَدَاعَ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى
دَعَا بِاسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا
دَعَا بِاسْمِ لَيْلَى ضَلَّلَ اللَّهُ سَعِيَهُ

مِنْ الْآنَ فَيَأْسُ لَا أَعَزَّكَ مِنْ صَبْرِ
فَلَا شَيْءَ أَجْدَى مِنْ حَوْلِكَ فِي الْقَبْرِ
فَهَيَّجَ أَطْرَابَ^(١) الْفُؤَادِ وَمَا يَدْرِي
أَطَارَ بَلِيلَى طَائِرًا كَانَ فِي صَدْرِي
وَلَيْلَى بِأَرْضٍ عَنْهُ نَازِحَةٌ قَفَرٍ

[الطويل]

الغناء لعريب خفيف ثقيل - ثم قال له أبوه: تعلّق بأستار الكعبة واسأل الله أن

(١) الطَّرَبُ: الفرح والحزن؛ عن ثعلب. وقيل: الطَّرَبُ: خفة تعتري عند شدة الفرح أو الحزن والهم.

يعافيك من حبِّ ليلي، فتعلَّقَ بأستار الكعبة. وقال: اللَّهُمَّ زِدْنِي ليلي حباً وبها كَلْفاً ولا تُنْسِنِي ذكرها أبداً، فهام حينئذٍ واختلط فلم يَضْبِطْ. قالوا: فكان يَهيمُ في البرية مع الوحش، ولا يأكلُ إلا ما ينبت في البرية من بقل، ولا يشرب إلا مع الطباء إذا وردت مناهلها، وطال شعْرُ جسده ورأسه وألْفَتُهُ الطباءُ والوحوش فكانت لا تنفر منه، وجعل يَهيمُ حتى يبلغَ حدود الشام، فإذا ثاب إليه عقله سأل من يمرُّ به من أحياء العرب عن نجدٍ، فيقالُ له: وأين أنت من نجدٍ! قد شارفت الشام! أنت في موضع كذا، فيقول: فأروني وجهَةَ الطريق، فيرحمونه ويعرضون عليه أن يحملوه وأن يكسوه فيأبى، فيدلُّونه على طريق نجد فيتوجَّه نحوه.

أخبرني عمي قال: حدَّثني الكِرانيُّ قال: حدَّثنا العُمريُّ عن الهيثم بن عديٍّ، وأخبرنا حبيب بن نصر المهلبِّي وأحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ قالا: حدَّثنا عمر بن شَبَّه قال: ذكر الهيثم بن عديٍّ عن أبي مسكين قال:

خرج منّا فتى حتى إذا كان ببئر ميمون^(١) إذا جماعةٌ فوق بعض تلك الجبال، وإذا معهم فتى أبيض طوال^(٢) جَعْد^(٣) كأحسن من رأيت من الرجال على هُزالٍ منه وصُفرةٍ، وإذا هم مُتعلِّقون به، فسألتُ عنه، ف قيل لي: هذا قيسُ المجنون خرج به أبوه يستجيرُ له بالبيت، وهو على أن يأتي به قبر رسول الله ﷺ ليدعو له هناك لعلَّه يُكشِفُ ما به، فإنه يصنع بنفسه صنيعاً يرحمه منه عدوُّه، يقول: أخرجوني لعلني أتَنَسِّمُ^(٤) صبا نجدٍ، فيُخرجونه فيتوجهون به نحو نجدٍ، ونحن مع ذلك نخاف أن يُلقِي نفسه من الجبل، فإن شئتَ الأجر دنوت منه فأخبرته أنك أقبلت من نجدٍ، فدنوت منه وأقبلوا عليه فقالوا له: يا أبا المَهدي، هذا الفتى أقبل من نجد، فتنفس تنفُّسه ظننتُ أن كبده قد انصدعت، ثم جعل يسألني عن وادٍ وادٍ وموضعٍ موضعٍ، وأنا أخبره وهو يبكي أحراً بكاءً وأوجعه للقلب، ثم أنشأ يقول:

(١) أقدم آبار الأرض بئر سام بن نوح بصنعاء وبئر ميمون بمكة بين البيت والحجون بأبطح مكة، وهي في بعض التفاسير معنى قول الله عز وجل: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ وهو ميمون بن قحطان الصدفي من ولد أبد بن أبيود بن مالك بن الصدف.

(٢) الطُولُ: نقيض القِصر في الناس وغيرهم من الحيوان والموات. والطوال المفرط بالطول.

(٣) الجعد من الشعر: خلاف السبط، وقيل: هو القصير؛ عن كراع. والجعد من الرجال: المجتمع بعضه إلى بعض، والسبط: الذي ليس بمجتمع، وإذا قالوا رجل جعد السبوطه فهو مدح، إلا أن يكون قَطِطاً مُقْلَفَلاً ك شعر الزنج والثوبة فهو حينئذٍ ذم.

(٤) تنسم: أي رأى فيه بياناً وعلامَةً. وفي الحديث: «لقد استَقَامَ المَنَسِمُ» أي الطريق. وهذا نَسَمٌ من الطريق وأنسَمَ. وتَنَسَّمْتُ الطريقَ: أخذت مَذْهَبَهُ.

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ عُورَضَتِي قَنَّا^(١)
 وَهَلْ جَارَتَانَا بِالْبَتِيلِ^(٢) إِلَى الْحِمَى
 وَعَنْ عُلوِيَّاتِ^(٣) الرِّيَّاحِ إِذَا جَرَّتْ
 وَعَنْ أَقْحَوَانِ الرَّمْلِ مَا هُوَ فَاعِلٌ
 وَهَلْ أَنْفُضَنَّ الدَّهْرَ أَفْنَانٌ لِمَتِّي
 وَهَلْ أَسْمِعَنَّ الدَّهْرَ أَصْوَاتَ هَجْمَةٍ^(٩)
 لِطُولِ اللَّيَالِي هَلْ تَغَيَّرَتَا بَعْدِي
 عَلَى عَهْدِنَا أَمْ لَمْ تَدُومَا عَلَى الْعَهْدِ
 بِرِيحِ الْخُزَامَى هَلْ تَهْبُ إِلَى نَجْدٍ
 إِذَا هُوَ أَسْرَى لَيْلَةً بِثَرَى جَعَدِ^(٤)
 عَلَى لَاحِقِ^(٥) الْمَتْنَيْنِ^(٦) مُنْدَلِقِ^(٧) الْوَحْدِ^(٨)
 تَحَدَّرُ مِنْ نَشْرِ^(١٠) خَصِيبٍ إِلَى وَهْدِ^(١١)
 [الطويل]

[سؤاله زوج ليلي عن عشرته معها]

أخبرني عمي قال: حدثنا الكِراني قال: حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ
 وَالْعُتْبِيِّ قَالَا:

مَرَّ الْمَجْنُونُ بِزَوْجِ لَيْلَى وَهُوَ جَالِسٌ يَصْطَلِي^(١٢) فِي يَوْمٍ شَاتٍ، وَقَدْ أَتَى ابْنَ عَمِّ
 لَهُ فِي حَيِّ الْمَجْنُونِ لِحَاجَةٍ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

- (١) قنا: أعلى الجبل.
- (٢) البَتِيلُ: فَسِيلُ النَّحْلِ يُنْتَلُ عَنْهُ أَيْ يُقَطَّعُ عَنْهُ وَيُعْزَلُ.
- (٣) علويات: جمع علوية نسبة إلى العالية، وهي ما فوق أرض نجد إلى تهامة وهذه النسبة والقياس عالي.
- (٤) ثرى جعد: يعني الثَّرَابَ النَّدِيَّ. يقال: ثَرَى جَعْدٌ تُعَدُّ: نَدِي.
- (٥) لاحق: فرس لاحق الأيطل، وخيل لاحق الأياطل إذا ضمرت.
- (٦) المتنان: مَتْنَا الظَّهَرِ مُكْتَنَفَا الصُّلْبِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ مِنْ عَصَبٍ وَلَحْمٍ، يَذْكَرُ وَيُؤْنَثُ، وَقِيلَ: الْمَتْنَانِ وَالْمَتْنَتَانِ: جَنَبَا الظَّهَرِ، وَجَمْعُهُمَا مَتْنُونٌ، فَمَتْنٌ وَمَتْنُونٌ كظَهْرٍ وَظُهُورٍ.
- (٧) المندلق - مَجْزُومٌ -: خُرُوجُ شَيْءٍ عَنْ مَخْرَجِهِ سَرِيعاً كدُلُوقِ السَّيْفِ مِنْ غِمْدِهِ.
- (٨) وخذ: الْوَحْدُ: ضَرْبٌ مِنْ سَبْرِ الْإِبِلِ. وَقَدْ وَخَدَ الْبَعِيرُ يَخْدُ وَخْدًا وَوَحْدَانًا، وَهُوَ أَنْ يَرْمِيَ بِقَوَائِمِهِ كَمَشْيِ النِّعَامِ، فَهُوَ وَاحِدٌ وَوَحْدَانٌ.
- (٩) الهَجْمَةُ مِنَ الْإِبِلِ: مَا بَيْنَ التَّسْعِينَ إِلَى الْمِائَةِ، فَإِذَا بَلَغَتْ مِائَةً فَهِيَ: هُنَيْدَةٌ.
- (١٠) النَّشْرُ: الشَّيْءُ الْمُرْتَفِعُ نَحْوَ التَّلِّ وَالْعِرْقِ، وَالْجَمِيعُ النَّشُورُ، وَالنَّشَارُ وَجَمْعُهُ نَشَارٌ.
- (١١) الْوَهْدُ: الْمَكَانُ الْمُنْخَفِضُ، كَأَنَّهُ حُفْرَةٌ. تقول: أَرْضٌ وَهْدَةٌ، وَمَكَانٌ وَهْدٌ، وَيَكُونُ الْوَهْدُ اسْمًا لِلْحُفْرَةِ.
- (١٢) يَصْطَلِي مِنْ صَلَا: اسْمٌ لِلْوَقُودِ إِذَا اصْطَلَى بِهِ الْقَوْمُ، وَفُلَانٌ لَا يُصْطَلَى بِنَارِهِ أَيْ لَا يُتَعَرَّضُ لِحَدِّهِ.

صوت

بِرَبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلَى قُبَيْلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبَّلْتَ فَاهَا
وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ قُرُونُ لَيْلَى رَفِيفَ الْأَقْحُوَانَةِ فِي نَدَاهَا
[الوافر]

فقال: اللّهم إذ حلّفتني فنعم، قال: فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر، فما فارقهما حتى سقط مغشياً عليه، وسقط الجمر مع لحم راحتيه، وعض على شفته فقطعها، فقام زوج ليلي مغموماً بفعله متعجباً منه فمضى.

غنى في البيتين المذكورين في هذا الخبر الحسين بن محرز، ولحنه رمل بالوسطى عن الهشامي.

[مروره بجبلي نعمان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبیب بن نصر المُهَلَّبِيّ قالوا: حدّثنا عمر بن شَبَّه قال: قال محمد بن الحَكَم عن عَوَانة: إنه حدّثه ووافقه ابن نصر وابن حبيب قالوا: إنّ أهل المجنون خرجوا به معهم إلى وادي القُرَى^(١) قبل توحشه ليمتاروا^(٢) خوفاً عليه [من] أن يضيع أو يهلك، فمروا في طريقهم بجبلي نعمان^(٣)، فقال له بعض فتیان الحيّ: هذان جبلا نعمان، وقد كانت ليلي تنزل بهما، قال: فأبى الرياح يأتي من ناحيتهما؟ قالوا: الصُّبَا، قال: فوالله لا أريهم^(٤) هذا الموضع حتى تهبّ الصُّبَا، فأقام ومضوا فامتاروا لأنفسهم، ثم أتوا عليه فأقاموا معه ثلاثة أيام حتى هبّت الصُّبَا، ثم انطلق معهم فأنشأ يقول:

صوت

أَيَا جَبَلِي نَعْمَانَ بِاللَّهِ خَلِيًّا سَبِيلَ الصُّبَا يَخْلُصُ إِلَيَّ نَسِيمُهَا
أَجِدُ بَرْدَهَا أَوْ تَشْفِ مِنِّي حَرَارَةً عَلَى كَبِدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا صَمِيمُهَا^(٥)

(١) وادي القري: واد بين الشام والمدينة كانت به قري منظومة.

(٢) الامتياز: جلب الطعام للبيع.

(٣) هو نعمان الأراك وهو واد بين مكة والطائف، وقيل: واد لهذيل على ليليتين من عرفات.

(٤) لا أريهم مكاني حتى أفعل كذا، ولا أريهم منه ولا ترمه، وما يريم يفعل ذلك كما تقول: ما يبرح يفعل.

(٥) صميم كل شيء: محضه وخالصه. يقال: هو في صميم قومه.

فَلِإِنَّ الصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَسَّسَمَتْ عَلَى نَفْسٍ مَحْزُونٍ تَجَلَّتْ هُمُومُهَا [الطويل]

[ارتحال أهل ليلي وما قاله في ذلك]

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن الحسين بن الحرون قال: حدّثني الكسروي عن جماعة من الرواة قال: لما منع أبو ليلي المجنون وعشيرته من تزويجه بها، كان لا يزال يغشى بيوتهم ويهجم عليهم، فشكّوه إلى السلطان فأهدر دمه لهم، فأخبروه بذلك فلم يرعه وقال: الموت أروح لي فليتهم قتلوني، فلمّا علموا بذلك وعرفوا أنه لا يزال يطلب غرة^(١) منهم حتى إذا تفرّقوا دخل دورهم، فارتحلوا عنها وأبعدوا، وجاء المجنون عشيّة فأشرف على دورهم فإذا هي منهم بلاقع^(٢)، فقصّد منزل ليلي الذي كان بيتها فيه، فألصق صدره به وجعل يمرّغ خديّه على تراهه [وببكي]^(٣)، ثم أنشأ يقول، - وذكر هذه الأبيات ابن حبيب وأبو نصر له [بغير خبر]^(٤) - :

أَيَا حَرَجاتِ^(٥) الْحَيِّ حِينَ تَحَمَّلُوا بِذِي سَلَمٍ^(٦) لَا جَادُكُنَّ رَبِيعُ
وَحَيْمَاتُكَ اللَّاتِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى بَلِينِ بِلَى لَمْ تَبْلَهُنَّ رُبُوعُ
نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي نَدَامَةً كَمَا يَنْدُمُ الْمَغْبُوءُ^(٧) حِينَ يَبِيعُ
فَقَدْتُكَ مِنْ نَفْسٍ شِعَاعٍ^(٨) فَإِنِّي نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتِ جَمِيعُ^(٩)
فَقَرَّبْتُ لِي غَيْرَ الْقَرِيبِ وَأَشْرَفْتُ^(١٠) إِلَيْكَ ثَنَايَا^(١١) مَا لَهْنُ طُلُوعُ [الطويل]

- (١) غرة: خدعة وغفلة.
(٢) البلقع والبلقعة: الأرض القفر التي لا شيء بها.
(٣) لم ترد في جميع النسخ.
(٤) لم ترد في جميع النسخ.
(٥) الحرجة: الغيضة لضيقها؛ وقيل: الشجر الملتف، وهي أيضاً الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها الأكلّة، وهي ما رعى من المال.
(٦) ذو سلم: موضع بالحجاز.
(٧) المغبوء: الأحقق يطمع به.
(٨) نفس شعاع: تفرقت هممها وآراؤها فلا تتجه لأمر جزم.
(٩) الجميع ضد التفرق، ويقال: كان جميع من مع نوح في السفينة مؤمناً، ثم تفرّقوا من بعد عن كفر، فبعث الله النبيين.
(١٠) أشرف على المراب: علاه. أشرف عليه: اطلع عليه من فوق، وذلك الموضع مشرف.
(١١) الثنية: الطريق في الجبل كالثقب، وقيل: هي العقبة، وقيل: هي الجبل نفسه. ويريد الشاعر أن يصف صعوبة الوصول إلى ليلي.

[حديثه مع نسوة فيهن ليلي]

وذكر خالد بن جميل وخالد بن كلثوم في أخبارهما التي صنعها أن ليلي وعدته قبل أن يختلط أن تستزيره ليلة إذا وجدت فرصة لذلك، فمكث مدة يرأسها في الوفاء وهي تعدّه وتسوّفُهُ، فأتى أهلها ذات يوم والحيّ خلوف^(١)، فجلس إلى نسوة من أهلها حَجْرَة^(٢) منها بحيث تسمع كلامه، فحادثهنّ طويلاً ثم قال: ألا أنشدكنّ أبياتاً أحدثتها في هذه الأيام؟ قلن: بلى، فأنشدهنّ:

صوت

يا لِلرِّجَالِ لَهُمْ بَاتَ يَعْرُونِي مُسْتَطَرَفٍ وَقَدِيمٍ كَادُ يُبْلِينِي
مَنْ عَاذِرِي مِنْ غَرِيمٍ غَيْرِ ذِي عُسْرِ يَأْبَى فَيَمْطُلُنِي دَيْنِي وَيَلْوِينِي
لَا يُبْعِدُ النَّقْدَ مِنْ حَقِّي فَيُنْكِرُهُ وَلَا يُحَدِّثُنِي أَنْ سَوْفَ يَقْضِينِي
وَمَا كَشْكْرِي شُكْرٌ لَوْ يُوَافِقُنِي وَلَا مُنَايَ سِوَاهُ لَوْ يُوَافِينِي
أَطْعَمْتُهُ وَعَصَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ فِي أَمْرِهِ وَهَوَاهُ وَهُوَ يَعْصِينِي
[البسيط]

قال: فقلن له: ما أنصفك هذا الغريم الذي ذكرته! وجعلن يتضحكن وهو يبكي، فاستحيّت ليلي منهنّ ورقّت له حتى بكت، وقامت فدخلت بيتها وانصرف هو.

- في الثلاثة الأبيات الأول من هذه الأبيات هزجٌ طنبوريّ للمسدود - قال في خبرهما هذا: وكان للمجنون ابنا عمّ يأتيناه فيحدثانه ويُسليانه ويؤانسانه، فوقف عليهما يوماً وهما جالسان، فقالا له: يا أبا المهديّ ألا تجلس؟ قال: لا، بل أمضي إلى منزل ليلي فأتّرسمه وأرى آثارها فيه، فأشفي بعض ما في صدري بها، فقالا له: فنحن معك، فقال: إذا فعلتما أكرمتما وأحسنتما، فقاما معه حتى أتى دار ليلي، فوقف بها طويلاً يتتبع آثارها ويبكي ويقف في موضع موضع منها ويبكي ثم قال:

صوت

يا صَاحِبِي أَلَمَّا بِي بِمَنْزِلَةٍ قَدْ مَرَّ حِينَ عَلِيهَا أَيُّمَا حِينٍ
إِنِّي أَرَى رَجَعَاتِ الْحُبِّ تَقْتُلُنِي وَكَانَ فِي بَدْيِهَا مَا كَانَ يَكْفِينِي

(١) يُقَالُ: حَيَّ خُلُوفٌ: إِذَا غَابَ الرِّجَالُ، وَأَقَامَ النِّسَاءُ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْمُتَقِيمِينَ وَالطَّاعِنِينَ.

(٢) حَجْرَة هي الناحية، وَحَجَرَتَا الْعُسْكَرَ: نَاجِيَتَاهُ مِنَ الْمَيْمَنَةِ وَالْمَيْسَرَةِ.

لَا خَيْرَ فِي الْحُبِّ لَيْسَتْ فِيهِ قَارِعَةٌ^(١) كَأَنَّ صَاحِبَهَا فِي نَزْعِ مَوْتُونٍ^(٢)
 إِنْ قَالَ عُذَّالُهُ مَهْلًا فَلَانَ لَهُمْ قَالَ الْهَوَى غَيْرُ هَذَا الْقَوْلِ يَعْنِينِي
 أَلْقَى مِنَ الْيَأْسِ تَارَاتٍ فَتَقَتُّلْنِي وَلِلرَّجَاءِ بَشَاشَاتٌ فَتُحْيِينِي
 [البسيط]

الغناء لإبراهيم خفيف ثقیل من جامع غنائه .

وقال هشام بن الكلبي عن أبي مسكين: إن جماعة من بني عامر حدثوه قالوا:
 كان رجل من بني عامر بن عقيل يقال له: قيس بن معاذ، وكان يدعى المجنون،
 وكان صاحب غزل ومجالسة للنساء، فخرج على ناقة له يسير، فمر بامرأة من بني
 عقيل يقال لها: كريمة، وكانت جميلة عاقلة، معها نسوة فعرفته ودعونه إلى النزول
 والحديث، وعليه حلتان له فاخرتان وطيلسان وقلنسوة، فنزل فظل يحدثهن وينشدهن
 وهن أعجب شيء به فيما يرى، فلما أعجبه ذلك منهن عقر لهن ناقته، وقمن إليها
 فجعلن يشوين ويأكلن إلى أن أمسى، فأقبل غلام شاب حسن الوجه من حيهن فجلس
 إليهن، فأقبلن عليه بوجوههن يقلن له: كيف ظللت يا منازل اليوم؟ فلما رأى ذلك من
 فعلهن غضب، فقام وتركهن وهو يقول:

أَعْقَرَ مَنْ جَرَا كَرِيمَةً نَاقَتِي وَوَصَلِي مَفْرُوشٍ لِيَوْضِلَ مُنَازِلِ
 إِذَا جَاءَ قَعْقَعُنَ^(٣) الْحُلِيِّ وَلَمْ أَكُنْ إِذَا جِئْتُ أَرْضَى صَوْتَ تِلْكَ الْخَلَاجِلِ
 [الطويل]

قال: فقال له الفتى: هَلَمْ نَتَصَارَعَ أَوْ نَتَنَاضَلَ، فقال له: إِنْ شِئْتَ ذَلِكَ فَقُمْ إِلَى
 حَيْثُ لَا تَرَاهُنَّ وَلَا يَرِيَنَّكَ، ثم ما شئت فافعل، وقال:

إِذَا مَا انْتَضَلْنَا فِي الْخَلَاءِ نَضَلْتُهُ^(٤) وَإِنْ يَرِمَ رَشْقًا عِنْدَهَا فَهُوَ نَاضِلِي
 [الطويل]

وقال ابن الكلبي في هذا الخبر: فلما أصبح لبس حلتته وركب ناقته ومضى
 متعرياً لهن، فألفى ليلى جالسة بفناء بيتها، وكانت معهن يومئذ جالسة، وقد علق

(١) يقال: أصابته قارعة من قوارع الدهر. وتقول: فلان يخوض الوقائع، ويروض الفوارع.

(٢) وتن: الوتين: عرق يسقي الكبد، وثلاثة أوتية، وجمعه وُتن. ورجل مَوْتُون: انقطع وطينه، وهي نياط القلب، وقيل: الوتين: عرق القلب.

(٣) القَعْقَعَةُ: حكاية أصوات السلاح والرَّسَةِ والجُلُودِ اليابسة والحجارة والرَّغْدِ والبُكَرَةِ والحُلِيِّ ونحوها.

(٤) ورد الصدر في ديوان «المجنون» على الشكل التالي: «مَتَى مَا انْتَضَلْنَا بِالسَّهَامِ نَضَلْتُهُ».

بقلبها وهَوِيَّتْهُ، وعندها جَوِيرِيَاتٌ يُحَدِّثْنَهَا، فوقفَ بهنَّ وسلَّم، فدَعَوْنَهُ إلى النزول
وقُلْنَ له: هل لك في مُحَادَثَةِ مَنْ لَا يَشْغَلُهُ عَنْكَ مُنَازِلٌ وَلَا غَيْرُهُ؟ قال: إِي لَعْمَرِي،
فَنَزَلَ وَفَعَلَ فَعَلْتَهُ بِالْأَمْسِ، فَأَرَادَتْ أَنْ تَعْلَمَ هل لها عنده مثلُ ما له عندها، فجعلت
تُعْرِضُ عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتحدِّثُ غيره، وقد كان علقَ حُبُّها بقلبه وشَغَفَهُ
واستملَحَهَا، فبينما هي تُحدِّثُهُ إذ أقبل فتى من الحيِّ فدعته فسارَّته سِرَّاراً طويلاً ثم قالت
له: انصرف، فانصرف، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغيَّرَ وامْتُقِعَ وشقَّ عليه ما
فَعَلَتْ، فأنشأت تقول:

كِانَا مُظْهَرٌ لِلنَّاسِ بُغْضاً وَكُلُّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينٌ
تَبَلَّغْنَا الْعَيُونَ بِمَا أَرَدْنَا وَفِي الْقَلْبَيْنِ ثَمَّ هَوَى دَفِينٌ
[الوافر]

[قد نسبت هذا الشعر متقدماً^(١) فلما سمع هذين البيتين شَهَقَ شَهَقَةً عَظِيمَةً
وَأَغْمَى عَلَيْهِ فَمَكَثَ [كذلك]^(٢) ساعةً، وَنَضَّحُوا^(٣) الماء على وجهه حتى أفاق،
وَتَمَكَّنَ حُبُّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ وَبَلَغَ مِنْهُ كُلُّ مَبْلَغٍ.

[اتصاله بليلي في صباه]

حدَّثني عمي عن عبد الله بن أبي سعدٍ عن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل
الْقُرَيْشِيِّ قال: حدَّثنا أبو العالية عن أبي ثُمَامَةَ الْجَعْدِيِّ قال: لَا يُعْرِفُ فِينَا مَجْنُونٌ إِلَّا
قَيْسُ بْنُ الْمَلُوحِ.

قال: وحدَّثني بعضُ العشيرة قال: قُلْتُ لقيس بن الملوِّح قبل أن يُخَالَطَ: ما
أعجبُ شيءٍ أصابك في وَجْدِكَ بليلي؟ قال: طَرَقْنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ أَضْيَافٌ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا
لَهُمْ أَدَمٌ^(٤)، فَبَعَثَنِي أَبِي إِلَى مَنْزِلِ أَبِي لَيْلَى وقال لي: اطلب لنا منه أَدَمًا، فَأَتَيْتُهُ فَوَقَفْتُ
عَلَى خَبَائِثِهِ فَصِحْتُ بِهِ، فَقَالَ: مَا تَشَاءُ؟ فَقُلْتُ: طَرَقْنَا ضَيْفَانٌ وَلَا أَدَمَ عِنْدَنَا لَهُمْ

(١) لم يرد هذا القول في جميع النسخ.

(٢) لم يرد هذا القول في جميع النسخ.

(٣) النَّضْحُ: وَيُقَالُ: النَّضْحُ مَا بَقِيَ لَهُ أَثَرٌ، يُقَالُ: الْعَيْنُ تَنْضَحُ بِالْمَاءِ نَضْحًا: أَي تَفُورُ وَتَنْضَحُ أَيْضًا.
وَالنَّاضِحُ: جَمَلٌ يُسْتَقَى عَلَيْهِ الْمَاءُ لِلْقِرَى فِي الْحَوْضِ، أَوْ سَقَى أَرْضَ وَجَمْعُهُ النَّوَاضِحُ. وَالْفَرَسُ
يَنْضَحُ: أَي يَعْرِقُ وَالْجَرَّةُ تَنْضَحُ بِالْمَاءِ: يَخْرُجُ الْمَاءُ مِنَ الْحَزَفِ لِرَفَّتِهَا. وَالْجَبَلُ يَنْضَحُ: إِذَا تَحَلَّبَ
الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ صُخُورِهِ.

(٤) الْإِدَامُ وَالْأُدَمُ: مَا يُؤْتَدَمُ بِهِ مَعَ الْخُبْزِ، وَأَدَمْتُ الْخُبْزَ أَدَمًا: جَعَلْتُ فِيهِ الْأَدَمَ وَالسَّمْنَ وَاللَّحْمَ
وَاللَّبَنَ. كُلُّهُ أَدَمٌ، وَالْإِدَامُ جَمَاعَةٌ، وَثَلَاثَةُ أَدَمَةٍ.

فأرسلني أبي نَظْلُبُ منك أدمًا، فقال: يا ليلي، أخرجني إليك ذلك النَّحْيَ^(١)، فاملأي له إناءه من السمن، فأخرجته ومعِي قَعْبٌ^(٢)، فجعلت تصبُّ السمن فيه ونَتَحَدَّثُ، فألهانا الحديث وهي تَصْبُ السمن وقد امتلأ القَعْبُ ولا نعلم جميعاً، وهو يسيل حتى استنقعت أرجلنا في السمن، قال: فأتيتهم ليلة ثانية أطلبُ ناراً، وأنا مُتَلَفِّعٌ بِبُرْدٍ لي، فأخرجت لي ناراً في عُطْبَةٍ فأعطيتها ووقفنا نتحدَّثُ، فلما احترقت العُطْبَةُ^(٣) خَرَقْتُ من بُرْدِي خِرْقَةً وجعلت النار فيها، فكلما احترقت خرقْتُ أخرى وأذكيْتُ بها النار حتى لم يبق عليّ من البرد إلا ما واري عورتِي، وما أعقل ما أصنع، وأنشدني:

أَمَسْتَقْبَلِي نَفْحُ الصَّبَا ثُمَّ شَائِقِي بِبَرْدٍ ثَنِيَا أَمْ حَسَّانَ شَائِقُ
كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا الْخَمْرَ شَجَّهَا^(٤) بِمَاءِ النَّدَى آخِرَ اللَّيْلِ عَاتِقُ^(٥)
وَمَا شِمْتُهُ^(٦) إِلَّا بِعَيْنِي تَفْرُسًا كَمَا شِيمَ فِي أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقُ
[الطويل]

ومن الناس من يروي هذه الأبيات لثُصَيْبٍ، ولكن هكذا رُويَ في هذا الخبر.

[الأصمعي وحديثه عن المجنون]

أخبرنا محمد بن خلف وكيع عن عبد الملك بن محمد الرِّقَاشِي عن عبد الصمد بن المعدَّل قال: سمعت الأصمعي يقول - و[قد] تذاكرنا مجنون بني عامر - قال: هو قيس بن معاذ العُقَيْلي، ثم قال: لم يكن مجنوناً إنما كانت به لوثَةٌ، وهو القائل:

- (١) النَّحْيُ أيضاً: جَرَّةٌ فَخَّارٌ يجعل فيها اللبن لِيُمَخَضَ. وفي التهذيب: يجعل فيها اللبن المُمَخُوض. الأزهرى: العرب لا تعرف النَّحْيَ غير الزق، والذي قاله الليث إنه الجَرَّةُ يُمَخَضُ فيها اللبن غير صحيح. ونَحَى اللبنُ يَنْحِيهِ وَيُنْحَاهُ: مَخَضَهُ.
 - (٢) الْقَعْبُ: الْقَدَحُ الضَّخْمُ، الغليظ، الجافي؛ وقيل: قَدَحٌ من خَشَبٍ مُقَعَّرٍ؛ وقيل: هو قدح إلى الصَّغَرِ، يُشَبَّه به الحافر، وهو يُرْوَى الرجل.
 - (٣) الْعُطْبَةُ: خِرْقَةٌ تُوْخَذُ بها النار؛ قال الكميت:
- ناراً من الحَرَبِ، لا بِالْمَرْخِ ثَقَبَهَا، قَدَحُ الْأَكْفِ، ولم تُنْفَخْ بها الْعُطْبُ
- (٤) شَجَّ الخمر بالماء وَيَشْجُهَا شَجًّا: مزجها. وفي حديث جابر: أُرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فالتقمت خاتم النبوة فكان يَشْجُ عَلَيَّ مِسْكَاً، أي أَشْمُ منه مِسْكَاً، وهو من شَجَّ الشراب إذا مزجه بالماء، كأنه كان يخلط النسيم الواصل إلى مَشْمَمِهِ بريح المسك.
 - (٥) جارية عاتِقٌ شَابَةٌ أَوَّلَ ما أذَرَكْتُ. وامرأة عتيقة: جميلة كريمة.
 - (٦) شَامَ السَّحَابِ والبرق شَيْمًا: نظر إليه أين يَقْصِدُ وأين يُمَطِرُ، وقيل: هو النظر إليهما من بعيد، وقد يكون الشَّيْمُ النظر إلى النار.

أَخَذْتُ مَحَاسِينَ كُلِّ مَا صَنَنْتُ مَحَاسِينَهُ بِحُسْنِهِ
كَادَ الْعَزَالُ يَكُونُهَا لَوْلَا الشَّوَى^(١) وَنُشُورُ قَرْنِهِ
قال: وهو القائل:

صوت

وَلَمْ أَرْ لَيْلَى بَعْدَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ بِخَيْفٍ مِئْتَى تَرْمِي جِمَارَ الْمُحَصَّبِ
وَيُبْدِي الْحَصَا مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخَضَّبِ
فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةِ كَنَاطِرٍ مَعَ الصُّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مَغْرَبِ
أَلَا إِنَّمَا غَادَرْتَ يَا أُمَّ مَالِكٍ صَدَى أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ
[الطويل]

في هذه الأبيات لحنٌ من الثقيل الأول، ابتداءً من نشيدٍ من صنعة الواثق وهو المشهور. وذكره ابن المكي لأبيه يحيى. وهو في جامع غناء سُليمان بن سلام له. وذكره حبش في موضعين من كتابه فنسبه في طريقة الثقيل الأول في أحدهما إلى ابن محرز، والآخر إلى يحيى المكي. وزعم الهشامي أن فيه لسُليمان بن سلام لحنًا آخر من الثقيل الأول.

أخبرنا الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار الصوفي قال: حدثني إبراهيم بن سعد الزُّهري قال: أتاني رجلٌ من عُذْرَةَ لحاجة، فجرى ذكر العشق والعشاق، فقلتُ له: أنتم أرقُّ قلوباً أم بنو عامرٍ؟ قال: إنا لأرقُّ الناس قلوباً، ولكن غلبتنا بنو عامرٍ بمجنونها.

[بعض أوصافه]

أخبرني أحمد بن عمر بن موسى بن زكويه القطان إجازةً قال: حدثنا إبراهيم بن المُنذر الحزامي قال: أخبرني عبد الجبار بن سلمان بن نوفل بن مُساحق عن أبيه عن جده قال: أنا رأيْتُ مجنون بني عامر، وكان جميلَ الوجه أبيضَ اللون قد علاه شحوبٌ^(٢)، واستنشده فأنشدني قصيدته التي يقول فيها:

(١) الشَّوَى لِلْحَيَوَانِ، وَقِيلَ: هِيَ الْقَائِمَةُ، وَالْجَمْعُ شَوَى، وَقِيلَ: الشَّوَى الْيَدَانِ وَالرُّجُلَانِ، وَقِيلَ: الْيَدَانِ وَالرُّجُلَانِ وَالرَّأْسُ مِنَ الْآدَمِيِّينَ وَكُلُّ مَا لَيْسَ مُقْتَلًا. وَقَالَ بَعْضُهُم: الشَّوَى جَمَاعَةُ الْأَطْرَافِ. وَشَوَى الْفَرَسِ: قَوَائِمُهُ.

(٢) شَحَبَ لَوْنُهُ وَجِسْمُهُ، يَشْحَبُ وَيَشْحَبُ، بِالضَّمِّ، شُحُوبًا، وَشَحَبَ شُحُوبَةً: تَغَيَّرَ مِنْ هُزَالٍ، أَوْ عَمَلٍ، أَوْ جُوعٍ، أَوْ سَقَمٍ، وَلَمْ يُقَيَّدْ فِي الصَّحَاحِ التَّغْيِيرَ بِسَبَبٍ، بَلْ قَالَ: شَحَبَ جِسْمُهُ إِذَا تَغَيَّرَ.

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالسَّنِينَ الْخَوَالِيَا وَأَيَّامَ لَا أَعْدِي^(١) عَلَى اللَّهِ عَادِيَا
[الطويل]

أخبرني محمد بن الحسن الكندي خطيب مسجد القادسية قال: حدثنا الرياشي قال: سمعت أبا عثمان المازني يقول: سمعت معاذاً وبشر بن المفضل جميعاً ينشدان هذين البيتين وينسبانهما لمجنون بني عامر:

طَمِعْتُ بَلِيلَى أَنْ تَرِيْعَ^(٢) وَإِنَّمَا تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ
وَدَايَنْتُ لَيْلَى فِي خَلَاءٍ وَلَمْ يَكُنْ شُهُودٌ عَلَى لَيْلَى عُدُولٌ مَقَانِعُ^(٣)
[الطويل]

وحدثني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثنا أبو خليفة «الفضل بن الحباب» عن ابن سلام قال: قضى عبيد الله الحسن بن الحُصَيْن بن أبي الحرّ العنبري على رجل من قومه قضيةً أوجبها الحكم عليه، وظنّ العنبري أنّه تحامل عليه وانصرف مُغَضِباً، ثم لقيه في طريق، فأخذ بلجام بغلته وكان شديداً أيّداً^(٤)، ثم قال له: إيه يا عبيد الله!

طَمِعْتُ بَلِيلَى أَنْ تَرِيْعَ وَإِنَّمَا تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ
[الطويل]
فقال عبيد الله^(٥):

وبايعت ليلى في خلاءٍ ولم يكن شُهُودٌ عُدُولٌ عند ليلى مقانع
[الطويل]

(١) لا أعدي: لا أعين ولا أنصر.

(٢) راع عليه القيء: رجع في حلقه. وتريع السراب: جاء وذهب. والإهالة تتريع في الجفنة.

(٣) جمع مقنع بفتح الميم وهو العدول من الشهود، ويقال: رجلٌ قُنْعَان، بالضم، وامرأة قُنْعَان اسْتَوَى فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع أي مَقْنَعٌ رَضاً. قال الأزهري: رجالٌ مَقَانِعٌ وقُنْعَانٌ إذا كانوا مَرَضِيَّيْن.

(٤) آد الرجلُ يَئِيدُ أيّداً: اشتدَّ وقوي. والأيْدُ والآدُ: القوة. قال العجاج: مِنْ أَنْ تَبَدَّلْتُ بِآدِي آدَا يعني قوّة الشباب. تقول منه: أَيَّدْتُهُ عَلَى فَعَلْتُهُ، فهو مُؤَيَّدٌ. وتقول من الأيْدِ: أَيَّدْتُهُ تَأْيِيداً، أي قوّيته.

(٥) عبيد الله بن شبرمة بن الطفيل بن حسان بن المنذر من بني بكر بن سعد بن ضبة، هو شاعر، فقيه. ولد في أواخر عهد معاوية، ونشأ على حفظ القرآن ورواية السنة، روى عن أنس بن مالك، وأبي زرعة، وأبي معشر وغيرهم من التابعين، وروى عنه الشعبي، ومحمد بن فضيل، وابن عيينة، وغيرهم. تولى قضاء الكوفة زمن يوسف بن عمر أحد ولاة أبي جعفر المنصور، توفي سنة ١٤٤هـ.

خَلَّ عن البغلة. قال الصُّولِيُّ في خبره هذا: والبيتان للبعيث هكذا، قال: فلا أدري أَمِنْ قوله هو أم حكاية عن أبي خليفة!

[زيارة ليلي له وحديثه معها]

أخبرنا محمد بن القاسم الأنباري عن عبد الله بن خلف الدلال قال: حدثنا زكريا بن موسى عن شُعَيْب بن السَّكَن عن يونسَ النحوي قال: لما اختلط عقلُ قيس بن الملوِّح وترك الطعام والشراب، مضت أمُّه إلى ليلي فقالت لها: إِنَّ قيساً قد ذهب حُبُّك بعقله، وترك الطعام والشراب، فلو جئته وقتاً لرجوتُ أن يثوب إليه [بعض] عقله، فقالت ليلي: أمّا نهائراً فلا لأنني لا آمنُ قومي على نفسي ولكن ليلاً، فأنته ليلاً فقالت له: يا قيس، إِنَّ أملكَ تزعمُ أنك جُنِنْتَ من أجلي وتركتَ المطعمَ والمشرَبَ، فاتقِ الله وأبقِ على نفسك، فبكى وأنشأ يقول:

قَالَتْ جُنِنْتَ عَلَى أَيش^(١) فَقُلْتُ لَهَا الْحُبُّ أَعْظَمُ مِمَّا بِالْمَجَانِينِ
الْحُبُّ لَيْسَ يُفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ وَإِنَّمَا يُصْرَعُ الْمَجْنُونُ فِي الْحِينِ
[البسيط]

قال: فبكت معه، وتحدثا حتى كاد الصبح أن يسفر، ثم ودعته وانصرفت، فكان آخر عهده بها.

[سبب جنونه بيت شعر قاله]

أخبرنا ابن المرزبان قال: قال القَحْذَمِيُّ: لما قال المجنون:

قَضَاهَا لِغَيْرِي وَابْتَلَانِي بِحُبِّهَا فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلَى ابْتَلَانِيَا
[الطويل]

سُلِبَ عقله. الغناء لحكم ثَقِيلٌ أَوَّل، وقيل: إنه لابن الهَرَبِذ. وفيه لَمَتِيْمٌ خفيف ثَقِيلٌ أَوَّل من جامع أغانيها. وحدثني جَحْظَةُ بهذا الخبر عن مَيْمُونِ بن هَارُونَ أنه بلغه أنه لما قال هذا البيت بَرَصَ.

[سبب تسميته المجنون]

أخبرني الحسن بن علي [قال: حدثنا محمد بن طاهر] القرشي عن ابن عائشة قال: إنما سُمِّيَ المجنونُ بقوله:

مَا بِالْ قَلْبِكَ يَا مَجْنُونٌ قَدْ خُلِعَا فِي حُبِّ مَنْ لَا تَرَى فِي نَيْلِهِ طَمَعَا

(١) أيش: كلمة عامية، تعني من أي شيء.

الْحُبُّ وَالْوُدُّ نِيْطَا بِالْفُؤَادِ لَهَا فَأَصْبَحَا فِي فُؤَادِي ثَابِتَيْنِ مَعَا

[البسيط]

حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنْ ابْنِ يُونُسَ قَالَ: قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: لَمْ يَكُنِ الْمَجْنُونُ مَجْنُونًا، إِنَّمَا جَنَنَهُ الْعَشَقُّ، وَأَنْشَدَ لَهُ:

يُسَمُّونَنِي الْمَجْنُونَ حِينَ يَرَوْنَنِي نَعَمَ بِي مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةَ جُنُونُ
لَيْالِي يُزْهِى بِي ^(١) شَبَابٌ وَشِرَّةٌ ^(٢) وَإِذْ بِي مِنْ خَفَضِ الْمَعِيشَةِ لَيْنُ

[الطويل]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمَرْزُبَانَ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَهْلٍ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ: أَنَّهُ ذَكَرَ عِنْدَهُ مَجْنُونُ بَنِي عَامِرٍ فَقَالَ: لَمْ يَكُنِ مَجْنُونًا، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ الْمَجْنُونُ بِقَوْلِهِ:

وَإِنِّي لَمَجْنُونٌ بِلَيْلَى مُوَكَّلٌ وَلَسْتُ عَزُوفًا عَنْ هَوَاهَا وَلَا جَلْدًا
إِذَا ذُكِرَتْ لَيْلَى بَكَيْتُ صَبَابَةً لِتَذْكَارِهَا حَتَّى يَبُلَّ الْبُكَاءُ الْخَدَا

[الطويل]

أَخْبَرَنِي عَمْرُ بْنُ جَمِيلٍ الْعَتَكِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَوْفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَامِرِيُّ أَنَّهُ قَالَ: مَا كَانَ وَاللَّهِ الْمَجْنُونُ الَّذِي تَعَزُّونَهُ إِلَيْنَا مَجْنُونًا، إِنَّمَا كَانَتْ بِهِ لَوْثَةٌ وَسَهْوٌ أَحَدْتُهُمَا بِهِ حُبُّ لَيْلَى، وَأَنْشَدَ لَهُ:

وَبِي مِنْ هَوَى لَيْلَى الَّذِي لَوْ أَبْثُهُ جَمَاعَةً أَعْدَائِي بَكَتْ لِي عُيُونُهَا
أَرَى النَّفْسَ عَنْ لَيْلَى أَبَتْ أَنْ تُطِيعَنِي فَقَدْ جُنَّ مِنْ وَجْدِي بِلَيْلَى جُنُونُهَا

[الطويل]

أَخْبَرَنِي ابْنُ الْمَرْزُبَانَ قَالَ: قَالَ الْعُتْبِيُّ: إِنَّمَا سَمِيَ الْمَجْنُونُ بِقَوْلِهِ:

يَقُولُ أَنْاسٌ عَلَّ مَجْنُونٌ عَامِرٌ يَرَوْهُمْ سُلُوءًا قُلْتُ أُنَّى لِمَا بِيَا
لَقَدْ لَامَنِي فِي حُبِّ لَيْلَى أَقَارِبِي أَخِي وَابْنُ عَمِّي وَابْنُ خَالِي وَخَالِيَا
يَقُولُونَ لَيْلَى أَهْلُ بَيْتِ عَدَاوَةٍ بِنَفْسِي لَيْلَى مِنْ عَدُوٍّ وَمَالِيَا
وَلَوْ كَانَ فِي لَيْلَى شَذًا مِنْ خُصُومَةٍ لَلَوَيْتُ ^(٣) أَعْنَاقَ الْمَطِيِّ الْمَلَاوِيَا

[الطويل]

(١) يزهي: يطيش في الشباب ويستخفني.

(٢) شِرَّةُ الشباب: جِرْصُهُ وَنَشَاطُهُ. وَالشَّرَّةُ أَيْضًا: مَصْدَرُ الشَّرِّ.

(٣) لَوَيْتُ الْحَبْلَ أَلَوِيهِ لَيْئًا. وَلَوَيْتُ الدِّينَ لَيْئًا وَلِيَانًا، أَي: مَطَلْتُهُ، وَلَوَيْتُهُ عَلَيْهِ، أَي: آثَرْتُهُ.

أخبرني هاشم [بن محمد] الخزاعي عن عيسى بن إسماعيل قال: قال ابن سلام: لو حلفت أن مجنون بني عامر لم يكن مجنوناً لصدقت، ولكن تولّه لما زوّجت ليلي وأيقن اليأس منها، ألم تسمع إلى قوله:

أَيَا وَيْحَ مَنْ أَمْسَى يُخَلِّسُ عَقْلَهُ فَأَصْبَحَ مَذْهُوباً بِهِ كُلَّ مَذْهَبٍ
خَلِياً مِنَ الْخُلَانِ إِلَّا مُجَامِلاً يُسَاعِدُنِي مَنْ كَانَ يَهْوَى تَجَنُّبِي
إِذَا ذُكِرْتَ لَيْلَى عَقَلْتُ وَرَاجَعْتُ عَوَازِبُ قَلْبِي مِنْ هَوَى مُتَشَعِّبِ

[الطويل]

أخبرني به الحسن بن علي عن دينار بن عامر التغلبي عن مسعود بن سعد عن ابن سلام ونحوه. أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: أنشدني صالح بن سعيد قال: أنشدني يعقوب بن السكيت للمجنون:

يُسَمُّونَنِي الْمَجْنُونُ حِينَ يَرَوْنَنِي نَعَمَ بِي مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةِ جُنُونُ
[الطويل]^(١)

قال: وأنشدنا له أيضاً:

صوت

وَشَغِلْتُ عَنْ فَهْمِ الْحَدِيثِ سِوَى مَا كَانَ فِيكَ فَإِنَّهُ شُغْلِي
وَأَدِيمُ لَحْظَ مُحَدَّثِي لِيَرَى أَنْ قَدْ فَهَمْتُ وَعِنْدَكُمْ عَقْلِي
[الكامل]

[ليلي أم مالك]

أخبرني ابنُ المرزبان عن محمد بن الحسن دينار الأحول عن علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة: أن صاحبة مجنون بني عامر التي كَلِفَ^(٢) بها ليلي بنت مهدي بن سعد بن مهدي [بن ربيعة] بن الحرّيش، وكنيتها أم مالك، وقد ذكر هذه الكنية المجنون في شعره فقال:

تَكَادُ بِلَادُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكِ بِمَا رَحُبَتْ يَوْماً عَلَيَّ تَضِيقُ
[الطويل]

وقال أيضاً:

(١) هذه الفقرة محذوفة في بعض النسخ.

(٢) كلف: وقع بحبها.

فَإِنَّ الَّذِي أَمَلْتُ مِنْ أُمِّ مَالِكٍ أَشَابَ قَذَالِي^(١) وَاسْتَهَامَ فُؤَادِيَا
خَلِيلِي إِنْ دَارَتْ عَلَى أُمِّ مَالِكٍ صُرُوفُ اللَّيَالِي^(٢) فَابْغِيَا لِي نَاعِيَا
[الطويل]

وقال أبو عمرو الشيباني: عَلِقَ المجنون ليلى بنت مهدي بن سعد من بني الحريش، وكنيتها أم مالك، فَشَهَرَ بها وَعُرِفَ خبره فَحُجِبَتْ عنه، فَشَقَّ عليه فخطبها إلى أبيها فردّه وأبى أن يزوجه إياها، فاشتدّ به الأمر حتى جُنَّ وقيل له: «مجنون بني عامر» فكان على حاله يجلس في نادي قومه فلا يفهم ما يُحَدِّثُ به ولا يعقله إلا إذا ذُكِرَتْ ليلى. وأنشد له أبو عمرو:

صوت

[الرائية]

أَلَا مَا لَلَيْلَى لَا تُرَى عِنْدَ مَضْجَعِي
بَلَى إِنْ عُجِمَ الطَّيْرُ تَجْرِي إِذَا جَرَتْ
أَزَالَتْ عَنِ الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
فَوَاللَّهِ مَا فِي الْقُرْبِ لِي مِنْكَ رَاحَةٌ
وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي بِأَيَّةِ حِيلَةٍ
وَتَاللَّهِ إِنَّ الدَّهْرَ فِي ذَاتِ بَيْنِنَا
فَلَوْ كُنْتُ إِذْ أَرَمَعْتُ^(٦) هَجَرِي تَرَكْتَنِي
بَلِيلٌ وَلَا يَجْرِي بِذَلِكَ طَائِرُ
بَلِيلَى وَلَكِنْ لَيْسَ لِلطَّيْرِ زَاجِرُ^(٣)
بِذِي الْأَثَلِ أَمْ قَدْ غَيَّرْتَهَا الْمَقَادِرُ^(٤)
وَلَا الْبُعْدُ يُسْلِينِي وَلَا أَنَا صَابِرُ
وَأَيَّ مَرَامٍ أَوْ خِطَارٍ^(٥) أَخَاطِرُ
عَلَيَّ لَهَا فِي كُلِّ حَالٍ لَجَائِرُ
جَمِيعُ الْقَوَى وَالْعَقْلُ مِنِّي وَافِرُ

(١) الْقَذَالُ: مؤخر الرأس فوق فأس القفا، والعدد أَقْذِلَةٌ ثم الْقَذْلُ.

(٢) صُرُوفُ اللَّيَالِي: متماديها، ونوائبها متعادية؛ أي متوالية.

(٣) زَجَرْتُهُ فَاَنْزَجَرُ أَي نَهَيْتُهُ، وَهُوَ فِي الْإِبِلِ، تَقُولُ: زَجَرْتُهُ وَازْدَجَرْتُهُ، وَقَدْ اَزْدَجَرَ بِمَعْنَى اَنْزَجَرَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَازْدَجَرَ﴾ فِدَعَارِيهِ أَي زَجَرَ وَأَذَعَنَ أَي يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ. وَزَجَرُ الطَّيْرِ أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ إِذَا رَأَى طَائِرًا أَوْ ظَبْيًا أَوْ نَحْوَهُ: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَالُ: يَزْجُرُ الطَّيْرُ فَيَرَى فِي زَجَرِهَا كَذَا.

(٤) الْمَقَادِرُ: اسمُ الْقَدَرِ إِذَا بَلَغَ الْعَبْدُ الْمَقْدَارَ مَاتَ.

(٥) الْخَطَرُ: الْإِشْرَافُ عَلَى الْهَلَاكِ. قَالَ: خَاطَرَ بِنَفْسِهِ. وَالْخَطَرُ: السَّبَبُ الَّذِي يُتَرَاهَنَ عَلَيْهِ. وَقَدْ أَخْطَرَ الْمَالَ، أَي جَعَلَهُ خَطَرًا بَيْنَ الْمُتَرَاهِنِينَ. وَيُقَالُ: خَطَرَانُ الرُّمْحُ: ارْتِفَاعُهُ وَانْخِفَاضُهُ لِلطَّعْنِ. وَرَجُلٌ خَطَّارٌ بِالرُّمْحِ: طَعَّانٌ.

(٦) قَالَ الْخَلِيلُ: أَرَمَعْتُ عَلَى أَمْرٍ فَأَنَا مُزْمَعٌ عَلَيْهِ، إِذَا ثَبَّتَ عَلَيْهِ عَزْمَكَ.

وَلَكِنَّ أَيَّامِي بِحَقْلٍ عَنِيْزَةٍ وَبِالرَّضَمِ^(١) أَيَّامٌ جَنَاهَا التَّجَاوُزُ
وَقَدْ أَصْبَحَ الْوُدُّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا أَمَانِيَّ نَفْسٍ وَالْمُؤْمَلُ حَائِرُ
لَعْمَرِي لَقَدْ رَنَّقَتْ^(٢) يَا أُمَّ مَالِكٍ حَيَاتِي وَسَاقَتْنِي إِلَيْكَ الْمَقَادِرُ
[الطويل]

قال أبو عمرو: وأخبرني بعض الشاميين قال: دخلتُ أرض بني عامر، فسألتُ عن المجنون الذي قتله الحبُّ، فخبَّروني عنه أنه كان عاشقاً لجارية منهم يقال لها ليلي، ربا معها ثم حُبِّبَتْ عنه، فاشتدَّ ذلك عليه وذهب عقله، فأتاه إخوانٌ من إخوانه يلومونه على ما يصنع بنفسه، فقال:

صوت

يَا صَاحِبِيَّ أَلْمَا بِي بِمَنْزِلَةٍ قَدْ مَرَّ حِينَ عَالِيهَا أَيُّمَا حِينٍ
فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ دِيوَانٌ مَعْرِفَةٍ لَمْ يُبْقِ بَاقِيَةً ذِكْرُ الدَّوَاوِينِ
إِنِّي أَرَى رَجَعَاتِ الْحُبِّ تَقْتُلُنِي وَكَانَ فِي بَدْنِهَا مَا كَانَ يَكْفِينِي
[البسيط]

الغناء لابن جامع خفيف ثقيل.

[جنونه بليلى وهيامه على وجهه]

أخبرني هاشم الخزاعي عن [العباس بن الفرّج] الرّياشي قال: ذكر العُتبي عن أبيه قال: كان المجنون في بدء أمره يرى ليلي ويألفها ويأنسُ بها ثم غُيِّبَتْ عن ناظره، فكان أهله يُعزُّونه عنها ويقولون: نُزَّوَجَكَ أَنْفَسَ جَارِيَةٍ فِي عَشِيرَتِكَ، فيأبى إلا ليلي ويهذي بها ويذكرها [فكان ربما استراح إلى أمانيتهم وركن إلى قولهم]، وكان ربما هاج عليه الحزن والهمُّ فلا يملكُ مما هو فيه أن يهيمَ على وجهه، وذلك قبل أن يتوَحَّشَ مع البهائم في القفار، فكان قومه يلومونه وَيَعْدُلُونَهُ، فأكثروا عليه في الملامة والعدْلَ يوماً فقال:

(١) الحقل: المزرعة، ويطلق على الموضع البكر، الذي لم يزرع قط. وعنيزة موضع بين البصرة ومكة. والرضم: موضع على ستة أميال من زباله، وهي منطقة بين الكوفة ومكة.

(٢) الشَّمْسُ إِذَا قَارَبَتِ الْغُرُوبَ فَقَدْ رَنَّقَتْ. ومن المجاز: رَنَّقَتْ مِنْهُ الْمَنِيَّةُ: إِذَا دَنَا وَقُوعُهَا، اسْتَعْيَرَ مِنْ تَرْيِيقِ الطَّائِرِ.

صوت

يَا لَرَجَالٍ لِهَمْ بَاتَ يَعْرُونِي
 عَلَى غَرِيمٍ مَلِيٍّ غَيْرِ ذِي عُدْمٍ^(١)
 لَا يَذْكُرُ الْبَعْضَ مِنْ دِينِي فَيُنْكِرُهُ
 وَمَا كَشُكْرِي شُكْرٌ لَوْ يُوَافِقُنِي
 أَطْعَمْتُهُ وَعَصَيْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ
 خَيْرِي لِمَنْ يَبْتَغِي خَيْرِي وَيَأْمُلُهُ
 وَمَا أَشَارُكَ فِي رَأْيِي أَخَا ضَعْفٍ
 مُسْتَطَرَفٍ وَقَدِيمٍ كَادَ يَعْنِينِي
 يَا بَى فَيَمْطُلْنِي دِينِي وَيَلْوِينِي^(٢)
 وَلَا يُحَدِّثُنِي أَنْ سَوْفَ يَقْضِينِي
 وَلَا مُنَى كُمْنَاهُ إِذْ يُمْنِّينِي
 فِي أَمْرِهِ ثُمَّ يَا بَى فَهُوَ يَعْصِينِي
 مِنْ دُونِ شَرِّي وَشَرِّي غَيْرُ مَأْمُونٍ
 وَلَا أَقُولُ أَخِي مَنْ لَا يُوَاتِينِي
 [البسيط]

في هذه الأبيات هَزَجٌ طُبُورِيٌّ للمسدود من جامعه .

وقال أبو عمرو الشَّيْبَانِي: حَدَّثَنِي رَبَاحُ الْعَامِرِيُّ قَالَ: كَانَ الْمَجْنُونُ أَوَّلَ مَا عَلِقَ لِيْلَى كَثِيرَ الذِّكْرِ لَهَا وَالْإِتْيَانِ بِاللَّيْلِ إِلَيْهَا، وَالْعَرَبُ تَرَى ذَلِكَ غَيْرَ مَنْكَرٍ أَنْ يَتَحَدَّثَ الْفَتَيَانُ إِلَى الْفَتَيَاتِ، فَلَمَّا عَلِمَ أَهْلُهَا بِعَشْقِهِ لَهَا مَنَعُوهُ مِنْ إِتْيَانِهَا وَتَقَدَّمُوا إِلَيْهِ، فَذَهَبَ لِذَلِكَ عَقْلُهُ وَيَسَّسَ مِنْهُ قَوْمُهُ وَاعْتَنَوْا بِأَمْرِهِ، وَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَلَا مَوَهَ وَعَذَلُوهُ عَلَى مَا يَصْنَعُ بِنَفْسِهِ، وَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا هِيَ لَكَ بِهَذِهِ الْحَالِ، فَلَوْ تَنَاسَيْتَهَا رَجَوْنَا أَنْ تَسْلُوَ قَلِيلًا، فَقَالَ لَمَّا سَمِعَ مَقَالَتَهُمْ وَقَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْبُكَاءُ:

صوت

فَوَاكِبِدَا مِنْ حُبِّ مَنْ لَا يُحِبُّنِي
 أَرَيْتِكَ^(٣) إِنْ لَمْ أُعْطِكَ الْحُبَّ عَنْ يَدٍ^(٤)
 وَمِنْ زَفَرَاتٍ مَا لِهِنَّ فَنَاءٌ
 وَلَمْ يَكْ عِنْدِي إِذْ أَبَيْتَ إِبَاءً

(١) في الديوان ورد الصدر على الشكل التالي: «مَنْ عَاذِرِي مِنْ غَرِيمٍ غَيْرِ ذِي عُسْرِ».

(٢) غَرَمَ يَغْرِمُ غُرْمًا وَغَرَامَةً، وَأَغْرَمَهُ وَغَرَمَهُ. وَالْغُرْمُ: الدَّيْنُ. وَرَجُلٌ غَارِمٌ: عَلَيْهِ دَيْنٌ. لَوَاهُ دَيْنُهُ وَبَدَيْنَهُ لِيًّا وَلِيًّا وَلِيَانًا وَلِيَانًا: مَطْلَهُ.

(٣) قال الشاعر:

أَرَيْتَكَ إِنْ مَنَعْتَ كَلَامَ لَيْلَى
 إِذَا أَمَرْتُ مِنْهُ عَلَى الْأَصْلِ قُلْتُ: ارْءَ، وَعَلَى الْحَذْفِ: رَأُ. وَقَوْلُهُمْ: عَلَى وَجْهِهِ رَأُوهُ الْحَقُّ، إِذَا عَرَفْتَ الْحَقَّ فِيهِ قَبْلَ أَنْ تُخْبِرَهُ. وَأَرَيْتُهُ الشَّيْءَ فَرَأَهُ، وَأَصْلُهُ أَرَأَيْتُهُ. وَارْتَأَاهُ: افْتَعَلَ مِنَ الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ.

(٤) يقال: أَخَذَ فِي يَدِ الْعَدُوِّ وَهُوَ أَسِيرُ فَتْنِهِ. وَأَخَذَ عَنْ يَدٍ: دَلَالَةٌ عَلَى الْانْقِيَادِ وَالِاسْتِسْلَامِ.

أَتَارَكْتِي لِلْمَوْتِ أَنْتِ فَمَيِّتْ وَمَا لِلنُّفُوسِ الْخَائِفَاتِ بَقَاءُ
[الطويل]

ثم أقبل على القوم فقال: إن الذي بي ليس بهيِّن، فأقلُّوا من ملامكم فليست
بسامعٍ فيها ولا مُطيعٍ لقول قائلٍ.

[حبه ليلي برواية رباح العامري]

أخبرني عمِّي ومحمدُ بنُ حبيبٍ وابنُ المرزبانِ عن عبد الله بن أبي سعد عن
عبد العزيز بن صالح عن أبيه عن ابن دأبٍ عن رباح بن حبيب العامري: أنه سأله عن
حال المجنون وليلي، فقال: كانت ليلي من بني الحريش وهي بنت مهدي بن
سعيد بن مهدي بن ربيعة بن الحريش، وكانت من أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن
جسماً وعقلاً وأفضلهن أدياً وأملجهن شكلاً، وكان المجنون كلفاً بمحادثة النساء صباً
بهن، فبلغه خبرها ونعتت له، فصبا إليها وعزم على زيارتها، فتأهب لذلك ولبس
أفضل ثيابه ورجل جُمته^(١) ومسّ طيباً كان عنده، وارتحل ناقةً له كريمةً برخلِ حسن
وتقلد سيفه وأتاها، فسلم فردت عليه السلام وتحفّت في المسألة^(٢)، وجلس إليها
فحدثته وحادثها فأكثرا، وكل واحد منهما مقبل على صاحبه مُعجب به، فلم يزالا
كذلك حتى أمسيا، فانصرف إلى أهله فبات بأطول ليلة شوقاً إليها، حتى إذا أصبح عاد
إليها فلم يزل عندها حتى أمسى، ثم انصرف إلى أهله فبات بأطول من ليلته الأولى
واجتهد أن يُعوض فلم يقدر على ذلك، فأنشأ يقول:

نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَا لِي اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ
أَقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
لَقَدْ ثَبَّتَ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَحَبَّةٌ كَمَا ثَبَّتَ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ
[الطويل]

- عروضه من الطويل، والغناء لإبراهيم الموصلي رملٌ بالوسطى عن عمرو -
قال: وأدام زيارتها وترك مَنْ كان يأتيه فيتحدث إليه غيرها، وكان يأتيها في كل يوم فلا
يزال عندها نهاره أجمع حتى إذا أمسى انصرف، فخرج ذات يوم يريد زيارتها فلما
قَرَّبَ من منزلها لقيته جارية عسراء^(٣) فتطير منها، وأنشأ يقول:

(١) الجمّة: مجتمع شعر الرأس.

(٢) تحفّت في المسألة: بالغت في ملاطفته والسؤال عنه.

(٣) العسر والعسْر: ضد اليسر، وهو الضيق والشدة والصعوبة، والمقصود في النص الشؤم.

وَكَيْفَ يُرَجِّى وَصْلُ لَيْلَى وَقَدْ جَرَى بِجَدِّ الْقَوَى ^(١) وَالْوَصْلُ أَعْسَرُ حَاسِرُ ^(٢)
صَدِيعُ ^(٣) الْعَصَا صَعْبُ الْمَرَامِ إِذَا انْتَحَى لَوْصِلَ امْرِئٍ جَدَّتْ عَلَيْهِ الْأَوَاصِرُ ^(٤)

[الطويل]

ثم سار إليها في غدٍ فحدثها بقصته وطيرته ممن لقيه، وأنه يخاف تغييرَ عهدِها وانتكائه وبكى، فقالت: لا تُرْعُ ^(٥)، حاش لله من تغييرِ عهدي، لا يكون والله ذلك أبداً إن شاء الله، فلم يزل عندها يحادثها بقية يومه، ووقع له في قلبها مثل ما وقع لها في قلبه، فجاءها يوماً كما كان يجيء، وأقبل يحدثها فأعرضت عنه، وأقبلت على غيره بحديثها، تريد بذلك مُحَنَّتَهُ وأن تعلم ما في قلبه، فلما رأى ذلك جَزَعَ جَزَعاً شديداً حتى بان في وجهه وعُرفَ فيه، فلما خَافَتْ عليه أقبلت عليه كالمُسْرَةِ إليه فقالت:

كَلَانَا مُظْهَرٌ لِلنَّاسِ بُغْضاً وَكُلُّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينُ

[الوافر]

فَسَرِّي ^(٦) عنه وعلم ما في قلبها، فقالت له: إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أُمْتَحِنَكَ والذي لك عندي أكثر من الذي لي عندك، وأُعْطِيَ الله عهداً إن جالستُ بعد يومي هذا رجلاً سِوَاكَ حتى أذوقَ الموتَ إلا أن أكرهَ على ذلك، قال: فانصرفَ عنه وهو من أشد الناس سروراً وأقرهم عيناً، وقال:

أَظُنُّ هَوَاهَا تَارِكِي بِمَضَلَّةٍ ^(٧) مِنْ الْأَرْضِ لَا مَالٌ لَدَيَّ وَلَا أَهْلُ
وَلَا أَحَدٌ أَفْضَى إِلَيْهِ وَصِيَّتِي وَلَا صَاحِبٌ إِلَّا الْمَطِيَّةُ وَالرَّحْلُ

(١) الجد: القطع. والقوى: هي الطاقة الواحدة من طاقات الجبل.

(٢) امرأة حاسر: حَسَرَتْ عنها درعها. و كل مكشوفة الرأس والذراعين حاسرٌ.

(٣) قال عز وجل: ﴿يَوْمَذِ يَصْدَعُونَ﴾؛ قال الزجاج: معناه يَتَفَرَّقُونَ فيصيرون فَرِيقَيْنِ: فريق في الجنة وفريق في السعير، وأصلها يَتَصَدَّعُونَ فقلب التاء صاداً وأدغمت في الصاد، وكل نصف منه صدعة وصديع.

(٤) أَصْرُهُ يَأْصِرُهُ أَصْراً: حَبَسَهُ. والموضع مأْصَرٌ ومَأْصَرٌ، والجمع مَاصِرٌ. الأموي: أَصْرْتُ الشيءَ أَصْراً: كسرتَه. الأصمعي: الْأَصْرَةُ: ما عطفك على رجل من رَجِمٍ أو قرابة أو صَهِرٍ أو معروفٍ؛ والجمع الْأَوَاصِرُ. يقال: ما تَأْصِرُنِي على فلان أَصْرَةً، أي ما تعطيني عليه قرابة ولا مِثَّةً. والإصر: العهد. والإصر: الذنب والثقل. والإصار والأيصر: حبْلٌ قصيرٌ يُشَدُّ به في أسفل الخباء إلى وتد.

(٥) لا ترع: لا تخف ولا تنزع.

(٦) سَرَى عن فلان، أي: تجلَّى عنه الغَضَبُ، أو غشِيَتْ عَرَضَتْ له.

(٧) المضلة: بفتح الضاد وكسرهما: الأرض التي يضل فيها.

مَحَا حُبُّهَا حُبَّ الْأَلَى كُنَّ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ مَكَاناً لَمْ يَكُنْ حُلٌّ مِنْ قَبْلُ
[الطويل]

[شعره بعد زواجها]

أخبرني جعفر بن قدامة عن أبي العيَّاء عن العُتْبِيِّ قال: لَمَّا حُجِبَتْ لَيْلَى عَنْ
الْمَجْنُونِ خَطَبَهَا جَمَاعَةٌ فَلَمْ يَرْضَهُمْ أَهْلُهَا، وَخَطَبَهَا رَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ مُوسِرٌ فزَوَّجُوهُ
وَأَخْفَوْا ذَلِكَ عَنِ الْمَجْنُونِ، ثُمَّ نُمِيَ إِلَيْهِ طَرَفٌ مِنْهُ لَمْ يَتَحَقَّقْهُ، فَقَالَ:

دَعَوْتُ إِلَهِي دَعْوَةً مَا جَهِلْتُهَا وَرَبِّي بِمَا تُخْفِي الصُّدُورُ بَصِيرُ
لَنْ كُنْتُ تُهْدِي بَرْدَ أَنْيَابِهَا الْعُلَا لِأَفْقَرِ مِنِّي إِنَّنِي لَفَقِيرُ
فَقَدْ شَاعَتْ الْأَخْبَارُ أَنْ قَدْ تَزَوَّجْتُ فَهَلْ يَأْتِيَنِي بِالطَّلَاقِ بَشِيرُ
[الطويل]

وقال أيضاً:

أَلَا تِلْكَ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةُ أَصْبَحَتْ تَقَطَّعُ إِلَّا مِنْ ثَقِيفٍ حِبَالُهَا
هُمْ حَبَسُوهَا مَحْبَسَ الْبُذْنِ وَابْتَغَى بِهَا الْمَالَ أَقْوَامٌ إِلَّا قَلَّ مَالُهَا
إِذَا التَّفَتْتُ وَالْعَيْسُ صُغُرُ^(١) مِنَ الْبُرَى^(٢) بَنَخْلَةٍ^(٣) جَلَّتْ عَبْرَةَ الْعَيْنِ حَالُهَا
[الطويل]

قال: وجعل يمر ببيتها فلا يسأل عنها ولا يلتفت إليه، ويقول إذا جاوزه:

صوت

أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتُ الَّذِي لَا أَزُورُهُ وَإِنْ حَلَّهْ شَخْصٌ إِلَيَّ حَبِيبُ
هَجَرْتُكَ إِشْفَاقاً وَزُرْتُكَ خَائِفاً وَفِيكَ عَلَيَّ الدَّهْرُ مِنْكَ رَقِيبُ
سَأَسْتَعْتَبُ الْأَيَّامَ فِيكَ لَعَلَّهَا بِيَوْمِ سُرُورٍ فِي الزَّمَانِ تَوْوُبُ
[الطويل]

الغناء لعريب ثاني ثقيل بالوسطى. قال: وبلغه أن أهلها يريدون نقلها إلى الثقيفي

فقال:

(١) الصَّعْرُ وَالصَّعَارُ: مَيْلٌ فِي الْعُنُقِ وَانْقِلَابٌ فِي الْوَجْهِ إِلَى الشَّقِيقِ، وَقَدْ صَعَرَ خَدَهُ، وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ
خُلُقَةً فِي الظَّلِيمِ وَالنَّاسِ، وَرَبَّمَا كَانَ عَنْ كِبَرٍ وَعَظَمَةٍ.

(٢) البرى: جمع برة وهي الحلقة التي تجعل في أحد جانبي منخر البعير.

(٣) اسم مكان في مكة المكرمة.

صوت

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى بِلَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ
[الوافر]

- عروضه من الوافر. الغناء لابن المكيّ خفيفٌ ثَقِيلٌ [أول] بالوسطى في مجراها عن إسحاق، وفيه خفيفٌ ثَقِيلٌ آخر لسليمان مطلقٌ في مجرى البُنْصَرِ، وفيه لإبراهيم رَمَلٌ بالوسطى في مجراها عن الهشاميّ - قال: فَلَمَّا نُقِلْتُ [لَيْلَى] إِلَى الثَّقَفِيِّ قَالَ:

[قصيدته العينية]

طَرِبْتُ وَشَاقَتِكَ الْحُمُولُ الدَّوَاغِ^(١) عَدَاةٌ دَعَا بِالْبَيْنِ أَسْفَعُ نَازِعُ^(٢)
شَحَا^(٣) فَاهُ نَعْبَا^(٤) بِالْفُرَاقِ كَأَنَّهُ حَرِيبُ^(٥) سَلِيبُ نَازِحُ الدَّارِ جَانِعُ
فَقُلْتُ أَلَا قَدْ بَيَّنَّ الْأَمْرُ فَاَنْصَرِفْ فَقَدْ رَاعَنَا بِالْبَيْنِ قَبْلَكَ رَائِعُ
سُقِيتُ سُمُومًا مِنْ غُرَابٍ فَلِإِنِّي تَبَيَّنْتُ مَا خَبَّرْتَ مَذَّأَنْتَ وَاقِعُ
أَلَمْ تَرَ أَنِّي لَا مُجِبُّ أَلَوْمِهِ وَلَا بِبَدِيلٍ بَعْدَهُمْ أَنَا قَانِعُ
أَلَمْ تَرَدْ دَارَ الْحَيِّ فِي رَوْنِقِ الضُّحَى بَحِثْ أَنْحَنَتْ لِلْهَضْبَتَيْنِ الْأَجَارِعُ
وَقَدْ يَتَنَاءَى الْإِلْفُ مِنْ بَعْدِ أَلْفَةٍ وَيَصْدَعُ مَا بَيْنَ الْخَلِيطَيْنِ صَادِعُ
وَكَمْ مِنْ هَوَى أَوْ جِيرَةٍ قَدْ أَلْفَتْهُمْ زَمَانًا فَلَمْ يَمْنَعَهُمُ الْبَيْنَ مَانِعُ
كَأَنِّي عَدَاةُ الْبَيْنِ مَيَّتٌ جَوْبَةٌ^(٦) أَخُو ظَمًا سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَشَارِعُ

(١) الحمول: حمول وحمولة أي أحمال، والتاء كالتى في الحزونة والسهولة. ومرت الحمول أي الهودج، كانت فيها نساء أو لم تكن. الدوافع: تستخدم لتصوير السيل الجارف، وهنا أتت بمعنى المندفع في السير.

(٢) السُّفْعُ: أَتْفِيَّةٌ من حديد يوضع عليها القدر. الواحدة سفعاء بوزن حمراء. وسُمي سفعاءً لسواده وشبهت الشعراء به. فسموا ثلاثة أحجار يُنْصَبُ عليها القدرُ سَفْعًا. والسَّفْعُ: سفعة سوداء في خدي المرأة الشاحبة. والنازع: المسرع. والمقصود بالنازع المسرع: الغراب.

(٣) شَحَا فَاهُ يُشْحوه وَيَشْهَاهُ شَحْوًا: فَتَحَهُ. وَشَحَا فُوهُ يُشْحو: انْفَتَحَ.
(٤) نَعَبَ الْغُرَابُ وَغِيْرَهُ، يُنْعَبُ وَيُنْعَبُ نَعْبًا، وَنَعِيبًا، وَنُعَابًا، وَنُعَابَانًا: صَاحَ وَصَوَّتَ، وَهُوَ صَوْتُهُ؛ وَقِيلَ: مَدَّ عُنُقَهُ، وَحَرَّكَ رَأْسَهُ فِي صِيَاحِهِ.

(٥) حَرِبَ فُلَانٌ حَرَبًا: أَخَذَ مَالَهُ فَهُوَ حَرِبٌ مَحْرُوبٌ حَرِيبٌ. وَحَرِيبَةُ الرَّجُلِ: مَالُهُ الَّذِي يَعِيشُ بِهِ، وَالْحَرِيبُ الَّذِي سَلِبَتْ حَرِيبَتُهُ.

(٦) الْجَوْبَةُ: فَجْوَةٌ مَا بَيْنَ الْبُيُوتِ. وَالْجَوْبَةُ: الْحُفْرَةُ. وَالْجَوْبَةُ: فَضَاءٌ أَمْلَسُ سَهْلٌ بَيْنَ أَرْضَيْنِ. وَقَالَ =

تَخْلَسُ^(١) مَنْ أَوْشَال^(٢) مَاءٍ صُبَابَةٍ^(٣) فَلَا الشَّرْبُ مَبْذُولٌ وَلَا هُوَ نَاقِعٌ^(٤)
وَبَيْضٍ تَطْلَى بِالْعَبِيرِ كَأَنَّهَا نِعَاجُ الْمَلَا^(٥) جِيبَتْ^(٦) عَلَيْهَا الْبَرَاقِعُ
تَحْمَلْنَ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ^(٧) فَأَوْمَضَتْ لَهْنٌ بِأَطْرَافِ الْعُيُونِ الْمَدَامِعُ
فَمَا رِمْنِ^(٨) رُبْعَ الدَّارِ حَتَّى تَشَابَهَتْ هَجَائِنُهَا وَالْجُونُ مِنْهَا الْخَوَاضِعُ^(٩)
وَحَتَّى حَمَلْنَ الْحَوْرَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَخَاضَتْ سُذُولُ^(١٠) الرَّقْمِ مِنْهَا الْأَكَارُغُ^(١١)
فَلَمَّا أَسْتَوَتْ تَحْتَ الْخُدُورِ وَقَدْ جَرَى عَبِيرٌ وَمِسْكٌ بِالْعَرَانِينِ^(١٢) رَادِعُ^(١٣)
أَشْرَنْ بِأَنْ حُثِّوا الْمَطِيَّ وَقَدْ بَدَا مِنْ الصَّيْفِ يَوْمٌ لَافِحُ الْحَرِّ مَاتِعُ
فَلَمَّا لَحِقْنَا بِالْحُمُولِ تَبَاشَرَتْ بِنَا مُقْصِرَاتُ^(١٤) غَابَ عَنْهَا الطَّلَائِعُ
يُعَرِّضُنَ بِالذَّلِّ الْمَلِيحِ وَإِنْ يُرْدَ جَنَاهُنَّ مَشْغُوفٌ فَهُنَّ مَوَانِعُ

= أبو حنيفة: الجوبة من الأرض: الدارة، وهي المكان المنجأ الوطيء من الأرض، القليل الشجر مثل الغائط المستدير، ولا يكون في رمل ولا جبل، إنما يكون في أجلاذ الأرض ورحابها، سمي جوبة لانجياب الشجر عنها، والجمع جوبات، وجوب نادر.

(١) الخلس: الأخذ في نهزة ومخاتلة؛ خلسه يخلسه خلساً وخلسه إياه، فهو خاليس وخلّاس، وقال الجوهري: خلست الشيء واختلسته وتخلسته إذا استلبته. والتخالس: التسالب.

(٢) الأوشال: مياه تسيل من أغراض الجبال فتجتمع ثم تساق إلى المزارع.

(٣) الصبابة: ما تبقى في الإناء من ماء.

(٤) ناقع من نقع بمعنى روى.

(٥) الملا: الصحراء.

(٦) جيبت: قطعت.

(٧) وادي عرفة دونها إلى منى، وهو كثير الأراك.

(٨) ما رمن: ما برحن.

(٩) الهجانن والجون الخواضع: الإبل.

(١٠) السدِيل: ما أسبل على الهودج، والجمع السُدُول والسَدَائِل والأسْدَال. والسَدِيل: شيء يُعَرَّضُ فِي شَقَّةِ الْخَبَاءِ، وَقِيلَ: هُوَ سِتْرٌ حَجَلَةُ الْمَرْأَةِ. وَالسَّدَلُ وَالسُّدُلُ: السِّتْرُ، وَجَمْعُهُ أَسْدَالٌ وَسُدُولٌ.

(١١) الكراغ من الإنسان: ما دون الركبة إلى الكعب، ومن الدواب: ما دون الكعب، أنثى. يقال: هذه كراغ وهو الوظيف؛ قال ابن بري: وهو من ذوات الحافر ما دون الرُسْغ، قال: وقد يُسْتَعْمَلُ الْكَرَاغُ أَيْضاً لِلْإِبِلِ.

(١٢) وعزّنين كل شيء: أوله. وعزّنين الأنف: تحت مُجْتَمَعِ الْحَاجِبِينَ، وَهُوَ أَوَّلُ الْأَنْفِ حَيْثُ يَكُونُ فِيهِ الشَّمَمُ. يُقَالُ: هُمُ شُمُّ الْعَرَانِينِ، وَالْعَرَانِينُ الْأَنْفُ كُلُّهُ؛ وَقِيلَ: هُوَ مَا صَلَبَ مِنْ عَظْمِهِ.

(١٣) يقال في الثوب رذع من زعفران أي شيء يسير في مواضع شتى، وقيل: الرذع أثر الخلق والطيب في الجسد. وقميص رادع ومردوع ومردع: فيه أثر الطيب والزعفران أو الدم.

(١٤) مقصرات: داخلات في القصر وهو عند العرب العشي.

فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي وَدَمْعِي مُسْبِلٌ^(١) وَقَدْ صَدَعَ السَّمْلَ الْمُشْتَتَ صَادِعُ
أَلَيْلَى بِأَبْوَابِ الْخُدُورِ تَعَرَّضْتُ لِعَيْنِي أَمْ قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ طَالِعُ
[الطويل]

[المجنون وهديل الحمام]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ فِرَاسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي الْعَمْرِيُّ
عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ: أَنَّ أَبَا الْمَجْنُونِ حَجَّ بِهِ لِيَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْمَوْقِفِ أَنْ يُعَافِيَهُ، فَسَارَ
وَمَعَهُ ابْنُ عَمِّهِ زِيَادُ بْنُ كَعْبٍ بْنُ مُزَاحِمٍ، فَمَرَّ بِحَمَامَةٍ تَدْعُو^(٢) عَلَى أَيْكَةٍ^(٣) فَوَقَفَ يَبْكِي،
فَقَالَ لَهُ زِيَادُ: أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟ مَا يُبْكِيكَ أَيْضاً؟ سَرَبْنَا نَلْحَقِ الرُّفْقَةَ، فَقَالَ:

أِنْ هَتَفْتَ يَوْمًا بِوَادٍ حَمَامَةٌ بَكَيتَ وَلَمْ يَعْدِرْكَ بِالْجَهْلِ عَاذِرُ
دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ^(٤) بَعْدَمَا عَلَتْ الضُّحَى فَهَاجَ لَكَ الْأَحْزَانُ أَنْ نَاحَ طَائِرُ
تُعْتِي الضُّحَى وَالصُّبْحُ فِي مُرْجِحَتِهِ^(٥) كِثَافِ الْأَعَالِي تَحْتَهَا الْمَاءُ حَائِرُ^(٦)
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِالْغَيْلِ^(٧) أَوْ بَطْنِ أَيْكَةٍ أَوْ الْجِرْعُ مَنْ تَوَلَّى الْأَشْأَةَ حَاضِرُ^(٨)
يَقُولُ زِيَادٌ إِذْ رَأَى الْحَيَّ هَجَرُوا أَرَى الْحَيَّ قَدْ سَارُوا فَهَلْ أَنْتَ سَائِرُ
وَإِنِّي وَإِنْ غَالَ التَّقَادُمُ حَاجَتِي مُلِمٌّ عَلَى أَوْطَانٍ لَيْلَى فَنَاطِرُ
[الطويل]

[جبل التوباد]

أخبرني [محمد بن مزيد] بن أبي الأزهر عن الزُّبَيْرِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

(١) أَسْبَلَ الْمَطَرُ وَالدَّمْعُ إِذَا هَطَلَا، وَالْأَسْمُ السَّبْلُ، بِالتَّحْرِيكِ. وَفِي حَدِيثِ رُقَيْقَةَ: فَجَادَ بِالْمَاءِ جَوْنِيَّ
لَهُ سَبْلٌ أَيْ مَطَرٌ جَوْدٌ هَاطِلٌ. وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: أَسْبَلَتِ السَّمَاءُ إِسْبَالًا، وَالْأَسْمُ السَّبْلُ، وَهُوَ الْمَطَرُ
بَيْنَ السَّحَابِ وَالْأَرْضِ حِينَ يَخْرُجُ مِنَ السَّحَابِ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى الْأَرْضِ. وَفِي حَدِيثِ الْإِسْتِسْقَاءِ:
اسْقِنَا غَيْثًا سَابِلًا أَيْ هَاطِلًا غَزِيرًا.

(٢) تَدْعُو: تَصَوَّتْ وَتَنَوَّحَ. (٣) الْأَيْكَةُ: الشَّجَرُ الْكَثِيفُ الْمَلْتَفُ.

(٤) سَاقُ حُرٍّ: أَصْلُهُ صَوْتُ الْقِمَارِيِّ.

(٥) يَقَالُ: فَلَانٌ فِي دُنْيَا مُرْجِحَتِهِ أَيْ وَاسِعَةٍ كَثِيرَةٍ. وَامْرَأَةٌ مُرْجِحَتُهُ إِذَا كَانَتْ سَمِينَةً، فَإِذَا مَشَتْ تَفَيَّأَتْ
فِي مِشْيَتِهَا. وَفِي حَدِيثِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فِي حُجَرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجِحَتَيْنِ؛ مِنْ أَرْجَحَنَ الشَّيْءُ
إِذَا مَالَ مِنْ ثِقَلِهِ وَتَحَرَّكَ.

(٦) حَائِرٌ: مُتَرَدِّدٌ.

(٧) الْغَيْلُ: كُلُّ مَوْضِعٍ فِيهِ مَاءٌ مِنْ وَادٍ وَنَحْوِهِ، وَهُوَ اسْمٌ لِمَوَاضِعٍ كَثِيرَةٍ.

(٨) الْجِرْعُ: اسْمٌ مَوْضِعٍ. تَوَلَّى الْأَشْأَةَ: صَغَارَ النَّخْلَ.

البَكْرِي عن موسى بن جعفر بن أبي كثير، وأخبرني عمي عن [عبد الله] بن شبيب عن [هارون بن موسى] الفروي عن موسى بن جعفر بن أبي كثير وأخبرني ابن المَرْزُبَان عن ابن الهيثم عن العُمَرِي عن العُتْبِي قالوا جميعاً: كان المجنون وليلى وهما صَبِيَّانِ يَرْعِيَانِ غنماً لأهلهما عند جبلٍ في بلادهما يقال له التَّوْبَادُ، فلما ذهب عقله وتَوَحَّشَ، كان يجيء إلى ذلك الجبل فيقيم به، فإذا تذكر أيامَ كان يُطِيفُ هو وليلى به جَزَعٌ جزعاً شديداً واستوحش فهام على وجهه حتى يأتي نواحي الشَّامِ، فإذا ثاب إليه عقله رأى بلداً لا يعرفه فيقول للناس الذين يلقاهاهم: بأبي أنتم، أين التَّوْبَادُ من أرض بني عامر؟ فيقال له: وأين أنت من أرض بني عامر! أنت بالشَّامِ عليك بنجم كذا فأَمَّهُ، فيمضي على وجهه نحو ذلك النجم حتى يقع بأرض اليمن، فيرى بلداً يُنْكِرُهَا وقوماً لا يَعْرِفُهُمْ فيسألهم عن التَّوْبَادِ وأرض بني عامر، فيقولون: وأين أنت من أرض بني عامر! عليك بنجم كذا وكذا، فلا يزال كذلك حتى يقع على التَّوْبَادِ، فإذا رآه قال في ذلك: [أبياته التي يصف فيها انصباب الدمع]

وَأَجْهَشْتُ^(١) لِلتَّوْبَادِ حِينَ رَأَيْتُهُ وَكَبَّرَ لِلرَّحْمَنِ حِينَ رَأَيْتُهُ
وَأَذْرَيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ لَمَّا عَرَفْتُهُ وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ فَدَعَانِي
فَقُلْتُ لَهُ قَدْ كَانَ حَوْلَكَ جِيرَةٌ وَعَهْدِي بِذَلِكَ الصَّرْمِ مِنْذُ زَمَانٍ
فَقَالَ مَضَوْا وَاسْتَوْدَعُونِي بِلَادَهُمْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ
وَإِنِّي لِأَبْكِي الْيَوْمَ مِنْ حَذْرِي غَدَاً فِرَاقَكَ وَالْحَيَّانِ مُجْتَمَعَانِ
سَجَالاً وَتَهْتَاناً^(٢) وَوَبلاً وَدِيمَةً وَسَحّاً وَتَسْجَاماً^(٣) إِلَى هَمَلَانَ^(٤)
[الطويل]

[سبب ذهاب عقله]

أخبرني عمي عن [عبد الله] بن شبيب عن هارون بن موسى الفروي عن موسى بن جعفر بن أبي كثير قال: لما قال المجنون:

- (١) أجهشت: جهشت نفسه مثل جاشت إذا نهضت إليه وهم بالبكاء.
- (٢) التَّهْتَانُ: نحو من الديمة. وقال النضر بن شميل: التَّهْتَانُ: مطر ساعة ثم يفتر ثم يعود. يقال: هَتَنَ المطر والدمع يَهْتِنُ هَتْنًا وَهَتُونًا وَتَهْتَانًا، إذا فَطَرَ متتابعاً.
- (٣) اُنْسَجَمَ الماء والدمع، فهو مُنْسَجِمٌ إذا اُنْسَجَمَ أي انصب. وَسَجَمَتِ السحابة مطرها تَسْجِيماً وَتَسْجَاماً إذا صَبَّتْهُ.
- (٤) الهملان: تتابع السيلان.

خَلِيلِي لَا وَاللَّهِ لَا أَمْلِكُ الَّذِي قَضَى اللَّهَ فِي لَيْلِي وَلَا مَا قَضَى لِيَا
قَضَاهَا لِغَيْرِي وَابْتَلَانِي بِحُبِّهَا فَهَلَا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلِي ابْتِلَانِيَا
[الطويل]
سُلِبَ عَقْلُهُ.

وحدّثني جحظة عن ميمون بن هارون عن إسحاق الموصلي أنه لما قالهما
برّص .

[شعره حين توهم هاتفاً باسم ليلي]

قال موسى بن جعفر في خبره المذكور: وكان المجنون يسير مع أصحابه فَسَمِعَ
صَائِحاً يَصِيحُ: يَا لَيْلَى فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءُ أَوْ تَوْهَمَ ذَلِكَ، فَقَالَ لِبَعْضِ مَنْ مَعَهُ: أَمَا تَسْمَعُ
هَذَا الصَوْتَ؟ فَقَالَ: مَا سَمِعْتُ شَيْئاً، قَالَ: بَلَى، وَاللَّهِ هَاتِفٌ يَهْتِفُ بَلِيلَى، ثُمَّ أَنْشَأَ
يقول:

أَقُولُ لِأَدْنَى صَاحِبِي كَلِيمَةً إِذَا سِرْتُ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءِ رَأَيْتُنِي
أُسَرَّتْ مِنَ الْأَقْصَى أَجِبْ ذَا الْمَنَادِيَا أَصَانِعُ رَحْلِي أَنْ يَمِيلَ حِيَالِيَا
شِمَالاً يُنَازِعُنِي الْهَوَى عَنْ شِمَالِيَا
[الطويل]

[شعر له في منى]

وقال ابن شبيب: وحدّثني هارون بن موسى قال: قُلْتُ لِغُرَيْرِ بْنِ طَلْحَةَ
الْمَخْزُومِيِّ: مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ مِمَّنْ قَالَ شِعْراً فِي مَنَى وَمَكَّةَ وَعُرَفَاتٍ؟ فَقَالَ: أَصْحَابُنَا
الْقُرَشِيُّونَ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْمَجْنُونُ حَيْثُ يَقُولُ:

وَدَاعَ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى فَهَيَّجَ أَحْزَانُ الْفُؤَادِ وَمَا يَدْرِي
دَعَا بِاسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا أَطَارَ بَلِيلَى طَائِراً كَانَ فِي صَدْرِي
[الطويل]

فقلت له: هل تروي للمجنون غير هذا؟ قال: نعم، وأنشدني له:

أَمَّا وَالَّذِي أَرَسَى ثَبِيراً^(١) مَكَانَهُ عَلَيْهِ السَّحَابُ فَوْقَهُ يَتَنَصَّبُ^(٢)

(١) ثبير: جبل قرب مكة، ويقال: إِنَّ ثَبِيراً كَانَ رَجُلًا مِنْ هُذَيْلٍ، مَاتَ فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ، فَعُرِفَ بِهِ،
قِيلَ: كَانَ فِيهِ سُوْقٌ مِنْ أَسْوَاقِ الْجَاهِلِيَّةِ كَعُكَاظٍ، وَهُوَ عَلَى يَمِينِ الذَّاهِبِ إِلَى عَرَفَةَ.

(٢) يتنصب: يرتفع.

وَمَا سَلَكَ المَوْمَاةَ^(١) مِنْ كُلِّ جَسْرَةٍ طَلِيحٌ^(٢) كَجَفَنِ السَّيْفِ تَهْوِي فَتُرَكَّبُ
لَقَدْ عِشْتُ مِنْ لَيْلَى زَمَانًا أَحْبَبُّهَا أَخَا المَوْتِ إِذْ بَعْضُ الْمُحِبِّينَ يَكْذِبُ

[الطويل]

أخبرني محمد بن يزيد عن حماد [بن إسحاق] عن أبيه قال: كانت كنية ليلي أم عمرو، وأنشد للمجنون:

صوت

أَبَى القَلْبُ إِلَّا حُبَّهَا عَامِرِيَّةً لَهَا كُنْيَةٌ عَمَرُو وَلَيْسَ لَهَا عَمَرُو
تَكَادُ يَدِي تَنْدِي إِذَا مَا لَمَسْتُهَا وَيَنْبُتُ فِي أَطْرَافِهَا الْوَرَقُ الْخُضْرُ

[الطويل]

الغناء لعريب ثقیلٌ أوّل، وقال حبش: فيه لإسحاق خفيفٌ ثقیل.

[خطبة ليلي وشعر المجنون]

أخبرني هاشم [بن محمد] الخزاعي عن دماذ عن أبي عبيدة قال: خطب ليلي صاحبة المجنون جماعة من قومها فكرهتهم، فخطبها رجل من ثقيف موسر فرضيته، وكان جميلاً فتزوجها وخرج بها، فقال المجنون في ذلك:

أَلَا إِنَّ لَيْلَى كَالْمَنِحَةِ^(٣) أَصَبَحَتْ قَلْبُهَا حَبَسُوهَا مَحْبَسَ البُذْنِ وَأَبْتَغَى
فَهُمْ خَلِيلِي هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْلَمَانِهَا خَلِيلِي هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْلَمَانِهَا
فَإِنْ أَنْتُمَا لَمْ تَعْلَمَاهَا فَلَسْتُمَا كَأَنَّ مَعَ الرِّكَبِ الَّذِينَ أَغْتَدُوا بِهَا
نَظَرْتُ بِمُفْضَى سَيْلِ جَوْشَنَ إِذْ غَدُوا تَقَطَّعُ إِلَّا مِنْ ثَقِيفٍ حِبَالُهَا
بِهَا الرِّيحُ أَقْوَامٌ تَسَاحَتْ^(٤) مَالُهَا يُدْنِي لَنَا تَكْلِيمَ لَيْلَى أَحْتِيَالُهَا
بِأَوَّلِ بَاغٍ حَاجَةٌ لَا يَنْأَلُهَا عِمَامَةٌ صَيْفٍ زَعَزَعَتْهَا شِمَالُهَا
تَخُبُّ بِأَطْرَافِ المَخَارِمِ^(٥) أَلُهَا

(١) المَوْمَاة: واحدة المَوامي، وهي المفاوز.

(٢) طلحت الإبل: اشتكت من أكل الطلح. وإبل طلحة وطلاحي. ثم قيل: طلح البعير فهو طليح، وطلح فهو طليح، كقولهم: هزل فهو هزيل، وإن كان الهزال من تعب أو مرض.

(٣) مَنَحَ الشاة والناقة يَمْنَحُه وَيَمْنَحُه: أَعَارَه إِيَّاهَا؛ الْفَرَاءُ: مَنَحَتْهُ أَمْنَحُهُ وَأَمْنَحُهُ فِي بَابِ يَفْعَلُ وَيَفْعُلُ. وقال اللحياني: مَنَحَ الناقة جعل له وَبَرَّهَا وولدها ولبنها، وهي المَنَحَةُ والمَنِحَةُ.

(٤) أَسَحَّتِ الرِّجْلُ: اسْتَأْصَلَ مَا عِنْدَهُ.

(٥) المَخَارِم: الطُّرُق فِي الْجِبَالِ أَوْ الرَّمْلِ.

بِشَافِيَةِ الْأَحْزَانِ هَيَّجَ شَوْقَهَا مُجَامَعَةُ الْأُلَافِ ثُمَّ زِيَالُهَا
إِذَا أَلْتَفَتَتْ مِنْ خَلْفِهَا وَهِيَ تَعْتَلِي بِهَا الْعَيْسُ جَلَّى عَبْرَةَ الْعَيْنِ حَالُهَا
[الطويل]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي نصر أحمد بن حاتم قال: وأنشدناه المبرد للمجنون فقال:

صوت

وَأَحِسُّ عَنْكَ النَّفْسَ وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ بِذِكْرَاكِ وَالْمَمَشَى إِلَيْكَ قَرِيبُ
مَخَافَةٌ أَنْ تَسْعَى الْوُشَاةُ بِظَنَّةٍ وَأَحْرُسُكُمْ أَنْ يَسْتَرِيبَ مُرِيبُ
فَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسِي - وَأَنْتِ أَجْتَرَمْتِهِ وَكُنْتَ أَعَزَّ النَّاسِ - عَنْكَ تَطِيبُ
فَلَوْ شِئْتَ لَمْ أَغْضَبْ عَلَيْكَ وَلَمْ يَزَلْ لَكَ الدَّهْرُ مَتْنِي مَا حَيَّتْ نَصِيبُ
أَمَّا وَالَّذِي يَبْلُو السَّرَائِرَ كُلَّهَا وَيَعْلَمُ مَا تُبْدِي بِهِ وَتَغِيبُ
لَقَدْ كُنْتُ مِمَّنْ تَصْطَفِي النَّفْسُ خُلَّةً لَهَا دُونَ خُلَانِ الصَّفَاءِ حُجُوبُ
[الطويل]

ذكر يحيى المكي أنه لابن سريج ثقيل أول، وقال الهشامي: إنه منحول يحيى إليه.

[خبر أبي الحسن البغاء]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدّثني الحسن بن محمد بن طالب الديناري قال: حدّثني إسحاق الموصلي، وأخبرني به محمد بن مزيد والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: حدّثني سعيد بن سليمان عن أبي الحسن البغاء قال: بينا أنا وصديق لي من قريش نمشي بالبلاط ليلاً، إذا بظل نسوة في القمر، فسمعت إحداهن تقول: أهو هو؟ فقالت لها أخرى معها: إي والله إنه لهو هو؟ فدنّت منّي ثم قالت: يا كهّل، قل لهذا الذي معك:

لَيْسَتْ لِيَا لِيكَ مِنْ خَاخٍ^(١) بِعَائِدَةٍ كَمَا عَاهَدْتَ وَلَا أَيَّامُ ذِي سَلَمٍ
[البسيط]

فقلت: أجب فقد سمعت، فقال: قد والله قُطِعَ بي وارتج علي فأجب عني، فقلت:

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِّنْتَ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
[الطويل]

(١) «خاخ»: اسم موضع يقال له: «رَوْضَةُ خَاخٍ»، بين الحرمين.

ثم مضينا حتى إذا كنّا بَمَفْرُقَ طَرِيقَيْنِ مضى الفتى إلى منزله ومضيتُ إلى منزلي، فإذا أنا بجويرية تجذب ردائي فالتفتُ، فقالت لي: المرأة التي كلمتها تدعوك، فمضيتُ معها حتى دخلتُ داراً واسعةً ثم صرْتُ إلى بيتٍ فيه حصيرٌ، وقد ثَنَتْ لي وسادةً فجلستُ عليها، ثم جاءت جاريةٌ بوسادةٍ مثنيةٍ فطرحتها، ثم جاءت المرأة فجلستُ عليها، فقالت لي: أنت المجيبُ؟ قلتُ: نعم، قالت: ما كان أفضَّ جوابك وأغلظه! فقلتُ لها: ما حضرني غيره، فسكتتُ، ثم قالت: لا والله ما خلق الله خلقاً أحب إليَّ من إنسان كان معك! فقلتُ لها: أنا الضامن لكِ عنه ما تُحِبِّينَ، فقالت: هيهات أن يقع بذلك وفاءً، فقلتُ: أنا الضامن وعليَّ أن آتيك به في الليلة القابلة، فانصرفْتُ، فإذا الفتى ببابي، فقُلْتُ: ما جاء بك؟ قال: ظننْتُ أنها سترسل إليك وسألت عنك فلم أعرف لك خبراً، فظننت أنك عندها، فجلست أنتظرُك، فقلت له: وقد كان الذي ظننت، وقد وعدتُها أن آتيك فأمضي بك إليها في الليلة المقبلة، فلما أصبحنا تهيأنا وانتظرنا المساء، فلما جاء الليلُ رَحَلْنَا إليها، فإذا الجارية منتظرةً لنا، فمضت أماناً حين رأتنا حتى دخلتُ تلك الدارَ ودخلنا معها، فإذا رائحةً طيبةً ومجلسٌ قد أُعِدَّ ونُضِد، فجلسنا على وسائدٍ قد تُنِيت لنا، وجلست مَلِيّاً ثم أقبلت عليه فعاتبته مَلِيّاً ثم قالت:

صوت

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشَمَّتْ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَهُمْ غَرَضاً أَرْمَى وَأَنْتَ سَلِيمُ
فَلَوْ كَانَ قَوْلُ يَكْلُمُ الْجِلْدَ قَدْ بَدَا بِجِلْدِي مِنْ قَوْلِ الْوَشَاةِ كُلُّومُ
[الطويل]

هذه الأبيات لأميمة امرأة ابن الدمينه^(١)، وفيها غناء لإبراهيم الموصلي ذكره إسحاق ولم يُجنِّسه. وقال الهشامي: هو خفيف رمل. وفيه لعريب خفيفٌ ثقيلٌ أوّل ينسب إلى حكم الوادي وإلى يعقوب. قال: ثم سكتتُ وسكت الفتى هُنِيهَةً ثم قال:

عَدَرْتُ وَلَمْ أَغْدِرْ وَخُنْتُ وَلَمْ أَخُنْ وَفِي بَعْضِ هَذَا لِلْمَحَبِّ عَزَاءُ
جَزِيْتُكَ ضِعْفَ الْوَدِّ ثُمَّ صَرَمْتَنِي فَحُبُّكَ مِنْ قَلْبِي إِلَيْكَ أَدَاءُ
[الطويل]

(١) أميمة امرأة ابن الدمينه، شاعرة أموية. كان زوجها من شعراء الغزل، عاتب زوجته يوماً في شيء كان بينهما فأجابته بأبيات من الشعر. وكان ابن الدمينه قد قتل عام ١٣٠هـ.

فالتفتت إليّ فقالت: ألا تسمع ما يقول! قد خبرتك، فغمزته أن كُفَّ فكفّ، ثم أقبلت عليه وقالت:

صوت

تجاهلتُ وصلي حين جدتُ عمّايتي فهلا صرمتَ الحبلَ إذ أنا أبصرُ
ولي من قوى الحبل الذي قد قطعته نصيبٌ وإذ رأيي جميعٌ موفرُ
ولكنما آذنت بالصّرم بَعْتَةً ولستُ على مثل الذي جئتُ أقدرُ
- الغناء لإبراهيم ثقیلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو - فقال: [الطويل]

لَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسِي وَأَنْتِ أَجْتَرَمْتِهِ وَكُنْتَ أَعَزَّ النَّاسِ عَنْكَ تَطِيبُ
[الطويل]

قال: فبكت، ثم قالت: أو قد طابت نفسك! لا، والله ما فيك بعدها خير، ثم التفتت إليّ وقالت: قد علمتُ أنك لا تفي بضمانك ولا يفي به عنك. وهذا البيت الأخير للمجنون، وإنما ذُكر هذا الخبر هنا وليس من أخبار المجنون لذكره فيه.

رجع الخبر إلى سِياقة أخبار المجنون

[مرور المجنون بأهل ليلي]

أخبرني عمي قال: حدثنا الكرنبي عن العُمريّ عن الهيثم بن عديّ أن رهطَ المجنون اجتازوا في نُجْعَةٍ^(١) لهم بحيّ ليلي، وقد جمعتهم نجعة فرأى أبيات أهل ليلي ولم يُقدِّم على الإمام بهم، وعدلَ أهلُه إلى جهة أخرى، فقال المجنون:

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْبَيْتَ بِالْقَبَلِ^(٢) الَّذِي مَرَرْتُ وَلَمْ أَلِمَّ عَلَيْهِ لَشَائِقُ
وَبِالْجَزَعِ^(٣) مِنْ أَعْلَى الْجُنَيْبَةِ مَنْزِلُ شَجَا حَزَنًا صَدْرِي بِهِ مُتَضَايِقُ
كَأَنِّي إِذَا لَمْ أَلْقَ لَيْلَى مُعَلَّقُ بِسَبِّينِ^(٤) أَهْفُو^(٥) بَيْنَ سَهْلٍ وَحَالِقُ^(٦)

(١) النُّجْعَةُ: طلب الكلاً والخير. وانتجعت أرضاً كذا في طلب الريف. وانتجعت فلاناً لطلب معروفه.

(٢) التهذيب: يقال: سقى إبله قبلاً إذا صب الماء في الحوض وهي تشرب منه فأصابها، الأصمعي: القبل أن يورد الرجل إبله فيستقي على أفواهاها ولم يكن هياً لها قبل ذلك، ويقال: القبل: الناحية.

(٣) جَزَعْنَا الْأَرْضَ: سلكناهَا عَرْضاً خِلافَ طُولِهَا. وناحيّة الوادي: جزعاه، فالجزع منعرج الوادي ومنعطفه.

(٤) السَّبُّ والخَيْطَةُ: الحبلُ والوَرْدَةُ. يصف الذي يشتار العسل فيتدلّى بالحبل إلى موضع العسل.

(٥) هَفَا الطائرُ إذا طارَ، والريحُ إذا هَبَّتْ. وهَفَا الطائرُ بجناحيه أي حَفَقَ وطارَ.

(٦) الحالق: الجبل المرتفع.

عَلَى أَنَّنِي لَوْ شِئْتُ هَاجَتْ صَبَابَتِي عَلَيَّ رُسُومٌ عَيَّ فِيهَا التَّنَاطُقُ
لَعَمْرُكَ إِنَّ الْحُبَّ يَا أُمَّ مَالِكٍ بِقَلْبِي بَرَانِي اللَّهُ مِنْهُ لَلَاصِقُ
يَضُمُّ عَلَيَّ اللَّيْلُ أَطْرَافَ حُبِّكُمْ كَمَا ضَمَّ أَطْرَافَ الْقَمِيصِ الْبَنَائِقُ
[الطويل]

صوت

وَمَاذَا عَسَى الْوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا سِوَى أَنْ يَقُولُوا إِنَّنِي لَكَ عَاشِقُ
نَعَمْ صَدَقَ الْوَاشُونَ أَنْتِ حَبِيبَةٌ إِلَيَّ وَإِنْ لَمْ تَصِفْ مِنْكِ الْخَلَائِقُ
[الطويل]

الغناء لمتيم ثقیلٌ أولٌ من جامعها . وفيه لدِعامَةٌ رملٌ عن حبش .

[حديث ليلي جارة لها من عقيل]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدثني أحمد بن الطيب قال: قال ابن الكلبي: دخلت ليلي على جارة لها من عقيل وفي يدها مسواك تستاك به، فتنفست ثم قالت: سقى الله من أهدى لي هذا المسواك؛ فقالت لها جارتها: مَنْ هو؟ قالت: قيس بن الملوّح، وبكت ثم نزعَتْ ثيابها تغتسل؛ فقالت: وَيَحْه! لقد عَلِقَ مِنِّي مَا أَهْلَكَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أُسْتَحِقَّ ذَلِكَ، فنشدتُك الله، أصدق في صفتي أم كذب؟ فقالت: لا والله، بل صدق؛ قال: وبلغ المجنون قولها فبكى ثم أنشأ يقول:

نُبِّئْتُ لَيْلَى وَقَدْ كُنَّا نُبْخُلُهَا قَالَتْ سَقَى الْمُرْنُ غَيْشًا مَنْزِلًا خَرِبَا
وَحَبَّذَا رَاكِبٌ كُنَّا نَهْشُ بِهِ يُهْدِي لَنَا مَنْ أَرَاكَ الْمَوْسِمَ الْقُضْبَا^(١)
قَالَتْ لِجَارَتِهَا يَوْمًا تُسَائِلُهَا لَمَّا اسْتَحَمَّتْ وَأَلَقَتْ عِنْدَهَا السَّلْبَا^(٢)
يَا عَمْرُكَ اللَّهُ أَلَا قُلْتَ صَادِقَةً أَصَادِقًا وَصَفَ الْمَجْنُونُ أَمْ كَذِبَا
[البسيط]

ويروى: «نشدتُك الله» ويروى: «أصادقاً وصف المجنون أم كذباً».

(١) الْقُضْبُ: كل شجرة سبطت أغصانها. والقُضْبُ: قطعك للفضيب ونحوه. والتَّقْضِيبُ: قطع أغصان الكرم أيام الربيع.

(٢) السلب: كل ما على الإنسان من ثياب.

[خروج ليلي مع زوجها وشعره فيه]

وقال أبو نصر في أخباره: لما زُوِّجَتْ ليلي بالرجل الثَّقَفِيَّ سمع المجنون رجلاً من قومها يقول لآخر: أنت ممن يُشَيِّعُ لَيْلَى؟ قال: ومتى تخرج؟ قال: غداً، ضَحْوَةً أو الليلة، فبكى [المجنون] ثم قال:

صوت

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى بِلَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
قَطَاةٌ^(١) عَزَّهَا شَرْكَ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ
[الوافر]

الغناء ليحيى المكيّ خفيفٌ ثَقِيلٌ بالوسطى عن عمرو، وفيه رَمَلٌ ينسب إلى إبراهيم وإلى أحمد بن يحيى المكيّ؛ وقال حَبَشٌ: فيه خفيفٌ ثَقِيلٌ [بالوسطى] لسليم.

[وعظ وإنشاد]

وقال الهيثم بن عديّ في خبره: حدّثني عبد الله بن عِيَّاش الهَمْدَانِيّ قال: حدّثني رجلٌ من بني عامر قال: مُطِرْنَا مَطَرًا شَدِيدًا في ربيع ارتبَعناه، ودام المطرُ ثلاثاً ثم أصبحنا في اليوم الرابع على صَحْوٍ وخرج الناس يمشون على الوادي، فرأيت رجلاً جالساً حَجَرَةً وحده فقصدته، فإذا هو المجنون جالسٌ وحده يبكي فوعظته وكلمته طويلاً وهو ساكتٌ لم يرفع رأسه إِلَيَّ، ثم أنشدني بصوت حزين لا أنساه أبداً وحُرَقَتِه:

صوت

جَرَى السَّيْلُ فَاسْتَبَكَانِي السَّيْلُ إِذْ جَرَى وَفَاضَتْ لَهُ مِنْ مُقْلَتَيَّ غُرُوبٌ^(٢)
وَمَا ذَاكَ إِلَّا حِينَ أَيْقَنْتُ أَنَّهُ يَكُونُ بِوَادٍ أَنْتِ مِنْهُ قَرِيبُ
يَكُونُ أَجَاجًا^(٣) دُونَكُمْ فَلِذَا انْتَهَى إِلَيْكُمْ تَلْقَى طَيْبَكُمْ فَيَطِيبُ

(١) والقَطَا: طائر معروف، سمي بذلك لِثِقَلِ مَشْيِهِ، واحِدَتُهُ قَطَاةٌ، والجمع قَطَوَاتٌ وَقَطِيَّاتٌ، ومشيها الأَقْطِيطَاءُ. تقول: اقْطَوَطَتِ القَطَاةُ تَقْطُوطِي، وأما قَطَطَتْ تَقْطُطُو فبعض يقول من مشيها، وبعض يقول من صوتها، وبعض يقول صوتها القَطْطَقَةُ.

(٢) الغروب: الدموع، ويقال: سالت غروبه وهي الدموع حين تخرج.

(٣) أجاج: يقال: «ماءٌ أَجَاجٌ» بالضَمِّ، أي «مِلْحٌ»، وقيل: مُرٌّ، وقيل: شَدِيدُ المَرَارَةِ، وقيل: الأَجَاجُ: =

أَظْلُ غَرِيبَ الدَّارِ فِي أَرْضِ عَامِرٍ أَلَا كُلُّ مَهْجُورٍ هُنَاكَ غَرِيبٌ
وَإِنَّ الْكَثِيبَ الْفَرْدَ مِنْ أَيْمَنِ الْحِمَى إِلَيَّ وَإِنْ لَمْ آتِهِ لَحَبِيبٌ
فَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزُرْ حَبِيباً وَلَمْ يَطْرَبْ إِلَيْكَ حَبِيبٌ
[الطويل]

وأول هذه القصيدة - وفيه أيضاً غناء - :

صوت

أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتُ الَّذِي لَا أَزُورُهُ وَهُجْرَانُهُ مِنِّي إِلَيْكَ ذُنُوبٌ
هَجَرْتُكَ مُشْتاقاً وَزُرْتُكَ خَائِفاً وَفِيكَ عَلَيَّ الدَّهْرَ مِنْكَ رَقِيبٌ
سَأَسْتَعِطِفُ الْأَيَّامَ فِيكَ لَعَلَّهَا بِيَوْمِ سُرُورٍ فِي هَوَاكَ تُثِيبُ
[الطويل]

هذه الأبيات في شعر محمد بن أمية^(١) مَرْوِيَّةٌ، وَرُوِيَتْ هَا هُنَا لِلْمَجْنُونِ [في هذه القصيدة]. وفيها لعَرِيبٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ. ولعبد الله بن العباس ثاني ثَقِيلٍ. ولأحمد بن المكي خَفِيفٌ ثَقِيلٌ.

وَأَفْرِدْتُ^(٢) إِفْرَادَ الطَّرِيدِ وَبَاعَدْتُ إِلَى النَّفْسِ حَاجَاتٍ وَهَنَّ قَرِيبٌ
لِئِنْ حَالَ يَأْسٌ دُونَ لَيْلَى لَرُبَّمَا أَتَى الْيَأْسُ دُونَ الْأَمْرِ فَهُوَ عَصِيبٌ
وَمَنْئِيَّتَنِي حَتَّى إِذَا مَا رَأَيْتَنِي عَلَى شَرْفٍ لِلنَّازِلِينَ يُرِيبُ
صَدَدَتْ وَأَشْمَتَ الْعَدُوُّ بِصَرْمِنَا أَتَابِكَ يَا لَيْلَى الْجَزَاءُ مُثِيبٌ
[الطويل]

[لِقَاؤُهُ لَيْلَى فِي تَوْحُّشِهِ]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعِي قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَا الْغَلَابِيُّ قال: حَدَّثَنَا مَهْدِيٌّ بْنُ سَابِقٍ قال: حَدَّثَنَا بَعْضُ مَشَايِخِ بَنِي عَامِرٍ أَنَّ الْمَجْنُونِ مَرَّ فِي تَوْحُّشِهِ فِصَادِفَ حَيٍّ لَيْلَى رَاحِلاً وَلَقِيَهَا فَجَاءَتْ فَعَرَفَهَا وَعَرَفَتْهُ فَصُعِقَ وَخَرَّ مَغْشِياً عَلَى وَجْهِهِ،

= الشَّدِيدُ الْحَرَارَةِ، وَكَذَلِكَ الْجَمْعُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهَذَا يَلْحُجُّ أَجَاجٌ﴾ وَهُوَ الشَّدِيدُ الْمُلُوحَةِ وَالْمَرَارَةِ، مِثْلُ مَاءِ الْبَحْرِ.

(١) مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ. مِنَ الْكِتَابِ الظَّرْفَاءِ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ وَأَدْرَكَ الْمَعْتَصِمَ. وَكَانَ مِنْ نَدَمَاءِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَبِمَجْلِسِهِ اتَّصَلَ بِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ وَأَنْشَدَهُ شِعْرَهُ.

(٢) فَرْدٌ: أَبْعَدُ، وَيُقَالُ طَبِيَّةٌ فَارِدٌ: مُنْقَطَعَةٌ عَنِ الْقَطِيعِ. وَهُوَ فَارِدٌ بِهَذَا الْأَمْرِ أَيَّ مُنْفَرِدٌ بِهِ.

وأقبل فتیان من حیّ لیلی فأخذوه ومسحوا التراب عن وجهه، وأسندوه إلى صدورهم وسألوا لیلی أن تقف له وقفةً، فرقت لِمَا رآته به، وقالت: أمّا هذا فلا يجوز أن أفتضح به، ولكن يا فلانة - لأمة لها - اذهبي إلى قيس فقولی له: لیلی تقرأ عليك السلام، وتقول لك: أعز عليّ بما أنت فيه، ولو وجدت سبيلاً إلى شفاء دائك لوقيتك بنفسي منه، فمضت الوليدة إليه وأخبرته بقولها، فأفاق وجلس وقال: أبلغها السلام وقولي لها: هيهات! إن دائي ودوائي أنت، وإن حياتي ووفاتي لفي يديك، ولقد وكلت بي شقاء لازماً وبلاءً طويلاً. ثم بكى وأنشأ يقول:

أَقُولُ لِأَصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْءُهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدُ
لَقَدْ عَارَضْتَنَا الرِّيحُ مِنْهَا بِنَفْحَةٍ عَلَى كَيْدِي مِنْ طَيْبِ أُرْوَاحِهَا بَرْدُ
فَمَا زِلْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ وَقَدْ مَضَتْ أَنَاةٌ^(١) وَمَا عِنْدِي جَوَابٌ وَلَا رَدُّ
أَقْلُبُ بِالْأَيْدِي وَأَهْلِي بِعَوْلَةٍ^(٢) يُفْدُونَنِي لَوْ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْدُوا
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْجِلْدُ وَالْعَظْمُ عَارِيًّا وَلَا عَظْمَ لِي إِنْ دَامَ مَا بِي وَلَا جِلْدُ
أُذْنَيَّ مَا لِي فِي انْقِطَاعِي وَغُرْبَتِي إِلَيْكَ ثَوَابٌ مِنْكَ دَيْنٌ وَلَا نَقْدُ
عِدْنِي - بِنَفْسِي أَنْتَ - وَعَدًا قَرُبًا جَلَا كُرْبَةَ الْمَكْرُوبِ عَنْ قَلْبِهِ الْوَعْدُ
وَقَدْ يُبْتَلَى قَوْمٌ وَلَا كَبَلِيَّتِي وَلَا مِثْلَ جَدِّي^(٣) فِي الشَّقَاءِ بِكُمْ جَدُّ
عَزَتْنِي جُنُودُ الْحُبِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِذَا حَانَ مِنْ جُنْدٍ قُفُولٌ^(٤) أَتَى جُنْدُ

[الطويل]

وقال أبو نصر أحمد بن حاتم: كان أبو عمرو المدني يقول: قال نُوْفَلُ بن مُسَاحِقٍ: أَخْبِرْتُ عَنِ الْمَجْنُونِ أَنْ سَبَبَ تَوَحُّشِهِ أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا بِضَرِيَّةٍ جَالِسًا وَحْدَهُ إِذْ نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ الْجَبَلِ:

كَلَانَا يَا أَخِي يُحِبُّ لَيْلَى بَفِيَّ وَفِيكَ وَمَنْ لَيْلَى التَّرَابُ
لَقَدْ خَبَلْتُ فَوَادِكَ ثُمَّ ثَنَيْتُ بِقَلْبِي فَهُوَ مَهْمُومٌ مُصَابُ
شَرِكْتُكَ فِي هَوَى مِنْ لَيْسَ تُبْدِي لَنَا الْأَيَّامَ مِنْهُ سِوَى اجْتِنَابُ

[الوافر]

(١) أناة: انتظار، ويقال: استأنى في الطعام: انتظر إدراكه.

(٢) العولة كالعول: رفع الصوت بالبكاء.

(٣) الجد بالفتح: الحظ والنصيب.

(٤) قفل: رجوع من السفر فهو قافلٌ، وقيل: القُفُول: رجوع الجند بعد الغزو.

[خبر نوفل بن مساحق مع المجنون]

قال: فتنفّس الصُّعداءُ وُعْشِيَ عليه، وكان هذا سببَ توحّشه فلم يُرْ له أثرٌ حتى وجده نوفلُ بن مُسَاحِقٍ. قال نوفل: قدِمْتُ الباديةَ فسألتُ عنه، فقبل لي: توحّش وما لنا به عهدٌ ولا ندري إلى أين صار، فخرجتُ يوماً أتصيّدُ الأروى^(١)، ومعِي جماعةٌ من أصحابي، حتى إذا كُنْتُ بناحية الحمى إذا نحن بأراكة^(٢) عظيمةٍ قد بدا منها فُطَيْعٌ من الأطباء، فيها شخصٌ إنسانٍ يرى من خَلَلِ تلك الأراكة، فعَجِبَ أصحابي من ذلك، فعرفته وأتيته وعرفتُ أنه المجنون الذي أُخْبِرْتُ عنه، فنزلتُ عن دابتي وتخفّفتُ^(٣) من ثيابي وخرجتُ أمشي زويداً حتى أتيت الأراكة فارتقيت حتى صرْتُ على أعلاها وأشرفتُ عليه وعلى الأطباء؛ فإذا به وقد تدلى الشَّعْرُ على وجهه، فلم أكد أعرفه إلا بتأمّلٍ شديدٍ، وهو يرتعي في ثمر تلك الأراكة، فرفع رأسه فتمثّلتُ بيتٍ من شعره:

أَتَبْكِي عَلَى لَيْلَى وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَاكَ مِنْ لَيْلَى وَشُعْبَاكُمَا مَعَا
[الطويل]

قال: فنَفَرَتِ الأطباءُ، واندفع في باقي القصيدة يُنْشِدُهَا، فما أنسى حُسْنَ نَعْمَتِهِ وحسنَ صوته وهو يقول:

فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمَرَ طَائِعاً وَتَجَزَعَ^(٤) أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا
بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا^(٥) عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلْتَا^(٦) مَعَا
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى^(٧) ثُمَّ أَنْثَنِي عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنَيْكَ تَدَمَّعَا
مَعِي كُلُّ غِرٍّ قَدْ عَصَى عَاذِلَاتِهِ بِوَصْلِ الْعَوَانِي مِنْ لَدُنْ أَنْ تَرَعَرَّعَا
إِذَا رَاحَ يَمْشِي فِي الرِّدَائِينَ أَسْرَعَتْ إِلَيْهِ الْعُيُونُ النَّاضِرَاتُ التَّطَلُّعَا
[الطويل]

قال: ثم سقط مغشياً عليه، فتمثّلت بقوله:

يَا دَارَ لَيْلَى بِسِقْطِ الْحَيِّ قَدْ دَرَسَتْ إِلَّا الثُّمَامَ وَإِلَّا مَوْقِدَ النَّارِ

(١) الأروى جمع أروية: نوعٌ من الحيوانات، وهو نوعٌ من الوعول وهي تيوس الجبل.

(٢) الأراكة: نوعٌ من الشجر ينبت في الغور، وهو شجر كثير الورق والأغصان، تتخذ منه المساويك.

(٣) تخففت من ثيابي: نزعاً شيئاً منها. (٤) تجزّع الشيء: تقطع وتفرق.

(٥) زجر: زجرته فانزجر أي نهيته.

(٦) السبّل: داءٌ في العين شبه غشاوة كأنها نسج العنكبوت بعروق حُمْر.

(٧) الحمى: شدة الأذى.

مَا تَفْتَأُ الدَّهْرَ مِنْ لَيْلَى تَمُوتُ كَذَا فِي مَوْقِفٍ وَقَفْتَهُ أَوْ عَلَى دَارِ
أَبْلَى عِظَامِكَ بَعْدَ اللَّحْمِ ذِكْرُكَهَا كَمَا يُنَحُّتُ قِدَحَ الشَّوْحِطِ الْبَارِي
[البسيط]

فرفع رأسه إليّ وقال: من أنت حيّاك الله؟ فقلت: أنا نوفل بن مُساحق، فحيّاني
فقلت له: ما أحدثت بعدي في يأسِكَ منها؟ فأنشدني يقول:

أَلَا حُجِبَتْ لَيْلَى وَآلَى أَمِيرُهَا عَلَيَّ يَمِينًا جَاهِدًا لَا أَزُورُهَا
وَأَوْعَدَنِي فِيهَا رِجَالُ أَبَوَاهُمْ أَبِي وَأَبُوهَا خُشْنَتْ لِي صُدُورُهَا
عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبُّهَا وَأَنْ فُؤَادِي رَهْنُهَا وَأَسِيرُهَا
[الطويل]

قال: ثم سَنَحْتُ له ظباء، فقام يعدو في أثرها حتى لحقها فمضى معها.
حدّثني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني علي بن
الصَّبَّاح عن ابن الكلبي قال: لما قال مجنون بني عامر:

قَضَاهَا لِغَيْرِي وَابْتَلَانِي بِحُبِّهَا فَهَلَا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلَى ابْتِلَانِيَا
[الطويل]

نُودِي فِي اللَّيْلِ: أَنْتَ الْمَتَسَخِّطُ لِقَضَاءِ اللَّهِ وَالْمَعْتَرِضُ فِي أَحْكَامِهِ! وَاخْتَلَسَ
عَقْلُهُ فَتَوَخَّشَ مِنْذُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَذَهَبَ مَعَ الْوَحْشِ عَلَى وَجْهِهِ. وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ الَّتِي قَالَ
فِيهَا هَذَا الْبَيْتَ مِنْ أَشْهَرِ أَشْعَارِهِ، وَالصَّوْتُ الْمَذْكُورُ بِذِكْرِهِ أَخْبَارُ الْمَجْنُونِ هَا هُنَا
مِنْهَا. وَفِيهَا أَيْضاً عِدَّةُ أَبْيَاتٍ يُعْنَى فِيهَا، فَمِنْ ذَلِكَ:

صوت

[قصديته الياثية]

أَعْدُ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ وَقَدْ عَشْتُ دَهْرًا لَا أَعْدُ اللَّيَالِيَا
أَرَانِي إِذَا صَلَّيْتُ يَمَمْتُ نَحْوَهَا بِوَجْهِهِ وَإِنْ كَانَ الْمُصَلِّي وَرَائِيَا
وَمَا بِي إِشْرَاكَ وَلَكِنْ حُبُّهَا كَعُودِ الشَّجَا أَعْيَا الطَّبِيبِ الْمُدَاوِيَا
أَحِبُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ أَسْمَاهَا وَأَشَبَّهُهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مُدَانِيَا
[الطويل]

في هذه الأبيات هَزَجٌ خَفِيفٌ لِمَعَانٍ مَعْرِفِي:

صوت

وَحَبَّرْتُ مَانِي أَنْ تَيْمَاءَ مَنْزِلٍ لَيْلِي إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَرَايَا
فَهَذِي شُهُورُ الصَّيْفِ عَنَّا قَدْ انْقَضَتْ فَمَا لِلنَّوَى تَرْمِي بِلَيْلِي الْمَرَامِيَا
[الطويل]

في هذين البيتين لحنٌ من الرمل صنعته عَجُوزُ عُمَيْرِ الباذغيسي^(١) على لحن إسحاق:

أماويٌّ إِنَّ الْمَالَ غَادٍ وَرَائِحُ

ولهُ حديثٌ قد ذُكِرَ في أخبارِ إسحاق . وهذا اللحن إلى الآن يُغَنَّى ، لأنه أشهرُ في أيدي الناس ، وإنما هو لحن إسحاق أَخَذَ فَجَعَلَ على هذه الأبيات وكيد بذلك :

صوت

فَلَوْ كَانَ وَاشٍ بِالْيَمَامَةِ دَارُهُ وَدَارِي بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ أَهْتَدَى لِيَا
وَمَا ذَا لَهُمْ - لَا أَحْسَنَ اللَّهَ حِفْظَهُمْ - مِنْ الْحَظِّ فِي تَصْرِيمِ لَيْلَى حِبَالِيَا
فَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شِئْتَ أَشْقَيْتِ عَيْشَتِي وَإِنْ شِئْتَ بَعْدَ اللَّهِ أَنْعَمْتَ بِأَلِيَا
وَأَنْتِ الَّتِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا عِدَا يَرَى نَضْوَ^(٢) مَا أَبْقَيْتِ إِلَّا رَثَى لِيَا
أَمْضُورِبَةً لَيْلَى عَلَى أَنْ أَزُورَهَا وَمُتَّخِذُ ذَنْبًا لَهَا أَنْ تَرَانِيَا
إِذَا سِرْتُ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءِ رَأَيْتُنِي أَصَانِعُ رَحْلِي أَنْ يَمِيلَ حِيَالِيَا
يَمِينًا إِذَا كَانَتْ يَمِينًا وَإِنْ تَكُنْ شِمَالًا يُنَازِعُنِي الْهَوَى عَنْ شِمَالِيَا
أَحِبُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ أَسْمَهَا وَأَشَبَّهُهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مُدَانِيَا
هِيَ السَّحَرُ إِلَّا أَنْ لِّلْسَحْرِ رُقِيَّةً وَإِنِّي لَا أَلْفِي لَهَا الدَّهْرَ رَاقِيَا
[الطويل]

وأنشد أبو نصر للمجنون وفيه غناء :

(١) باذغيس: في خراسان، من بوشنج إلى باذغيس ثلاث مراحل، افتتحها عبد الرحمن بن سمرة في أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

(٢) النضو: المهزول.

صوت

تَكَادُ يَدَيَّ تَنْدِي إِذَا مَا لَمَسْتُهَا وَيَنْبُتُ فِي أَطْرَافِهَا الْوَرْقُ الْخَضِرُ
أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا حُبَّهَا عَامِرِيَّةً لَهَا كُنْيَةٌ عَمَرُو وَلَيْسَ لَهَا عَمَرُو
[الطويل]

الغناء لعريب ثقیلٌ أوّل، وذكر الهشامي أن فيه لإسحاق خفيفٌ ثقیل.

[رثاؤه لأبيه]

أخبرني محمد بن مَزِيدَ بن أَبِي الأزهر قال: حَدَّثَنَا حماد بن إِسْحَاقَ عن أبيه
عن الهَيْثَمِ بنِ عَدِيٍّ قال: أَنشدني جماعةٌ من بني عُقَيْلٍ للمجنون يرثي أباه، ومات قبل
اختلاطه وتوحّشه، فعقر على قبره ورثاه بهذه الأبيات:

عَقَرْتُ^(١) عَلَى قَبْرِ الْمُلُوحِ نَاقَتِي بِذِي السَّرْحِ لَمَّا أَنْ جَفْتُهُ أَقَارِبُهُ
فَقُلْتُ لَهَا كُونِي عَقِيرًا فَإِنِّي غَدَاةٌ غَدٍ مَاشٍ وَبِالْأَمْسِ رَاكِبُهُ
فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا ابْنَ مُزَاحِمٍ فَكُلْ أَمْرِي لِلْمَوْتِ لَا بُدَّ شَارِبُهُ
فَقَدْ كُنْتَ طَلَعَ النَّجَادِ وَمُعْطِي الدِّ جِيَادٍ وَسَيْفًا لَا تُفَلُّ مَضَارِبُهُ
[الطويل]

[موعظة]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال: حَدَّثَنَا عبد الله بن شَيْبٍ عن الْحِزَامِيِّ عن
محمد بن مَعْنٍ قال: بلغني أَنَّ رجلاً من بني جعدة بن كعب كان أَخًا وَخَلًّا للمجنون،
مرَّ به يوماً وهو جَالِسٌ يَخْطُ فِي الْأَرْضِ وَيَعْبَثُ بِالْحَصَى، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَجَلَسَ عِنْدَهُ،
فَأَقْبَلَ يَخَاطِبُهُ وَيَعْظُهُ وَيُسَلِّيهِ، وهو يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَلْعَبُ بِيَدِهِ كَمَا كَانَ وَهُوَ مُفَكِّرٌ قَدْ غَمَرَهُ
مَا هُوَ فِيهِ، فَلَمَّا طَالَ خُطَابُهُ إِيَّاهُ قَالَ: يَا أَخِي، أَمَا لِكَلَامِي جَوَابٌ؟ فَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ يَا
أَخِي مَا عَلِمْتُ أَنَّكَ تُكَلِّمُنِي فَأَعِذْنِي، فَإِنِّي كَمَا تَرَى مَذْهُوبٌ الْعَقْلُ مُشْتَرِكُ اللَّبِّ
وَبِكِي، ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ:

صوت

وَشَغِلْتُ عَنْ فَهْمِ الْحَدِيثِ سِوَى مَا كَانَ مِنْكَ فَإِنَّهُ شُغْلِي

(١) عقر: كان العرب إذا أَرَادُوا نَحَرَ البعير عَقَرُوهُ أَي قطعوا إحدى قوائمه ثم نَحَرُوهُ، يُفَعْلُ ذَلِكَ بِهِ
كَثِيلًا يَشْرُدُ عِنْدَ النَّحْرِ.

وَأَدِيمُ لِحِطِّ مُحَدَّثِي لِيَرَى أَنْ قَدْ فَهِمْتُ وَعِنْدَكُمْ عَقْلِي
[الكامل]

[شعره في حمام يتجاوب]

الغناء لِعَلَّوِيَه . وقال الهيثم : مرَّ المجنون بوادٍ في أيام الربيع وحمامه يتجاوب
فأنشأ يقول :

صوت

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ مَا لَكَ بِأَكِيَا أَفَارَقْتَ إِيَّامَ جَفَاكَ حَبِيبُ
دَعَاكَ الْهَوَى وَالشَّوْقُ لَمَّا تَرَنَّيْتُمْ هَتَفُ^(١) الضُّحَى بَيْنَ الْغُصُونِ طَرُوبُ
تُجَاوِبُ وَرَقًا قَدْ أَذِنَ^(٢) لِصَوْتِهَا فَكُلُّ لِكُلِّ مُسْعِدٍ^(٣) وَمُجِيبُ
[الطويل]

الغناء لرذاذ ثقیل أول مطلق في مجرى الوسطى .

[اختلاف المجنون إلى ليلي عند غياب زوجها]

وقال خالد بن حمله : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّ زَوْجَ لَيْلَى وَأَبَاهَا خَرَجَا فِي
أَمْرِ طَرَقَ الْحَيَّ إِلَى مَكَّةَ ، فَأَرْسَلَتْ لَيْلَى بِأَمَةٍ لَهَا إِلَى الْمَجْنُونِ فَدَعَتْهُ فَأَقَامَ عِنْدَهَا لَيْلَةً
فَأَخْرَجَتْهُ فِي السَّحَرِ ، وَقَالَتْ لَهُ : سِرْ إِلَيَّ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مَا دَامَ الْقَوْمُ سَفَرًا ، فَكَانَ يَخْتَلِفُ
إِلَيْهَا حَتَّى قَدِمُوا . وَقَالَ فِيهَا فِي آخِرِ لَيْلَةٍ لَقِيَهَا وَودَّعته :

تَمَتَّعَ بِلَيْلَى إِنَّمَا أَنْتَ هَامَةٌ^(٤) مِنْ الْهَامِ يَدْنُو كُلَّ يَوْمٍ حِمَامُهَا

(١) الْهَتَفُ : الصَّوْتُ الشَّدِيدُ . هَتَفَ يَهْتِفُ هَتْفًا ، وَهَتَفَتِ الْحَمَامَةُ : نَاحَتْ ، قَالَ :

أِنْ هَتَفَتْ وَرَقَاءُ ظَلَّتْ سَفَاهَةً تُبْكِي عَلَى جُمْلٍ لَوَزَقَاءَ تَهْتِفُ

(٢) أَذِنَ : اسْتَمَعَ وَأَصْغَى .

(٣) يَقَالُ : أَسْعَدَتِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ ، إِذَا سَاعَدَتْهَا فِي النِّبَاحَةِ .

(٤) الْهَامَةُ : رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ ؛ عَنْ اللَّيْثِ ؛ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : أَرَادَ اللَّيْثُ بِالرُّوحَانِيِّينَ ذَوِي
الْأَجْسَامِ الْقَائِمَةِ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْأَزْوَاجِ ؛ وَقَالَ ابْنُ شَمِيلٍ : الرُّوحَانِيُّونَ هُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالْجِنُّ
الَّتِي لَيْسَ لَهَا أَجْسَامٌ تُرَى ، قَالَ : وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَنَا . الْجَوْهَرِيُّ : الْهَامَةُ الرَّأْسُ ،
وَالْجَمْعُ هَامٌ ، وَقِيلَ : الْهَامَةُ مَا بَيْنَ حَرْفَيْ الرَّأْسِ ، وَقِيلَ : هِيَ وَسْطُ الرَّأْسِ وَمُعْظَمُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ،
وَقِيلَ : مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ خَاصَّةً . أَبُو زَيْدٍ : الْهَامَةُ أَعْلَى الرَّأْسِ وَفِيهِ النَّاصِيَةُ وَالْقَصَّةُ ، وَهَمَا مَا أَقْبَلَ
عَلَى الْجَبْهَةِ مِنْ شَعْرِ الرَّأْسِ ، وَفِيهِ الْمَفْرَقُ ، وَهُوَ فَرْقُ الرَّأْسِ بَيْنَ الْجَبِينَيْنِ إِلَى الدَّائِرَةِ ، وَكَانَتْ
الْعَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّ رُوحَ الْقَتِيلِ الَّذِي لَمْ يُدْرَكَ بِثَأْرِهِ تَصِيرُ هَامَةً فَتَرْقُو عَنْدَ قَبْرِهِ ، تَقُولُ : اسْقُونِي
اسْقُونِي ، فَإِذَا أُدْرِكَ بِثَأْرِهِ طَارَتْ .

تمتّع إلى أن يرجع الرّكب إنّهـم متى يرجعوا يحرم عليك كلامها
[الطويل]

[عندما مرض المجنون]

وقال الهيثم: مرّض المجنون قبل أن يختلط فعاده قومُه ونساؤهم ولم تعدّه ليلي
فيمن عاده، فقال:

صوت

ألا ما ليلي لا تُرى عند مضجعي
بلى إن عجم الطير تجري إذا جرت
بليلى ولا يجري بها لي طائر
أحالت عن العهد الذي كان بيننا
بليلى ولكن ليس للطير زاجر
بذي الرمث^(١) أم قد غيّبتها المقابر
[الطويل]

الغناء لسليم ثاني ثقل بالوسطى عن الهشامي .

فوالله ما في القرب لي منك راحة
ووالله ما أدري بأية حيلة
ولا الله إن الدهر في ذات بيننا
فلو كنت إذ أزمعت^(٢) هجري تركتني
ولكن أيامي بحقل عنيزة^(٣)
فقد أصبح الوُد الذي كان بيننا
لعمري لقد أزهقت يا أم مالك
ولا البعد يسليني ولا أنا صابر
وأي مرام أو خطار أخاطر
علي لها في كل أمر لجائر
جميع القوى والعقل مني وافر
وذو الرمث أيام جناها التجاور
أمانني نفس إن تحبّر خابر
حياتي وسأقتني إليك المقادر
[الطويل]

[ليلي والظبي]

أخبرني عمي قال: حدّثني محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالحنبل عن
عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال: حدّثني بعض بني عُقيل قال: قيل
للمجنون: أي شيء رأيته أحب إليك؟ قال: ليلي، قيل: دُع ليلي فقد عرفنا ما لها

(١) ذو الرمث: وادٍ لبني أسد، والرمث: شجر يشبه الغضا لا يطول وينسط ورقة .

(٢) أزمع: عزم. وأزمعوا على كذا إذا ثبت عليه عزيمة القوم أن يمضوا فيه لا محالة .

(٣) عنيزة: بقعة ينتهي إليها الماء .

عندك ولكن سواها، قال: واللّه ما أعجيني شيء قطّ فدُكرتُ ليلي إلا سقط من عيني وأذهب ذكرها بشاشته عندي، غير أنني رأيتُ ظبياً مرّةً فتأملته وذكّرتُ ليلي فجعل يزداد في عيني حسناً، ثم إنه عارضه ذئبٌ وهرب منه فتبعته حتى خفياً عنّي فوجدتُ الذئب قد صرعه وأكل بعضه، فرميته بسهم فما أخطأتُ مقتله، وبقرتُ بطنه فأخرجتُ ما أكل منه، ثم جمعته إلى بقية شلوه^(١)، ودفتته، وأحرقتُ الذئب، وقلتُ في ذلك:

أَبَى اللّهُ أَنْ تَبْقَى لِحَيِّ بِشَاشَةٍ فَصَبْرًا عَلَى مَا شَاءَ اللّهُ لِي صَبْرًا
رَأَيْتُ غَزَالًا يَرْتَعِي وَسْطَ رَوْضَةٍ فَقُلْتُ أَرَى لَيْلَى تَرَاءَتْ لَنَا ظُهْرًا
فَيَا ظَبِي كُلْ رَغْدًا هَنِيئًا وَلَا تَخَفْ فَإِنَّكَ لِي جَارٌ وَلَا تَرْهَبِ الدَّهْرًا
وَعِنْدِي لَكُمْ حِصْنٌ حَصِينٌ وَصَارِمٌ حُسَامٌ إِذَا أَعْمَلْتُهُ أَحْسَنَ الْهَبْرَا^(٢)
فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَذَيْبٌ قَدْ انْتَحَى^(٣) فَأَعْلَقَ فِي أَحْشَائِهِ النَّابَ وَالْظُّفْرَا
فَفَوَّقْتُ^(٤) سَهْمِي فِي كَتُومٍ^(٥) غَمَزْتُهَا فَخَالَطَ سَهْمِي مُهْجَةَ الذَّئْبِ وَالنَّحْرَا
فَأَذْهَبَ غَيْظِي قَتْلَهُ وَشَفَى جَوَى بِقَلْبِي إِنَّ الْحُرَّ قَدْ يُدْرِكُ الْوَتْرَا
[الطويل]

[شعره وقد بلغه أن زوج ليلي سبه]

قال أبو نصر: بلغ المجنون قبل توحشه أن زوج ليلي ذكره وعرضه^(٦) وسبه وقال: أَوْ بَلَغَ مِنْ قَدْرِ قَيْسِ بْنِ الْمَلُوحِ أَنْ يَدَّعِي مُحَبَّةَ لَيْلَى وَيُنَوِّهَ بِاسْمِهَا! فَقَالَ لِيَغِيْظَهُ بِذَلِكَ:

فَإِنْ كَانَ فِيكُمْ بَعْلٌ لَيْلَى فَإِنِّي وَذِي الْعَرْشِ قَدْ قَبَّلْتُ فَاها ثَمَانِيَا
وَأَشْهَدُ عِنْدَ اللّهِ أَنِّي رَأَيْتُهَا وَعِشْرُونَ مِنْهَا إِصْبَعًا مِنْ وَرَائِيَا

(١) الشلو: الجسد من كل شيء، ويطلق على العضو من أعضاء اللحم.

(٢) الهبر: القطع في اللحم، قال:

تَجِدُ مُهْرَةً مِثْلَ الْقَنَاةِ قَوِيْمَةً وَعَضْبًا إِذَا مَا هُزِّلَ يَرْضَ بِالْهَبْرِ
وَالْهَبْرَةُ: نَحْضَةٌ مِنَ اللَّحْمِ لَا عَظْمَ فِيهَا.

(٣) انتحى: اعترض. وَأَنْحَيْتُ عَلَيْهِ ضَرْبًا أَيْ: أَقْبَلْتُ. وَكَلَّ مِنْ جَدِّ فِي أَمْرِ انْتَحَى فِيهِ كَالْفَرَسِ يَنْتَحِي فِي عَدْوِهِ.

(٤) فوقت: سددت.

(٥) الكتوم: القوس التي لا صدع فيها ولا عيب.

(٦) العرضة: الإفك والبُهتان والقول الزور. وَأَعْرَضْتُ إِعْضَاهَا أَيْ أَتَيْتُ بِمُنْكَرٍ. وَعَرَضْتُ فَلَانًا عَرْضًا، وَهُوَ أَيْضًا مِنْ كَلَامِ الْكُهْنَةِ وَأَهْلِ السَّحْرِ.

أَلَيْسَ مِنَ الْبَلَوَى الَّتِي لَا شَوَى ^(١) لَهَا بِأَنْ زُوِّجَتْ كَلْباً وَمَا بُذِلَتْ لِيَا
[الطويل]

[عفا الله عن ليلي]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال: حدّثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال: خرج المجنون في عدّة من قومه يريدون سَفراً لهم، فمروا في طريق يتشعّب وجهتين: إحداهما ينزلها رهط ليلي وفيها زيادة مرحلة، فسألهم أن يعدّلوا معه إلى تلك الوجهة فأبوا، فمضى وحده وقال:

صوت

أَتْرُكُ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَوَى لَيْلَةٍ إِنِّي إِذَا لَصَبُورُ
هَبُونِي أَمراً مِنْكُمْ أَضِلُّ بَعِيرَهُ لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الذَّمَّامَ كَبِيرُ
وَلِلصَّاحِبِ الْمَتْرُوكِ أَعْظَمُ حُرْمَةً عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَضِلَّ بَعِيرُ
عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلَى الْعُدَاةَ فَإِنَّهَا إِذَا وَلِيَتْ حُكماً عَلَيَّ تَجُورُ
[الطويل]

الغناء لابن سريج خفيف رمل بالوسطى [عن عمرو وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى] عن حبش، وفيه لابن المارقى خفيف ثقيل عن الهشامي، وفيه لعلويه رمل بالبُصر.

[حمامة السرح]

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه: أَنَّ المجنونَ كان ذات ليلة جالساً مع أصحاب له من بني عمه وهو وَلَهُ يَتَلَطَّى ^(٢) وَيَتَمَلَّمُ يعظونه ويحادثونه، حتى هتفت حمامة من سرحه ^(٣) كانت بإزائهم، فوثب قائماً وقال:

(١) الشوى: البقيا. قال:

فإن من القول التي لا شوى لها إذا زل عن ظهر اللسان انفلاؤها والشوى: الشيء الحقير الهين. وقوله تعالى: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾، هي النار التي تنتزع الأيدي، والأرجل: وتبقى الأنفس في الأغلال، لا حية، ولا ميتة. . والشوي: جماعة شاة. وفي لغة شيه، قال الضرير: شياه فلان ولا أعرف شيه فلان.

(٢) اللطى: هو اللهب الخالص، ويقال: تلطى التهب واشتعل بالحب.

(٣) السرحة: واحدة السرح، وهو كل شجر لا شوك فيه، وقيل: كل شجر طال.

صوت

لقد عَرَدَتْ في جنح ليل حمامةً على إلفها تبكي وإنني لنائم
كذبتُ وبيتَ الله لو كنتُ عاشقاً لما سبقتني بالبكاء الحمائمُ
[الطويل]

ثم بكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه، فما أفاق حتى حميت الشمس عليه
من غدٍ. الغناء في هذين البيتين لعبد الله بن دحمان ثقیلاً أول مطلق في مجرى
الوسطى.

[في رمل يبرين]

وذكر أبو نصر عن أصحابه أن رجلاً مرّ بالمجنون وهو برمل يبرين^(١) يُخَطِّطُ
فيه، فوقف عليه مُتَعَجِّباً منه، وكان لا يعرفه، فقال له: ما بك يا أخي؟ فرفع رأسه إليه
وأنشأ يقول:

بَيَ الْيَأْسِ وَالِدَاءِ الْهُيَامُ أَصَابَنِي فَإِيَاكَ عَنِّي لَا يَكُنْ بِكَ مَا بِيَا
كَأَنَّ جَفَوْنَ الْعَيْنِ تَهْمِي^(٢) دُمُوعُهَا عَدَاةَ رَأَتْ أَظْعَانَ^(٣) لَيْلَى عَوَادِيَا
غُرُوبُ أَمَرَتْهَا نَوَاضِحُ بُزْلٍ مُعَلَّقَةٌ تُرَوِي نَخِيلاً صَوَادِيَا^(٤)
[الطويل]

[اليமானيون الذين أهاجوا أشواقه]

قال خالد بن جمل: ذكر حمادُ الراوية أن نفراً من أهل اليمن مروا بالمجنون،
فوقفوا ينظرون إليه فأنشأ يقول:

- (١) رمل يبرين: قرية كثيرة النخل والعيون العذبة، بينها وبين الأحساء مرحلتان.
- (٢) هَمَتِ النَّاقَةُ تَهْمِي إِذَا نَدَّتْ لِلرَّعِي وَغَيْرِهِ. وفي الحديث: «إِنَّا نُصِيبُ هَوَامِي الْإِبِلِ» وهي المهمة التي لا حافظ لها. يقال: ناقَةٌ هَامِيَّةٌ، وبعيرٌ هامٍ، وقد هَمَى يَهْمِي هَمِيّاً. والخَيْلُ تَهْمِي أَفْوَاهُهَا دماً، أي: تسيل دماؤها.
- (٣) الأظعان: جمع طعينة، وهي الجمل يطعن عليه.
- (٤) الغروب: جمع غرب وهو الدلو الكبير. وأمرتها: جعلتها تمرّ وتذهب. النَّضِيجُ: الحَوْضُ لَأَنَّهُ يَنْضَحُ الْعَطَشُ أَيَّ يَبُلُّهُ. وقيل: هما الحَوْضُ الصَّغِيرُ، والجمع أَنْضَاخٌ وَنَضُجٌ. وقال اللَّيْثُ: النَّضِيجُ مِنَ الْحِيَاضِ: مَا قَرُبَ مِنَ الْبِئْرِ حَتَّى يَكُونَ الْإِفْرَاقُ فِيهِ مِنَ الدَّلْوِ، وَيَكُونُ عَظِيماً، وَهُوَ مَجَازٌ. وَالنَّاضِحُ: الْبَعِيرُ أَوْ الْحِمَارُ أَوْ الثَّوْرُ الَّذِي يُسْتَقَى عَلَيْهِ الْمَاءُ، وَهُوَ نَاضِحَةٌ وَسَانِيَّةٌ، وَالْجَمْعُ نَوَاضِحٌ، وَهُوَ مَجَازٌ، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ فِي الْحَدِيثِ مُفْرَداً وَمَجْمُوعاً، فَكَانَ وَاجِبَ الذِّكْرِ. وَالبزل: جمع بزل وهو البعير الذي استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة وفطر نابه.

أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الْيَمَانُونَ عَرَّجُوا عَلَيَّ الْهَوَى لَمَّا تَغْنَيْتُمَا لِيَا^(١)
نُسَائِلُكُمْ هَل سَالَ نَعْمَانُ بَعْدَنَا وَحَبَّ إِلَيْنَا بَطْنُ نَعْمَانَ وَادِيَا
يقول في هذه القصيدة:

صوت

أَلَا يَا حَمَامِي قَصْرٍ وَدَانَ هِجْتُمَا عَلَيَّ الْهَوَى لَمَّا تَغْنَيْتُمَا لِيَا
فَأَبْكَيْتُمَانِي وَسَطَ صَحْبِي وَلَمْ أَكُنْ أَبَالِي دُمُوعَ الْعَيْنِ لَوْ كُنْتُ خَالِيَا
غَنَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ عَلُوِيَهْ غَنَاءَ لَمْ يُنْسَبْ.

فَوَاللَّهِ إِنِّي لَا أَحُبُّ، لَغَيْرَ أَنْ تَحُلَّ بِهَا لَيْلَى الْبِرَاقِ^(٢) الْأَعَالِيَا
أَلَا يَا خَلِيلِي حُبُّ لَيْلَى مُجَشَّمِي^(٣) حِيَاضَ الْمَنَايَا أَوْ مُقِيدِي^(٤) الْأَعَادِيَا
وَيَا أَيُّهَا الْقُمْرِيَّتَانِ تَجَاوَبَا بِلَحْنَيْكُمَا ثُمَّ أَسَجَعَا عَلَّانِيَا
فَإِنْ أَنْتُمَا اسْتَطَرَبْتُمَا^(٥) أَوْ أَرَدْتُمَا لِحَاقًا بِأَطْلَالِ الْغَضَى فَاتَّبَعَانِيَا
[الطويل]

[رحيل ليلي]

قال أبو نصر: وذكر خالد بن كلثوم أنَّ زوجَ لَيْلَى لما أراد الرحيلَ بها إلى بلده بلغ المجنون أنَّه غادٍ بها فقال:

صوت

أَمْزِمَعَةُ لَلْبَيْنِ لَيْلَى وَلَمْ تَمُتْ كَأَنَّكَ عَمَّا قَدْ أَظْلَكَ غَافِلُ

(١) البيت عبارة عن دمج بين بيتين، وردا في القصيدة على الشكل التالي:

- أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الْيَمَانُونَ عَرَّجُوا عَلَيْنَا فَقَدْ أَمْسَى هَوَانَا يَمَانِيَا
أَلَا يَا حَمَامِي بَطْنُ نَعْمَانَ هِجْتُمَا عَلَيَّ الْهَوَى لَمَّا تَغْنَيْتُمَا لِيَا
- (٢) البرقاء من الأرض: طرائق بقعة فيها حجارة سود يخالطها رملة بيضاء، وكل قطعة على حبالها برقة، فإذا اتسع فهو الأبرق، والأبارق جمعه، ويجمع على البراق.
- (٣) جشمت الأمر، وتجشمته: تكلفته على مشقة.
- (٤) مقيدي: جاعل قيدي في يد الأعداء.
- (٥) استطربتما: طلبتم الطرب.

سَتَعْلَمُ إِن شَطَطَ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى وَزَالُوا بِلَيْلَى أَنَّ لَبَّكَ زَائِلٌ
[الطويل]

الغناء للزبير بن دحمان ثقیلاً أول بالوسطى :

قال أبو نصر: قال خالد: وحدثني جماعة من بني قشير أن المجنون سقم سقاماً شديداً قبل اختلاطه حتى أشفى على الهلاك، فدخل إليه أبوه يعلله^(١)، فوجده يُنشد هذه الأبيات، ويبكي أحراً بكاءً، ويُشج^(٢) أحراً نشيج:

أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الَّذِي لَجَّ هَائِماً بَلَيْلَى وَلَيْدَا لَمْ تُقْطَعْ تَمَائِمُهُ
أَفَقَّ قَدْ أَفَاقَ الْعَاشِقُونَ وَقَدْ أَنَى لِحَالِكَ أَنْ تَلْقَى طَبِيباً ثَلَاثِمُهُ
فَمَا لَكَ مَسْلُوبُ الْعَزَاءِ كَأَنَّمَا تَرَى نَائِي لَيْلَى مَغْرَماً أَنْتَ غَارِمُهُ
أَجِدَّكَ لَا تُنْسِيكَ لَيْلَى مُلِمَّةً ثَلِمٌ وَلَا يُنْسِيكَ عَهْدَا تَقَادُمُهُ
[الطويل]

[خبر نظره إلى أظعان ليلى]

قال: وقف مستتراً ينظر إلى أظعان ليلى وقد رحل بها زوجها وقومها، فلما رآهم يرتحلون بكى وجزع، فقال له أبوه: ويحك! إنما جئنا بك مُتَخَفِياً ليتروَّح بعض ما بك بالنظر إليهم، فإذا فعلت ما أرى عرفت، وقد أهدر السلطان دمك إن مررت بهم، فأمسك أو فانصرف، فقال: ما لي سبيل إلى النظر إليهم يرتحلون، وأنا ساكن غير جازع ولا باك، فانصرف بنا، فانصرف وهو يقول:

صوت

دُذِّ الدَّمْعِ حَتَّى يَظْعَنَ الْحَيُّ إِنَّمَا دُمُوعُكَ إِنِ فَاضَتْ عَلَيْكَ دَلِيلٌ
كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا^(٣) جُمَانُ^(٤) عَلَى جَيْبِ^(٥) الْقَمِيصِ يَسِيلُ
[الطويل]

(١) يعلله: يحذثه ويسليه.

(٢) نشج الباكي ينشج نشيجاً إذا غصَّ البكاء في حلقه عند الفرعة. والطعنة تنشج عند خروج الدم: تسمع لها صوتاً في جوفها، وإذا بدا صوت كالنفخة قيل: نعت الطعنة.

(٣) تحمّل الحَمَالَةُ: أي حملها. وتحمّلوا: ارتحلوا.

(٤) إناء جمان ماء: أي بلغ جمانه.

(٥) جيب القميص: ما يفتح على النحر.

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبَان قال: أنشدني إسحاق بن محمد عن بعض أصحابه عن ابن الأعرابي للمجنون:

صوت

من المائة المختارة

أَلَا لَيْتَ لَيْلَى أَطْفَأَتْ حَرَّ زَفْرَةٍ أَعَالِجُهَا لَا أَسْتَطِيعُ لَهَا رَدًّا
إِذَا الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ الْجَمَى نَسَمَتْ لَنَا وَجَدْتُ لِمَسْرَاهَا وَمَنْسَمِهَا بَرْدًا
عَلَى كَبِدٍ قَدْ كَادَ يُبْدِي بِهَا الْهَوَى نُدُوبًا وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَحْسَبُنِي جَلْدًا
[الطويل]

هذا البيت الثالث خاصةً يروى لابن هرمة^(١) في بعض قصائده، وهو من المائة المختارة التي رواها إسحاق، أوله:

أَفَاطِمُ إِنَّ النَّأْيَ يُسْلِي ذَوِي الْهَوَى^(٢)

وقد أخرج في موضع آخر. غنى في هذين البيتين عبد آل الهذلي، ولحنه المختار على ما ذكره جحظة ثاني ثقيل، وهما في هذه القصيدة:

وَإِنِّي يَمَانِي الْهَوَى مُنْجِدُ النَّوَى سَبِيلَانِ أَلْقَى مِنْ خِلَافِهِمَا جَهْدًا
سَقَى اللَّهُ نَجْدًا مِنْ رَبِيعٍ وَصَيْفٍ وَمَاذَا يُرْجَى مِنْ رَبِيعٍ سَقَى نَجْدًا
بَلَى إِنَّهُ قَدْ كَانَ لِلْعَيْنِ قُرَّةً وَلِلصَّحْبِ وَالرُّكْبَانِ مَنْزِلَةً حَمْدًا^(٣)
أَبَى الْقَلْبُ أَنْ يَنْفَكَّ عَنْ ذِكْرِ نِسْوَةٍ رِقَاقٍ وَلَمْ يُخْلَقْنَ شُؤْمًا وَلَا نُكْدًا

(١) إبراهيم بن هرمة، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة بن هذيل بن ربيع. ينتهي نسبه إلى الحارث بن فهر، وفهر أصل قریش، تربى في قبيلة تميم وهي من القبائل العربية الكبيرة في شرق الجزيرة، كان لها شأن في الجزيرة والإسلام. شاعر مشهور من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، ذكر الأصمعي أنه رآه ينشد الشعر بين يدي الرشيد. اتفق ابن الأعرابي والأصمعي: على أن الشعر ختم بابن هرمة وبخمسة من معاصريه إلا أن الأصمعي قدمه عليهم، وكان يقول: ما يؤخره عن الفحول إلا قرب عهده، وقد تنقل بين المدينة ودمشق وبغداد يمدح الخلفاء. دفن بالبقيع بالمدينة، ولد سنة ٨٠ هـ، وتوفي ١٧٦ هـ.

(٢) هذا البيت ورد على الشكل التالي، وهو على الطويل:

أَفَاطِمُ إِنَّ النَّأْيَ يُسْلِي ذَوِي الْهَوَى إِنَّ النَّأْيَ يُسْلِي ذَوِي الْهَوَى
(٣) حمد أي محمود.

إِذَا رُحْنٌ يَسْحَبْنَ الذُّيُولَ عَشِيَّةً وَيَقْتُلْنَ بِالْأَلْحَاطِ أَنْفُسَنَا عَمْدًا
مَشَى عَيْطَلَاتٌ^(١) رُجَّحَ بِحُضُورِهَا رَوَادِفُ^(٢) وَعِثَاتٌ^(٣) تَرُدُّ الْخُطَا رَدًّا
وَتَهْتَزُّ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةُ فَوْقَهَا وَلَاثٌ^(٤) بِسَبِّ^(٥) الْقَزِّذَا غُدْرٍ^(٦) جَعْدًا
إِذَا حَرَّكَ الْمِدْرَى^(٧) ضَفَائِرَهَا الْعُلَا مَجَجْنَ نَدَى الرِّيحَانِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدَا
[الطويل]

وأخبارُ الهذليين تُذكرُ في غير هذا الموضع إن شاء الله لثلاث تنقطع أخبارُ
المجنون، ولهما في المائة الصوت المختارة أغاني تذكر أخبارها معاً إن شاء الله.

[خبر ظبية سأل صيادها أن يطلقها]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدّثني ميمون بن هارون قال: ذكر
الهيثم بن عديّ، وأخبرني محمد بن خلف [بن المرزبان] عن أحمد بن الهيثم عن
العُمريّ عن الهيثم بن عديّ قال: مرّ المجنونُ برجلين قد صادا ظبيّةً فربطاهما بحبلّةٍ
وذهبا بها، فلما نظر إليها وهي تركضُ في جبالهما دَمَعَتَ عيناه، وقال لهما: حُلّاهما
وخذًا مكانها شاةً من غنمي - وقال ميمونُ في خبره: وخذًا مكانها قُلُوصاً من إبلي -
فأعطاهما وحلّاهما فولّت تعدو هاربةً. وقال المجنونُ للرجلين حين رآها في جبالهما:

يَا صَاحِبَيَّ اللَّذَيْنِ الْيَوْمَ قَدْ أَخَذَا فِي الْحَبْلِ شِبْهًا لَيْلَى ثُمَّ غَلَّاهَا
إِنِّي أَرَى الْيَوْمَ فِي أَعْطَافِ شَاتِكُمَا مُشَابِهًا أَشْبَهَتْ لَيْلَى فَحَلَّاهَا
[البسيط]

قال: وقال فيها وقد نظر إليها [وهي] تعدو أشدَّ عدوٍ هاربةً مذعورةً:

صوت

أَيَا شِبْهَ لَيْلَى لَا تُرَاعِي فَإِنِّي لَكَ الْيَوْمَ مِنْ وَحْشِيَّةٍ لَصْدِيقُ
وَيَا شِبْهَ لَيْلَى لَوْ تَلَبَّثْتَ سَاعَةً لَعَلَّ فُؤَادِي مِنْ جَوَاهُ يُفِيقُ

(١) الْعَيْطَلُ الطَّوِيلُ مِنَ النَّسَاءِ وَالتُّوقُ فِي حَسَنِ جَسَمٍ.

(٢) الرَوَادِفُ: جَمْعُ رَادِفَةٍ وَهِيَ الْعِجْزُ. (٣) الْعِثَاتُ: اللَّيْنَاتُ.

(٤) لَاثٌ: لَفْتُ وَعَصَبْتُ. (٥) السَّبُّ: الْخَمَارُ.

(٦) الْغُدْرُ: جَمْعُ غَدِيرَةٍ وَهِيَ الذُّوَابَةُ.

(٧) الْمِدْرَى: الْمَشْطُ، وَقِيلَ: حَدِيدَةٌ عَلَى شَكْلِ سِنٍّ مِنْ أَسْنَانِ الْمَشْطِ وَأَطْوَلُ مِنْهُ يَسْرَحُ بِهَا الشَّعْرُ الْمَتَلَبِّدُ.

تَفِرُّ وَقَدْ أَطْلَقْتُهَا مِنْ وَثَاقِهَا فَأَنْتَ لَيْلَى لَوْ عَلِمْتَ طَلِيقُ
[الطويل]

[خبره مع نسوة عدلته في ليلى]

وذكر أبو نصر عن جماعة من الرواة، وذكر أبو مسلم ومحمد بن الحسن الأحول أن ابن الأعرابي أخبرهما أن نسوة جلسن إلى المجنون فقلن له: ما الذي دعاك إلى أن أحللت بنفسك ما ترى في هوى ليلى، وإنما هي امرأة من النساء، هل لك في أن تصرف هواك عنها إلى إحدانا فنساعفك^(١) ونجزيك بهواك ويرجع إليك ما عَزَبَ^(٢) من عقلك وجسمك؟ فقال لهن: لو قَدَرْتُ على صرف الهوى عنها إلكن لصرفته عنها وعن كل أحد بعدها وعشت في الناس سوياً مستريحاً؛ فقلن له: ما أعجبك منها؟ فقال: كل شيء رأيته وشاهدته وسمعتُه منها أعجبنى، واللّه ما رأيت شيئاً منها قط إلا كان في عيني حسناً وقلبي علقاً، ولقد جهدتُ أن يقبُحَ منها عندي شيءٌ أو يسمُجَ أو يُعابَ لأسلو عنها فلم أجده؛ فقلن له: فصِفْها لنا، فأنشأ يقول:

بِضَاءِ خَالِصَةِ الْبَيَاضِ كَأَنَّهَا قَمَرٌ تَوَسَّطَ جُنْحَ لَيْلٍ مُبَرَّدٍ
مَوْسُومَةً بِالْحُسْنِ ذَاتُ حَوَاسِدٍ إِنَّ الْجَمَالَ مَظْنَّةٌ لِلْحُسَدِ
وَتَرَى مَدَامُعَهَا تَرْفُرُقُ مُقْلَةً سَوْدَاءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ الْإِثْمِدِ^(٣)
خَوْدٌ^(٤) إِذَا كَثُرَ الْكَلَامُ تَعَوَّدَتْ بِحِمَى الْحَيَاءِ وَإِنْ تَكَلَّمَ تَقْصِدِ^(٥)

[الكامل]

قال: ثم قال ابن الأعرابي: هذا واللّه من حسن الكلام ومُنَقَّح الشعر.

وأشدد أبو نصر للمجنون أيضاً، وفيه غناء، قال:

(١) نساعفك: نقضيها لك.

(٢) عزب: ضل.

(٣) الإثمد، بالكسر: حَجَرُ الْكُحْلِ وهو أسود إلى حُمْرَة، ومعدنه بأصبهان وهو أجوده، وبالمغرب وهو أصْلَب. وقال السيرافي: الإثمد شبيه بحجر الكحل. وأثمد عينه: كحلها.

(٤) الخَوْدُ: الشابة ما لم تصر نصفاً، وتجمع خَوْدَات.

(٥) تُنسب هذه الأبيات أيضاً إلى محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن أسعد بن حبيب بن سنان. ويقال: الخارجي نسبة إلى خارجة عدوان، وعدوان لقب لعمر بن قيس. وهو شاعر أموي عاش في المدينة المنورة في مكان يسمى الروحاء. في شعره متانة وفصاحة، كان منقطعاً إلى أبي عبيدة بن زمعة القرشي، ولم يتصل الشاعر بالخلفاء، وإنما اكتفى ببعض المتنفذين الذين كانوا يكفونه مؤونته، ولم يمدح في شعره إلا زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ورثى سليمان بن الحصين وكان خليفه، وقد جزع عليه عند موته جزعاً شديداً، مات سنة ١٣٠ هـ.

كَأَنَّ فُؤَادِي فِي مَخَالِبِ طَائِرٍ إِذَا ذُكِرْتَ لَيْلَى يَشُدُّ بِهِ قَبْضَا
كَأَنَّ فِجَاجَ الْأَرْضِ حَلَقَةُ خَاتَمٍ عَلَيَّ فَمَا تَزْدَادُ طَوْلًا، وَلَا عَرْضَا
[الطويل]

[أودع رجلاً شعراً ينشده ليلى]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوبٍ قال: حدثنا أبو مسلم عن القَحْذَمِيِّ قال: قال رجل من عشيرة المجنون له: إني أريد الإلمامَ بحَيِّ لَيْلَى فهل تُودِعُنِي إليها شيئاً؟ فقال: نعم! قِفْ بحيثُ تسمعُكَ ثم قُلْ:

صوت

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ النَّفْسَ هَالِكَةً بِالْيَأْسِ مِنْكَ وَلَكِنِّي أَعْتَبُهَا
مَنْيْتُكَ النَّفْسَ حَتَّى قَدْ أَضَرَّ بِهَا وَاسْتَيْقَنْتُ خُلْفًا مِمَّا أُمْنِيهَا
وساعةً مِنْكَ أَلْهُوَهَا وَإِنْ قَصُرْتُ أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
[البسيط]

قال: فمضى الرجل، ولم يزل يرقُبُ خَلْوَةً حَتَّى وَجَدَهَا، فوقف عليها ثم قال لها: يا لَيْلَى لقد أحسن الذي يقول:

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ النَّفْسَ هَالِكَةً بِالْيَأْسِ مِنْكَ وَلَكِنِّي أَعْتَبُهَا
[البسيط]

وأنشد الأبيات؛ فبكت بكاء طويلاً ثم قالت: أبلغه السلام وقل له:

نَفْسِي فِدَاؤُكَ، لَوْ نَفْسِي مَلَكْتُ إِذَا مَا كَانَ غَيْرَكَ يَجْزِيهَا وَيُرْضِيهَا
صَبْرًا عَلَى مَا قَضَاهُ اللَّهُ فِيكَ عَلَى مَرَارَةٍ فِي اصْطِبَارِي عَنْكَ أُخْفِيهَا
[البسيط]

قال: فأبلغه الفتى البيتين وأخبره بحالها؛ فبكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه، ثم أفاق وهو يقول:

عَجِبْتُ لِعُرْوَةِ الْعُذْرِيِّ أَضْحَى أَحَادِيثًا لِقَوْمٍ بَعْدَ قَوْمٍ
وَعُرْوَةُ مَاتَ مَوْتًا مُسْتَرِيحًا وَهَذَا نِذَا أَمُوتُ بِكُلِّ يَوْمٍ
[الوافر]

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّولِيُّ قال: أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ عن أبي نصر للمجنون:

صوت

أَيَا زِينَةَ الدُّنْيَا الَّتِي لَا يَنَالُهَا مُنَايَ وَلَا يَبْدُو لِقَلْبِي صَرِيمُهَا
بِعَيْنِي قَذَاةٌ^(١) مِنْ هَوَاكِ لَوْ أَنَّهَا تُدَاوِي بِمَنْ تَهْوَى لَصَحَّ سَقِيمُهَا
وَمَا صَبَرْتُ عَنْ ذِكْرِكَ النَّفْسُ سَاعَةً وَإِنْ كُنْتُ أَحْيَانًا كَثِيرًا أَلْوَمُهَا
[الطويل]

[أَبُو يَحْتَالُ أَنْ يَبْلُغَهُ أَنْ لَيْلَى تَشْتَمَهُ]

أخبرني الحسن بن علي قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الصَّبَّاحِ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ قَالَ: سَأَلَ الْمَلُوحُ أَبُو الْمَجْنُونِ رَجُلًا قَدِيمًا مِنَ الطَّائِفِ أَنْ يَمَرَّ بِالْمَجْنُونِ فَيَجْلِسَ إِلَيْهِ فَيُخْبِرَهُ أَنَّهُ لَقِيَ لَيْلَى وَجَلَسَ إِلَيْهَا، وَوَصَفَ لَهُ صِفَاتٍ مِنْهَا وَمِنْ كَلَامِهَا يَعْرِفُهَا الْمَجْنُونُ، وَقَالَ لَهُ: حَدَّثَنِي بِهَا، فَإِذَا رَأَيْتَهُ قَدْ اشْرَأَبَ^(٢) لِحَدِيثِكَ وَاشْتَهَاهُ، فَعَرَفَهُ أَنَّكَ ذَكَرْتَهُ لَهَا وَوَصَفْتَ مَا بِهِ فَشَتَمَتْهُ وَسَبَّتْهُ، وَقَالَتْ: إِنَّهُ يَكْذِبُ عَلَيْهَا وَيُشْهَرُهَا بِفَعْلِهِ، وَإِنَّمَا مَا اجْتَمَعَتْ مَعَهُ قَطُّ كَمَا يَصِفُ؛ فَفَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ، وَجَاءَ إِلَيْهِ فَأَخْبِرَهُ بِلِقَائِهِ إِيَّاهَا؛ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْهَا، فَيُخْبِرُهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ الْمَلُوحُ، فَيَزِدُّهُ نَشَاطًا وَيَتَوَبُّ إِلَيْهِ عَقْلُهُ، إِلَى أَنْ أَخْبِرَهُ بِسَبِّهَا إِيَّاهُ وَشَتَمِهَا لَهُ؛ وَقَالَ وَهُوَ غَيْرُ مُكْتَرِثٍ لَمَّا حَكَاهُ عَنْهَا:

صوت

تَمُرُّ الصَّبَا صَفْحًا بِسَاكِنِ ذِي الْغَضَى وَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهُبَّ هُبُوبُهَا
إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ الشَّمَالُ فَإِنَّمَا جَوَايَ بِمَا تَهْدِي إِلَيَّ جُنُوبُهَا
قَرِيبَةٌ عَهْدٍ بِالْحَبِيبِ وَإِنَّمَا هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا
وَحَسْبُ اللَّيَالِي أَنْ طَرَحْنَاكَ مَطْرَحًا بَدَارِ قَلَى تُمَسِّي وَأَنْتَ غَرِيبُهَا
حَلَالٌ لَلَّيْلِ شَتْمُنَا وَانْتِقَاصُنَا هَنِيئًا وَمَغْفُورٌ لَلَّيْلِ دُنُوبُهَا
[الطويل]

ذكر أبو أيوب المدني أن الغناء في هذا الشعر لابن سريج ولم يذكر طريقته.

(١) قَذَى: الْقَذَى فِي الْعَيْنِ وَفِي الشَّرَابِ: مَا يَسْقُطُ فِيهِ. وَقَذَيْتُ عَيْنَهُ تَقْذَى قَذَى فَهُوَ رَجُلٌ قَذِي الْعَيْنِ، إِذَا سَقَطَتْ فِي عَيْنِهِ قَذَاةٌ. الْأَصْمَعِيُّ: قَذَتْ عَيْنَهُ تَقْذِي قَذِيًا: رَمَتْ بِالْقَذَى. وَأَقْذَيْتُ عَيْنَهُ: جَعَلْتُ فِيهَا الْقَذَى. وَقَذَيْتُهَا تَقْذِيَةً: أَخْرَجْتُ مِنْهَا الْقَذَى. وَقَذَتْ الشَّاةُ أَيَّ أَلْقَتْ بِيَاضًا مِنْ رَحِمِهَا.
(٢) اشْرَأَبَ الرَّجُلُ لِلشَّيْءِ، إِذَا أَشْرَفَ عَلَيْهِ يَشْرُبُ اشْرِبَابًا. وَكَذَلِكَ اشْرَأَبَ لِلْخَبِيرِ: بُشِرَ بِهِ وَسُرَّ بِهِ.

وفيه لمتيم غناء يُنسب. وذكر الهيثم بن عدي أن المجنون قال - وفيه غناء - :

صوت

كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ لَيْلَى تُزَارُ بِذِي الْأَثَلِ وَبِالْجَزَعِ مِنْ أَجْزَاعٍ وَدَانَ فَالْتَّخَلِ
صَدِيقٌ لَنَا فِيمَا نَرَى غَيْرَ أَنَّهَا تَرَى أَنَّ حُبِّي قَدْ أَحَلَّ لَهَا قَتْلِي
[الطويل]

[وُصِفَ لِلَيْلَى فَبَكَتْ وَقَالَتْ شِعْرًا]

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني قال: حدثنا العُمري عن الهيثم بن عدي عن عثمان بن عمار بن حريم عن أشياخ من بني مرة قالوا: خرج منا رجل إلى ناحية الشام والحجاز وما يلي تيماء والسراة وأرض نجد، في طلب بُغية له، فإذا هو بخيمة قد رُفِعَتْ له وقد أصابه المطرُ فعدَلَ إليها وتنحَنج^(١)، فإذا امرأة قد كلَّمَتْهُ فقالت: انزل، فنزل. [قال]: وراحت إبلهم وغنمهم فإذا أمرٌ عظيم، فقالت: سلوا هذا الرجل من أين أقبل؛ فقلت: من ناحية تهامة ونجد؛ فقالت: ادخل أيها الرجل، فدخلتُ إلى ناحية من الخيمة، فأرختَ بيني وبينها سترًا ثم قالت لي: يا عبد الله، أي بلادِ نجدٍ وطِئت؟ فقلت: كلها؛ قالت: فبِمَنْ نزلتَ هناك؟ قلت: ببني عامر؛ فتفتَّستِ الصُّعداء ثم قالت: فبأي بني عامر نزلت؟ فقلت: ببني الحريش؛ فاستعبرتْ ثم قالت: فهل سمعتَ بذكر فتى منهم يقال له: قيس بن الملوّح ويُلقَّبُ بالمجنون؟ قلتُ: بلى والله! وعلى أبيه نزلتُ، وأتيتُهُ فنظرْتُ إليه يهيمُ في تلك الفيافي^(٢)، ويكون مع الوحش لا يعقل [ولا يفهم] إلا أن تُذكرَ له امرأة يُقال لها ليلَى، فيبكي ويُشِدُّ أشعاراً قالها فيها. قال: فرفعتَ الستَرَ بيني وبينها، فإذا فلَقَةُ قمرٍ لم ترَ عيني مثلها، فبَكَتْ حتى ظننْتُ - والله - أن قلبها قد انصدع، فقلتُ: أيتها المرأة، اتقي الله فما قلتُ بأساً^(٣)، فمكثت طويلاً على تلك الحال من البكاء والنحيب ثم قالت:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْخُطُوبُ^(٤) كَثِيرَةٌ مَتَى رَحِلَ قَيْسٍ مُسْتَقِلٌّ فَرَاغُ

(١) تنحَنج أي توجع. وأخ الرجل: رَدَدَ التَّنَحُّجَ في حلقه، وقيل: كأنه تَوَجَّعَ مع تَنَحُّجٍ.

(٢) الفَيْفُ: المكانُ المستوي، والجمع أفايفٌ وفُيُوفٌ. والفَيْفَاءُ: الصحراءُ الملساء، والجمع الفَيَافِي. قال المبرد: أَلِفٌ فَيْفَاءٌ زائدة، لأنَّهم يقولون: فَيْفٌ في هذا المعنى. وفَيْفُ الريح: يومٌ من أيام العرب.

(٣) البَّأْسُ: العذاب. والبَّأْسُ: الشدَّة في الحرب. تقول منه: بَوَّسَ الرجل بالضم يَبُوسُ بَأْسًا، إذا كان شديد البأس. فهو بَيْسٌ، أي شجاع.

(٤) الخُطُوب: هي الأمور التي تنزل بالقوم وتُعْشاهم وتتخلل ديارهم.

بِنَفْسِي مَنْ لَا يَسْتَقِلُّ بِرَحْلِهِ وَمَنْ هُوَ إِنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهَ ضَائِعٌ
[الطويل]
ثم بكت حتى سقطت مغشياً عليها، فقلتُ لها: من أنتِ يا أمةَ الله؟ وما
قَصَّتُكِ؟ قالت: أنا ليلي [صاحبتَه] المشؤومة [والله] عليه غيرُ المؤنسة له؛ فما رأيتُ
مثلَ حزنها ووجدها عليه [قط].

[خبر شيخ من بني مرة لقي المجنون ميتاً]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، وحبيب بن نصر المهلبيّ قالاً: حدّثنا
عمر بن شبة قال: ذكر الهيثم بن عديّ عن عثمان بن عمار، وأخبرني عثمان عن
الكرانيّ عن العُمريّ عن لقيط، وحدّثنا إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال:
ذكر الهيثم بن عديّ عن عثمان بن عمار، وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم صاحبُ
الأصمعيّ وأبو مسلم المُستَملي عن ابن الأعرابيّ - يزيد بعضهم على بعض - أنّ
عثمان بن عمار المرّي أخبرهم أنّ شيخاً منهم من بني مُرة حدّثه أنّه خرج إلى أرض
بني عامر ليلقي المجنون، قال: فدُلِلْتُ على مَحَلَّتِهِ فَأَتَيْتُهَا، فإذا أبوه شيخٌ كبيرٌ وإخوةٌ
له رجال، وإذا نَعَمٌ كثيرٌ وخيرٌ ظاهرٌ، فسألتُهم عنه فاستعبروا جميعاً، وقال الشيخُ:
والله لهو كان أثر في نفسي من هؤلاء وأحبّهم إليّ! وإنّه هوي امرأة من قومه، والله ما
كانت تَطْمَعُ في مثله، فلما أن فشا أمره وأمرها كره أبوها أن يزوّجها منه بعد ظهور
الخبر فزوّجها من غيره، فذهَبَ عقلُ ابني وَلَحِقَهُ حَبْلٌ وهام في الفيافي وَجَدّاً عليها،
فحبسناه وقيدناه، فجعل يعضُّ لسانه وشفتيّته حتى خِفْنَا [عليه] أن يقطعها فخلينا
سبيله، فهو يهيم في [هذه] الفيافي مع الوحوش يُذهَبُ إليه كلّ يوم بطعامه فيوضّع له
حيث يراه، فإذا تنَحَّوا عنه جاء فأكل منه. قال: فسألتُهم أن يدلّوني عليه، فدلّوني
على فتى من الحيّ كان صديقاً له وقالوا: إنه لا يأنس إلا به ولا يأخذ أشعاره عنه
غيره، فأتيتُه فسألتُه أن يدلّني عليه؛ فقال: إنّ كُنْتُ تريد شِعْرَهُ فكلُّ شِعْرٍ قاله إلى أمس
عندي، وأنا ذاهبٌ إليه غداً فإن كان قال شيئاً أتيتُكَ به؛ فقلتُ: بل [أريد أن] تدلّني
عليه لآتيه؛ فقال لي: إنّهُ إن نفرَ منك نفر مني فيذهبُ شِعْرُهُ، فأبَيْتُ إلا أن يدلّني
عليه؛ فقال: اطلبه في هذه الصحاري [إذا رأيته] فادنْ [منه] مُسْتَأْنِساً ولا تُره أنك
تهابُه، فإنّه يتهدّدك ويتوعّدك أن يرميك بشيء، فلا يروعنك واجلس صارفاً بصرك عنه
والحظة أحياناً، فإذا رأيته قد سكن من نفاره فأنشده شعراً عزّلاً، وإن كُنْتُ تروي من
شعر قيس بن ذريح شيئاً فأنشده إياه فإنّه مُعْجَبٌ به؛ فخرجتُ فطلبتُه يومي إلى العصر
فوجدته جالساً على رمل قد خطّ فيه بأصبعه خطوطاً، فدنوتُ منه غير مُتَقَبِّضٍ، فنفر

مني نفورَ الوحش من الإنس، وإلى جانبه أحجارٌ فتناول حجراً فأعرضتُ عنه، فمكث ساعةً كأنه نافرٌ يريدُ القيامَ، فلما طال جلوسي سكن وأقبل يخط بأصبعه، فأقبلتُ عليه وقُلْتُ: أحسنَ والله قيسُ بن ذريحٍ حيث يقول:

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ وَبَحَكَ نَبْنِي بِعِلْمِكَ فِي لُبْنَى وَأَنْتَ خَبِيرُ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُخْبِرْ بِشَيْءٍ عَلِمْتَهُ فَلَا طِرْتَ إِلَّا وَالْجَنَاحُ كَسِيرُ
وَدُرْتُ بِأَعْدَاءِ حَبِيبُكَ فِيهِمْ كَمَا قَدْ تَرَانِي بِالْحَبِيبِ أَدُورُ

[الطويل]

فأقبل عليّ وهو يبكي فقال: أحسنَ والله، وأنا أحسنُ منه قولاً حيث أقول:

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى بِلَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرُّكَ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ

[الوافر]

فأمسكت عنه هنيئةً، ثم أقبلتُ عليه فقلت: وأحسنَ والله قيسُ بن ذريحٍ حيث يقول:

وَإِنِّي لَمُفْنٍ دَمَعَ عَيْنَيَّ بِالْبُكَاءِ حَذَاراً لِمَا قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنُ
وَقَالُوا غَدَاً أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بَلِيلَةً فِرَاقُ حَبِيبٍ لَمْ يَبْنِ هُوَ بَائِنُ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيتِي بِكَفِّكَ إِلَّا أَنَّ مَا حَانَ حَائِنُ

[الطويل]

قال: فبكي - والله - حتى ظننتُ أنَّ نفسه قد فاضتُ، وقد رأيتُ دموعه قد بليت الرمل الذي بين يديه، ثم قال: أحسنَ لَعَمْرُ اللَّهِ، وأنا والله أشعرُ منه حيث أقول:

صوت

وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي^(١) بِقَوْلٍ يَحِلُّ الْعُصَمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ
تَنَاءَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ وَخَلَفْتَ مَا خَلَفَتْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ

[الطويل]

- ويروى: «وغازدت ما غادرت...» - ثم سَنَحْتُ له ظبيةً فوثب يعدو خلفها حتى غاب عني وانصرفْتُ، وعُدْتُ من غِدٍ فطلبته فلم أجده، وجاءت امرأةً كانت تصنعُ له طعامه إلى الطعام فوجدته بحاله، فلما كان في اليوم الثالث غدوتُ وجاء أهلهُ

(١) السَّبْيُ والسَّبَاءُ: الأسْرُ معروف. سَبَى العدوَّ وَغَيْرَهُ سَبْياً وَسَبَاءً إِذَا أَسْرَهُ.

معي فطلبناه يومنا فلم نجده، وغَدُونَا في اليوم الرابع نَسْتَقْرِئُ أثرَهُ حتى وجدناه في وادٍ كثيرِ الحجارة خَشِنٍ، وهو مَيِّتٌ بين تلك الحجارة، فاحتملَهُ أهلُهُ فغَسَلُوهُ وكفَنُوهُ ودفنوه.

[ندم أبي ليلي على عدم تزويجه بها]

قال الهيثم: فحدثني جماعة من بني عامر: أنه لم تبق فتاة من بني جعدة ولا بني الحريش إلا خَرَجَتْ حاسرة صارخة عليه تندُّهُ؛ واجتمع فتیانُ الحيِّ يبكون عليه أحرَّ بكاء، ويَنشِجون عليه أشدَّ نَشِيج، وحضرهم حيُّ ليلي مُعزِّين وأبوها معهم، فكان أشدَّ القوم جزعاً وبكاءً عليه، وجعل يقول: ما علمنا أنَّ الأمرَ يبلغُ كلَّ هذا، ولكنِّي كُنْتُ امراً عربياً يخافُ مِنَ العارِ وقُبْحِ الأُخْدُوثةِ ما يخافه مثلي، فزَوَّجْتُها وخَرَجْتُ عن يدي، ولو عَلِمْتُ أنَّ أمرَهُ يجري على هذا ما أخرجْتُها عن يده ولا احتملْتُ ما كان عليَّ في ذلك. قال: فما رُئِيَ يومٌ كان أكثرَ باكيةً وباكيةً على ميتٍ مِنْ يومئذٍ.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

الصوت الذي أوَّلُهُ:

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ وَيَحَكَ نَبْنِي بِعِلْمِكَ فِي لُبْنَى وَأَنْتَ خَبِيرٌ^(١)

[الطويل]

الغناء لابن محرز ثقيلٌ أوَّلُ بالوسطى عن الهشامي، وذكر إبراهيم أنَّ فيه لحناً لحكم. وفي رواية ابن الأعرابي أنه أنشده مكان:

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ وَيَحَكَ نَبْنِي بِعِلْمِكَ فِي لُبْنَى وَأَنْتَ خَبِيرٌ

[الطويل]

صوت

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ هَلْ أَنْتَ مُخْبِرِي وَخَبَّرْتَ أَنْ قَدْ جَدَّ بَيْنٌ وَقَرَّبُوا وَهَجَتْ قَذَى عَيْنٍ بِلُبْنَى مَرِيضَةٍ وَقُلْتَ كَذَاكَ الدَّهْرُ مَا زَالَ فَاجِعاً

[الطويل]

(١) ينسب هذا البيت إلى قيس بن ذريح. (٢) تنسب الأبيات إلى قيس بن ذريح.

الشعر لقيس بن ذريح، والغناء لابن جامع، ثقیلٌ أوّل بالسبابة في مجرى البنصر
عن إسحاق. وفيه لبَحْرٌ ثقیلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو. وفيه لدَحْمَانٌ ثاني ثقیل عن
الهشاميّ وعبد الله بن موسى.

ومنها الصوت الذي أوله:

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى بِلَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
[الوافر]

ومنها الصوت الذي أوله:

وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي بِقَوْلٍ يُحِلُّ الْعُضْمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ^(١)
[الطويل]

الغناء لإبراهيم، خفيفٌ ثقیلٌ بالوسطى عن الهشاميّ.

[بكاء أبي ليلى على المجنون]

أخبرنا الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال: حدّثنا الفضل الربيعيّ عن محمد بن
حبيب قال: لما مات مجنون بني عامر وُجِدَ في أرض خَشْنَةٍ بين حجارةٍ سودٍ، فحضر
أَهْلُهُ وحضر [معهم] أبو ليلى - المرأة التي كان يهواها - وهو متذمّم^(٢) من أهله، فلما
رآه ميتاً بكى واسترجع وعلم أنه قد شَرِكَ في هلاكه، فبينما هم يقلّبونه إذ وجدوا خِرْقَةً
فيها مكتوبٌ:

أَلَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الَّذِي مَا بِنَا يَرْضَى شَقِيتَ وَلَا هُنَيْتَ^(٣) مِنْ عَيْشِكَ الْغَضَا
شَقِيتَ كَمَا أَشَقَيْتَنِي وَتَرَكْتَنِي أَهِيْمُ مَعَ الْهَلَاكِ لَا أَطْعُمُ الْعَمَضَا^(٤)
[الطويل]

صوت

كَأَنَّ فُؤَادِي فِي مَخَالِبِ طَائِرٍ إِذَا ذَكَرْتُ لَيْلَى يَشْدُ بِهَا قَبْضَا

(١) الْبَطْحُ: البسط. بَطَحَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَبْطَحُهُ بَطْحًا فَانْبَطَحَ. وَالْبَطْحَاءُ: مسيل فيه دفاق الحصى. وقيل:
بَطْحَاءُ الْوَادِي، تراب لين مما جرتة السيول.

(٢) متذمّم: منقبض.

(٣) مأخوذٌ من الهنء، وهو العطاء الكثير.

(٤) الْعُمُضُ وَالْعَمَاضُ وَالْغِمَاضُ وَالْتَعْمَاضُ وَالْتَعْمِيزُ وَالْإِعْمَاضُ: النوم. يقال: مَا اكْتَحَلْتُ عَمَاضًا
وَلَا غِمَاضًا وَلَا عُمُضًا، بالضم، وَلَا تَعْمِيزًا وَلَا تَعْمَاضًا أَيِ مَا نَمْتُ.

كَأَنَّ فِجَاجَ الْأَرْضِ حَلَقَةً خَاتِمٍ عَلَيَّ فَمَا تَزْدَادُ طَوْلًا وَلَا عَرْضًا

[الطويل]

في هذين البيتين رَمَلٌ يُنْسَبُ إِلَى سُلَيْمٍ وَإِلَى ابْنِ مُحَرَّرٍ، وَذَكَرَ حَبَشٌ وَالْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لِإِسْحَاقَ .

[يتداوى بالأعشاب]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ السُّكْرِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ الْقُشَيْرِيِّينَ ^(١) عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَرَرْتُ بِالْمَجْنُونِ وَهُوَ مُشْرِفٌ عَلَى وَادٍ فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ، وَذَاكَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِطَ، وَهُوَ يَتَغَنَّى بِشَعْرٍ لَمْ أَفْهَمْهُ، فَصَحْتُ بِهِ: يَا قَيْسُ، أَمَا تَشْعَلُكَ لَيْلَى عَنْ الْغَنَاءِ وَالطَّرِبِ! فَتَنْفَسَ تَنْفُسًا ظَنَنْتُ أَنْ حِيَازِيْمَهُ ^(٢) قَدْ انْقَدَّتْ، ثُمَّ قَالَ:

صوت

وَمَا أَشْرَفُ الْأَيْفَاعَ ^(٣) إِلَّا صَبَابَةٌ وَلَا أُنْشِدُ الْأَشْعَارَ إِلَّا تَدَاوِيَا
وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّتَيْتَيْنِ بَعْدَمَا يَطْنَانِ جَهْدَ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
لَحَى اللَّهُ ^(٤) أَقْوَامًا يَقُولُونَ إِنَّا وَجَدْنَا طَوَالَ الدَّهْرِ لِلْحُبِّ شَافِيَا
[الطويل]

[التقاؤه بقيس بن ذريح]

أخبرني محمد بن مَرْيَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ: اجْتَازَ قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ بِالْمَجْنُونِ وَهُوَ جَالِسٌ وَحْدَهُ فِي نَادِي قَوْمِهِ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُشْتَاقًا إِلَى لِقَاءِ الْآخَرِ، وَكَانَ الْمَجْنُونُ قَبْلَ تَوْحُّشِهِ لَا يَجْلِسُ إِلَّا مُنْفَرِدًا وَلَا يُحَدِّثُ أَحَدًا وَلَا يَرُدُّ عَلَى مَتَكَلِّمٍ جَوَابًا وَلَا عَلَى مُسَلِّمٍ سَلَامًا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ فَلَمْ يَرُدِّ عَلَيْهِ السَّلَامَ؛ فَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي، أَنَا قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ فَوُثِّبَ إِلَيْهِ فَعَانَقَهُ وَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ يَا أَخِي، أَنَا وَاللَّهِ مَذْهُوبٌ [بِي] مُشْتَرِكُ اللَّبِّ فَلَا تَلْمَنِي،

(١) بنو قُشَيْرٍ: مِنْ عُكْلٍ. وَقُشَيْرٌ: أَبُو قَبِيلَةٍ، وَهُوَ قُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هُوزَانَ. غَيْرُهُ: وَبَنُو قُشَيْرٍ مِنْ قَيْسٍ.

(٢) حِيَازِيْمُهُ: ضُلُوعُ فَوَادِهِ.

(٣) الْإِفَاعُ: الْمَشْرِفُ مِنَ الْأَرْضِ أَوْ الْجَبَلِ، وَقِيلَ: هُوَ قِطْعَةٌ مِنْهُمَا فِيهَا غُلَظٌ.

(٤) لَحَى اللَّهُ: قَبَحَهُ وَلَعَنَهُ وَأَبْعَدَهُ.

فتحدثنا ساعةً وتشاكيا وبكيا، ثم قال له المجنون: يا أخي، إنَّ حيَّ ليلى منَّا قريبٌ، فهل لك أن تمضيَ إليها فتبُلِّغَها عني السلام؟ فقال له: أفعل. فمضى قيسُ بن ذَرِيحٍ حتى أتى ليلى فسَلَّم وانتسب؛ فقالت له: حيَّاكَ الله، ألك حاجة؟ قال: نعم، ابنُ عمِّكَ أرسلني إليك بالسلام؛ فأطرقَتْ ثم قالت: ما كُنْتَ أَهلاً لِلتَّحِيَّةِ لو علمتُ أَنَّكَ رسوله، قل له عني: أرايت قولك:

أَبَتْ لَيْلَةً بِالْغَيْلِ^(١) يَا أُمَّ مَالِكٍ لَكُمْ غَيْرَ حُبٍّ صَادِقٍ لَيْسَ يَكْذِبُ
أَلَا إِنَّمَا غَادَرَتْ يَا أُمَّ مَالِكٍ صَدَى أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ
[الطويل]

أخبرني عن ليلة الغيل، أيُّ ليلة هي؟ وهل خلوتُ معك في الغيل أو غيره ليلاً أو نهاراً؟ فقال لها قيسٌ: يا ابنة عمِّ، إن الناس تأولوا كلامه على غير ما أراد، فلا تكوني مثلهم، إنما أخبر أنه رَأَى لَيْلَةَ الغيل فذهبت بقلبه، لا أنه عَنَّاك بسوء؛ قال: فأطرقت طويلاً ودموعُها تجري وهي تُكْفِكِفُها، ثم انتحبتُ حتى قُلْتُ: تَقَطَّعَتْ حِيَاظِيمُهَا، ثم قالت: اقرأ على ابن عمِّي السلام، وقل له: بنفسي أنت! والله إنَّ وجدي بك لفوقَ ما تجدُ، ولكن لا حيلة لي فيك؛ فانصرف قيسٌ إليه ليخبره فلم يجده.

[رأى ليلى فبكى فرحاً]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدَّثني عمِّي عن ابن الصَّبَّاح عن ابن الكلبي عن أبيه قال: مرَّ المجنونُ بعد اختلاطه بليلى [وهي] تمشي في ظاهر البيوت بعد فقدٍ لها طويل، فلما رآها بكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه، فانصرفتُ خوفاً من أهلها أن يلقَوْها عنده، فمكث كذلك ملياً ثم أفاق وأنشأ يقول:

بَكَى فَرَحاً بَلِيلَى إِذْ رَأَاهَا مُجِبُّ لَا يَرَى حَسَناً سِوَاهَا
لَقَدْ ظَلَمْتِ يَدَاهُ وَنَالَ مُلْكاً لِأَن كَانَتْ تَرَاهُ كَمَا يَرَاهَا
[الوافر]

الغناء لابن المكي رملٌ بالبنصر. وفيه لعريب ثقيلٌ أوَّلُ عن الهشامي. وفيه خفيفٌ رملٌ ليزيد حوراء. وقد نُسِبَ لحنه إلى ابن المكي ولحنُ ابن المكي إليه.

(١) الْغَيْلُ: الماء الذي يَجْرِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وفي الحديث: «مَا سَقَيْ بِالْغَيْلِ فِيهِ الْعُشْرُ». وَأَرْضُ غَيْلَةٍ: وهي إلى الْبُعْدِ مَا هِيَ.

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ
عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَانْقَرَضُوا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالاً بَعْدَ حَالٍ
[الرمل]

الشعر لعدي بن زيد العبادي^(١)، والغناء لابن مُحَرِّزٍ ولحنه المختارُ خفيفٌ [رمل] بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه خفيف رمل] آخر بالنصر ابتداءً نشيدٌ ذكر عمرو بن بانة أنه لابن طُبُورَة، وذكر أحمد بن المكي أنه لأبيه. وهذه الأبيات قالها عدي بن زيد العبادي على سبيل المؤعظة للنعمان بن المُنْدَر، فيقال: إنها كانت سبب دخوله في النصرانية.

[عظة عدي وتنصر النعمان]

حدَّثني بذلك أحمد بن عمران المؤدّب قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدَّثنا عبد الله بن عمرو قال: حدَّثني علي بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبي قال: خرج النعمان بن المنذر إلى الصيد ومعه عدي بن زيد فمرّوا بشجرة، فقال له عدي بن زيد: أيها الملك، أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ قال: لا، قال: تقول:

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا عِنْدَنَا^(٢) يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالْمَاءِ الزَّلَالِ
عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَانْقَرَضُوا^(٣) وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالاً بَعْدَ حَالٍ
[الرمل]

قال: ثم جاوز الشجرة فمرّ بمقبرة، فقال له عدي: أيها الملك، أتدري ما تقول هذه المقبرة؟ قال: لا، قال: تقول:

(١) عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي. شاعر من دهاة الجاهليين، كان قروياً من أهل الحيرة، فصيحاً، يحسن العربية والفارسية، والرمي بالنشأ. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، الذي جعله ترجماناً بينه وبين العرب، فسكن المدائن ولما مات كسرى وولي الحكم هرمز أعلى شأنه ووجهه رسولاً إلى ملك الروم طيباريوس الثاني في القسطنطينية، فزار بلاد الشام، ثم تزوج هنداً بنت النعمان. وشي به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة.

(٢) ورد في الديوان «حولنا» بدل «عندنا».

(٣) ورد الصدر على الشكل التالي: «ثم أضحوا لعب الدهر بهم».

أَيُّهَا الرِّكْبُ الْمُخَبِّو نَ عَلَى الْأَرْضِ الْمُجِدُّونَ
كَمَا أَنْتُمْ كَذَا كُنَّا وَكَمَا نَحْنُ تَكُونُونَ

[مجزوء الرمل]

فقال له النعمان: إِنَّ الشَّجَرَةَ وَالْمَقْبَرَةَ لَا يَتَكَلَّمَانِ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا أَرَدْتَ عِظَتِي، فَمَا السَّبِيلُ الَّتِي تُدْرِكُ بِهَا النِّجَاةُ؟ قَالَ: تَدْعُ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَعْبُدُ اللَّهَ وَتَدِينُ بِدِينِ الْمَسِيحِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؛ قَالَ: أَوْ فِي هَذَا النِّجَاةُ؟ قَالَ: نَعَمْ فَتَنْصَرَّ يَوْمَئِذٍ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ كَانَتْ لَعَدِيِّ مَعَ النِّعْمَانِ الْأَكْبَرِ بْنِ الْمُنْذِرِ، وَإِنَّ النِّعْمَانَ الَّذِي قَتَلَهُ هُوَ ابْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ النِّعْمَانِ الْأَكْبَرِ الَّذِي تَنْصَر. وَخَبِرَ هَذَا [يَأْتِي] مَعَ أَحَادِيثِ عَدِيِّ.

ذكر عدي بن زيد ونسبه وقصته ومقتله

[نسبه]

هو عَدِيّ بن زيد بن حَمَاد بن زيد بن أَيُوب بن مَحْرُوف بن عامر بن عُصَيَّة بن امرئ القيس بن زيد مَنَاة بن تميم بن مُرّ بن أَدُّ بن طابِخَةَ بن إلياس بن مَضَر بن نِزار. وكان أَيُوبُ هذا فيما زَعَمَ ابن الأعرابيٍّ أَوَّلَ من سُمِّيَ من العرب أَيُوبَ، شاعرٌ فصيحٌ من شعراء الجاهلية، وكان نصرانياً وكذلك كان أبوه وأمه وأهله، وليس ممن يُعدُّ في الفحول، وهو قرويٌّ. وكانوا قد أخذوا عليه أشياء عِيَبَ فيها. وكان الأصمعيُّ وأبو عبيدةً يقولان: عَدِيٌّ بنُ زيد في الشعراء بمنزلة سُهَيْلٍ^(١) في النجوم يعارضها ولا يجري معها مَجْرَاهَا. وكذلك عندهم أُمَيَّةُ بنُ أَبِي الصَّلْتِ، ومثلهما كان عندهم من الإسلاميين الكُمَيْت والطَّرِمَّاح.

[العجاج ونقد الشعر]

قال العجاج: كانا يسألاني عن الغريب فأخبرهما به، ثم أراه في شعرهما وقد وضعاه في غير مواضعه؛ فقليل له: ولم ذاك؟ قال: لأنهما قَرَوِيَّان يَصِفَانِ ما لم يريا فيضعانه في غير موضعه، وأنا بدويٌّ أَصِفُ ما رأيتُ فَأَضَعُهُ في مواضعه. وكذلك عندهم عَدِيٌّ وأُمَيَّةُ.

[نزول آل عدي بالحيرة]

قال ابن الأعرابيٍّ فيما أخبرني به عليّ بن سُلَيْمان الأَخْفَشُ عن السُّكْرِيِّ عن محمد بن حَبِيب عنه وعن هشام بن الكلبيِّ عن أبيه قال: سبُّ نزول آلِ عَدِيٍّ بن زيد الحِيرةَ أنَّ جدَّهُ أَيُوبَ بن مَحْرُوفَ كان منزلهُ اليمامة في بني امرئ القيس بن زيد مَنَاة، فأصاب دماً في قومه فَهَرَبَ فَلَحِقَ بِأَوْسِ بن قَلَامٍ أحد بني الحارث بن كعب بالحيرة. وكان بين أَيُوبَ بن مَحْرُوفَ وبين أَوْسِ بن قَلَامٍ هذا نسبٌ من قَبْلِ النساء،

(١) سُهَيْل: اسم كوكب يُرى بالعراق، ولا يُرى بخراسان. ويقال: إِنَّ سُهَيْلاً كان عشاراً على طريق اليمن ظلوماً فمسخه الله كوكباً.

فلما قَدِمَ عليه أَيُّوبُ بَنُ محروَفٍ أكرمه وأنزله في داره، فمكث معه ما شاء الله أن يمكُثَ، ثم إن أوساً قال له: يابنَ خالٍ، أتريدُ المُقامَ عندي وفي داري؟ فقال له أَيُّوبُ: نعم، فقد عَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَتَيْتُ قومي وقد أَصَبْتُ فيهم دماً لم أَسَلَمَ، وما لي دارٌ إلا دارُكَ آخِرَ الدهر؛ قال أوس: إِنِّي قد كَبِرْتُ وأنا خائفٌ أن أَموتَ فلا يَعْرِفُ ولدي لك من الحقِّ مثلَ ما أعْرِفُ، وأخشى أن يَقَعَ بينَكَ وبينهم أمرٌ يقطعون فيه الرَّحِمَ، فانظر أحبَّ مكانٍ في الحِيرةِ إليك فأعلِمني به لأَقْطَعَكَ أو أبتاعَهُ لك؛ قال: وكان لأَيُّوبَ صديقٌ في الجانب الشرقيِّ من الحِيرةِ، وكان منزلُ أوسٍ في الجانب الغربيِّ، فقال له: قد أَحْبَبْتُ أن يكون المنزلُ الذي تُسْكِنُنيهِ عند منزلِ عِصَّامِ بن عَبْدَةَ أحد بني الحارث بن كَعْبٍ؛ فابتاعَ له موضعَ داره بثلاثمائة أوقيةٍ من ذهبٍ وأنفقَ عليها مائتي أوقيةٍ ذهباً. وأعطاه مائتين من الإبلِ بِرِعايَها وفرساً وقيِنَّةً^(١)؛ فمكث في منزل أوس حتى هَلَكَ، ثم تحوَّل إلى داره التي في شرقيِّ الحِيرةِ فهلك بها. وقد كان أَيُّوبُ اتصل قبل مَهْلَكِهِ بالملوك الذين كانوا بالحِيرةِ وعرفوا حقَّه وحقَّ ابنه زيد بن أَيُّوبَ، وثبت أَيُّوبَ فلم يكن منهم ملكٌ يَمْلِكُ إلا وَلِوَلَدَ أَيُّوبَ منه جوائزٌ وحُمْلانٌ^(٢).

[مقتل زيد بن أَيُّوب]

ثم إن زَيْدَ بن أَيُّوبَ نَكَحَ امرأةً من آل قَلَّام فولدت له حمَداً، فخرج زيدٌ بن أَيُّوبَ يوماً من الأيام يريد الصيد في ناس من أهل الحِيرةِ وهم مُنتَدون^(٣) بحفير^(٤) - المكان الذي يذكره عدي بن زيد في شعره - فانفرد في الصيد وتباعد من أصحابه، فلقيه رجلٌ من بني امرئ القيس الذين كان لهم الثأرُ قَبْلَ أبيه، فقال له - وقد عرف فيه شَبَهَ أَيُّوبَ - : مِمَّنِ الرجلُ؟ قال: من بني تميم، قال: من أيَّهم؟ قال: مَرَيِّ^(٥)؛ قال له الأعرابي: وأين منزلُك؟ قال: الحِيرةُ؛ قال: أَمِنَ بني أَيُّوبَ أنت؟ قال: نعم، ومن أين تعرف بني أَيُّوبَ؟ واستوحش من الأعرابي وذكر الثأر الذي هرب أبوه منه؛ فقال له: سَمِعْتُ بهم، ولم يُعْلِمُهُ أنه قد عرفه؛ فقال له زيدٌ بَنُ أَيُّوبَ: فمن أيِّ العرب أنت؟ قال: أنا امرؤ من طيِّء؛ فأَمِنَهُ زيدٌ وسكت عنه، ثم إنَّ الأعرابي اغتفلَ

(١) القَيْنَةُ: الأُمَةُ مغنِيَّةٌ كانت أو غير مغنِيَّةٍ، والجمع القِيَانُ. قال أبو عمرو: كلُّ عبدٍ هو عند العرب قَيْنٌ، والأُمَةُ قَيْنَةٌ. وبعض الناس يظنُّ القَيْنَةَ المغنِيَّةَ خاصَّةً، وليس هو كذلك.

(٢) الحُمْلان: ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة.

(٣) النَّدِي، على فَعِيل: مجلس القوم ومُتَحَدِّثُهُمْ، وكذلك النَّدْوَةُ والنَّادِي والمُتَنَدِّي والمُتَنَدِّي.

(٤) حفير: موضع معروف في الحِيرة.

(٥) نسبة إلى امرئ القيس.

زيد بن أيوب، فرماه بسهم فوضعه بين كتفيه ففلق قلبه، فلم يرم^(١) حافر دابته حتى مات؛ فلبث أصحاب زيد حتى إذا كان الليل طلبوه وقد افتقدوه وظنوا أنه قد أمعن في طلب الصيد، فباتوا يطلبونه حتى يئسوا منه، ثم غدوا في طلبه فقتلوا أثره حتى وقفوا عليه ورأوا معه أثر راكب يسايره فاتبعوا الأثر حتى وجدوه قتيلاً، فعرفوا أن صاحب الراحلة قتله، فاتبعوه وأغدوا^(٢) السير فأدركوه مساء الليلة الثانية، فصاحوا به وكان من أرمى الناس فامتنع منهم بالنبل حتى حال الليل بينهم وبينه وقد أصاب رجلاً منهم في مرجع^(٣) كتفيه بسهم، فلما أجنه الليل مات وأفلت الرامي، فرجعوا وقد قتل زيد بن أيوب ورجلاً آخر معه من بني الحارث بن كعب.

[حماد بن زيد كاتب للنعمان الأكبر]

فمكث حماد في أخواله حتى أيفع^(٤) ولحق بالوصفاء؛ فخرج يوماً من الأيام يلعب مع غلمان بني لحيان، فلطم اللحياني عين حماد فشجه حماد، فخرج أبو اللحياني فضرب حماداً، فأتى حماد أمه يبكي، فقالت له: ما شأنك؟ فقال: ضربني فلان لأن ابنته لطمني فشججته، فجزععت من ذلك وحولته إلى دار زيد بن أيوب وعلمته الكتابة في دار أبيه، فكان حماد أول من كتب من بني أيوب، فخرج من أكتب الناس وطلب حتى صار كاتب الملك النعمان الأكبر، فلبث كاتباً له حتى ولد له ابن من امرأة تزوجها من طيء فسماه زيدا باسم أبيه.

[سبب اتصال زيد بن حماد بكسرى]

وكان لحماد صديق من الدهاقين^(٥) العظماء يقال له فروخ ماهان، وكان مُحسناً إلى حماد، فلما حضرت حماداً الوفاة أوصى بابنه زيد إلى الدهقان، وكان من المرازبة^(٦)، فأخذه الدهقان إليه فكان عنده مع ولده، وكان زيد قد حذق الكتابة والعربية قبل أن يأخذه الدهقان، فعلمه لما أخذه الفارسية فلقيها^(٧)، وكان لبيباً فأشار

(١) لم يرم: لم يبرح.

(٢) أغد السير، وأغد فيه: أسرع.

(٣) مرجع الكتف: أسفل الكتف.

(٤) اليفاع: التل المنيّف. وكل شيء مرتفع يفاع. وغلام يفعه وقد أيفع ويفع أي شب ولم يبلغ.

(٥) الدهاقين: جمع دهقان، وهو لفظ فارسي معناه التاجر.

(٦) المرازبان: لفظ فارسي يعني الفارس الشجاع المقدم على القوم.

(٧) اللقي: مصدر لقيت الشيء: أي فهمته. ولقيتني: فهمتني.

الدَّهْقَانُ عَلَى كَسْرَى أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى الْبَرِيدِ فِي حَوَائِجِهِ، وَلَمْ يَكُنْ كَسْرَى يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا بِأَوْلَادِ الْمَرَاذِبَةِ، فَمَكَثَ يَتَوَلَّى ذَلِكَ لِكَسْرَى زَمَانًا.

[تمليك زيد بن حماد على الحيرة]

ثُمَّ إِنَّ الثُّعْمَانَ النَّصْرِيَّ اللَّخْمِيَّ هَلَكَ، فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْحِيرَةِ فِيمَنْ يُمْلِكُونَهُ إِلَى أَنْ يَعْقِدَ كَسْرَى الْأَمْرَ لِرَجُلٍ يُنْصَبُهُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِمُ الْمَرْزُبَانُ يَزِيدُ بْنُ حَمَّادٍ، فَكَانَ عَلَى الْحِيرَةِ إِلَى أَنْ مَلَكَ كَسْرَى الْمُنْذِرَ بْنَ مَاءِ السَّمَاءِ، وَنَكَحَ زَيْدُ بْنُ حَمَّادٍ نَعْمَةَ بِنْتَ ثُعْلَبَةَ الْعَدَوِيَّةَ فَوُلِدَتْ لَهُ عَدِيًّا، وَمَلَكَ الْمُنْذِرُ وَكَانَ لَا يَعْصِيهِ فِي شَيْءٍ، وَوُلِدَ لِلْمَرْزُبَانِ ابْنٌ فَسَمَّاهُ «شَاهَانَ مَرْدًا».

[تعلم عدي بن زيد الفارسية]

فَلَمَّا تَحَرَّكَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ وَأَيْفَعَ طَرَحَهُ أَبُوهُ فِي الْكِتَابِ^(١)، حَتَّى إِذَا حَذَقَ أَرْسَلَهُ الْمَرْزُبَانُ مَعَ ابْنِهِ «شَاهَانَ مَرْدًا» إِلَى كِتَابِ الْفَارْسِيَّةِ، فَكَانَ يَخْتَلِفُ مَعَ ابْنِهِ وَيَتَعَلَّمُ الْكِتَابَةَ وَالْكَلَامَ بِالْفَارْسِيَّةِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ أَفْهَمِ النَّاسِ بِهَا وَأَفْصَحَهُمُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَقَالَ الشَّعْرُ، وَتَعَلَّمَ الرَّمِيَّ بِالشُّشَابِ فَخَرَجَ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ^(٢) الرُّمَّةَ، وَتَعَلَّمَ لِعَبِّ الْعَجَمِ عَلَى الْخَيْلِ بِالصَّوَالِجَةِ^(٣) وَغَيْرِهَا.

[اتصاله بكسرى وتولييه الكتابة له]

ثُمَّ إِنَّ الْمَرْزُبَانَ وَفَدَّ عَلَى كَسْرَى وَمَعَهُ ابْنُهُ «شَاهَانَ مَرْدًا» فَبَيْنَمَا هُمَا وَاقِفَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذْ سَقَطَ طَائِرَانِ عَلَى السُّورِ فَتَطَاعَمَا كَمَا يَتَطَاعَمُ الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى فَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْقَارَهُ فِي مَنْقَارِ الْآخَرِ، فَعَضِبَ كَسْرَى مِنْ ذَلِكَ وَلَحِقَتْهُ غَيْرَةٌ، فَقَالَ لِلْمَرْزُبَانِ وَابْنِهِ: لِيَرْمِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا وَاحِدًا مِنْ هَذَيْنِ الطَّائِرَيْنِ، فَإِنْ قَتَلْتُمَاهُمَا أَدْخَلْتُكُمَا بَيْتَ الْمَالِ وَمَلَأْتُ أَفْوَاهَكُمَا بِالْجَوْهَرِ، وَمَنْ أَخْطَأَ مِنْكُمَا عَاقِبَتُهُ؛ فَاعْتَمَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا طَائِرًا مِنْهُمَا وَرَمَى فَقَتَلَاهُمَا جَمِيعًا، فَبَعَثَهُمَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ فَمُلِئَتْ أَفْوَاهُهُمَا جَوْهَرًا، وَأُثْبِتَ «شَاهَانَ مَرْدًا» وَسَائِرَ أَوْلَادِ الْمَرْزُبَانِ فِي صَحَابَتِهِ؛ فَقَالَ فَرُوخُ مَاهَانَ عِنْدَ ذَلِكَ لِلْمَلِكِ: إِنَّ عِنْدِي غَلَامًا مِنَ الْعَرَبِ مَاتَ أَبُوهُ وَخَلَقَهُ فِي حِجْرِي فَرَبَّيْتُهُ، فَهُوَ أَفْصَحُ النَّاسِ وَأَكْتَبُهُمُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْفَارْسِيَّةِ، وَالْمَلِكُ مُحْتَاجٌ إِلَى مِثْلِهِ، فَإِنْ رَأَى أَنْ يُشْتَتَهُ فِي وَلَدِي

(١) الكتاب: موضع تعلم الكتابة.

(٢) من الإسوار أو من السوار. وهو إسوار من الأساورة: للترامي الحاذق، والأصل أساورة الفرس: قوادها، وكانوا رماة الحدق.

(٣) الصَّوَالِجَانُ بفتح اللام: الموحجن، فارسي معرب. والجمع الصَّوَالِجَةُ، والهاء للعجمة.

فَعَلَ؛ فقال: ادعه، فأرسل إلى عدي بن زيد، وكان جميلَ الوجه فائقَ الحُسن، وكانت الفرسُ تتبرَّكُ بالجميلِ الوجه، فلما كَلَّمَهُ وجده أظرفَ الناس وأحضرَهُم جواباً، فرَغِبَ فيه وأثبتَه مع ولدِ المرزبان.

[عدي أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى]

فكان عديّ أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، فرَغِبَ أهلُ الحيرة إلى عديّ ورَهَبوه، فلم يَزَلْ بالمدائن في ديوان كسرى يؤذَنُ له عليه في الخاصّة وهو مُعجَبٌ به قريبٌ منه، وأبوه زيدُ بنُ حماد يومئذ حيّ إلا أن ذكر عديّ قد ارتفع وخَمَلَ ذكْرُ أبيه، فكان عديّ إذا دخل على المنذر قام جميعٌ من عنده حتى يقعدَ عديّ، فعَلَا له بذلك صيتٌ عظيمٌ، فكان إذا أراد المُقامَ بالحيرة في منزله ومع أبيه وأهله استأذَنَ كسرى فأقام فيهم الشهرَ والشهرين وأكثرَ وأقلَّ.

[عديّ موفد كسرى إلى ملك الروم]

ثم إن كسرى أرسل عديّ بن زيد إلى ملك الروم بهديّةٍ من طُرِف ما عنده، فلما أتاه عديّ بها أكرمه وحمله إلى عُمَالِه على البريد ليُرِيَه سَعَةَ أرضِه وعظيمَ مُلكِه - وكذلك كانوا يصنعون - فمن ثم وقع عديّ بدمشق، وقال فيها الشعرُ. فكان مما قاله بالشّام وهي أول شعر قاله فيما ذكر:

رُبَّ دَارٍ بِأَسْفَلِ الْجِرْعِ^(١) مِنْ دُو مَةِ أَشْهَى إِلَيَّ مِنْ جَيْرُونِ^(٢)
وَنَدَامَى لَا يَفْرَحُونَ بِمَانَا لَوْ لَا يَرْهَبُونَ صَرْفَ الْمَنُونِ
قَدْ سُقِيتُ الشَّمُولَ فِي دَارِ بَشِيرٍ قَهْوَةً مُرَّةً بِمَاءِ سَخِينِ
[الخفيف]

ثم كان أول ما قاله بعدها قوله:

لَمَنْ الدَّارُ تَعَفَّتْ بِخَيْمِ^(٣) أَصْبَحَتْ غَيْرَهَا طُولُ الْقِدَمِ

(١) الجِرْعُ: مصدر جَرَعْتُ الوادي، إذا قطعتَه عَرْضاً. والجِرْعُ بالكسر: منعطفُ الوادي. والجِرْعَةُ أيضاً: القليل من المال والماء، وطائفةٌ من الليل. يقال: جَرَعُ له جِرْعَةٌ من المال، أي قطع له منه قطعةً.

(٢) جَيْرُونُ، بالفتح، ذِكْرُ الْفَتْحِ مُسْتَدْرِك: دِمَشْقُ نَفْسُهَا أو بَابُهَا الذي يَقْرُبُ الْجَامِعَ الْكَبِيرَ الْأَمْوِيَّ، عن الإمام الْمُطَرِّزِيِّ، أو أَنَّ بَابَ جَيْرُونٍ مَنْسُوبٌ إِلَى الْمَلِكِ جَيْرُونٍ، لَأَنَّهُ كَانَ حِصْنًا لَهُ، وَبَابُ الْحِصْنِ بَاقٍ إِلَى الْآنَ هَائِلٌ.

(٣) خيم: موضع.

مَا تَبِينُ الْعَيْنُ مِنْ آيَاتِهَا غَيْرَ نُؤْيٍ مِثْلِ خَطِّ بِالْقَلَمِ
صَالِحاً قَدْ لَفَّهَا فَاسْتَوْسَقَتْ لَفَّ بَازِيٍّ حَمَاماً فِي سَلَمٍ^(١)
[الرملة]

[انقلاب في الحيرة]

قال: وفسد أمر الحيرة وعددي بدمشق حتى أصلح أبوه بينهم، لأن أهل الحيرة حين كان عليهم المنذر أرادوا قتله لأنه كان لا يعدل فيهم، وكان يأخذ من أموالهم ما يُعجبه، فلما تيقن أن أهل الحيرة قد أجمعوا على قتله بعث إلى زيد بن حماد بن زيد بن أيوب، وكان قبله على الحيرة، فقال له: يا زيد أنت خليفة أبي، وقد بلغني ما أجمع عليه أهل الحيرة فلا حاجة لي في ملككم، دونكموه ملكوه من شئتم؛ فقال له زيد: إن الأمر ليس إليّ، ولكنني أسبر^(٢) لك هذا الأمر ولا ألو^(٣) نصحاً، فلما أصبح غدا إليه الناس فحيوه تحية الملك، وقالوا له: ألا تبعث إلى عبدك الظالم - يعنون المنذر - فتريح منه رعيّتك؟ فقال لهم: أولاً خير من ذلك! قالوا: أشير علينا؛ قال: تدعونه على حاله فإنه من أهل بيت ملك، وأنا آتيه فأخبره أن أهل الحيرة قد اختاروا رجلاً يكون أمر الحيرة إليه إلا أن يكون غزواً أو قتالاً، فلك اسم الملك وليس إليك سوى ذلك من الأمور؛ قالوا: رأيك أفضل. فأتى المنذر فأخبره بما قالوا؛ فقبل ذلك وفرح، وقال: إن لك يا زيد عليّ نعمة لا أكفرها ما عرفت حق سبد - وسبد صنم كان لأهل الحيرة - فولى أهل الحيرة زيدا على كل شيء سوى اسم الملك فإنهم أقرّوه للمنذر. وفي ذلك يقول عدي:

نَحْنُ كُنَّا قَدْ عَلِمْتُمْ قَبْلَكُمْ عُمَدَ الْبَيْتِ وَأَوْتَادَ الْإِصَارِ^(٤)
[الرملة]

(١) السلم: شجرة وافرة القرظ الذي يدبغ به.

(٢) السبر: التجربة، اسبر ما عنده. والجرح يسبر بالمسبار: وهو الميل. ومقارة لا تسبر: أي لا يعرف قدرها من سعتها. والسبار: القياس. وما حشوت به شيئاً. ووقع في خير لا يسبر: أي لا يدرك علمه.

(٣) قال الأصمعي: يقال: ما ألوت جهداً أي لم أدع جهداً، قال: والعامّة تقول: ما ألو^(٣) جهداً، وهو خطأ. ويقال أيضاً: ما ألوته أي لم أستطعه ولم أطقه. ابن الأعرابي في قوله عز وجل: ﴿لَا يَأْلُوْنَكُمْ﴾ خيالاً؛ أي لا يقصرون في فسادكم.

(٤) أصره يأصره أضراً: حبسه. والموضع مأصر ومأصر، والجمع ماصِر. الأموي: أصرت الشيء أضراً: كسرتة. الأصمعي: الأصرّة: ما عطفك على رجل من رجم أو قرابة أو صهر أو معروف؛ والجمع الأواصر. يقال: ما تأصرني على فلان أصرّة، أي ما تعطفني عليه قرابة ولا مئة. والإصر: العهد. والإصر: الذنب والثقل. والإصار والأيصر: حبل قصير يُشد به في أسفل الخباء إلى وتد. وجمع الإصار أصر، وجمع الأيصر أياصر.

[قدوم عدي للحيرة وخروج المنذر للقائه]

قال: ثم هلك زيد وابنه عدي يومئذ بالشام. وكانت لزيد ألف ناقه للحمالات^(١) كان أهل الحيرة أعطوه إياها حين ولوه ما ولوه، فلما هلك أرادوا أخذها؛ فبلغ ذلك المنذر، فقال: لا، واللأت والعزى^(٢) لا يؤخذ مما كان في يد زيد ثفروق^(٣) وأنا أسمع الصوت.

ففي ذلك يقول عدي بن زيد لابنه الثعمان بن المنذر:

وَأَبُوكَ الْمَرْءُ لَمْ يُشْنَأْ^(٤) بِهِ يَوْمَ سِمْ الْخَسَفِ مِتَّا ذُو الْخَسَارِ
[الرمل]

[يؤثر الصيد على الملك]

قال: ثم إن عدياً قديم المدائن على كسرى بهديّة قيصر، فصادف أباه والمرزبان الذي رباه قد هلكا جميعاً، فاستأذن على كسرى في الإلمام بالحيرة فأذن له فتوجه إليها، وبلغ المنذر خبره فخرج فتلقيه في الناس ورجع معه. وعدي أنبل أهل الحيرة في أنفسهم، ولو أراد أن يملكوه لملكوه، ولكنه كان يؤثر الصيد واللّهو واللعب على الملك، فمكث سنين يبدو^(٥) في فصلي السنة فيقيم في جفير^(٦) ويشتو بالحيرة، ويأتي المدائن في خلال ذلك فيخدم كسرى، فمكث كذلك سنين، وكان لا يؤثر على بلاد بني يربوع مبدى من مبادي العرب، ولا ينزل في حي من أحياء بني تميم غيرهم، وكان أخلاؤه من العرب كلهم بني جعفر، وكانت إبله في بلاد بني ضبة وبلاد بني سعد، وكذلك كان أبوه يفعل: لا يجاوز هذين الحيين بإبله.

(١) الحمالات: جمع حمالة بالفتح وهي الدبة والغرامة التي يحملها قوم من قوم.

(٢) اللات والعزى: من الآلهة التي كانت تعبد في الجاهلية.

(٣) قال ابن شميل: العنقود إذا أكل ما عليه فهو ثفروق وعمشوش، وأراد مجاهد بالثفاريق العناقيد يخطر ما عليها فتبقى عليها التمرة والتمران والثلاث يخطئها المخلب فتلقى للمساكين. وقال ابن عباد يقال: ما له ثفروق أي شيء. قال: ولبن مثفروق كمدحرج لم يرب بعد. وقد ثفروق اللبن لم يرب كما في العباب.

(٤) شنى يشنأ شناةً وشنناً، أي: أبغض. ورجل شناةً وشنائياً، بوزن فعالة وفعالية: أي: مبغض، سئ الخلق.

(٥) يبدو: يخرج إلى البادية.

(٦) جفير: قرية في البحرين ذات رياض ومياه ومنازه.

[تزوج هندا بنت النعمان]

ولم يزل على حاله تلك حتى تزوجَ هندا بنتَ النعمان بن المنذر، وهي يومئذ جاريةٌ حين بلغتْ أو كادت. وخبره يذكر في تزويجها بعد هذا.

قال ابن حبيب: وذكر هشام بن الكلبي عن إسحاق بن الجصاص وحماد الراوية وأبي محمد بن السائب قال: كان لعدي بن زيد أخوان: أحدهما اسمه عمّار ولقبه أبي، والآخر اسمه عمرو ولقبه سمي، وكان لهم أخ من أمهم يقال له عدي بن حنظلة من طيء، وكان أبي يكون عند كسرى، وكانوا أهل بيت نصارى يكونون مع الأكاسرة، ولهم معهم أكل^(١) وناحية، يُقَطِّعونهم القطائع ويُجْزِلون صلاتهم.

[جعل المنذر ابنه النعمان في حجر عدي]

وكان المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان بن المنذر في حجر عدي بن زيد، فهم الذين أَرْضَعوه ورَبَّوْهُ، وكان للمنذر ابن آخر يقال له «الأسود» أمه مارية بنت الحارث بن جُلْهم من تيم الرِّباب، فأَرْضَعه وربَّاه قوم من أهل الحيرة يقال لهم بنو مرينا ينتسبون إلى لَحْم وكانوا أشرافاً. وكان للمنذر سوى هذين من الولد عشرة، وكان ولده يقال لهم «الأشاهب»^(٢) من جمالهم، فذلك قول أعشى بن قيس بن ثعلبة: وَبَنُو الْمُنْذِرِ الْأَشَاهِبِ فِي الْحَيِّ رَعَا يَمْشُونَ غُدُوَّةَ كَالْسُيُوفِ [الخفيف]

[عدي السياسي الماكر]

وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش^(٣) قصيراً، وأمّه سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ من أهل فدك^(٤)، فلما احتضر المنذر وخلف أولاده العشرة، وقيل: بل كانوا ثلاثة عشر، أوصى بهم إلى إياس بن قبيصة الطائي، وملَّكه على الحيرة إلى أن يرى

(١) الأكل: الرزق، يقال: فلان ذو أكل إذا كان ذا رزقٍ وحظٍّ في الدنيا.

(٢) الشهاب من النار، والجمع شُهَب. والشُّهبة: لون من شيات الخيل. وسنة شهباء: مُمَجَّلة. وكانت العرب تسمي بني المنذر: الملوك الأشاهب، لجمالهم. وقد سمّت العرب شهباً وأشهبَ وشهبان.

(٣) البرش، والبرشة: لون مختلط بنقطة حمراء وأخرى سوداء، أو غبراء، أو نحو ذلك. وشاة برشاء: في وجهها نقطٌ مُخْتَلِفة، ورجل أبرش. وسمي جذيمة الأبرش الذي أصابه حرق فبقي فيه من أثر الحرق نقطٌ سودٌ وحمُر، فقيل: جذيمة الأبرش، وهو ملكٌ من ملوك اليمَن.

(٤) فدك: موضع بالحجاز.

كسرى رَأَيْهُ، فمكث مملكاً عليها أشهراً وكسرى في طلب رجل يُملِّكه عليهم، وهو كسرى بن هُرْمَزَ، فلم يجد أحداً يرضاه فضَجَرَ فقال: لأبعثنَ إلى الحيرة اثني عشر ألفاً من الأساورة، ولأملِّكنَ عليهم رجلاً من الفُرسِ، ولأمرنَّهُم أن ينزلوا على العرب في دُورهم ويملكوا عليهم أموالهم ونساءهم، وكان عديُّ بن زيد واقفاً بين يديه، فأقبل عليه وقال: ويحك يا عديّ: مَنْ بقي من آل المنذر؟ وهل فيهم أحدٌ فيه خيرٌ؟ فقال: نعم أيها الملكُ السعيدُ، إنَّ في ولد المنذر لبقيةً وفيهم كلُّهم خيرٌ، فقال: ابعث إليهم فأحضِرهم، فبعث عديّ إليهم فأحضرهم وأنزلهم جميعاً عنده، ويقال: بل شَخَصَ عديّ بن زيد إلى الحيرة حتى خاطبهم بما أراد وأوصاهم، ثم قَدِمَ بهم على كسرى. قال: فلما نزلوا على عديّ بن زيد أرسل إلى النُعمان: لستُ أملكُ غيرك فلا يُوحِشَنَّك ما أُفْضِلُ به إخوتك عليك من الكرامة فإني إنما أغترُّهم بذلك، ثم كان يُفْضِلُ إخوانه جميعاً عليه في الثُّزُل والإكرام والملازمة ويريههم تنقُصاً للنُعمان وأتاه غير طامع في تمام أمر على يده، وجعل يخلو بهم رجلاً رجلاً فيقول: إذا أدخلتكم على الملك فالبسوا أفخرَ ثيابكم وأجملها، وإذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فتباطأوا في الأكل وصغروا اللُقَمَ ونَزَرُوا ما تأكلون، فإذا قال لكم: أنكفُوني العرب؟ فقولوا: نعم، فإذا قال لكم: فإن شَدَّ أحدُكم عن الطاعة وأفسد، أنكفُونيهِ؟ فقولوا: لا، إنَّ بعضنا لا يقدر على بعض، ليهابكم ولا يطمع في تفرِّقكم ويعلم أنَّ للعربِ منعةً وبأساً فقبِلوا منه؛ وخلا بالنُعمان فقال له: البسْ ثيابَ السفر وادخلْ مُتَقَلِّداً بسيفك، وإذا جلست للأكل فعظِّم اللُقَمَ وأسرع المضغَ والبلع وزِدْ في الأكل وتجوَّع قبل ذلك، فإنَّ كسرى يُعْجِبُهُ كثرةُ الأكل من العرب خاصَّةً، ويرى أنه لا خير في العربيِّ إذا لم يكن أكلوا شَرهاً، ولا سيما إذا رأى غيرَ طعامه وما لا عَهْدَ له بمثله، وإذا سألك هل تكفيني العرب؟ فقل: نعم، فإذا قال لك: فمن لي بإخوتك؟ فقل له: إن عجزتُ عنهم فإني عن غيرهم لأعْجَزُ. قال: وخلا ابنُ مَرِينَا بالأسود فسأله عمّا أوصاه به عديّ فأخبره، فقال: غَشَّكَ والصليبُ والمعموديةُ وما نَصَحَكَ، لئن أطعنتي لتُخالفنَّ كلَّ ما أمرك به ولتُملِكَنَّ، ولئن عصيتني ليُملِكَنَّ النُعمانُ ولا يغرَّنكَ ما أراكه من الإكرام والتفضيل على النُعمان، فإن ذلك دهاء فيه ومكر، وإن هذه المَعَدِّيَّة لا تخلو من مكرٍ وحيلةٍ، فقال له: إن عدياً لم يألني نصحاً وهو أعلم بكسرى منك، وإن خالفتُهُ أوحشتُهُ وأفسد عليّ وهو جاء بنا ووصفنا وإلى قوله يرجع كسرى، فلما أيسَ ابنُ مَرِينَا من قبوله منه قال: ستعلمُ. ودعا بهم كسرى، فلما دخلوا عليه أعجبه جمالهم وكمالهم ورأى رجلاً قلماً رأى مثلهم، فدعا لهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم به عديّ، فجعل ينظر إلى النُعمان من بينهم ويتأملُ أكله،

فقال لعديّ بالفارسية: إن يكن في أحد منهم خيرٌ ففي هذا، فلما غسلوا أيديهم جعل يدعو بهم رجلاً رجلاً فيقول له: أتكفيني العرب؟ فيقول: نعم أكفيكها كلها إلا إخوتي، حتى انتهى إلى النعمان آخرهم فقال له: أتكفيني العرب؟ قال: نعم، قال: كلّها؟ قال: نعم، قال: فكيف لي بإخوتك؟ قال: إن عَجِزْتُ عنهم فأنا عن غيرهم أعجزُ، فملكه وخلع عليه وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم فيه اللؤلؤ والذهب.

[توعد عدي بن مرينا لعدي بن زيد]

فلما خرج وقد مُلِّك قال ابنُ مَرِينَا للأسود: دونك عُقْبَى خِلَافِكَ لي!. ثم إنَّ عدياً صنع طعاماً في بيعة^(١) وأرسل إلى ابن مرينا أن ائتني بمن أحببت فإن لي حاجة، فأتى في ناس فتعدّوا في البيعة، فقال عديُّ بن زيد لابن مرينا: يا عديّ، إنَّ أحقَّ مَنْ عَرَفَ الحقَّ ثم لم يَلْمُ عليه مَنْ كان مثلك، وإني قد عرفتُ أنَّ صاحبك الأسود بن المنذر كان أحبَّ إليك أن يُمَلِّكَ من صاحبي النعمان، فلا تُلْمَني على شيء كنت على مثله، وأنا أحبُّ ألا تحقد عليّ شيئاً لو قدّرت عليه ركبته، وأنا أحبُّ أن تُعطيني من نفسك ما أعطيك من نفسي، فإنَّ نصيبي في هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك؛ وقام إلى البيعة فحلف ألا يهجوهُ أبداً ولا يبغيه غائلةً؛ ولا يزوي عنه خيراً أبداً. فلما فرغ عديُّ بن زيد، قام عديُّ بن مرينا فحلف مثل يمينه ألا يزال يهجوهُ أبداً ويبغيه الغوائل ما بقي. وخرج النعمانُ حتى نزل منزلاً أبيه بالحيرة، فقال عديُّ بن مرينا لعديّ بن زيد:

ألا أبلغ عدياً عن عديٍّ فلا تجزع وإن رئتُ قواكا
هياكلنا تبرُّ لغير فقرٍ لتُحمداً أو يتمَّ به غناكا
فإن تظفر فلم تظفر حميداً وإن تعطب فلا يبعد سواكا
ندمتُ ندامة الكسعي^(٢) لمّا رأث عيناك ما صنعت يداكا

[الوافر]

(١) البيعة: معبد للنصارى واليهود.

(٢) الكسعة: وثنٌ كان يُعبد، وتكسع في ضلاله ذهب كتسكع؛ عن ثعلب. والكسع: حيٌّ من قيس عيلان، وقيل: هم حيٌّ من اليمن رُمّة، ومنهم الكسعي الذي يُضرب به المثل في الندامة، وهو رجل رام رمى بعدما أسدَف الليل غيراً فأصابه وظن أنه أخطأه فكسر قوسه، وقيل: وقطع إصبعه ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولاً وسهّمه فيه، فصار مثلاً لكل نادم على فعل يفعل.

[تدبير عدي بن مرينا المكيدة لعدي]

قال: ثم قال عدي بن مرينا للأسود: أما إذا لم تظفر فلا تعجزن أن تطلب بشارك من هذا المَعْدِي الذي فعل بك ما فعل، فقد كنتُ أخبرك أن مَعْدًا لا ينال كيدُها ومكرها وأمرتُك أن تعصيه فخالفتني، قال: فما تريد؟ قال: أريد ألا تأتيك فائدة من مالك وأرضك إلا عَرَضْتُها عليّ ففعل. وكان ابنُ مرينا كثير المال والضَّيعة، فلم يكن في الدهر يومٌ يأتي إلا على باب النعمان هديّة من ابن مرينا، فصار من أكرم الناس عليه حتى كان لا يقضي في ملكه شيئاً إلا بأمر ابن مرينا، وكان إذا ذُكر عدي بنُ زيد عند النعمان أحسن الشاء عليه وشيخ^(١) ذلك بأن يقول: إن عدي بن زيد فيه مكرٌ وخديعةٌ، والمَعْدِي لا يصلح إلا هكذا. فلما رأى مَنْ يُطيفُ بالنعمان منزلة ابن مرينا عنده لزموه وتابعوه، فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه: إذا رأيتموني أذكر عدياً عند الملك بخير فقولوا: إنه لكذلك، ولكنه لا يسلم عليه أحدٌ وإنه ليقول: إن الملك - يعني النعمان - عاملُهُ، وإنه هو ولاه ما ولّاه، فلم يزالوا بذلك حتى أضغنوه عليه، فكتبوا كتاباً على لسانه إلى قَهْرَمَان^(٢) له ثم دسّوا إليه حتى أخذوا الكتاب منه.

[حبس النعمان لعدي]

وأتوا به النعمان فقرأه فاشتد غضبه، فأرسل إلى عدي بن زيد: عزمْتُ عليك إلا زُرْتَنِي فَإِنِّي قد اشتقتُ إلى رؤيتك، وعدي يومئذٍ عند كسرى، فاستأذن كسرى فأذن له. فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه في محبس لا يدخل عليه فيه أحدٌ، فجعل عدي يقول الشعر وهو في الحبس، فكان أول ما قاله وهو محبوس من الشعر:

(١) شاع الشيء يشيعُ مشاعاً وشيعُوعَةً فهو شائعٌ، إذا ظهر. وأشعثُهُ وشعثُ به: أذعته. وفي لغة: أشعت به. ورجلٌ مشيعٌ مذياعٌ، وهو الذي لا يكتمُ شيئاً. والمُشَايعةُ: متابعتك إنساناً على أمرٍ.

(٢) القَرْهَمُ من الثيران: كالقَرْهَب، وهو المسنُّ الضخم؛ قال كراع: القَرْهَمُ المسن؛ قال ابن سيده: فلا أدري أعم به أم أراد الخصوص، وقال مرة: القَرْهَمُ أيضاً من المعز ذات الشعر، وزعم أن الميم في كل ذلك بدل من الباء. والقَرْهَمُ من الإبل: الضخم الشديد. والقَرْهَم: السيد كالقَرْهَب؛ عن اللحياني، وزعم أن الميم بدل من باء قَرْهَب وليس بشيء. الأزهري في أثناء كلامه على القَهْرَمَان: أبو زيد يقال: قَهْرَمَانٌ وقَرْهَمَانٌ مقلوب. والقهرمان: أمين الملك وخاصته فارسيّ معرّب.

لَيْتَ شِعْرِي عَنِ الْهُمَامِ وَيَأْتِي - كَ بِخَيْرِ الْأَنْبَاءِ عَطْفُ السُّؤَالِ
 أَيْنَ عَنَّا إِخْطَارُنَا^(١) الْمَالِ وَالْأَنْفِ - نَفْسٍ إِذْ نَاهَدُوا^(٢) لِيَوْمِ الْمِحَالِ^(٣)
 وَنُضَالِي فِي جَنْبِكَ النَّاسَ يَرْمُو - نَ وَأَرْمِي وَكُلُّنَا غَيْرُ آلِ^(٤)
 فَأُصِيبُ الَّذِي تُرِيدُ بِلا غَشٍّ - شِ وَأُرْبِي عَلَيْهِمُ وَأُوَالِي
 لَيْتَ أَتَى أَخَذْتُ حَتْفِي بِكَفِّ - ي وَلَمْ أَلْقَ مِيتَةَ الْأَقْتَالِ^(٥)
 مَحَلُّوا^(٦) مَحَلَّهُمْ لَصَرَعَتْنَا الْعَا - مَ فَقَدْ أَوْقَعُوا الرَّحَا بِالثِّفَالِ^(٧)
 [الخفيف]

وهي قصيدة طويلة. قالوا: وقال أيضاً وهو محبوبس:

أَرَقْتُ لِمُكْفَهَرِّ بَاتٍ فِيهِ - بَوَارِقُ يَرْتَقِينَ رُؤُوسَ شَيْبِ
 تَلَوُّحُ الْمَشْرِفِيَّةِ فِي دُرَاهُ - وَيَجْلُو صَفْحَ دَخْدَارٍ^(٨) قَشِيبِ
 [الوافر]

ويروى: تخال المشرفية. والدخدار: فارسية مُعَرَّبة وهو الثوب المصون. يقول

فيها:

(١) بمعنى البذل وتحمل الخطر، ويقال: المُخْطِرُ: الذي يجعل نفسه خطراً لِقَرْنِهِ فيبَارِزُهُ ويقَاتِلُهُ؛ وقال:

وَقُلْتُ لِمَنْ قَدْ أَخْطَرَ الْمَوْتَ نَفْسَهُ - أَلَا مَنْ لِأَمْرِ حَازِمٍ قَدْ بَدَأَ لِيَا؟
 وقال أيضاً:

أَيْنَ عَنَّا إِخْطَارُنَا الْمَالِ وَالْأَنْفِ - فُسْ، إِذْ نَاهَدُوا لِيَوْمِ الْمِحَالِ؟
 وفي حديث النعمان بن مُقَرَّنٍ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ نَهَاوُنَدَ، حِينَ التَقَى الْمُسْلِمُونَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ: إِنْ هَؤُلَاءِ
 قَدْ أَخْطَرُوا لَكُمْ رِثَةً وَمَتَاعاً، وَأَخْطَرْتُمْ لَهُمُ الدِّينَ، فَنَافِخُوا عَنِ الدِّينِ؛ الرُّثَّةُ: رَدِيءٌ.
 (٢) المناهضة: المناهضة.

(٣) المحال: الكيد والمكر.

(٤) آل: مقصر. ويقال: غير آل: غير مقصر.

(٥) الأقتال: جمع قتل (بالكسر) وهو العدو.

(٦) محلوا: أي مكروا وسعوا، وقال الأزهري: المَحْلُ هو السعي من ناصح وغير ناصح. وقال ابن
 الأثير: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى يَقُولُ: الْمِحَالُ مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: مَحَلٌ فَلَانٌ بفلان: أي
 سعى به إلى السلطان وعرضه لأمرٍ يُهْلِكُهُ.

(٧) الثفال بالكسر: الجلد الذي يُسَطُّ تَحْتَ رَحَى الْيَدِ لِيَقْبِي الطَّحِينَ مِنَ التَّرَابِ، وَفِي الصَّحَاحِ: جِلْدٌ
 يَسِطُّ فَتَوْضِعُ فَوْقَهُ الرَّحَى فَيُطْحَنُ بِالْيَدِ لِيَسْقَطَ عَلَيْهِ الدَّقِيقُ.

(٨) الدخدار: ثوبٌ أبيضٌ مَصُونٌ. فارسيٌّ مُعَرَّبٌ: أَيِ يُمَسِّكُهُ التُّخْتُ، أَيِ ذُو تَخْتٍ.

عَلَيْكَ وَرَبِّ مَكَّةَ وَالصَّلَيبِ
لِيُسَجَّنَ أَوْ يُدْهَدَه^(١) فِي الْقَلِيبِ
وَقَدْ سَلَكَوكَ فِي يَوْمِ عَصِيبِ
كَمَا بَيْنَ اللَّحَاءِ^(٢) إِلَى الْعَسِيبِ^(٣)
بِتَاجِكَ فَوَزَةَ الْقِدْحِ الْأَرِيبِ
وَلَكِنْ مَا لَقِيتُ مِنَ الْعَجِيبِ
وَقَدْ تُهْدَى النَّصِيحَةُ بِالْمَغِيبِ
وَعُلَا وَالْبَيَانُ لَدَى الطَّبِيبِ
وَلَمْ تَسَامَ بِمَسْجُونٍ حَرِيبِ^(٤)
أَرَامِلَ قَدْ هَلَكْنَ مِنَ النَّحِيبِ
كَشَنٍّ^(٥) خَانَهُ خَزْرُ الرَّبِيبِ^(٦)
وَمَا اقْتَرَفُوا عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ
فَقَدْ يَهُمُّ الْمُصَافِي بِالْحَبِيبِ
وَإِنْ أَظْلَمَ فَذَلِكَ مِنْ نَصِيبِي
إِذَا تَقَفَتِ الْعَوَالِي فِي الْحُرُوبِ
وَلَا تُغْلَبُ عَلَى الرَّأْيِ الْمُصِيبِ
إِلَى رَبِّ قَرِيبٍ مُسْتَجِيبِ
[الوافر]

سَعَى الْأَعْدَاءُ لَا يَأْلُونَ شَرًّا
أَرَادُوا كَيْ تَمْهَلَ عَنْ عَدِيٍّ
وَكُنْتُ لِزَاوٍ^(٢) خَصْمِكَ لَمْ أُعْرَدِ^(٣)
أُعَالِنُهُمْ وَأُبْطِنُ كُلَّ سِرٍّ
قَفَزْتُ عَلَيْهِمْ لَمَّا التَّقِينَا
وَمَا دَهْرِي بِأَنْ كُذِّرْتُ فَضْلًا
أَلَا مَنْ مُبْلِغُ النُّعْمَانِ عَنِّي
أَحْظِي كَانَ سِلْسِلَةً وَقَيْدًا
أَتَاكَ بِأَنْنِي قَدْ طَالَ حَبْسِي
وَبَيْتِي مُقْفِرٌ الْإِنْسَاءِ
يُبَادِرُنِ الدُّمُوعَ عَلَى عَدِيٍّ
يُحَاذِرُنِ الْوُشَاةَ عَلَى عَدِيٍّ
فَإِنْ أَخْطَأْتُ أَوْ أَوْهَمْتُ أَمْرًا
وَإِنْ أَظْلِمَ فَقَدْ عَاقَبْتُمُونِي
وَإِنْ أَهْلِكَ تَجِدُ فَقْدِي وَتُخْذَلُ
فَهَلْ لَكَ أَنْ تَدَارِكَ مَا لَدَيْنَا
فَإِنِّي قَدْ وَكَّلْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي

(١) دهده: حدره من علو إلى أسفل تدحرجاً.

(٢) لَزَّهْ يَلْزُهُ لَزًّا وَلَزَاوًا، أَي شَدَّهُ وَالصَّقَه. وَكَرَّرُ اتِّبَاعٌ لَهُ. وَرَجُلٌ مَلَزَّ: شَدِيدُ الْخُصُومَةِ لَزُومٌ لِمَا طَالَبَ.

(٣) عَرَّدَ الرَّجُلُ عَنْ قَرْنِهِ: أَحْجَمَ وَكَلَّ وَفَرَ.

(٤) اللَّحَاءُ: قَشَرُ الْعُودِ.

(٥) عَسِيبُ الذَّنَبِ: عَظْمُهُ الَّذِي فِيهِ مَنَابِتُ الشَّعْرِ. وَالْعَسِيبُ مِنَ النَّخْلِ: جَرِيدَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ دَقِيقَةٌ يَكْشِطُ خَوْصَهَا. وَجَمْعُهُ عَسْبَانٌ، وَثَلَاثَةُ أَعْسَبَةٍ.

(٦) الْحَرِيبُ: الْمَسْلُوبُ. وَحَرْبٌ: سُلْبٌ حَرِيبَتُهُ وَهِيَ مَالُهُ.

(٧) الشَّنْ: الْخَلْفُ مِنْ كُلِّ آتِيَةٍ صَنَعَتْ مِنْ جِلْدٍ.

(٨) الرَّبِيبُ: الْحَاضِنُ.

قالوا: وقال فيه أيضاً:

طَالَ ذَا اللَّيْلِ عَلَيْنَا وَاعْتَكَّر^(١)
مِنْ نَجِيِّهِمَّ عِنْدِي ثَاوِيًّا
وَكَأَنَّ اللَّيْلَ فِيهِ مِثْلُهُ
لَمْ أَغْمُضْ طَوْلَهُ حَتَّى انْقَضَى
غَيْرُ مَا عَشَقْتُ وَلَكِنْ طَارِقُ
وَكَأَنِّي نَاذِرُ الصُّبْحِ سَمَرِ
فَوْقَ مَا أُعْلِنُ مِنْهُ وَأُسِرِ
وَلَقَدْ مَا ظُنُّ بِاللَّيْلِ الْقِصَرِ
أَتَمَنَّى لَوْ أَرَى الصُّبْحَ جَشَرَ^(٢)
خَلَسَ^(٣) النَّوْمَ وَأَجْدَانِي^(٤) السَّهَرِ
[الرملة]

وفيه يقول:

أَبْلِغِ الثُّعْمَانَ عَنِّي مَالِكًا^(٥)
إِنِّي وَاللَّهِ فَأَقْبَلَ حَلِيفِي
مُرْعَدًا أَحْشَاؤُهُ فِي هَيْكَلِ
مَا حَمَلْتُ الْغُلَّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ
لَا تَكُونَنَّ كَأَسَى عَظْمِهِ
عَادَ بَعْدَ الْجَبْرِ يَنْعَى وَهْنَهُ
وَإِذْكَرِ الثُّعْمَى الَّتِي لَمْ أَنْسَهَا
قَوْلَ مَنْ قَدْ خَافَ ظَنًّا فَاعْتَذَرَ
لَأَبِيلٍ^(٦) كُلَّمَا صَلَّى جَارُ^(٧)
حَسَنٌ لِمَثُّهُ وَافِي الشَّعَرِ
وَلَدَى اللَّهِ مِنَ الْعِلْمِ الْمُسَرِّ
بِأَسَى حَتَّى إِذَا الْعَظْمُ جَبِرَ
يَنْحُوْنَ الْمَشْيَ مِنْهُ فَانْكَسَرَ
لَكَ فِي السَّعْيِ إِذَا الْعَبْدُ كَفَرَ
[الرملة]

وقال له أيضاً - وهي قصيدة طويلة - :

أَبْلِغِ الثُّعْمَانَ عَنِّي مَالِكًا
لَوْ بَغِيرِ الْمَاءِ حَلَقِي شَرِيقُ
إِنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَإِنِّي ظَارِي
كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي^(٨)

(١) اعتكر الليل: كثف ظلامه واختلط وكرّ بعضه على بعض، وظلام معتكر.

(٢) جَشَرَ الصُّبْحُ يَجْشُرُ جُشُورًا: طلع وانفلق.

(٣) خلس الشيء من يده واختلسه، وأسرع من قبلة الخلس، وطعنة خلس، ولا قطع في الخلصة، وأخذها بين الحذيا والخلصة، وهذه خلصة فانتهازها أي فرصة. وخالسته الشيء وتخالسها، والقرنان يتخالسان نفسيهما.

(٤) أجداني: أعطاني. (٥) مآلك: رسالة.

(٦) أبيل: راهب.

(٧) جَارٌ يَجَارُ جَارًا وَجُورًا: رفع صوته مع تضرع واستغاثة.

(٨) الاعتصار: أن يغص الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء أي يشربه قليلاً ليسيغه.

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ دَخِيلٍ يَفْتَرِي حَيْثُمَا أَدْرَكَ لَيْلِي وَنَهَارِي
قَاعِدًا يَكْرُبُ^(١) نَفْسِي بَثُّهَا وَحَرَامًا كَانَ سِجْنِي وَاحْتِصَارِي^(٢)
أَجَلُ^(٣) نَعْمَى رَبُّهَا أَوْلُكُمْ وَدُنُوءِي كَانَ مِنْكُمْ وَأَصْطِهَا
[الرملة]

في قصائد كثيرة كان يقولها فيه، ويكتب بها إليه فلا تُغني عنده شيئاً [هذه رواية الكلبي].

[رواية المفضل الضبي في سبب ذلك]

وأما المفضل الضبي فإنه ذكر أن عدي بن زيد لما قدم على النعمان صادفه لا مالَ عنده ولا أثاث ولا ما يَصْلُحُ لِمَلِكٍ، وكان آدمَ إخوته مَنْظَرًا وكلُّهم أكثر مالاً منه، فقال له عدي: كيف أصنع بك ولا مال عندك! فقال له النعمان: ما أعرف لك حيلة إلا ما تعرفه أنت؛ فقال له: قُمْ بنا نَمْضِ إلى ابن قردس - رجل من أهل الحيرة من دومة - فأتياه ليقترضا منه مالاً، فأبى أن يُقْرِضَهُمَا وقال: ما عندي شيء، فأتيا جابر بن شمعون وهو الأسقف أحد بني الأوس بن قلام بن بطين بن جمهير بن لحيان من بني الحارث بن كعب فاستقرضا منه مالاً، فأنزلهما عنده ثلاثة أيام يذبح لهم وَيَسْقِيهِمُ الخمر، فلما كان في اليوم الرابع قال لهما: ما تريدان؟ فقال له عدي: تُقْرِضُنَا أربعين ألف درهم يستعينُ بها النعمانُ على أمره عند كسرى، فقال: لكما عندي ثمانون ألفاً، ثم أعطاهما إياها، فقال النعمان لجابر: لا جرم^(٤) لا جرى لي درهم إلا على يديك إن أنا ملكت. قال: وجابر هو صاحبُ القصرِ الأبيض بالحيرة، ثم ذكر من قصة النعمان وإخوته وعدي وابن مرينا مثل ما ذكره ابن الكلبي. وقال المفضل خاصة: إِنَّ سَبَبَ حَبْسِ النعمانِ عدي بن زيد، أَنَّ عدياً صَنَعَ ذاتَ يومَ طعاماً للنعمان، وسأله أن يركبَ إليه ويتغذى عنده هو وأصحابه، فركب النعمانُ إليه

(١) يكرُب: يشتد عليه الحزن.

(٢) أَصْرُهُ يَأْصِرُهُ أَصْرًا: حَبَسَهُ. والموضع مأْصِرٌ ومَأْصَرٌ، والجمع مَأْصِرٌ. الأموي: أَصْرَتْ الشيءَ أَصْرًا: كَسَرَتْهُ. الأصمعي: الْأَصْرَةُ: ما عطفك على رجلٍ من رَجَمٍ أو قرابةٍ أو صَهرٍ أو معروفٍ؛ والجمع الْأَوَاصِرُ. يقال: ما تَأْصِرُنِي على فلان أَصْرَةً، أي ما تعطفُنِي عليه قرابةً ولا مَنَّةً. والإصْرُ: العهدُ. والإصْرُ: الذنبُ والثقلُ. والإصارُ والأَيْصَرُ: حبلٌ قصيرٌ يُشَدُّ به في أسفل الخباء إلى وتدٍ. وجمع الإصارِ أَصْرٌ، وجمع الأَيْصَرِ أَيْاصِرٌ.

(٣) أَجَلٌ: أي من أجل نعمي.

(٤) بمعنى لا محالة ولا بد.

فاعترضه عدي بن مرينا فاحتبسه حتى تغدى عنده هو وأصحابه وشربوا حتى ثملوا، ثم ركب إلى عدي ولا فضل فيه، فأحفظه^(١) ذلك، ورأى في وجه عدي الكراهة فقام فركب ورجع إلى منزله، فقال عدي بن زيد في ذلك من فعل النعمان:

أَحْسِبْتَ مَجْلِسَنَا وَحُسْ نَ حَدِيثَنَا يُوْدِي بِمَالِكَ
فَالْمَالُ وَالْأَهْلُونَ مَصْ رَعَةَ لِأَمْرِكَ أَوْ نَكَالِكَ
مَا تَأْمُرُنَا فِينَا فَأَمْ رُكَ فِي يَمِينِكَ أَوْ شِمَالِكَ

[مجزوء الكامل]

قال: وأرسل النعمان ذات يوم إلى عدي بن زيد فأبى أن يأتيه ثم أعاد رسوله فأبى أن يأتيه، وقد كان النعمان شرب فعُضِبَ وأمر به فسُجِبَ من منزله حتى انتهى به إليه، فحبسه في الصَّيْنِ^(٢) ولجَّ في حبسه وعدي يرسل إليه بالشعر، فمما قاله له:

لَيْسَ شَيْءٌ عَلَى الْمَنُونِ بِبَاقٍ غَيْرُ وَجْهِ الْمُسَبِّحِ الْخَلَّاقِ
إِنْ نَكُنْ آمِنِينَ فَاجَانَا شَرُّ رُمُصِيبِ ذَا الْوُدِّ وَالْإِشْفَاقِ
فَبَرِيءٌ صَدْرِي مِنَ الظُّلَمِ لِلرَّبِّ بَ وَحْنٍ^(٣) بِمُعَقَّدِ الْمِيثَاقِ
وَلَقَدْ سَاءَ نِي زِيَارَةٌ ذِي فُر بِي حَبِيبِ لَوْدُنَا مُشْتِاقِ
سَاءَ مَا بِنَا تَبَيَّنَ فِي الْإِي دِي وَإِشْنَأُفْهَا^(٤) إِلَى الْأَعْنَاقِ
فَاذْهَبِي يَا أُمَيْمَ غَيْرَ بَعِيدٍ لَا يُؤَاتِي الْعِنَاقُ مَنْ فِي الْوِثَاقِ
وَإِذْهَبِي يَا أُمَيْمَ إِنْ يَشَاءَ اللَّ هُ يُنْفَسُ مِنْ أَرْمٍ^(٥) هَذَا الْخِنَاقِ
أَوْ تَكُنْ وَجْهَةً فَتِلْكَ سَبِيلُ النَّا س لَا تَمْنَعُ الْحُتُوفَ الرَّوَاقِي^(٦)

[الخفيف]

(١) أحفظه: أغضبه.

(٢) الصَّيْنِ: بلد كان في ظاهر الكوفة من منازل المنذر، وبه نهر ومزارع.

(٣) الجَنْثُ: دَنْبٌ عَظِيمٌ. وَحِنْثٌ فِي يَمِينِهِ: إِذَا لَمْ يُبْرِزْهَا. وَتَحَنَّثَ الرَّجُلُ وَتَحَنَّتْ: أَي تَعَبَّدَ وَاعْتَزَلَ. وَالتَّحَنُّتُ: الْإِقَاءُ الْجَنْثِ عَنِ النَّفْسِ. وَكُلُّ شَيْءٍ يُخْتَلَفُ فِيهِ عِنْدَ الْعَرَبِ فَهُوَ: مُحْنِثٌ وَمُحْلِفٌ.

(٤) الإِشْنَاقُ: أَنْ تُغْلَ الْيَدُ إِلَى الْعُنُقِ.

(٥) الْأَوَازِمُ، وَاحِدُهَا: آزِمَةٌ: الْأَثْيَابُ. وَأَزَمْتُ يَدَ الرَّجُلِ آزَمْتُهَا أَزْمًا. وَهُوَ أَشَدُّ الْعَضِّ. وَأَزَمَ عَلَيْنَا الدَّهْرُ يَأْزِمُ أَزْمًا، إِذَا مَا اشْتَدَّ وَقَلَّ حَيُّهُ.

(٦) قال الشاعر: لَقَدْ عَلِمْتُ وَالْأَجَلَ الْبَاقِي أَنَّ لَنْ يَرُدَّ الْقَدَرَ الرَّوَاقِي

قال ابن سيده: كأنه جمع امرأة راقية أو رجلاً راقية، بالهاء للمبالغة. وفي الحديث: ما كُنَّا نَأْبُهُ =

ويقول فيها:

وَتَقُولُ الْعُدَّةُ أَوْدَى عَدِيٍّ وَبَنُوهُ قَدْ أَيَقَنُوا بِعَلَاقِ^(١)
يَا أَبَا مُسْهَرٍ فَأَبْلِغْ رَسُولاً إِخْوَتِي إِنْ أَتَيْتَ صَحْنَ الْعِرَاقِ
أَبْلِغْ عَامِراً وَأَبْلِغْ أَخَاهُ أَنَّنِي مُوْتَقٌ شَدِيدٌ وَثَاقِي
فِي حَدِيدِ الْقِسْطَاسِ^(٢) يَرْقُبُنِي الْحَا رِسُ وَالْمَرءُ كُلُّ شَيْءٍ يُلَاقِي
فِي حَدِيدٍ مُضَاعَفٍ وَغُلُولٍ وَثِيَابٍ مُنْضَحَاتٍ خِلَاقِ
فَارْكَبُوا فِي الْحَرَامِ فَكُؤُوا أَخَاكُمْ إِنْ عِيراً قَدْ جُهِزَتْ لَانْطِلَاقِ
[الخفيف]

يعني الشهرَ الحرام. قالوا جميعاً: وَخَرَجَ النعمانُ إلى البحرين، فأقبل رجلٌ من غَسَّانَ فأصاب في الحيرة ما أَحَبَّ، ويقال: إنه جفنة بن النُعمان الجفنيّ، فقال عديُّ بن زيد في ذلك:

سَمَا صَقَرٌ فَأَشْعَلْ جَانِبَيْهَا وَالْهَاكَ الْمُرُوحُ وَالْعَزِيبُ
[الوافر]

المُرُوح: الإبل المروحة إلى أعطانها. والعزيب: ما تُرِكَ في مراعيه.

وَتَبَنَ لَدَى الثَّوِيَّةِ^(٣) مُلْجَمَاتٍ وَصَبَّحْنَ الْعِبَادَ وَهْنٌ شَيْبُ
أَلَا تِلْكَ الْغَنِيمَةُ لَا إِفَالٌ^(٤) تُرَجِّيْهَا مُسَوِّمَةٌ وَنَيْبُ^(٥)

= برُفِيَّة. قال ابن الأثير: الرُفِيَّةُ العُوْدَةُ التي يُرْقَى بها صاحبُ الآفَةِ كَالْحُمَى وَالصَّرْعِ وغير ذلك من الآفات.

(١) اسم من إغلاق القاتل وهو إسلامه إلى وليِّ المقتول فيحكم في دمه ما شاء.
(٢) الْقِسْطَاسُ وَالْقُسْطَاسُ: الميزان، وَقَرَأَ الْكُوفِيُّونَ غير أبي بكر: (بِالْقِسْطَاسِ) بِالْكَسْرِ، الْبَاقُونَ بِالضَّمِّ، وَيُقَالُ أَيْضاً: الْقِسْطَاسُ وَالْقُسْطَاسُ بِالضَّادِ؛ لُغَةً. وقال الليث: هو أَقْوَمُ الْمَوَازِينِ، قال: وَيَعْضُ يُنْسَرُهُ الشَّاهِينَ، قال: وَأَمَّا الْقَرَسُطُونَ فَهِيَ الْقَبَائِلُ بِلُغَةِ أَهْلِ الشَّامِ. قيل: هو ميزان العدلِ أَيِّ مِيزَانٍ كَانَ مِنْ مَوَازِينِ الدَّرَاهِمِ وَغَيْرِهَا.

(٣) الثوية: موضع قريب من الكوفة كان النعمان بن المنذر يحبس فيه من أراد قتله.
(٤) أَفَلٌ، أَي غاب. وقد أَفَلَتِ الشَّمْسُ تَأْفِلُ وَتَأْفُلُ أَفُولاً: غَابَتْ. وَالْإِفَالُ وَالْأَفَائِلُ: صَغَارُ الْإِبِلِ، بَنَاتُ الْمُخَاضِ وَنَحْوُهَا، وَاحِدُهَا أَفِيلٌ، وَالْأَنْثَى أَفِيلَةٌ.

(٥) النَّابُ: النَّاقَةُ الْمَسْتَهْةُ، سَمَّوْهَا بِذَلِكَ حِينَ طَالَ نَابُهَا وَعَظُمَ، مَوْنَةٌ أَيْضاً، وَهُوَ مِمَّا سُمِّيَ فِيهِ الْكُلُّ بِاسْمِ الْجِزءِ.

تُرَجِّيهَا وَقَدْ صَابَتْ بِقُرٍّ^(١) كَمَا تَرَجُّو أَصَاغِرَهَا عَتِيبُ^(٢)
[الوافر]

[رسالة إلى أخيه من السجن]

وقالوا جميعاً: فلما طال سجنُ عدي بن زيد كتب إلى أخيه أبي وهو مع كسرى
بهذا الشعر:

أَبْلِغْ أَبِيَّاءَ عَلَى نَأْيِهِ وَهَلْ يَنْفَعُ الْمَرْءَ مَا قَدْ عَلِمَ
بِأَنَّ أَخَاكَ شَقِيقُ الْفُؤَا دُكُنْتَ بِهِ وَاثِقاً مَا سَلِمَ
لَدَى مَلِكٍ مَوْثِقٌ فِي الْحَدِيدِ دِماً بِحَقٍّ وَإِذَا ظَلِمَ
فَلَا أَعْرِفُكَ كَذَاتِ الْغُلَا م^(٣) مَا لَمْ يَجِدْ عَارِماً^(٤) يَعْتَرِمَ
فَأَرْضُكَ أَرْضُكَ إِنْ تَأْتِنَا تَنْمُ نَوْمَةً لَيْسَ فِيهَا حُلْمٌ
[المقارب]

قال: فكتب إليه أخوه أبي:

إِنْ يَكُنْ خَانَكَ الزَّمَانُ فَلَا عَا جَزُ بَاعٍ وَلَا أَلْفُ^(٥) ضَعِيفِ
وَيَمِينِ الْإِلَهِ لَوْ أَنَّ جَاءُوا ع^(٦) طَحُونًا تُضِيءُ فِيهَا السِّيُوفُ
ذَاتَ رِزٍّ^(٧) مَجْتَابَةً غَمْرَةَ الْمَوِ تِ صَحِيحٌ سِرْبَالُهَا مَكْفُوفُ^(٨)
كُنْتَ فِي حَمِيهَا لَجِئْتُكَ أَسْعَى فَاَعْلَمَنْ لَوْ سَمِعْتُ إِذْ تَسْتَضِيفُ
أَوْ بِمَالٍ سَأَلْتَ دُونَكَ لَمْ يُمِ نَعْ تِلَادٌ لِحَاجَةٍ أَوْ طَرِيفُ
أَوْ بَارِضٍ أَسْطِيعُ أَتَيْكَ فِيهَا لَمْ يَهْلُنِي بُعْدٌ بِهَا أَوْ مَخُوفُ

(١) صابت بقر: نزلت في قرار.

(٢) عتیب: محلة في البصرة.

(٣) ذات الغلام: الأم المرضع.

(٤) يقول: إن لم تجد من ترضعه درت هي فحلبت ثدييها وربما رضعته ثم مجته من فيها. وقال ابن الأعرابي: إنما يقال هذا للمتكلف ما ليس من شأنه.

(٥) الألف: الثقل البطيء.

(٦) الجأواء: الكتبية التي تطحن كل شيء.

(٧) رَزَزْتُ السَّكِينِ وَالسَّهْمِ فِي الْحَائِطِ فَارْتَزَ، أي: ثَبَّتَ فِيهِ. وَأَرَزَّتِ الْجَرَادَةُ، إِذَا أَدَخَلْتَ ذَنْبَهَا فِي الْأَرْضِ لَتَبِيضٍ. وَالرَّزُّ: الصَّوْتُ تَسْمَعُهُ مِنْ بَعِيدٍ.

(٨) السربال المكفوف: القميص إذا خيطت حاشيته.

إِنْ تَفُتْنِي وَاللَّهِ إِنْفَاجُوعاً لَا يُعَقِّبُكَ مَا يَصُوبُ الْخَرِيفُ
فِي الْأَعَادِي وَأَنْتَ مَنِّي بَعِيدُ عَزَّ هَذَا الزَّمَانُ وَالتَّعْزِيفُ
وَلَعَمْرِي لَنْ جَزَعْتُ عَلَيْهِ لَجَزُوعٌ عَلَى الصَّدِيقِ أُسُوفُ
وَلَعَمْرِي لَنْ مَلَكْتُ عَزَائِي لِقَلِيلٍ شَرَوَاكُ^(١) فِيمَا أُطُوفُ
[الخفيف]

[عندما قتل في السجن]

قالوا جميعاً: فلما قرأ أبيّ كتاب عديّ قام إلى كسرى فكلّمه في أمره وعرفه خبره، فكتب إلى النعمان يأمره بإطلاقه، وبعث معه رجلاً، وكتب خليفة النعمان إليه: إِنَّهُ كُتِبَ إِلَيْكَ فِي أَمْرِهِ، فَاتَى النِّعْمَانَ أَعْدَاءُ عَدِيٍّ مِنْ بَنِي بُقَيْلَةَ^(٢) وَهُمْ مِنْ غَسَّانَ، فَقَالُوا لَهُ: اقْتُلْهُ السَّاعَةَ فَأَبَى عَلَيْهِمْ، وَجَاءَ الرَّسُولُ، وَقَدْ كَانَ أَخُو عَدِيٍّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَرِشَاءَ وَأَمْرُهُ أَنْ يَبْدَأَ بَعْدِي فَيَدْخُلَ إِلَيْهِ وَهُوَ مَحْبُوسٌ بِالصَّنَيْنِ، فَقَالَ لَهُ: ادْخُلْ عَلَيْهِ فَانْظُرْ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ فَاْمَثْلُهُ، فَدَخَلَ الرَّسُولُ عَلَى عَدِيٍّ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي قَدْ جِئْتُ بِإِرسَالِكَ، فَمَا عِنْدَكَ؟ قَالَ: عِنْدِي الَّذِي تُحِبُّ وَوَعْدَهُ بَعْدَةَ سَنِيَّةٍ، وَقَالَ لَهُ: لَا تَخْرُجَنَّ مِنْ عِنْدِي وَأَعْطِنِي الْكِتَابَ حَتَّى أَرْسِلَهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّكَ وَاللَّهِ إِنْ خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِي لَأُقْتَلَنَّ، فَقَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ آتِيَ الْمَلِكَ بِالْكِتَابِ فَأَوْصِلَهُ إِلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بَعْضُ مَنْ كَانَ هُنَاكَ مِنْ أَعْدَائِهِ فَأَخْبَرَ النِّعْمَانَ أَنَّ رَسُولَ كَسْرَى دَخَلَ عَلَى عَدِيٍّ وَهُوَ ذَاهِبٌ بِهِ، وَإِنْ فَعَلَ وَاللَّهِ لَمْ يَسْتَبِقْ مَنَّا أَحَدًا أَنْتَ وَلَا غَيْرُكَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ النِّعْمَانُ أَعْدَاءَهُ فَغَمُّوه^(٣) حَتَّى مَاتَ ثُمَّ دَفَنُوهُ. وَدَخَلَ الرَّسُولُ إِلَى النِّعْمَانَ فَأَوْصَلَ الْكِتَابَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: نَعَمْ وَكَرَامَةً، وَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ مِثْقَالٍ ذَهَبًا وَجَارِيَةٍ حَسَنَاءَ، وَقَالَ لَهُ: إِذَا أَصْبَحْتَ فَادْخُلْ أَنْتَ بِنَفْسِكَ فَأَخْرِجْهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَكِبَ فَدَخَلَ السِّجْنَ، فَأَعْلَمَهُ الْحَرَسُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ مِنْذُ أَيَّامٍ وَلَمْ نَجْتَرِءْ عَلَى إِخْبَارِ الْمَلِكِ خَوْفًا مِنْهُ، وَقَدْ عَرَفْنَا كِرَاهَتَهُ لِمَوْتِهِ. فَرَجَعَ إِلَى النِّعْمَانَ، وَقَالَ لَهُ: إِنِّي كُنْتُ أَمْسَ دَخَلْتُ عَلَى عَدِيٍّ وَهُوَ حَيٌّ، وَجِئْتُ الْيَوْمَ [فَجَحَدَنِي]^(٤) السَّجَّانُ وَبَهْتَنِي^(٥)، وَذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ مِنْذُ أَيَّامٍ. فَقَالَ لَهُ النِّعْمَانُ: أَيْبَعْتُ

(١) ما له شروى: مثل، وهو وهي وهما وهم وهنّ شرواك. والشرواك: مثلك.

(٢) اسم قبيلة عربية كانت تسكن بالقرب من الحيرة، ولها فيها قصور.

(٣) غمّوه: يريد أنهم غطوا وجهه بشيء حتى اختنق.

(٤) في بعض النسخ «حجزي» بدل «جحدني».

(٥) البهت: استقبالك أخاك بما ليس فيه. وهو الحيرة أيضاً، والتعجب، وبهت الرجل وبهت. وفي المثل: رمّاه بالبهتة أي بالبهتان والكذب. ويقولون: يا للبهتة ويا للأفيكة. والمباهتة: المباعثة في الفجأة.

بِكَ الْمَلِكِ إِلَيَّ فَتَدْخُلْ إِلَيْهِ قَبْلِي! كَذَبْتَ، ولكنك أردتَ الرشوة والخبث، فتهدده ثم زاده جائزة وأكرمه، وتوثق منه ألا يخبر كسرى إلا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه. فرجع الرسول إلى كسرى، وقال: إِنِّي وَجَدْتُ عَدِيًّا قَدْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ أَدْخُلَ عَلَيْهِ. وَنَدِمَ النِّعْمَانُ عَلَى قَتْلِ عَدِيٍّ وَعَرَفَ أَنَّهُ احْتِيلَ عَلَيْهِ فِي أَمْرِهِ، وَاجْتَرَأَ أَعْدَاؤُهُ عَلَيْهِ وَهَابَهُمْ هَيْبَةً شَدِيدَةً.

[مدح النعمان زيد بن عدي لدى كسرى]

ثم إنه خرج إلى صيده ذات يوم فلقي ابناً لعديّ يقال له زيد، فلما رآه عرف شبهه، فقال له: مَنْ أَنْتَ؟ فقال: أنا زيد بن عديّ بن زيد، فكلمه فإذا غلامٌ ظريفٌ، ففرح به فرحاً شديداً وقرب به وأعطاه ووصله واعتذر إليه من أمر أبيه وجهزه^(١)، ثم كتب إلى كسرى: إِنَّ عَدِيًّا كَانَ مِمَّنْ أُعِينَ بِهِ الْمَلِكُ فِي نُصْحِهِ وَلُبِّهِ، فَأَصَابَهُ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ وَانْقَطَعَتْ مُدَّتُهُ وَانْقَضَى أَجْلُهُ، وَلَمْ يُصَبِّ بِهِ أَحَدٌ أَشَدَّ مِنْ مِصِيبَتِي، وَأَمَّا الْمَلِكُ فَلَمْ يَكُنْ لِيَفْقِدَ رَجُلًا إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُ خَلْفًا لَمَّا عَظَّمَ اللَّهُ مِنْ مَلِكِهِ وَشَأْنِهِ، وَقَدْ بَلَغَ ابْنُ لَهُ لَيْسَ بِدُونِهِ، رَأَيْتُهُ يَصْلُحُ لَخِدْمَةِ الْمَلِكِ فَسَرَّحْتُهُ إِلَيْهِ، فَإِنْ رَأَى الْمَلِكُ أَنْ يَجْعَلَهُ مَكَانَ أَبِيهِ فَلْيَفْعَلْ وَلْيَصْرِفْ عَمَّهُ عَنْ ذَلِكَ إِلَى عَمَلٍ آخَرَ. وَكَانَ هُوَ الَّذِي يَلِي الْمَكَاتِبَةَ عَنِ الْمَلِكِ إِلَى مَلُوكِ الْعَرَبِ فِي أُمُورِهَا وَفِي خَوَاصِّ أُمُورِ الْمَلِكِ. وَكَانَتْ لَهُ مِنَ الْعَرَبِ وَظِيفَةٌ مُوظَّفَةٌ فِي كُلِّ سَنَةٍ: مُهْرَانِ أَشْقِرَانِ يُجْعَلَانِ لَهُ هُلَامًا^(٢)، وَالْكَمَاءُ^(٣) الرُّطْبَةُ فِي حِينِهَا وَالْيَابَسَةُ وَالْأَقِطُ^(٤) وَالْأُدْمُ^(٥) وَسَائِرُ تِجَارَاتِ الْعَرَبِ؛ فَكَانَ زَيْدُ بْنُ عَدِيٍّ يَلِي ذَلِكَ لَهُ، وَكَانَ هَذَا عَمَلُ عَدِيٍّ. فَلَمَّا وَقَعَ زَيْدُ بْنُ عَدِيٍّ عِنْدَ الْمَلِكِ هَذَا الْمَوْقِعَ سَأَلَهُ كَسْرَى عَنِ النِّعْمَانِ، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ. وَمَكَثَ عَلَى ذَلِكَ سِنَوَاتٍ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَبَوُهُ عَلَيْهِ. وَأَعْجَبَ بِهِ كَسْرَى، فَكَانَ يَكْثُرُ الدَّخُولُ عَلَيْهِ وَالْخِدْمَةُ لَهُ.

(١) جِهَازُ الْعُرُوسِ وَالْمَيِّتِ وَجِهَازُهُمَا: مَا يَحْتَاجَانِ إِلَيْهِ، وَكَذَلِكَ جِهَازُ الْمَسَافِرِ، وَجِهَازُ الرَّاحِلَةِ: مَا عَلَيْهَا. وَجِهَازُ الْمَرْأَةِ: حَيَاؤُهَا.

(٢) هَلُمِ الْهَلِيمُ: اللَّاصِقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ عَنْ كِرَاعٍ. وَالْهَلَامُ طَعَامٌ يُتَّخَذُ مِنْ لَحْمٍ عَجَلَةٍ بِجِلْدِهَا. وَالْهُلْمُ: طِبَاءُ الْجِبَالِ، وَيُقَالُ لَهَا الْهُلْمُ، وَاحِدُهَا هِلْمٌ، وَيُقَالُ فِي الْجَمْعِ لُهُومٌ.

(٣) الْكَمَاءُ: نَبَاتٌ يَظْهَرُ فِي الرَّبِيعِ مِثْلَ الْقَلْقَاسِ.

(٤) أَقِطٌ وَاحِدَةُ الْأَقِطِ أَقِطَةٌ، وَهُوَ يَتَّخَذُ مِنَ اللَّبَنِ الْمَخِيضِ، يَطْبَخُ ثُمَّ يَتْرَكَ حَتَّى يَمُصَلَ. وَالْأَقِطَةُ: هَنَةٌ دُونَ الْقَبَةِ مِمَّا يَلِي الْكَرْشَ.

(٥) الْأُدْمُ وَالْإِدَامُ: مَا يُؤْتَدَمُ بِهِ. تَقُولُ مِنْهُ: أَدَمَ الْخَبِزَ بِاللَّحْمِ يَأْدُمُهُ، بِالْكَسْرِ.

[كسرى يطلب نساء من النعمان]

وكانت لملوك العجم صفةٌ من النساء مكتوبةٌ عندهم، فكانوا يبعثون في تلك الأَرْضَيْنِ بتلك الصفة، فإذا وَجَدَتْ حُمِلَتْ إلى الملك، غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب ولا يظنونها عندهم. ثم إنه بدا للملك في طلب تلك الصفة، وأمر فكتبَ بها إلى النواحي، ودخل إليه زيد بن عدي وهو في ذلك القول، فخاطبه فيما دخل إليه فيه، ثم قال: إني رأيت الملك قد كتب في نسوة يُطَلَبْنَ له وقرأتُ الصفةَ وقد كنت بآل المنذر عارفاً، وعند عبدك النعمان من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة، قال: فاكتب فيهنّ، قال: أيها الملك، إن شرّ شيء في العرب وفي النعمان خاصّةً أنهم يتكرّمون - زعموا في أنفسهم - عن العجم، فأنا أكره أن يُعَيِّهَنَّ عمن تبعث إليه أو يعرض عليه غيرهنّ، وإن قدِمْتُ أنا عليه لم يقدر على ذلك، فابعثني وابعث معي رجلاً من ثقاتك يفهم العربية حتى أبلغ ما تحبّه، فبعث معه رجلاً جَلِداً فَهْماً، فخرج به زيد، فجعل يكرم الرجل ويُطِفُّهُ حتى بلغ الحيرة، فلما دخل عليه أعظم الملك وقال: إنه قد احتاج إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته، وأراد كرامتك بصهره فبعث إليك، فقال: ما هؤلاء النسوة؟

فقال: هذه صفتهنّ قد جئنا بها. وكانت الصفة أن المنذر الأكبر أهدى إلى أنوشروان جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شمر العسائي، فكتب إلى أنوشروان بصفتها، وقال: إني قد وجهتُ إلى الملك جاريةً معتدلةَ الخلق، نقيّة اللون والشعر، بيضاء قَمَراء^(١) وطفاء^(٢) كحلاء دعجاء^(٣) حوراء^(٤) عيناء^(٥) قنواء^(٦) شماء^(٧) برجاء^(٨) زجاء^(٩)

(١) قمرء: بيضاء شديدة البياض.

(٢) ابن عبّاد: يقال: عليه وَطْءٌ من الشعر. وقال غيره: الوَطْفُ - بالتحريك - كثرة شعر الحاجبين والأشفار وإرخاؤهما.

(٣) عين دعجاء: بينة الدعج وهو شدة السواد مع شدة البياض.

(٤) الحَوَرُ أيضاً: شدة بياض العين في شدة سوادها. يقال: امرأة حوراء بينة الحَوَرِ.

(٥) عيناء: عظم سواد العين في سعتها.

(٦) القنأ: أحديداً في الأنف؛ يقال: رجل أفنى الأنف وامرأة قنواء بينة القنأ.

(٧) الشماء: المرتفعة القصبة وحسنها.

(٨) امرأة برجاء بينة البرج. ومنه قيل: ثوب مبرج للمعين من الحلل. والتبرُّج: إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال.

(٩) زجاء: «والمزج»، بالكسر: «زُمِحَ قصير كالمزراق»، في أسفلهِ رُجٌّ، وقد استعملوه في السريع الثفوذ. «والزجج»، محرّكة: رِفَّةٌ مَخْطُ الحاجبين ودَقَّتُهُما وطولُهُما وسُبُوغُهُما واستِقْوَاهُما. =

أسيلة الخد^(١)، شهية المقبل، جثلة الشعر^(٢)، عظيمة الهامة، بعيدة مهوى القُرط، عيطاء^(٣)، عريضة الصدر، كاعب الثدي، ضخمة مُشاش المنكب والعضد، حسنة المعصم، لطيفة الكف، سبطة البنان، ضامرة البطن، خميص^(٤) الخصر، عرثي^(٥) الوشاح، رداح^(٦) الأقبال، رابية الكفل، لفاء الفخذين^(٧)، ربا الروادف، ضخمة المأكمتين^(٨)، مفعمة^(٩) الساق، مشبعة^(١٠) الخلخال، لطيفة الكعب والقدم، قطوف^(١١) المشي، مكسال الضحى^(١٢)، بضمة المتجرد^(١٣)، سموعا للسيد، ليست بخنساء^(١٤) ولا سفعاء^(١٥)، رقيقة الأنف، عزيزة النفس، لم تغد في بؤس، حيية رزينة، حليلة ركيئة،

= قيل: الرّجج: «دقة الحاجبين في طول». وفي بعض النسخ: دقة في الحاجبين وطول. والنعت «أزج». يقال: رجل أزج، وحاجب أزج، ومزجج. وهي «زجاء»، بيئة الرّجج.

(١) خد أسيل: سهل لين. (٢) شعر جثل: كثير لين.

(٣) امرأة وناقة عيطاء: طويلة العنق.

(٤) الخمص: خماسة البطن، وهو دقة خلقته. الخمص: الخمص والمخمصة. أيضا: خلاء البطن من الطعام. وامرأة خميص البطن خمصانة. وهن خمصانات، وفلان خميص البطن من أموال الناس، أي: عفيف عنها، وهم خماص البطون. والطير تغدو خماصا وتروح بطانا. والخميص: كساء أسود معلّم من المرعزي والصوف ونحوها.

(٥) العرثان: الجائع، وامرأة عرثي، وجمعه غراث، ونسوة غراشي. وجارية عرثي الوشاح، ووشاحها عرثان.

(٦) الرّذج: بسطك الشيء تسوي ظهره بالأرض. وبيت مردوح ومردج. وناقة رداح وامرأة كذلك: ضخمة العجيزة والمآكم.

(٧) لفاء الفخذين: ضخمة الفخذين مكتنزة.

(٨) امرأة عظيمة المآكم. والمأكمتان اللحمتان الوثيرتان من العجز من الأكمة وهي التل.

(٩) مفعمة الساق: ممثلة. (١٠) مشبعة الخلخال: كناية عن السمينة.

(١١) قطوف المشي: متقاربة الخطو.

(١٢) الكسل: التثاقل عن الأمر. وقد كسل بالكسر، فهو كسلان، وقوم كسالى وكسالى. وامرأة مكسال: لا تكاد تبرح مجلسها، وهو مدح لها، مثل نووم الضحى. وأكسل الرجل في الجماع، إذا خالط أهله ولم يُنزل. ويقال في فحل الإبل أيضا.

(١٣) بضمة المتجرد: بضمة ناعمة، وبضمة المتجرد: ناعمة عند تجردها.

(١٤) خنس عنه يخنس بالضم، أي تأخر. وأخنسه غيره، إذا خلفه ومضى عنه. والخنس: تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة. والرجل أخنس، والمرأة خنساء.

(١٥) سفعاء. والسفعاء أيضا في آثار الدار: ما خالف من سوادها سائر لون الأرض. والسفعاء في الوجه: سواد في خدي المرأة الشاحبة، ويقال للحمامة سفعاء، لما في عنقها من السفعاء والصقور كلها سفعاء. وسفعا الطائر: لطمه بجناحيه.

كريمة الخال، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها، وتستغني بفصيلتها دون جماع قبيلتها، قد أحكمتها الأمور في الأدب، فرأيها رأي أهل الشرف، وعملها عمل أهل الحاجة، صنّاع الكفين، قطيعة اللسان^(١) ورهوة الصوت^(٢) ساكنته، تزين الولي، وتشين العدو، إن أردتها انتهت، وإن تركتها انتهت، تُحمَلُ عيناها، وتحمرُّ وجنتاها، وتذبذب شفتاها، وتبادرك الوثبة إذا قُمّت، ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست. قال: فقبلها أنوشروان وأمر بإثبات هذه الصفة في دواوينه، فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز.

[النعمان يرفض]

فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان، فشقت عليه؛ وقال لزيد، والرسول يسمع: أما في مَهَا السَّوَاد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته! فقال الرسول لزيد بالفارسية: ما المها والعين؟ فقال له بالفارسية: كاوان أي البقر؛ فأمسك الرسول. وقال زيد للنعمان: إنما أراد الملك كرامتك، ولو علم أنّ هذا يشقُّ عليك لم يكتُب إليك به. فأنزلهما يومين عنده، ثم كتب إلى كسرى: إنّ الذي طلب الملك ليس عندي، وقال لزيد: اعذرني عند الملك. فلما رجعا إلى كسرى؛ قال زيد للرسول الذي قدّم معه: اصدّق الملك عما سمعت، فإنني سأحدثه بمثل حديثك ولا أخالفك فيه. فلما دخلا على كسرى، قال زيد: هذا كتابه إليك، فقرأه عليه. فقال له كسرى: وأين الذي كنتُ خبرتني به؟ قال: قد كنتُ خبرتك بضئتهم بنسائهم على غيرهم، وإنّ ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعري على الشبع والرياش، وإيثارهم السموم والرياح على طيب أرضك هذه، حتى إنهم ليسئونها السجن، فسئل هذا الرسول الذي كان معي عما قال، فأنّي أكرم الملك عن مشافهته بما قال وأجاب به. قال للرسول: وما قال؟! فقال له الرسول: أيها الملك، إنه قال:

أما كان في بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا، فعرف الغضب في وجهه، ووقع في قلبه منه ما وقع، لكنّه لم يزد على أن قال: رُبَّ عبدٍ قد أراد ما هو أشدُّ من هذا ثم صار أمره إلى التَّباب. وشاع هذا الكلام حتى بلغ النعمان، وسكت كسرى أشهراً على ذلك.

[النعمان يسلم نفسه لكسرى]

وجعل النعمان يستعدُّ ويتوقَّع حتى أتاه كتابه: أن أقبل فإنّ للملك حاجة إليك،

(١) قطيعة اللسان: كناية عن التهذيب وعدم تسلط اللسان.

(٢) رهوة الصوت: رقيقته.

فانطلق حين أتاه كتابه فحمل سلاحه وما قَوِيَ عليه، ثم لحق بجبَلِي طَيِّئ، وكانت فرعة بنتُ سعد بن حارثة بن لأم عنده، وقد وَلَدَتْ له رجلاً وامراً، وكانت أيضاً عنده زينب بنتُ أوس بن حارثة، فأراد النعمانُ طَيِّئاً على أن يُدْخِلوه الجبلين ويمنعوه، فأبَوْا ذلك عليه، وقالوا له: لولا صَهْرُكَ لقتلناك، فإنه لا حاجة بنا إلى مُعاداة كسرى، ولا طاقةً لنا به. وأقبل يطوف على قبائل العرب ليس أحدٌ منهم يقبله، غيرَ أن بني رَوَاحَةَ بن قُطَيْعَةَ بن عَبْسٍ قالوا: إن شئت قاتلنا معك، لِمَنَّةٍ كانت له عندهم في أمر مروانِ القَرْظ، قال: ما أَحِبُّ أن أُهْلِكَكُمْ، فإنه لا طاقة لكم بكسرى. فأقبل حتى نزل بذي قارٍ في بني شَيْبَانَ سِرّاً، فلَقِيَ هانئ بن قَبِيصَةَ، وقيل: بل هانئ بن مسعود ابن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، وكان سيداً منيعاً، والبيت يومئذ من ربيعة في آل ذي الجَدَّين لَقَيْس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجَدَّين، وكان كسرى قد أطعم قيسَ بنَ مسعود الأُبْلَةَ^(١)، فكَرِهَ النعمانُ أن يدفع إليه أهله لذلك، وعلم أن هانئاً يمنعه مما يمنع منه نفسه.

وقال حمّاد الراوية في خبره: إنّه إنَّما استجار بهانئ كما استجار بغيره فأجاره، وقال له: قد لزماني ذمامك وأنا مانعك مما أمتع نفسي وأهلي وولدي منه ما بقي من عشيرتي الأذنين رجل، وإن ذلك غير نافِعٍ لأنه مُهلكي ومُهلكك، وعندني رأي لك، لست أشير به عليك لأدفعك عما تريده من مجاورتي ولكنه الصواب؛ فقال: هاتِه؛ فقال: إن كلَّ أمر يجملُ بالرجل أن يكون عليه إلا أن يكون بعد المُلْكِ سَوْقَةً، والموت نازلٌ بكل أحدٍ، ولأنَّ تموت كريماً خيراً من أن تتجرَّعَ الذلَّ أو تبقى سَوْقَةً بعد المُلْكِ، هذا إن بقيت، فامض إلى صاحبك و[احمل]^(٢) إليه هدايا ومالاً وألقِ نفسك بين يديه، فإمّا أن صفح عنك فعدت ملكاً عزيزاً، وإمّا أن أصابك فالموت خيراً من أن يتلعب بك صعاليك العرب ويتخطَّفَكَ ذئابها وتأكُلَ مالك وتعيش فقيراً مجاوراً أو تُقتَلَ مقهوراً؛ فقال: كيف بحرّمي؟ قال: هُنَّ في ذمتي، لا يُخَلِّصُ^(٣) إليهن حتى يُخَلِّصَ إلى بناتي؛ فقال: هذا وأبيك الرأي الصحيح، ولن أجاوزَه. ثم اختار خيلاً وحُللاً من عَصَبِ^(٤) اليمن وجوهرًا

(١) الأُبْلَة: بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، وكانت مدينة فيها مسالح وقائد من قبل كسرى.

(٢) ورد في بعض النسخ [أرسل] بدل [احمل].

(٣) خَلَصَ الشيء بالفتح يَخْلُصُ خُلوصاً، أي صار خالِصاً. وخَلَصَ إليه الشيء: وصل. وخَلَصْتُهُ من كذا تَخْلِيساً، أي نَجَيْتُهُ فَتَخَلَّصَ.

(٤) العصب: ضرب من برود اليمن يعصب غزله أي يجمع ويُشدّ ثم يصبغ فيأتي موشياً لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ.

وُطِرْفَاً كانت عنده، ووَجَّه بها إلى كسرى، وكتب إليه يعتذر ويُعلمه أَنَّهُ صائرٌ إليه، ووَجَّه بها مع رسوله، فقبلها كسرى وأمره بالقدوم؛ فعاد إليه الرسول فأخبره بذلك وأنه لم يرَ له عند كسرى سوءاً. فمضى إليه حتى إذا وصل إلى المدائن^(١) لقيه زيدُ بنُ عديٍّ على قنطرة سابات^(٢)، فقال له: انجُ نعيم، إن استطعت النجاء؛ فقال له: أفعلتها يا زيد! أما والله، لئن عُشْتُ لك لأقتلنك قتلةً لم يُقتلها عربي قط، ولألحقنك بأبيك! فقال له زيد: امض لشأنك نعيم، فقد والله أخيت لك أخية^(٣) لا يقطعها المهر الأرن^(٤).

[وصول النعمان لكسرى وموته]

فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه، فقيده وبعث به إلى سجن كان له بخانقين^(٥)، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه.

وقال حمادُ الراوية والكوفيون: بل مات بسابات في حبسه. وقال ابن الكلبي: ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات، واحتجوا بقول الأعشى^(٦):

فَذاكَ وَمَا أَنْجَى مِنَ الْمَوْتِ رَبُّهُ بِسَابَاطٍ حَتَّى مَاتَ وَهُوَ مُحْزَرَقُ^(٧)
[على الطويل]

قال: المحزرقُ: المضيقُ عليه. وأنكر هذا من زعم أنه مات بخانقين، وقالوا:

(١) المدائن: الموضع الذي كان يسكن فيه ملوك فارس، وقد سميت بهذا الاسم؛ لأن كل ملك كان إذا وصل للحكم بنى له مدينة جديدة.

(٢) السابات: سقبة بين حائطين تحتها طريق، والجمع: سوابط وساباتات، وفي المثل: أفرغ من حجام سابات، قال الأصمعي: هو سابات كسرى بالمدائن: وهو بالعجمية بلاس أباد.

(٣) الأخية: عودٌ يعرض في الحائط، تشد إليه الدابة، وتجمع على الأواخي. ولفلان عند الأمير أخية ثابتة. والفعل: أَخَيْتُ تَأَخَيْتُ وَأَخَيْتُ أَنَا، واشتقاقه من أخية العود، وهي في تقدير الفعل: فاعولة. ويقال: أخية، بالتخفيف في كل ذلك.

(٤) أرن. الفراء: الأرن: النشاط. يقال: أرن البعير بالكسر يَأْرُنُ أَرْنًا، إذا مرَّ مرحاً، فهو أرن أي نشيط.

(٥) خانقين، وخانقون: بسواد بغداد الأولى في النصب والخفض لأن النعمان الملك خنق به عدي ابن زيد العبادي حتى قتله، قال عتبة بن الوعل التغلبي:

وَيَوْمَ بَأَعْلَى خَانِقِينَ شَرِبْتُهُ وَحُلُوانَ حُلُوانَ الْجِبَالِ وَتُسْتَرَا

(٦) ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل والأعشى الكبير. من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلمات. كان كثير الوفود على الملوك من العرب، والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كل مسلک، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعراً منه، توفي سنة ٧هـ.

(٧) الحزقة والحزقة: الضيق؛ فلان محزرق عليه، إذا كان مضيقاً عليه.

لم يزل محبوساً مدةً طويلة، وإنه إنما مات بعد ذلك بحينٍ قُبيلَ الإسلام، وَغَضِبَتْ لَهُ العربُ حينئذٍ، وكان قتله سببَ وقعةٍ ذي قارٍ.

[عديّ بن زيد وهند بنت النعمان]

أخبرني عمّي قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد قال: حدّثنا عليّ بن الصَّبَّاح، وأخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: قال عليّ بن الصَّبَّاح، حدّثني هشامُ بن الكلبيّ عن أبيه قال: كان عديّ بنُ زيد بن حمّاد بن زيد بن أيوب الشاعر العبّاديّ يهوى هنداً بنتَ النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عديّ بن نُصْر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غنم بن ثُمارة بن لَحْم، وهو مالك بن عديّ بن الحارث بن مُرّة بن أدّ بن زيد بن يَشْجُب بن عريب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان، ولها يقول:

عَلِقَ الْأَحْشَاءُ مِنْ هَنْدٍ عَلَقٌ^(١) مُسْتَسِرٌّ فِيهِ نَضْبٌ^(٢) وَأَرْقٌ

[الرمّل]

وهي قصيدةٌ طويلة. وفيها أيضاً يقول:

مَنْ لِقَلْبٍ دَنْفٍ أَوْ مُعْتَمِدٌ قَدْ عَصَى كُلَّ نَصِيحٍ وَمُفَدٍّ^(٣)

[الرمّل]

وهي طويلة. وفيها أيضاً يقول:

يَا خَلِيلِي يَسِّرَا التَّعْسِيرَا ثَمَّ رُوحَا فَهَجَّرَا تَهْجِيرَا
عَرَجَا بِي عَلَى دِيَارٍ لِهَنْدٍ لَيْسَ أَنْ عُجْتُمَا الْمَطْيَى كَبِيرَا

[الخفيف]

[قصة تزوجه بهند]

قال ابن الكلبي: وقد تزوّجها عديّ. وقال ابنُ أبي سعد، وذكر ذلك خالد بن كلثوم أيضاً قالاً: كان سببُ عشقه إياها أنّ هنداً كانت من أجمل نساء أهلها وزمانها، وأمّها ماريّة الكنديّة؛ فخرجت في خميس الفصح، وهو بعد الشّعانين بثلاثة أيام، تتقرّب في البيعة، ولها حينئذٍ إحدى عشرة سنة، وذلك في مُلكِ المنذر؛ وقد قدّم

(١) العلق: العشق والهوى.

(٢) النصب: الداء والبلاء والشر.

(٣) أي جعلت فداك.

عدي حينئذ بهدية من كسرى إلى المنذر، والنعمان يومئذ فتى شاب، فاتفق دخولها البيعة وقد دخلها عدي ليقترب، وكانت مديدة القامة عبلة الجسم، فرأها عدي وهي غافلة فلم تنتبه له حتى تأملها، وقد كان جواربها راين عدياً وهو مقبل فلم يقلن لها ذلك، كي يراها عدي، وإنما فعلن هذا من أجل أمة لهند يقال لها مارية، وقد كانت أحبت عدياً فلم تدر كيف تأتي له. فلما رأت هند عدياً ينظر إليها شق ذلك عليها، وسبت جواربها ونالت بعضهن بضرب؛ فوقعت هند في نفس عدي، فلبث حولاً لا يخبر بذلك أحداً. فلما كان بعد حول وظنت مارية أن هنداً قد أضربت عما جرى وصفت لها بيعة دومة - وقال خالد بن كلثوم: بيعة ثوما وهو الصحيح - ووصفت لها من فيها من الرواهب، ومن يأتيها من جوارب الحيرة، وحسن بنائها وسرجها؛ وقالت لها: سلي أملك الإذن لك في إتيانها، فسألتها ذلك فأذنت لها، وبادرت مارية إلى عدي فأخبرته الخبر فبادر فليس يلمقاً^(١) كان «فرخان شاه مرد» قد كساه إياه، وكان مذهباً لم ير مثله حسناً، وكان عدي حسن الوجه، مديد القامة، حلو العينين، حسن الملبس، نقي الثغر. وأخذ معه جماعة من فتيان الحيرة، فدخل البيعة؛ فلما رآته مارية قالت لهند: انظري إلى هذا الفتى! فهو والله أحسن من كل ما ترين من السرج وغيرها! قالت: ومن هو؟ قالت: عدي بن زيد؛ قالت: أتخفين أن يعرفني إن دنوت منه لأراه من قريب؟ قالت: ومن أين يعرفك وما رأيك قط من حيث يعرفك! فدنوت منه وهو يمازح الفتيان الذين معه وقد برع عليهم بجماله، وحسن كلامه وفصاحته، وما عليه من الثياب، فذهلت لما رآته، وبهتت تنظر إليه. وعرفت مارية ما بها وتبينته في وجهها، فقالت لها: كلميه، فكلمته، وانصرفت وقد تبعته نفسها وهويته، وانصرف بمثل حالها. فلما كان الغد تعرضت له مارية، فلما رآها هش لها، وكان قبل ذلك لا يكلمها، وقال لها: ما غدا بك؟ قالت: حاجة إليك، قال: اذكريها، فوالله لا تسأليني شيئاً إلا أعطيتك إياه، فعرفته أنها تهواه، وأن حاجتها الخلوة به على أن تحتال له في هند، وعاهدته على ذلك؛ فأدخلها حانوت خمار في الحيرة ووقع عليها، ثم خرجت فأتت هنداً، فقالت: أما تشتهين أن تري عدياً؟ قالت: وكيف لي به؟ قالت: أعدّه مكان كذا وكذا في ظهر القصر وتشرفين عليه؛ قالت: افعلي، فواعدته إلى ذلك المكان، فأتاه وأشرفت هند عليه، فكادت تموت، وقالت: إن لم تدخله إلي هلك. فبادرت الأمة إلى النعمان فأخبرته خبرها وصدقته، وذكرت أنها قد شغقت به، وأن سبب ذلك رؤيتها إياه في يوم الفصح، وأنه إن لم يزوجه بها افتضحت في أمره أو

(١) اليلمق: القباء، فارسي معرب. والجمع اليلماق.

ماتت؛ فقال لها: ويلك! وكيف أبدؤه بذلك! فقالت: هو أرغب في ذلك من أن تبدأ أنت، وأنا أحتال في ذلك من حيث لا يعلم أنك عرفت أمره. وأتت عدياً فأخبرته الخبر، وقالت: ادعه، فإذا أخذ الشراب منه فاحطب إليه فإنه غير رادك؛ قال: أخشى أن يُغضبهُ ذلك فيكون سبب العداوة بيننا؛ قالت: ما قلت لك هذا حتى فرغت منه معه؛ فصنع عدي طعماً واحتفل فيه، ثم أتى النعمان بعد الفصح بثلاثة أيام، وذلك في يوم الاثنين، فسأله أن يتغذى عنده هو وأصحابه، ففعل. فلما أخذ منه الشراب خطبها إلى النعمان، فأجابه وزوجه وضمها إليه بعد ثلاثة أيام.

[هند تترهب بعد قتل عدي]

قال خالد بن كلثوم: فكانت معه حتى قتله النعمان، فترهبت وحسنت نفسها في الدير المعروف بدير هند في ظاهر الحيرة. وقال ابن الكلبي: بل ترهبت بعد ثلاث سنين ومنعته نفسها واحتسنت في الدير حتى ماتت، وكانت وفاتها بعد الإسلام بزمان طويل في ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة، وخطبها المغيرة فردته.

[خطبها المغيرة بن شعبة فردته]

أخبرني عمي قال: حدثني ابن أبي سعد قال: حدثنا علي بن الصَّبَّاح عن هشام بن محمد بن الكلبي عن أبيه والشرقي بن القطامي قالاً: مرَّ المغيرة بن شعبة لما ولاه معاوية الكوفة بدير هند، فنزله ودخل على هند بنت النعمان بعد أن استأذن عليها، فأذنت له وبسطت له مسحاً^(١) فجلس عليه، ثم قالت له: ما جاء بك؟ قال: جئتُك خاطباً؛ قالت: والصليب لو علمت أن في خصلة من جمال أو شباب رغبته في لأجبتك، ولكنك أردت أن تقول في المواسم: ملكت مملكة النعمان بن المنذر ونكحت ابنته، فبحقِّ معبودك أهذا أردت؟ قال: إي والله؛ قال: فلا سبيل إليه؛ فقام المغيرة وانصرف وقال فيها:

أدرَكْتَ ما مئيتُ نفسي خالياً لله درك يا ابنة النعمان
فلقد ردّدت على المغيرة ذهنه إن الملوكة نقيّة الأذهان
[الكامل]

وفي رواية أخرى:

إن الملوكة بطيئة الإذعان

(١) المسح: الكساء من الشعر.

يا هندُ حسبُكِ قد صدقتِ فأمسِكِي فالصدقُ خيرُ مقالةِ الإنسانِ
[الكامل]

[حديث عشقها لزرقاء اليمامة]

وقد روى عن ابن الكلبي غيرُ عليّ بن الصَّبَّاح في هند أنها كانت تهوى زرقاء اليمامة، وأنها أول امرأة أحبَّت امرأةً في العرب، فإنَّ الزرقاء كانت ترى الجيش من مسيرة ثلاثين ميلاً؛ فغزا قوم من العرب اليمامة، فلما قَرَّبُوا من مسافة نظرها قالوا: كيف لكم بالوصول، مع الزرقاء! فاجتمع رأيهم على أن يقتلوا شجراً تستر كلُّ شجرة منها الفارس إذا حملها؛ فقطع كل واحد منهم بمقدار طاقته وساروا بها؛ فأشرفت، كما كانت تفعل، فقال لها قومها: ما ترين يا زرقاء؟ وذلك في آخر النهار؛ قالت: أرى شجراً يسير؛ فقالوا: كذبت أو كذبتك عينك، واستهانوا بقولها؛ فلما أصبحوا صبحهم القوم، فاكسحوا أموالهم وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً وأخذوا الزرقاء فقلعوا عينها فوجدوا فيها عروفاً سوداء، فسئلت عنها فقالت: إنني كنتُ أديمُ الاكتحال بالاثم^(١) فلعل هذا منه، وماتت بعد ذلك بأيام؛ وبلغ هنداً خبرها فترهبت ولبست المُسَوَّحَ وبنت ديراً يُعرفُ بدير هند إلى الآن، فأقامت فيه حتى ماتت.

[قيل إن النعمان أكرهه على طلاقها]

وروى ابن حبيب عن ابن الأعرابي: أنَّ النعمان لما حبسَ عدياً أكرهه في أمرها على طلاقها ولم يزل به حتى طلقها. قال ابن حبيب: وذكر عدي بن زيد صهره هذا للنعمان في قصائده وكان زوج أخته - هكذا ذكر العلماء من أهل الحيرة. وقالت رِوَاةُ العرب: إنه كان زوج ابنته هند - فمن ذلك قوله في قصيدته التي أولها:

أَبْصَرْتُ عَيْنِي عِشَاءَ ضَوْءِ نَارٍ

فقال فيها:

أَجَلَ نَعْمَى رَبِّهَا أَوْلَكُمْ وَدُنُوِّي كَانَ مِنْكُمْ وَاصْطِهَارِي
نَحْنُ كُنَّا قَدْ عَلِمْتُمْ قَبْلَهَا عَمَدَ الْبَيْتِ وَأَوْتَادَ الْإِصَارِ

[الرمل]

[سبب تنصر النعمان]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال: حدَّثنا إبراهيم بن فهد قال: حدَّثنا

(١) الإثم: حَجَرُ الْكُحْلِ.

خليفة بن خياط شبيب العصفري قال: حدثنا هشام بن محمد قال: حدثني يحيى بن أيوب البجلي قال: حدثنا أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي قال: سمعتُ جدِّي جرير بن عبد الله يقول، وأخبرني به عمي قال: حدثنا أحمد بن عبيد الله قال أخبرنا محمد بن يزيد بن زياد الكلبي أبو عبد الله قال: حدثني معروف بن خربوذ عن يحيى بن أيوب عن أبي زرعة بن عمرو قال: سمعتُ جدِّي جرير بن عبد الله - ولَفَظَ هذا الخبر لأحمد بن عبيد الله وروايته أتم - قال: كان سببُ تَنْصُرُ النعمان - وكان يعبدُ الأوثان قبل ذلك، وقال أحمد بن عبيد الله في خبره: النعمان بن المنذر الأكبر - أنه كان قد خرج يتنزه بظهر الحيرة ومعه عدي بن زيد، فمر على المقابر من ظهر الحيرة ونهرها؛ فقال له عدي بن زيد: أبيتَ اللَّعنَ، أتدري ما تقولُ هذه المقابر؟ قال: لا، وقال أحمد بن عبيد الله في خبره: فقال له: تقول:

أيُّهَا الرِّكْبُ المَخْبُوءُ نَ عَلَى الْأَرْضِ المَجْدُونُ
فَكَمَا أَنْتُمْ كُنَّا كَمَا نَحْنُ تَكُونُونَ
[مجزوء الرمل]

وقال الصولي في خبره: فقال له: تقول:

كُنَّا كَمَا كُنْتُمْ حِينَا فَعَيَّرْنَا دَهْرٌ فَسَوْفَ كَمَا صِرْنَا تَصِيرُونَ
[مجزوء الرمل]

قال: فانصرف وقد دخلته رقة، فمكث بعد ذلك يسيراً؛ ثم خَرَجَ خَرْجَةً أُخْرَى فمرَّ على تلك المقابر ومعه عدي، فقال له: أبيتَ اللَّعنَ، أتدري ما تقول هذه المقابر؟ قال: لا؛ قال: فإنها تقول:

مَنْ رَأَا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مَوْفٍ عَلَى قَرْنِ رَوَالٍ
وَصُرُوفُ الدَّهْرِ لَا تَبْقَى لَهَا وَلَمَّا تَأْتِي بِهِ صُمُّ الْجِبَالِ
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا^(١) عِنْدَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالْمَاءِ الزُّلَالِ
وَالْأَبَارِيقُ عَلَيْهَا فُؤْدَمٌ^(٢) وَجِيَادُ الْخَيْلِ تَرْدِي^(٣) فِي الْجِلَالِ
عَمَرُوا الدَّهْرَ بِعَيْشٍ حَسَنِ آمَنِي دَهْرِهِمْ غَيْرَ عَجَالٍ

(١) أَنْخْتُ البعير فاستناخ ونوخته فتَنَوَّخَ وَأَنَاخَ الإبل: أبركها فبركت، واستناخت: بركت.

(٢) الْفُؤْدَمُ: العيى عن الحجة والكلام، وفُؤْدَمٌ فُدَامَةٌ، والجميع فُؤْدَمٌ. الْفِدَامُ: شيء تشده العجم على أفواهها عند السقي، الواحدة فِدَامَةٌ. والفِدَامُ: بصفاء الكوز والإبريق ونحوه، وإبريق مُفَدَّمٌ ومفدوم.

(٣) أَقْبَلُوا والخيل تردى بهم: تعدو ردياناً. ويقال: تردى الخيل تعدو وترجم الأرض بحوافرها.

ثم أضحوا عصف الدهرُ بهم وكذلك الدهرُ يودي بالرجال
وكذلك الدهرُ يرمي بالفتى في طلاب العيشِ حالاً بعدَ حال
[الرمل]

قال الصُوليّ في خبره وهو الصحيح: فرجع النعمانُ فتنصّرَ؛ وقال أحمد بن عبيد الله في خبره عن الزياتي الكلبّي: فرجع النعمانُ من وجهه وقال لعديّ: اتّني الليلة إذا هدأت الرجلُ لتعلم حالي، فأتاه فوجده قد لبسَ المسوحَ وتنصّرَ وترهّبَ وخرج سائحاً على وجهه فلا يُدرى ما كانت حاله، فتنصر ولده بعده، وبنوا البيع والصوامع، وبنّت هند بنتُ النعمان بن المنذر [بن النعمان بن المنذر] الدير الذي يظهر الكوفة ويقال له: «دير هند» فلما حبسَ كسرى النعمان الأصغر أباهما ومات في حبسه ترهّبَت هند ولبست المسوحَ وأقامت في ديارها مُترهّبةً حتى ماتت فدُفِنَت فيه.

[رأي المؤلف أن النعمان هو الذي تنصر]

قال مؤلف هذا الكتاب: إنّما ذكرتُ الخبر الذي رواه الزياتي على ما فيه من التخليط لأنّي إذا أتيتُ بالقصة ذكرتُ [كلّ] ما يروى في معناها. وهو خبر مختلط، لأنّ عديّ بن زيد إنّما كان صاحب النعمان بن المنذر وهو المحبوس، والنعمان الأكبر لا يعرفه عديّ ولا رآه ولا هو جدّ النعمان الذي صحبه عديّ كما ذكر ابن زياد، وقد ذكرتُ نسب النعمان أنفأ، ولعلّ هذا النعمان الذي ذكره عمّ النعمان بن المنذر الأصغر بن المنذر الأكبر، والمتنصر السائح على وجهه ليس عديّ بن زيد أدخله في النصرانية، وكيف يكون هو المُدخل له في النصرانية وقد ضربه مثلاً للنعمان في شعره لمّا حبسه مع منّ ضربه مثلاً له من الملوك السالفة!

[خالد بن صفوان يتذكر قصة النعمان وتنصره]

حدّثنا بخبر ذلك الملك جعفر بن محمد الفريابي وأحمد بن عبد العزيز بن الجعد الوشاء قالا: حدّثنا إسحاق بنُ البُهلول الأنباري قال: حدّثني أبي البُهلول بن حسان التّنوّخي قال: حدّثني إسحاق بن زياد من بني سامّة بن لؤيّ عن شبيب بن شيبّة عن خالد بن صفوان بن الأهم قال: أوفدني يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك في وفد أهل العراق قال: فقدِمْتُ عليه وقد خرج بقرابته وحشمه وغاشيته^(١) وجلسائه، فنزل في أرضٍ قاعٍ صَحَصَح^(٢) منيفٍ أفيح^(٣)، في عامٍ قد بكر

(١) غاشيته: من يتنابه من الزوار والأصدقاء.

(٢) الصَّحَصَحُ والصَّحَصَحَةُ والصَّحَصَحَانُ: الأرض المستوية الواسعة.

(٣) الأفيح: المكان الواسع.

وسميّه^(١) وتتابع وليّه^(٢)، وأخذت الأرض [فيه] زينتها على اختلاف ألوان نبتها من نور ربيع مونقٍ فهو في أحسن منظر، وأحسن مختبر، وأحسن مُستمطر، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور؛ قال: وقد ضرب له سراق من جبرة^(٣) كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن، فيه فسطاط^(٤) فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مرافقها^(٥)، وعليه ذراعة^(٦) من خز أحمر مثلها عمامتها، وقد أخذ الناس مجالسهم؛ قال: فأخرجت رأسي من ناحية السَّمَط^(٧) فنظر إليّ شبه المستنطق لي، فقلت: أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمه، وجعل ما قلّدتك من هذا الأمر رُشداً، وعاقبة ما يؤول إليه حمداً، وأخلصه لك بالثقي، وكثره لك بالنماء، ولا كدر عليك منه ما صفا، ولا خالط سروره بالردى، فلقد أصبحت للمؤمنين ثقةً ومُستراحاً، إليك يقصدون في مظالمهم، ويفزعون في أمورهم، وما أجَدَّ شيئاً يا أمير المؤمنين هو أبلغ في قضاء حقك، وتوقير مجلسك، وما من الله جلّ وعزّ عليّ به من مجالستك من أن أذكرك نعم الله عليك، وأنبّهك لشكرها، وما أجَدَّ في ذلك شيئاً هو أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك، فإن أذن أمير المؤمنين أخبرته به؛ قال: فاستوى جالساً وكان مُتَكَيِّفاً ثم قال: هاتِ يابن الأَهمّ، قال: قلت يا أمير المؤمنين إن ملكاً من الملوك قبلك خرج في عام مثل عامك هذا إلى الحوزنق^(٨) والسدير^(٩) في عام قد بكر وسميّه، وتتابع وليّه، وأخذت الأرض [فيه] زينتها على اختلاف ألوان نبتها في ربيع مونقٍ، فهو في أحسن منظر، وأحسن مختبر، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور، وقد كان أعطي فتاء^(١٠) السن مع الكثرة

- (١) الوسمي: مطر الربيع الأول. (٢) الولي: المطر الذي يلي الوسمي.
 (٣) الجبرة: ضرب من برود اليمن. وبرد جبرة إنما هو وشي، وليس جبرة موضعاً ولا شيئاً معلوماً، إنما هو كقولك: ثوب قريمز، والقريمز صبغة.
 (٤) الفسطاط: بيت من شعر، وفيه ثلاث لغات: فسطاط وفستاط وفساط، وكسر الفاء لغة فيهن.
 والفسيط: ثفروق التمرة، وقلامة الظفر.
 (٥) مرفق: ما انتفعت به.
 (٦) الذراعة والمدرع: ضرب من الثياب التي تلبس، وقيل: جبة مشقوقة المُقدّم. والمدرعة: ضرب آخر ولا تكون إلا من الصوف خاصة، فرقوا بين أسماء الدروع والذراعة والمدرعة لاختلافها في الصنعة وإرادة الإيجاز في المنطق.
 (٧) السَّمَط من الطعام: ما يمدُّ عليه، والعامّة تضمه، والجمع: أسمطة، وسِمَاطَات. ويُقال: هم على سِمَاطٍ واحدٍ، أي على نظم واحد.
 (٨) الحوزنق: نهر، وهو بالفارسية حُرْنَكاه، فعرب الحوزنق.
 (٩) السدير: النهر مطلقاً. وقد غلب على هذا النهر. وقيل: سدير: قصر في الحيرة.
 (١٠) الفتاء: هو الفتى الشيط.

والغلبة والقهر، فنظر فأبعد النظر ثم قال لجلسائه: لَمَنْ مِثْلُ هَذَا، هل رأيتم مثل ما أنا فيه! وهل أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ ما أُعْطِيتُ! قال: وعنده رجل من بقايا حَمَلَةِ الْحُجَّةِ، والمضي على أدب الحق ومنهاجه، قال: ولم تَخُلُ الْأَرْضَ من قائم لله بحجة في عبادته؛ فقال: أيها الملك إنك سألت عن أمر، أَفتَأْذُنُ في الجواب عنه؟ قال: نعم؛ قال: أرايت هذا الذي أنت فيه، شيءٌ لم تزل فيه، أم شيءٌ صار إليك ميراثاً وهو زائلٌ عنك وصائر إلى غيرك كما صار إليك؟ قال: كذلك هو؛ قال: فلا أراك إلا عَجِبْتَ بشيءٍ يسيرٍ تكون فيه قليلاً وتغيب عنه طويلاً، وتكون غداً بحسابه مُرْتَهَنًا؛ قال: ويحك! فأين المَهْرَبُ وأين المَطْلَبُ؟ قال: إما أن تُقِيمَ في ملكك فتعمل فيه بطاعة الله ربك على ما ساءك وسرك، وأَمْضُكَ وأَرْمَضُكَ^(١)، وإما أن تضع تاجك، وتخلع أطمارك^(٢)، وتلبس أمساحك، وتعبُد ربك حتى يأتيك أجلك؛ قال: فإذا كان السَّحَرُ فاقْرَعْ عليّ بابي فإني مختارٌ أحد الرايين، وربما قال إحدى المنزلتين، فإن اخترت ما أنا فيه كُنتَ وزيراً لا يُعصى، وإن اخترت فَلَوَاتِ الْأَرْضِ وقفر البلاد كُنتَ رفيقاً لا يُخالف؛ قال: فقرع عليه عند السَّحَرِ بابَه فإذا هو قد وضع تاجه، وخلع أطماره، ولبس أمساحه، وتهياً للسياحة، فلزما والله الجبل حتى أتاهما أجلهما، وهو حيث يقول عدي بن زيد أخو بني تميم:

رَأَى أَنْتَ الْمُبَرَّأُ الْمَوْفُورُ
يَا بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ
ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ
وَأَنْ أَمَّ قَبْلَهُ سَابُورُ
مَ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
لَهُ تُجْبَى إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ^(٣)
سَأَفْلِطِيرٍ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ
مَلِكٌ عَنْهُ قَبَابُهُ مَهْجُورُ
رَفَ يَوْمًا لِلْهُدَى تَفْكِيرُ

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيَّرُ بِالذَّهْرِ
أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْأَيِّ
مَنْ رَأَيْتَ الْمَنُونَ خَلَدَنْ أَمْ مَنْ
أَيَنْ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشِرُ
وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الرُّو
وَأَخُو الْحَضَرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَّ
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كُلَّ
لَمْ يَهَبْهُ رَيْبُ الْمَنُونَ قَبَادُ الْ
وَتَذَكَّرَ رَبَّ الْخَوَرَنَقِ إِذْ أَشْ

(١) الرَّمَضُ: حَرُّ الْحِجَارَةِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الشَّمْسِ، وَالْإِسْمُ الرَّمْضَاءُ. وَأَرْضٌ رَمِضَةٌ بِالْحِجَارَةِ. وَرَمَضَ الْإِنْسَانُ رَمَضًا إِذَا مَشَى عَلَى الرَّمْضَاءِ.

(٢) الطَّمَرُ: الثَّوبُ الْخَلْقُ، وَخَصَّ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ بِهِ الْكِسَاءَ الْبَالِيَّ مِنْ غَيْرِ الصُّوفِ، وَالْجَمْعُ أَطْمَارٌ.

(٣) الْخَابُورُ: اسْمُ نَهْرٍ بَيْنَ رَأْسِ الْعَيْنِ وَالْفَرَاتِ.

سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُ — لِيكَ وَالْبَحْرُ مُعْرِضاً وَالسَّيْدُ
فَارَعَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ فَمَا غِبُ — طَةُ حَيٍّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ
ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَّاحِ وَالْمُلْكِ وَالْإِم — مةً وَارْتَهُمُ هُنَاكَ الْقُبُورُ
ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفُ — فَ قَالَوْتُ بِهِ الصَّبَا وَالِدُبُورُ^(١)

[الخفيف]

قال: فبكى واللّه هشام حتى أخضل^(٢) لحيته، وبلّ عمامته، وأمر بنزع أبنيته، وبنقلان قرابته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه، ولزم قصره، فأقبلت الموالي والحشم على خالد بن صفوان فقالوا: ما أردت إلى أمير المؤمنين! أفسدت عليه لذته، ونغصت عليه مآذبته، فقال: إليكم عني فإنني عاهدت الله عز وجل ألا أخلو بملك إلا ذكرته الله عز وجل.

[قصر الحضر والخورنق]

فأما خبر الحضر وصاحبه، والخورنق وصاحبه، فإنني أذكر خبرهما ها هنا لأنه مما يحسن ذكره بعقب هذه الأخبار ولا يستغنى عنه، والشيء يتبع الشيء.

أخبرني بخبره إبراهيم بن السري عن أبيه عن شعيب عن سيف، وأخبرني به الحسن بن علي قال: حدثنا الحارث بن محمد قال: حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي، وأخبرني به علي بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين عن السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل بن سلمة الضبي، وهشام بن الكلبي عن أبيه، وإسحاق بن الجصاص عن الكوفيين:

أن الحضر كان قصراً بحيال تكريت بين دجلة والفرات، وأن أخا الحضرة الذي ذكره عدي بن زيد هو الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الأجرام بن عمرو بن النخع بن سليح من بني تزيّد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وأمه جبهلة امرأة من بني تزيّد بن حلوان أخي سليح بن حلوان، وكان لا يعرف إلا بأمه هذه، وكان ملك تلك الناحية وسائر أرض الجزيرة، وكان معه من بني الأجرام [ثم من بني العبيد ابن الأجرام] وسائر قبائل قضاعة ما لا يحصى، وكان ملكه قد بلغ الشام. فأغار الضيزن فأصاب اختاً لسابور ذي الأكتاف وفتح مدينة نهر شير وفتك فيهم، فقال في ذلك عمرو بن السليح بن حدي بن الدهان بن غنم بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة:

(١) الدُّبُورُ: ريحٌ من قِبَلِ القِبْلةِ دابرة نحو المشرق، وجمعه دُبرٌ، والدُّبَائِرُ أَصَوْبٌ.

(٢) أخضلتنا السماء - أي: بلّتنا بللاً شديداً.

لَقِينَاهُمْ بِجَمْعٍ مِنْ عِلَافٍ وَبِالْخَيْلِ الصَّلَادِمَةِ^(١) الذَّكُورِ
فَلَاقَتْ فَارِسٌ مِثْلًا كَالْأُكْلِ وَقَتَّلْنَا هَارِبًا^(٢) شَهْرَ زُورِ
ذَلَفْنَا لِلْأَعَاجِمِ مِنْ بَعِيدٍ بِجَمْعٍ مِنَ الْجَزِيرَةِ كَالسَّعِيرِ
[الوافر]

قالوا: ثم إن سابور ذا الأكتاف جمع لهم وسار إليهم، فأقام على الحضر أربع سنين لا يستغل منهم شيئاً. ثم إن النضير بنت الضيزن عركت - أي حاضت - فأخرجت إلى الربض^(٣)، وكانت من أجمل أهل دهرها، وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا حضن، وكان سابور من أجمل أهل زمانه، فرآها ورأته، وعشيقها وعشيقته، فأرسلت إليه: ما تجعل لي إن دلتك على ما تهديم به هذه المدينة وتقتل أبي؟ قال: أحكمك وأرفعك على نسائي، وأخصك بنفسي دونهن؛ قالت: عليك بحمامة مطوقة ورقاء^(٤)، فاكتب في رجلها بحيض جارية بكر تكون زرقاء، ثم أرسلها فإنها تقع على حائط المدينة فتدعى المدينة، وكان ذلك طلسمها^(٥) لا يهدمها إلا هو، ففعل وتأهب لهم، وقالت له: أنا أسقي الحرس الخمر، فإذا صرعوا فاقتلهم وادخل المدينة، ففعل فتداعت المدينة، وفتحها سابور عنوة، فقتل الضيزن يومئذ، وأباد بني العبيد، وأفنى قضاة الذين كانوا مع الضيزن فلم يبق منهم باق يعرف إلى اليوم، وأصيب قبائل حلوان وانقرضوا ودرجوا، فقال في ذلك عمرو بن آله وكان مع الضيزن:

أَلَمْ يَحْزُنْكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي^(٦) بِمَا لَاقَتْ سَرَاةَ بَنِي الْعَبِيدِ
وَمَصْرَعٌ وَمَقْتَلُ ضَيْزَنْ^(٧) وَبَنِي أَبِيهِ وَإِخْلَاءُ الْقَبَائِلِ مِنْ يَزِيدِ

(١) الصلدم: القوي الشديد الحوافر، والأنثى صلدمة.

(٢) الهربد، بالكسر، واحد الهاربدة المجوس وهم قومة بيت النار التي للهند، فارسي معرب، وقيل: عظماء الهند أو علماؤهم.

(٣) الربض بالتحريك: واحد الأرباض، وهي حبال الرخل، وأمعاء البطن. وربض المدينة أيضاً: ما حولها.

(٤) الورقة: لون سواد في غبرة كلون الرماد، حمامة ورقاء، وأنثى ورقاء، ونصل أورق. وما زلت لك موارقاً: أي قريباً منك مديناً لك.

(٥) طلسمها: سرها المكتوم.

(٦) تنمي: تشيع وتنتشر.

(٧) فلان ضيزن أبيه إذا خاذن امرأته أو خلفه عليها وهو المقتني المنهي في القرآن، وكان عنترة وتميم بن مقبل ضيزنين، وقد تضيّن أهل الجاهلية وزعموا أنهم يرثون نكاح الأب كما يرثون ماله.

أَتَاهُمْ بِالْفُيُولِ مُجَلَّلَاتٍ وَبِالْأَبْطَالِ سَابُورُ الْجُنُودِ
فَهَدَمَ مِنْ أُوَاسِي^(١) الْحَضَرَ صَخْرًا كَأَنَّ ثِقَالَهُ زُبْرُ^(٢) الْحَدِيدِ
[الوافر]

قال: فأخرب سابور المدينة واحتمل النضيرة بنت الضيزن فأعرس بها بعين التمر^(٣)، فلم تزل ليلتها تتصور^(٤) من خشانة في فُرُشها وهي من حرير محشو بالقز، فالتمس ما كان يؤذيها فإذا هي ورقة آس ملتصقة بعُكْنَةٍ^(٥) من عُكْنِها قد أثرت فيها. قال: وكان ينظر إلى مُحْخَا من لين بشرتها. فقال لها سابور: ويحك! بأي شيء كان أبوك يُغذِّبك؟ قالت: بالزبد والمخ وشهد الأ Bakar من النحل وصفوة الخمر، فقال: وأبيك لأنا أحدث عهداً بمعرفتِك، وأثر لك من أبيك الذي غذاك بما تذكرين! ثم أمر رجلاً فركب فرساً جموحاً وضفر غداثها بذنبه، ثم استركضه فقطعها قطعاً، فذلك قول الشاعر:

أَقْفَرَ الْحَضَرَ مِنْ نَضِيرَةٍ فَالْمَر بَاعَ مِنْهَا فَجَانِبُ الثَّرثارِ^(٦)
[الخفيف]

قالوا: وكان الضيزن صاحب الحضر يُلقَّبُ السَّاطِرونَ^(٧)، وقال غيرهم: بل السَّاطِرون صاحب الحضر كان رجلاً من أهل باجرمى^(٨) والله أعلم أي ذلك كان. هذا خبر صاحب الحضر الذي ذكره عدي.

وأما صاحب الحوزنق فهو النعمان بن الشقيقة، وهو الذي ساح على وجهه فلم

(١) الأسو: علاج الطبيب الجراحات بالأدوية والخياطة، أسا يأسو أسو، قال: أرفق من أسو الطبيب الآسي، وقيل: الآسية: المعالجة والمداوية، والجمع: آسيات وأواس. وأما أواسي المسجد فواحدتها: آسية، وهي السارية.

(٢) زبر الحديد: قطع الحديد.

(٣) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة.

(٤) قال ابن الأنباري: تركته يتصور أي يظهر الضر الذي به ويضطرب. وفي الحديث: دخل رسول الله ﷺ، على امرأة يقال لها أم العلاء وهي تصور من شدة الحمى أي تتلوى وتضج وتقلب ظهرها لبطن، وقيل: تتصور تظهر الضور بمعنى الضر.

(٥) العكن: الأطواء في بطن الجارية السمينه، ويجوز جارية عكنا.

(٦) الثرثار: وإد عظيم بين سنجار وتكريت كان في القديم منازل بكر بن وائل، واختص بأكثره بنو تغلب منهم، ويمر بمدينة الحضر ثم يصب في دجلة أسفل تكريت.

(٧) الساطرون: ملك اليونان.

(٨) باجرمى: قرية من أعمال البليخ قرب الرقة من أرض الجزيرة.

يُعرف له خبرٌ، والشقيقةُ أمه بنتُ أبي ربيعة بن ذُهل بن شيبان. وهو النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الضخم اللخمي، وهو صاحب الخوزنق، فذكر ابن الكلبي في خبره الذي قدّمنا ذكره ورواية علي بن الصّباح إياه عنه: أنه كان سبب بنائه الخوزنق أن يزّجرَ بن سَابور كان لا يبقى له ولد، فسأل عن منزل مَرِيءٍ صحيح من الأدوية والأسقام، فدلّ على ظُهر الحيرة، فدفع ابنه بهرام جُور بن يزّجرَ إلى النعمان بن الشقيقة، وكان عامله على أرض العرب، وأمره بأن يبني الخوزنق مسكناً له ولابنه ويُنزلَه إياه معه، وأمره بإخراجه إلى بوادي العرب، وكان الذي بنى الخوزنق رجلاً يقال له سِنَمَارُ فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله، فقال: لو علمتُ أنكن تُوفوني أجرتي وتصنعون بي ما أستحقّه، لبنيتُهُ بناءً يدورُ مع الشمس حيثما دارت، فقالوا: وإنك لتبني ما هو أفضل منه ولم تبنيه! ثم أمرَ به فطُرحَ من أعلى الجَوْسِقِ^(١). وقال: في بعض الروايات أنه قال له: إني لأعرفُ في هذا القصر موضعَ عيبٍ إذا هُدِمَ تداعى القصرُ أجمعُ، فقال له: أما والله لا تدلُّ عليه أحداً أبداً، ثم رُميَ به من أعلى القصر، فقالت الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة منها قول أبي الطمّحان القيني:

جزاء سِنَمَارٍ جَزَوْهَا، وربّها وبألّات والعُزَى، جزاء المكفّر
[الطويل]

ومنها قول سَلِيطِ بن سعد:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبرٍ وحُسنِ فعلٍ كما يُجزى سِنَمَارُ
[البسيط]

وقال عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي^(٢) - وكان أهدى إلى الحارث بن مارية الغساني أفراساً، ووفدَ إليه فأعجبَ به واختصّه، وكان للملك ابنُ مسترَضعٍ في بني عبد ودٍّ من كلبٍ فنهشَتْهُ حَيَّةٌ، فظنَّ الملكُ أنهم اغتالوه، فقال لعبد العزى: جئني بهؤلاء القوم، فقال: هم قوم أحرار ليس لي عليهم فضلٌ في نسبٍ ولا فعلٍ، فقال:

(١) الجوسق: الحصن. وقيل: هو شبيه بالحصن، مغرب.

(٢) عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن كنانة. شاعر جاهلي من بني كلب، وفد على الحارث بن مارية الملك الغساني وأهدى له أفراساً فقبلها، ونادمه لجماله وشرفه وحسن حديثه، وكان للملك ابن مسترضع في بني الحميم بن عبد ود فنهشته حية فظن أنهم قتلوه، فطلب من عبد العزى أن يأتي بهم، فاعتذر له عن ذلك فكتب مع ولديه شراحيل وعبد الحارث إلى قومه يحذرهم من غضب الملك، ومنها قوله: (جزاني جزاه الله شرّ جزائه . .) ثم غدر به الملك فقتله.

لَتَأْتِيَنِي بِهِمْ أَوْ لَأَفْعَلَنَّ وَأَفْعَلَنَّ، فقال له: رَجَوْنَا مِنْ حَبَائِكَ أَمراً حَالٌ دُونَ عِقَابِكَ،
ودعا ابنه شَرَّاحِيلَ وعبد الحارث - فكتب معهما إلى قومه:

جَزَانِي جَزَاءُ اللَّهِ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءُ سِنَمَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ
سِوَى رَضِهِ الْبُنْيَانِ عِشْرِينَ حِجَّةً يُعَلِّي عَلَيْهِ الْقَرَامِيدَ وَالسَّكْبُ^(١)
[الطويل]

وهي أبيات، قال: فقتله النعمان، وكان أمره قد عَظُمَ وجعل معه كسرى
كتيبتين: إحداهما يقال لها: «دَوَسَر» وهي لَتَنُوحُ، والأخرى: «الشَّهْبَاءُ» وهي للفرس،
وكانتا أيضاً تُسمَّيان القبيلتين، وكان يغزو بهما بلاد الشام، وكلٌّ مَنْ لَمْ يَدِنْ لَهُ مِنَ
العرب. فجلس يوماً يُشْرِفُ مِنَ الْخُورَنْقِ فَأَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ مُلْكِهِ. ثم ذكر باقي خبره
مثل ما ذكره خالد بن صفوان لهشام من مخاطبة الواعظ وجوابه وما كان من اختياره
السياحة وتركه مُلْكُهُ.

[رثاء النابغة الذبياني للنعمان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُويَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي
عبد الله بن عمرو قال: ذكر ابنُ حمزة عن مشايخه: أَنَّ النعمان بن المنذر لما نُعِيَ
إلى النابغة الذبيانيّ وَحُدِّثَ بِمَا صَنَعَ بِهِ كَسْرَى قَالَ: طَلَبُهُ مِنَ الدَّهْرِ طَالِبُ الْمُلُوكِ ثُمَّ
تَمَثَّلَ:

مَنْ يَطْلُبُ الدَّهْرَ تُدْرِكُهُ مَخَالِبُهُ وَالدَّهْرُ بِالْوَتْرِ نَاجٍ غَيْرُ مَطْلُوبٍ
مَا مِنْ أَنْاسٍ ذَوِي مَجْدٍ وَمَكْرُمَةٍ إِلَّا يَشُدُّ عَلَيْهِمْ شِدَّةَ الذَّيْبِ
حَتَّى يُبِيدَ عَلَى عَمَدٍ سَرَاتِهِمْ بِالْإِنْفِذَاتِ مِنَ النَّبْلِ الْمَصَايِبِ
إِنِّي وَجَدْتُ سِهَامَ الْمَوْتِ مُعْرِضَةً بِكُلِّ حَتَفٍ مِنَ الْآجَالِ مَكْتُوبٍ
[البسيط]

[الغناء في شعر عدي بن زيد]

وفي سائر قصائد عديّ بن زيد التي كتب بها إلى النعمان يستعطفه ويعتذر إليه
أغانٍ.

منها:

(١) السكب: النحاس أو الرصاص.

صوت

لَمْ أَرِ مِثْلَ الْفَتِيَانِ فِي غَبْنٍ^(١) الـ
يَنْسَوْنَ إِخْوَانَهُمْ وَمَصْرَعَهُمْ
مَاذَا تُرَجِّي النُّفُوسَ مِنْ طَلَبِ الْخَيْدِ
رَوْحُ الْحَيَاةِ كَارِبُهَا
رَوْرِبُ الْمَنُونِ صَائِبُهَا

[المنسرح]

ويروى عُقْبُ^(٢) الدهر - يقول: الأيام تَغْبِنُ النَّاسَ فَتَخْدَعُهُمْ وَتَخْتَلِيهِمْ^(٣) مثل الغبن في البيع. وتعتاقُهُمْ: تحبسُهُمْ، يقال: اعتاقه واعتقاه^(٤). وكاربها ها هنا: غامُّها، وهو في موضع آخر القريب منها، يقال: كَرَبَهُ الْأَمْرُ وَكَرِثَهُ وَبَهَضَهُ^(٥) وَغَنَظَهُ^(٦) إِذَا غَمَّهُ.

الغناء في هذه الأبيات لابن مُحَرِّزٍ خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانه. وفيها رمل بالبنصر، نسبه حبش ودنانير إلى حنين، ونسبه الهشامي وابن المكي إلى الهذلي. ومنها:

صوت

يَا لَبَّيْنِي أَوْقِدِي النَّارَا
رُبَّ نَارٍ بِتُّ أَرْمُقُهَا
عِنْدَهَا ظَبْيٌ يَوْرَثُهَا
إِنَّ مِنْ تَهْوَيْنَ قَدْ حَارَا
تَقْضِمُ الْهِنْدِيَّ وَالْغَارَا
عَاقِدُ فِي الْجِيدِ تَقْصَارَا

[المديد]

(١) غَبْنُ الشَّيْءِ، وَغَبْنٌ فِيهِ، غَبْنًا وَغُبْنًا: نَسِيَهُ وَأَغْفَلَهُ وَجَهَلَهُ.

(٢) عَقْبٌ: جَمْعُ عَقْبَةٍ وَهِيَ الشَّدَّةُ.

(٣) خَتَلَهُ عَنْ كَذَا وَاخْتَتَلَهُ وَخَاتَلَهُ، وَتَخَاتَلُوا. وَكَلَبَ خَتَالًا. وَالدُّنْيَا غَرَارَةٌ غَدَارَةٌ، خَتَالَةٌ خَتَارَةٌ.

(٤) اعْتَقَاهُ: احْتَبَسَهُ.

(٥) الْبَهْضُ: مَا شَقَّ عَلَيْكَ؛ عَنْ كِرَاعٍ، وَهِيَ عَرَبِيَّةُ الْبَتَّةِ. التَّهْذِيبُ: قَالَ أَبُو تَرَابٍ: سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ أَشْجَعٍ يَقُولُ: بَهَضَنِي هَذَا الْأَمْرُ وَبَهَظَنِي، قَالَ: وَلَمْ يُتَابِعْهُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ.

(٦) الْغَنْظُ: أَشَدُّ الْكَرْبِ. يُقَالُ: قَدْ غَنَظَهُ الْأَمْرُ يَعْنِي غَنَظًا أَيْ أَجْهَدَهُ وَشَقَّ عَلَيْهِ، فَهُوَ مَغْنُوظٌ. وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَقُولُ: هُوَ أَنْ يُشْرِفَ الرَّجُلُ عَلَى الْمَوْتِ مِنَ الْكَرْبِ ثُمَّ يُقَلَّتْ مِنْهُ.

عروضه من المديد - حار يحير هنا: ضلّ، وحار في موضع آخر: رجع.
والغار: شجر طيب الريح، والغار أيضاً: شجر السوس، والغار: الغيرة. ويؤرثها:
يوقدها ويكثر حطبها. والتقصار: المَحْنَةُ.

الغناء لحنين خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه
خفيف رمل يقال إنه لعريب.

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، وأخبرنا
به يحيى بن عليّ عن داود بن محمد عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن عائشة عن
يونس النحوي قال: مات رجل من جند أهل الشام عظيم القدر، له فيهم عزّ [وعدد]؛
فحضر الحجاج جنازته وصلى عليه وجلس على قبره، وقال: لينزل إليه بعض إخوانه،
فنزل نفر منهم، فقال أحدهم وهو يسوي عليه: رَحِمَكَ اللَّهُ أبا قنان، إن كنت ما
علمت لتجيد الغناء، وتسرّع ردّ الكأس، ولقد وقعت في موضع سوء لا تخرج منه
والله إلى يوم القيامة. قال: فما تمالك الحجاج أن ضحك، وكان لا يكثر الضحك في
جد ولا هزل. فقال له: أهذا موضع هذا لا أم لك! فقال: أصلح الله الأمير، فرسه
حبيس في سبيل الله لو سمعه الأمير وهو يُغني:

يَا لَبِئْسَى أَوْقِدِي النَّارَا إِنْ مِنْ تَهْوَيْنَ قَدْ حَارَا
[المديد]

لانتشر الأمير على سَعْنَةَ^(١)، وكان الميت يلقّب بسَعْنَةَ، فقال: إنا لله أخرجوه من
القبر! ما أبين حُجَّةَ أهل العراق في جهلكم يا أهل الشام! قال: وكان سَعْنَةُ هذا الميت من
أوحش خلق الله كلهم صورةً، وأذمهم قامَةً. فلم يبق أحد حضر القبر إلا استفرغ ضحكاً.
ومنها من قصيدته التي أولها:

لَمَنْ الدَّارُ تَعَقَّتْ بِخَيْمٍ^(٢)

صوت

وَتَلَاثٍ كَالْحَمَامَاتِ بِهَا بَيْنَ مَجْشَاهُنَّ تَوْشِيمُ الْحِمَمِ^(٣)

(١) السَعْنُ: بالضم قرينة تُقَطَّع من نصفها ويُبَدَّ فيها، وربما استُتِقي بها كالدلو، وربما جعلت المرأة فيها
عَزْلَهَا وَقُطْنَهَا. والجمع سَعْنَةٌ. قولهم: ما له سَعْنَةٌ وَلَا مَعْنَةٌ، بالفتح، أي شيء.

(٢) خيم: اسم جبل من عمارة على يسار الطريق إلى اليمن.

(٣) الحمم: الخشب والحطب وكل شيء يشتعل بالنار.

أَسْأَلُ الدَّارَ وَقَدْ أَنْكَرْتُهَا عَنْ حَبِيبٍ فَإِذَا فِيهَا صَمَمٌ
[الرملة]

- ويروى: توشيمُ العَجَم. والتوشيمُ أراد به آثار الوقود قد صار فيها كالوشم. والثلاثُ يعني الأثافي التي تُنصب عليها القدرُ.

الغناء لإبراهيمَ خفيفٌ ثقیلٌ أولٌ مطلق في مجرى البنصر عن عمرو وابن المكي. وفيه لحكم لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس. وهذه القصيدة التي أولها:

لِمَنِ الدَّارُ تَعَفَّتْ بِخِيمِ أَصَبَحْتَ غَيْرَهَا طُولُ الْقِدَمِ
مَا تَبِينُ الْعَيْنُ مِنْ آيَاتِهَا غَيْرُ نُؤْيٍ^(١) مِثْلِ خَطِّ بِالْقَلَمِ
[الرملة]

وبعده:

وَثَلَاثٌ كَالْحَمَامَاتِ بِهَا بَيْنَ مَجْشَاهُنَّ تَوْشِيمُ الْجَمَمِ
[الرملة]

وعلى هذا خُفِضَ قَوْلُهُ: وثلاث كالحمّامات.

ومنها قوله:

كفى غَيْرُ الأيام للمرء وازعاً

صوت

بَنَاتِ كِرَامٍ لَمْ يُرَبَّنَ^(٢) بَضْرَةً دُمَى شَرَقَاتٍ^(٣) بِالْعَبِيرِ رَوَادِعَا^(٤)
يُسَارِقْنَ مِ الْأَسْتَارِ طَرْفًا مُفْتَرَاً وَيُبْرِزْنَ مِنْ فَتَقِ الْخُدُورِ الْأَصَابِعَا
[الطويل]

بنات كرام موضعه نصب وهو يتبع ما قبله ويُنصب به وهو قوله:

وَأُصْبِي ظِبَاءَ فِي الدَّمْقَسِ خَوَاضِعَا

بنات كرام هكذا في القصيدة على تواليها، وقد يجوز رفعه على الابتداء. ويروى: بَضْرَةٌ وَبَضْرَةٌ جَمِيعاً بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ. والدُمَى: الصُّور، واحْدَتْهَا دُمِيَّةٌ.

(١) النؤي: حفرة تجعل حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر.

(٢) لم يربن: لم يسان.

(٣) شرقات: ممثلاث.

(٤) الرادع: ما فيه أثر الطيب والعبير.

الغناء في هذين البيتين لابن قندح ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالبنصر عن عمرو، وذكر الهشامي أنه لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بَزِيعٍ، وذكر حبش أنه لإبراهيم.

صوت

أَرَقْتُ لِمُكْفَهَرِّ بَاتَ فِيهِ بَوَارِقُ يَرْتَقِينَ رُؤُوسَ شَيْبِ
تَرُوحُ الْمَشْرِفِيَّةُ فِي دُرَاهُ وَيَجْلُو صَفْحَةُ الذَّيْلِ الْقَشِيبِ

[الوافر]

والمُكْفَهَرُّ والمكْرِهَفُ: السحاب المتوالي المتراكب. والشَّيْبُ: السحاب التي فيها سواد وبياض شَبَّهَها بالرؤوس الشَّيْبِ، وقال قوم: بل شَيْبٌ: جبل معروف. شَبَّهَ البرق في السحاب بَلَمَعَانِ السُّيُوفِ. ورواه ابن الأعرابي:

وَيَجْلُو صَفْحَ دَخْدَارٍ قَشِيبِ

وقال: الدَّخْدَارُ: الثوب المَصُونُ، وهو أعجمي مُعَرَّبٌ أصله تخت دار. والقشيب: الجديد. الغناء لعريب ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالبنصر.

ومنها من قصيدته التي أولها:

أَلَا يَاطَالَ لَيْلِي وَالنَّهَارُ

صوت

أَلَا مَنْ مُبْلِغُ النُّعْمَانِ عَنِّي عَلَانِيَةً فَقَدْ ذَهَبَ السَّرَارُ
بِأَنَّ الْمَرْءَ لَمْ يُخْلَقْ حَدِيدًا وَلَا هَضْبًا تَوَقَّاهُ الْوَبَارُ
وَلَكِنْ كَالشَّهَابِ فَتَمَّ يَخْبُو وَحَادِي الْمَوْتِ عَنْهُ مَا يَحَارُ
فَهَلْ مِنْ خَالِدٍ إِمَّا هَلَكْنَا وَهَلْ بِالْمَوْتِ يَا لِلنَّاسِ عَارُ

[الوافر]

الهَضْبُ: الجبل. والوَبَارُ: جمع وَبْرٍ^(١). والشَّهَابُ: السراج. ويخبو: يطفأ. الغناء لبابويه ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالبنصر عن حبش والهشامي.

ومنها:

(١) الْوَبْرُ: صُوفُ الْإِبِلِ وَالْأَرْنَبِ وَمَا أَشَبَّهُهُمَا. وَالْوَبْرُ، وَالْأَنْثَى وَبَرَةٌ: دُوَيْبَةٌ غَبْرَاءُ عَلَى قَدَرِ السُّتُورِ، حَسَنَةُ الْعَيْنَيْنِ، شَدِيدَةُ الْحَيَاءِ، تَكُونُ بِالْعُورِ.

صوت

أَلَا مَنْ مُبْلِغُ الثُّعْمَانِ عَنِّي فَبَيْنَا الْمَرْءُ أَغْرَبُ ^(١) إِذْ أَرَا حَا ^(٢)
 أَطْعَتُ بَنِي بُقَيْلَةَ فِي وَثَاقِي وَكُنَّا مِنْ حُلُوقِهِمْ ذُبَا حَا ^(٣)
 مَنَحْتَهُمُ الْفُرَاتَ وَجَانِبِيهِ وَتَسْقِينَا الْأَوَاجِنَ ^(٤) وَالْمِلَاحَا
 [الوافر]

الغناء لحنين خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق .
 ومنها :

صوت

مَنْ لِقَلْبٍ دَنِفٍ أَوْ مُعْتَمَد قَدْ عَصَى كُلَّ نَصِيحٍ وَمُقَدِّ
 لَسْتُ إِنْ سَلِمَى نَأْتَنِي دَارُهَا سَامِعاً فِيهَا إِلَى قَوْلِ أَحَدٍ
 [الرملة]

المعتمد: الذي عمده الوجع يعمده عمداً .
 غنائه ابن محرز ولحنه خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه
 لمالك خفيف ثقيل آخر بالوسطى عن عمرو . وذكر يونس أن فيه لمالك لحناً ، ولِسَانِ
 الكاتب لحناً ، وهو ثقيل أول بالوسطى عن حبش .
 ومنها :

صوت

أَرْوَاحُ مُوَدَّعٍ أَمْ بُكُورُ لَكَ فَاعْمَدِ لِأَيِّ حَالٍ تَصِيرُ

(١) قال لبيد :

غَرُبُ الْمَصْبَةِ مَحْمُودٌ مَصَارِعُهُ لَاهِي النَّهَارِ لَسِيرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرُ
 أَرَادَ بِقَوْلِهِ : غَرُبُ الْمَصْبَةِ أَنَّهُ جَوَادٌ وَاسِعُ الْخَيْرِ وَالْعَطَاءِ . عِنْدَ الْمَصْبَةِ ، أَيِ عِنْدَ إِعْطَاءِ الْمَالِ يُكْثِرُهُ
 كَمَا يُصَبُّ الْمَاءُ ، وَيُقَالُ : فَرَسٌ غَرُبٌ ، أَيِ مُتَرَامٍ بِنَفْسِهِ مُتَتَابِعٌ فِي حُفْرِهِ ، لَا يُنْزَعُ حَتَّى يَبْعُدَ
 بِفَارِسِهِ .

(٢) أراح : مات .

(٣) الذُّبَاخُ : «وَجَعُ فِي الْحَلْقِ» كَأَنَّهُ يَذْبَحُ .

(٤) الأواجين : جمع آجن وهو الماء المتغير اللون والطعم .

وَيَقُولُ الْعُدَاةُ أَوْدَى عَدِيٍّ وَعَدِيٌّ بِسُخْطِ رَبِّ أَسِيرُ
أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيَّرُ بِالذَّهْرِ رَأَى أَنْتَ الْمُبَرَّأُ الْمَوْفُورُ
أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْأَيِّ يَامَ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ
[الخفيف]

يريد: أرواحٌ نودّعكَ فيه أم بُكور؟ أيُّهما تُريدُ؟ فاعمدُ للذي تصيرُ إليه من أمرٍ آخرتك. والموفورُ: الذي لم تُصبه نوائبُ الدهر.

الغناء لِحُنَيْنٍ من كتابِ يونسَ ولم يذكر طريقته، وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أَنَّ حُنَيْنًا غَنَّاه خَالِدًا الْقَسْرِيَّ أَيَّامَ حَرَمِ الْغَنَاءِ، فَرَّقَ لَهُ وَقَالَ: غَنَّ وَلَا تُعَاشِرْ سَفِيهًا وَلَا مُعْرِبِدًا. والخبر [في ذلك] يُذَكِّرُ في أخبار حنين.

ومِمَّا يُغْنَى فيه أيضاً من شعر عدي:

صوت

أَلَا يَارَبِّمَاعَزَ خَلِيلِي فَتَهَاوْنْتُ
وَلَوْ شِئْتُ عَلَى مَقْدُ رَوْ مَنِّي لِعَاقِبْتُ
وَلَكِنْ سَرَّنِي أَنْ يَعَ لَمَّوَا قَدْرِي فَأَقْلَعْتُ
أَلَا فَاَسْأَلُوا الْفَتِيَّةَ مَا قَالُوا وَقَدْ قُمْتُ

[الهمز]

الغناء لِسَيَّاطِ رَمْلٍ عَنِ الْهَشَامِيِّ. وفيه ليحيى المكيّ خفيفٌ ثَقِيلٌ نسبته إلى مالكٍ وليس له. ولعريب في البيتين الأولين ثَقِيلٌ أَوَّلٌ. وبعدهما بَيْتٌ ليس من العشر وهو:

وَلَكِنْ حَبِيبِي جَلَّ عِنْدِي فَتَغَافَلْتُ

ومِمَّا يُغْنَى فيه من شعره:

صوت

تَعْرِفُ أُمْسٍ مِنْ لَمِيسَ الطَّلَلِ مِثْلَ الْكِتَابِ الدَّارِسِ الْأَحْوَلِ
[السريع]

الذي قد درس فلا يقرأ.

أَنْعِمُ صَبَاحاً عَلَقَمَ بَنَ عَدِ يَّ إِذَا أَثَوَيْتَ الْيَوْمَ أَمْ تَرْحَلُ

قَدْ رَحَلَ الْفَتِيَانُ عَيْرَهُمْ وَاللَّحْمُ بِالْغَيْطَانِ^(١) لَمْ يُنْشَلْ^(٢)
إِذْ هِيَ تَسْبِي^(٣) النَّاضِرِينَ وَتَجْ لَوْ وَاضِحاً كَالْأَقْحَوَانِ رَتْلٌ^(٤)

[السريع]

الرَّتْلُ : الْمُسْتَوِي الْبَنِيَّةُ .

عَذْباً كَمَا ذُقْتُ الْجَنِيِّ مِنَ التِّ فَوَاحٍ مَسْقِيّاً بِبَرْدِ الطَّلِّ

[السريع]

هَكَذَا يُعْنَى . وَالَّذِي قَالَهُ عَدِيّ : يَسْقِيهِ بَرْدُ الطَّلِّ . الْغَنَاءُ لِحَنِينَ رَمْلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ

عَمْرُو .

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ أَنَّ عَمْرُو بْنَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ الْمَكْنَى بِأَبِي سَرِيحٍ وَعَلْقَمَةَ بْنَ عَدِيٍّ - وَقِيلَ : عَلَقَمَ بْنَ عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ - وَعَمْرُو بْنُ هَنْدٍ خَرَجُوا إِلَى الصَّيْدِ ، فَاتُوا قَصْرَ ابْنِ مُقَاتِلٍ فَمَكَّثُوا فِيهِ يَتَصِيدُونَ ، فَزَعَمُوا أَنَّ عَلْقَمَةَ بْنَ عَدِيٍّ تَبَعَ حِمَاراً فَصْرَعَهُ وَالشَّمْسُ لَمْ تَطْلُعْ ، ثُمَّ لَحِقَ آخِرَ فَطْعَنَهُ فَاَنْقَصَفَ الرَّمْحُ فِيهِ وَمَرَّ بِهِ فَرَسُهُ يَرْكُضُ ، فَجَالَ بِهِ الْعَيْرَ فَضْرَبَهُ فَأَصَابَ صَدْرَهُ فَقَتَلَهُ ، وَقِيلَ : إِنَّ الرَّمْحَ الْمُنْقَصِفَ دَخَلَ فِي صَدْرِهِ فَقَتَلَهُ ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ ، وَكَانَ عَدِيٌّ بْنُ زَيْدٍ مَعَهُمْ وَإِلَيْهِ قَصَدُوا ، وَكَانَ نَازِلاً فِي قَصْرِ ابْنِ مُقَاتِلٍ ، فَقَالَ عَدِيٌّ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ يَرِثُهَا بِهِ .

صوت

من المائة المختارة

عَفَا مِنْ سُلَيْمَى مُسَحَلَانُ فَحَامِرُهُ تَمَشَّى بِهِ ظِلْمَانُهُ وَجَاذِرُهُ

(١) فِي الْحَدِيثِ : «تَنْزَلُ أُمِّي بِغَائِطٍ يُسَمُّونَهُ الْبَصْرَةَ : أَيِ بَطْنِ مُطَمِّنٍ مِنَ الْأَرْضِ» . وَالْغَائِطُ : كِنَايَةٌ عَنْ الْعَذْرَةِ نَفْسِهَا ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَلْفُونَهَا بِالْغَيْطَانِ ، وَقِيلَ : لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَرَادُوا ذَلِكَ أَتَوْا الْغَائِطَ وَقَضَوْا الْحَاجَةَ ، فَقِيلَ لِكُلِّ مَنْ قَضَى حَاجَتَهُ : قَدْ أَتَى الْغَائِطَ ، يُكْنَى بِهِ عَنْ الْعَذْرَةِ . وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمُ مِنَ الْغَائِطِ﴾ . وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ التَّبَرُّزَ ارْتَادَ غَائِطاً مِنَ الْأَرْضِ يَغِيبُ فِيهِ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ ، ثُمَّ قِيلَ لِلْبَرَّازِ نَفْسِهِ ، وَهُوَ الْحَدَثُ غَائِطٌ ، كِنَايَةٌ عَنْهُ ، إِذَا كَانَ سَبَباً لَهُ .

(٢) فَخِذْ نَاشِلَةً : قَلِيلَةَ اللَّحْمِ . وَالنَّشِيلُ : لَحْمٌ يُطْبَخُ بِلَا تَوَابِلٍ . وَنَشَلْتُ اللَّحْمَ عَنْ الْقِدْرِ أَنْشَلُهُ بِالضَّمِّ ، وَانْتَشَلْتُهُ ، إِذَا انْتَزَعْتَهُ مِنْهَا . وَالْمِنْشَلُ وَالْمِنْشَالُ : حَدِيدَةٌ يُنْشَلُ بِهَا اللَّحْمُ مِنَ الْقِدْرِ . وَالْمَنْشَلَةُ بِالْفَتْحِ : مَوْضِعُ الْخَاتَمِ مِنَ الْخَنْصَرِ .

(٣) السَّبْيُ وَالسَّبَاءُ : الْأَسْرُ . وَقَدْ سَبَيْتُ الْعَدُوَّ سَبِيّاً وَسَبَاءً ، إِذَا أَسْرْتَهُ . وَاسْتَبَيْتُهُ مِثْلَهُ .

(٤) ثَغْرٌ مَرْتَلٌ وَرَتْلٌ وَرَتْلٌ : مَفْلُجٌ مُسْتَوِي النَّبْتَةِ حَسَنَ التَّنْصِيدِ . وَمِنَ الْمَجَازِ : رَتْلُ الْقُرْآنِ تَرْتِيلاً إِذَا تَرَسَّلَ فِي تَلَاوَتِهِ وَأَحْسَنَ تَأْلِيفِ حُرُوفِهِ . وَهُوَ يَتَرَسَّلُ فِي كَلَامِهِ وَيَتَرْتَلُ .

بِمُسْتَأْسِدِ الْقُرْيَانِ عَافٍ نَبَاتُهُ فَنُورُهُ مِيلٌ إِلَى الشَّمْسِ زَاهِرُهُ
رَأَتْ عَارِضاً جَوْناً فَقَامَتْ غَرِيرَةً بِمَسْحَاتِهَا قَبْلَ الظَّلَامِ تُبَادِرُهُ
فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى أَتَى الْمَاءُ دُونَهَا وَسُدَّتْ نَوَاحِيهِ وَرَفَعَ دَابِرُهُ
[الطويل]

عروضه من الطويل . عفا : درس . مسحلاًن : موضع . وحامِرُهُ : موضعٌ أضافه
إلى مُسْحَلَانِ . والظُّلْمَانُ : ذكورُ النعامِ واحدُها ظليم . والجاذرُ : أولادُ البقرِ واحدُها
جُوذُرٌ وجُوذَرٌ بضم الدالِ وفتحها . وتَمَشَّى : تَكَثَّرَ المشي . والقُرْيَانُ : مجاري الماءِ إلى
الرياضِ وحدها قَرِيٌّ . والمُسْتَأْسِدُ : ما التَفَّ منها وطال . والنُّوَارُ يقال : إنه يكونُ أبداً
حِيَالَ الشمسِ يستقبلها بوجهه ، فيقول : إن نُورَ هذه الروضةِ يميلُ زاهرُهُ حِيَالَ
الشمسِ . والعارضُ : السحابُ . والجونُ : الأسود . والغريرةُ : الناعمةُ التي لم تجرُبِ
الأمورَ ، يقول : لما رأت هذه المرأةُ السحابةَ السوداءَ قامت بمسحاتها تُصلِحُ النَّوِيَّ
حوالي بيتها وهو الحاجزُ بينه وبين الأرضِ المستوية . وقوله : رَفَعَ دَابِرُهُ أي مؤخره
الذي يلي الماءِ من النَّوِيَّ . الشعرُ للحطيئةِ يهجو الزُّبَرَاقَانَ بَنَ بَدْر . والغناء لابن عائشة
ولحنه المختارُ خفيفٌ رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر حبشُ
أن فيه لحناً آخر من الثقيلِ الثاني .

خبر الحطيئة ونسبه والسبب الذي من أجله هجا الزبرقان بن بدر

[نسبه]

الْحُطَيْئَةُ لَقَبٌ لُقِّبَ بِهِ، واسمه جَرَوَلُ بْنُ أَوْسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُوَيَّةَ بْنِ مَخْزُومِ بْنِ مَالِكِ بْنِ غَالِبِ بْنِ قُطَيْعَةَ بْنِ عَبْسِ بْنِ بَغِيضِ بْنِ الرَّيْثِ بْنِ غَطَفَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نَزَارٍ. وهو من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم، متصرفٌ في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب، مُجِيدٌ في ذلك أجمع، وكان ذا شَرٍّ وَسَفَهٍ، ونسبه مُتَدَافِعٌ بين قبائل العرب، وكان ينتمي إلى كل واحدة منها إذا غَضِبَ على الآخرين.

[إسلامه وارتداده]

وهو مُحْضَرٌ أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم ثم ارتد وقال في ذلك:
أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ كَانَ صَادِقًا فَيَا عَجَبًا مَا بَالُ دِينَ أَبِي بَكْرٍ
أَيُورِثُهَا بَكْرًا إِذَا مَاتَ بَعْدَهُ وَتِلْكَ لِعَمْرِ اللَّهِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ
[الطويل]

[سبب لقبه]

وَيُكْنَى الحطيئة أبا مُلَيْكَةَ، وقيل: إِنَّ الحطيئة غَلَبَ عَلَيْهِ وَلُقِّبَ بِهِ لِقَصَرِهِ وَقُرْبِهِ إِلَى الْأَرْضِ. وقال حمادُ الراوية: قال أبو نصر الأعرابي: سُمِّيَ الحطيئةَ لِأَنَّهُ ضَرَطَ ضَرْطَةً بَيْنَ قَوْمٍ، فَقِيلَ لَهُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ حُطَيْئَةٌ، فَسُمِّيَ الحطيئةَ. وقال المدائني: قال أبو اليقظان: كَانَ الحطيئةُ يَدَّعِي أَنَّهُ ابْنُ عَمْرٍو بْنِ عَلْقَمَةَ أَحَدِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ سَدُوسٍ، قَالَ: وَسُمِّيَ الحطيئةَ لِقُرْبِهِ مِنَ الْأَرْضِ.

[انتماؤه إلى بني ذهل بن ثعلبة]

أخبرني الفضلُ بْنُ الْحُبَابِ الْجَمَحِيُّ أَبُو خَلِيفَةَ فِي كِتَابِهِ إِلَيَّ بِإِجَازَتِهِ لِي يَذْكُرَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ: أَنَّ الحطيئةَ كَانَ يَنْتَمِي إِلَى بَنِي ذُهَلٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ فَقَالَ:

إِنَّ الْيَمَامَةَ خَيْرُ سَاكِنِهَا أَهْلُ الْقُرَيْيَةِ مِنْ بَنِي ذُهْلٍ
[الطويل]

قال: والقرية: منازلهم، ولم يثبت الحطيئة في هؤلاء.

[تلونه وانتسابه إلى عدة قبائل]

وأخبرني محمد بن الحسن بن ذريرد قال: حدثني عمي عن ابن الكلبي قال: سمعتُ خراش بن إسماعيل وخالد بن سعيد يقولان: كان الحطيئة إذا غضب على بني عبس يقول: أنا من بني ذهل، وإذا غضب على بني ذهل قال: أنا من بني عبس.

[الحطيئة ابن زنا]

أخبرني الحسين بن يحيى المزداسي قال: قال حماد بن إسحاق: قال أبي: قال ابن الكلبي: كان الحطيئة مغموز النسب، وكان من أولاد الزنا الذين شرفوا. قال إسحاق وقال الأصمعي: كان الحطيئة يضرب بنسبه إلى بكر بن وائل فقال في ذلك:

قومي بنو عوف بن ع — مرو إن أراد العلم عالم
قوم إذا ذهب خضا — رم منهم خلفت خضارم^(١)
لا يفسلون ولا تبى — ت على أنوفهم المخاطم^(٢)

[مجزوء الكامل]

قال الأصمعي: وقدم الحطيئة الكوفة فنزل في بني عوف بن عامر بن ذهل يسألهم، وكان يزعم أنه منهم، وقال في ذلك:

سيرى أمام فإن المال يجمعه — سيب الإله وإقبالي وإدباري
إلى معاشر منهم يا أمام أبي — من آل عوف بدوء^(٣) غير أشرار
نمشي إلى ضوء أحساب أضأن لنا — ما ضوأت ليلة القمراء لللساري

[البسيط]

(١) الخضر: الكثير من كل شيء، وكل شيء كثير واسع خضر. والخضر: بالكسر: الجواد الكثير العطية، مشبه بالبحر الخضر، وهو الكثير الماء، وأنكر الأصمعي الخضر في وصف البحر، وقيل: السيد الحمول، والجمع خضارم وخضارمة.

(٢) الخطم: منقار كل طائر، ومن كل دابة مقدم أنفه وفمه نحو الكلب والبعير.

(٣) البدء من الرجال: السيد الذي يعد في أول من يعد في سادات قومه.

[خبره مع أخويه من أوس بن مالك]

وقال ابنُ دُرَيْدٍ في خبره عن عمه عن ابنِ الكلبيِّ عن أبيه، وحمَّادُ بنِ إسحاق عن أبيه عن ابنِ الكلبيِّ عن أبيه قال: كان أوسُ بنُ مالك بنِ جُؤَيَّة بنِ مَخْزوم بنِ مالك بنِ غالب بنِ فُطَيْعَةَ بنِ عَيسٍ تزوَّجَ بنتَ رياح بنِ عمرو بنِ عَوْف بنِ الحارث بنِ سَدُوس بنِ شَيْبَانَ بنِ ذُهْل بنِ ثعلبة، وكان له أُمَّة يُقالُ لها الضَّرَاء فأعلَقَها بالحطيئة وَرَحَلَ عنها. وكان لبنتِ رياح أَخٌ يقالُ له: الأَفْقَمُ^(١)، وكان طويلاً أَفْقَمَ، صَغِيرَ العينين، مضغوطُ اللَّحْيَيْنِ، فولدتِ الضَّرَاء الحطيئة فجاءت به شبيهاً بالأفقم، فقالت لها مولاتها: من أين هذا الصبي؟ فقالت لها: من أخيك، وهابت أن تقولَ لها من زوجك، فشبهته بأخيها؛ فقالت لها: صدقت. ثم مات أوسُ وترك ابنين من الحرَّة، وتزوَّجَ الضَّرَاء رجلاً من بني عَيس فولدت له رجلين فكانا أخوي الحطيئة من أمه. فأعتقت بنتُ رياح الحطيئة وربَّته فكان كأنه أحدهما. وترك الأفقمُ نخلاً باليمامة. فأتى الحطيئة أخويه من أوس بنِ مالك وقد كانت أمه لما أعتقتها بنتُ رياح اعترفت أنها اعتلقت من أوس بنِ مالك، فقال لهم: أفردوا إليَّ من مالكم قطعة، فقالا: لا، ولكن أقم معنا فتحن نواسيك، فقال:

أأمرُئمانِي أن أقيمَ عليكما كلاً لَعمرُ أبيكما الحَبَّاقِ
عبدانِ خيرهما يُشَلُّ بضبعه^(٢) شَلَّ^(٣) الأجير قلائص^(٤) الوراق^(٥)

[الكامل]

[سأل أمه عن أبيه]

قال: وسأل الحطيئة أمه: مَنْ أبوه فَخَلَطَتْ عليه فقال:

تَقولُ لِي الضَّرَاء لَسْتُ لِوَاحِدٍ وَلَا اثْنَيْنِ فَانْظُرْ كَيْفَ شِرْكُ أَوْلِيكََا

(١) تَفَقَّمَتْه: أخذت بفُقمه وهو لحيه. وفي الحديث: «من حفظ ما بين فُقميه ورجليه دخل الجنة»

يعني لسانه وفرجه. ورجلُ أفقم، وبه فقم، ورجال فقم إذا كان في الفقم الأسفل تقدّم فلم تقع الثنايا العليا على السفلى. ويقولون: زوّجتموني فقماً دقماً؛ وهي الساقطة مقدّم الفم.

(٢) الضبع: وسط العضد بلحمه.

(٣) شَلَلْتُ الإبل أشلُّها شَلًّا، إذا طردتها فأنشَلْتُ؛ والاسم الشَّلَلُ بالتحريك. ومَرَّ فلانٌ يَشَلُّهُمْ بالسيف، أي يَكْسُوهُمْ ويَطْرُدُهُمْ.

(٤) قَلَصَ الشيءُ يَقْلِصُ قُلوصاً: تَدَانَى وانضمَّ، وفي الصحاح: ارتفع.

(٥) وقال الليث: الورق: آدمٌ رِقَاق، منها وَرَق المصحف، الواحدة وَرَقَة. قال: والورق: اسم للدراهم وكذلك الرقة؛ يقال: أعطاه ألف درهم رقة لا يخالطها شيء من المال غيرها. الوراق: الرجل الكثير الورق أو المال والإبل.

وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَبْغِي أَبَا قَدْ ضَلَلْتَهُ هَبِلْتُ^(١) أَلَمَّا تَسْتَفِقْ مِنْ ضَلَالِكَا
[الطويل]

[خبره مع إخوته من بني الأفقم]

قال: وَغَضِبَ عَلَيْهَا فَلَحَقَ بِإِخْوَتِهِ بَنِي الْأَفْقَمِ فَقَالَ:

سِيرِي أُمَامَ فَإِنَّ الْمَالَ يَجْمَعُهُ سَيْبُ^(٢) الْإِلَهِ وَإِقْبَالِي وَإِدْبَارِي
[البسيط]

قال: فلم يدفعوه ولم يقبلوه فقال:

إِنَّ الْيَمَامَةَ خَيْرُ سَاكِنِهَا أَهْلُ الْقُرَيْيَةِ مِنْ بَنِي ذُهَلِ
[الكامل]

وسألهم ميراثه من الأفقم فأعطوه نخلاتٍ من نخل أبيهم تُدعى نخلات أم
مليكة، وأم مليكة: امرأة الحطيئة، فقال:

لِيَهْنِي تُرَاثِي لَامْرَأَةٍ غَيْرِ ذَلَّةٍ صُنَابِيرُ أَحْدَانٍ لَهْنٌ حَفِيفُ
[الطويل]

قال: ثم لم تُقْنِعُهُ النُّحَيْلَاتُ، وقد أقام فيهم زماناً فسألهم ميراثه كاملاً من الأفقم
فلم يُعْطَوْهُ شَيْئاً وَضْرَبُوهُ، فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ:

تَمَنَّيْتُ بَكْرًا أَنْ يَكُونُوا عِمَارَتِي^(٣) وَقَوْمِي وَبَكْرُ شَرِّ تِلْكَ الْقَبَائِلِ
إِذَا قُلْتُ بَكْرِي نَبَوْتُمْ^(٤) بِحَاجَتِي فَيَا لَيْتَنِي مِنْ غَيْرِ بَكْرٍ بَنٍ وَائِلٍ
[الطويل]

فعاد إلى بني عبس وانتسب إلى أوس بن مالك. وقال الأصمعي في خبره: لما
أتى أهل القرية، وهم بنو ذهل، يطلب ميراثه من الأفقم مدحهم فقال:

إِنَّ الْيَمَامَةَ خَيْرُ سَاكِنِهَا أَهْلُ الْقُرَيْيَةِ مِنْ بَنِي ذُهَلِ
الضَامِنُونَ لِمَالِ جَارِهِمْ حَتَّى يَتِمَّ نَوَاهِضُ^(٥) الْبَقْلِ

(١) هبلت: ثكلت.

(٢) السيب: المعروف والعطاء.

(٣) العمارة بكسر العين وفتحها: أصغر من القبيلة، وترتيبها هكذا: الشعب أكثر من القبيلة ثم القبيلة
ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة ثم الرهط.

(٤) نبوتم: تجافيتم وتباعدتم.

(٥) النّهضة: الطاقة والقوة. وأنهضه بالشيء: قوّاه على النهوض به. والنهوض: الفرخ الذي استقلَّ
للنّهوض، وقيل: هو الذي وفرّ جناحاه ونهض للطيران، وقيل: هو الذي نشر جناحيه ليطيّر،
والجمع نواهض. ونواهض البقل: ما استوى منه.

قَوْمٌ إِذَا انْتَسَبُوا فَقَرَعُهُمْ فَرَعِي وَأَثَبَتَ أَصْلُهُمْ أَصْلِي
[الكامل]

قال: فلم يعطوه شيئاً، فقال يهجوهم:

إِنَّ الْيَمَامَةَ شَرُّ سَاكِنِهَا أَهْلُ الْقُرَيْةِ مِنْ بَنِي ذُهْلٍ
[الطويل]

[تزوجت أمه فهجاها]

وقال أبو البقطان في خبره: كان الرجل الذي تزوج أم الحطيئة أيضاً ولد زنا اسمه الكلب بن كئيس بن جابر بن قطن بن نهشل، وكان كئيس زنى بأمه لزرة يقال لها رشيئة، فولدت له الكلب ويروى، فطلبهم من زرة فمنعه منهم، فلما مات طلبهم من أبيه لقيط فمنعه؛ وقال لقيط في ذلك:

أَفِي نَصَفِ شَهْرٍ مَا صَبَرْتُمْ لِحَقِّنَا وَنَحْنُ صَبَرْنَا قَبْلَ ذَاكَ سَنِينَا
[الطويل]

وهي أبيات. فتزوج الكلب الضراء أم الحطيئة؛ فهجاها الحطيئة وهجا أمه فقال:

وَلَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي النِّسَاءِ فَسَوَّيْتَنِي وَأَبَا بَنِيكَ فَسَاءَنِي فِي الْمَجْلِسِ
إِنَّ الذَّلِيلَ لَمَنْ تَزَوَّرَ رِكَابُهُ رَهْطُ ابْنِ جَحْشٍ فِي الْخُطُوبِ الْحَوْسِ^(١)
قَبَحَ الْإِلَهِ قَبِيلَةً لَمْ يَمْنَعُوا يَوْمَ الْمُجِيمِ^(٢) جَارَهُمْ مِنْ فَقْعَسِ^(٣)
أَبْلَغَ بَنِي جَحْشٍ بَأْنَ نِجَارَهُمْ^(٤) لَوْمٌ وَأَنَّ أَبَاهُمْ كَالْهَجْرَسِ^(٥)
[الكامل]

وقال الحطيئة يهجو أمه:

جَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا مِنْ عَجُوزٍ وَلَقَاكَ الْعُقُوقُ^(٦) مِنَ الْبَنِينَ
لَقَدْ مُلِّكَتِ أَمْرَ بَنِيكَ حَتَّى

(١) الحَوْسُ: انتشار الغارة والقتل، والتحرك فيه. حُسْنُهُ، أي: خالطته ووطئته.

(٢) المجيمر: جبل بأعلى مِهْل، وقيل: المجيمر: أرض لبني فزارة.

(٣) فقعس: حي من بني أسد.

(٤) النَّجْرُ: النَّجَارُ وهو أصل الحسب، والمَنْبِتُ من كل كريم أو لثيم.

(٥) قيل: الهجارس جميع ما تعسس من السباع ما دون الثعلب وفوق اليربوع؛ الليث: الهجارس من أولاد الثعالب، قال: وقد يوصف به اللثيم.

(٦) قال أبو عبد الله: أصل العقى الشق. وإليه يرجع عُقُوقُ الوالدين وهو قطعهما.

فَإِنْ تُخْلِي وَأَمْرُكَ لَا تَصُولِي بِمُشْتَدِّ قُوَاهُ وَلَا مَتِينِ
لِسَانُكَ مَبْرَدٌ لَمْ يُبْقِ شَيْئاً وَدُرُّكَ دُرٌّ جَاذِبَةٌ دَهْيِنِ

[الوافر]

وقال يهجو أمه أيضاً:

تَنْحِي فَاجِلِسِي مَنِّي بَعِيداً أَرَاكِ اللَّهْ مِنْكَ الْعَالَمِينَا
أَغْرِبَالاً^(١) إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سِرّاً وَكَانُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَا
حَيَاتُكَ مَا عَلِمْتُ حَيَاةً سَوْءَ وَمَوْتُكَ قَدْ يَسُرُّ الصَّالِحِينَا

[الوافر]

[كان هجاء فاسد الدين]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال: أخبرني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال:

كان الحطيئة جَشِعاً سَوْولاً مُلْحِفاً، دَنِيءَ النَّفْسِ، كَثِيرَ الشَّرِّ، قَلِيلَ الْخَيْرِ، بَخِيلاً، قَبِيحَ الْمَنْظَرِ، رَثَّ الْهَيْئَةِ، مَغْمُوزَ النَّسَبِ، فَاسِدَ الدِّينِ، وَمَا تَشَاءُ أَنْ تَقُولَ فِي شَعْرِ شَاعِرٍ مِنْ عَيْبٍ إِلَّا وَجَدْتَهُ، وَقَلَّمَا تَجِدُ ذَلِكَ فِي شَعْرِهِ.

أخبرني ابنُ دُرَيْد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عُبَيْدة قال: بُخَلَاءُ الْعَرَبِ أَرْبَعَةٌ: الْحَطِئَةُ، وَحَمِيدُ الْأَرْقَطِ، وَأَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْعَلِي، وَخَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ.

أخبرنا ابن دريد قال: حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: كَانَ الْحَطِئَةُ بَذِيئاً هَجْجَاءً، فَالْتَمَسَ ذَاتَ يَوْمٍ إِنْسَاناً يَهْجُوهُ فَلَمْ يَجِدْهُ، وَضَاقَ عَلَيْهِ ذَلِكَ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَبْتُ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلُّماً بِشَرِّ فَمَا أَذْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ

[الطويل]

وجعل يُدْهِوِرُ^(٢) هذا البيت في أشدِّاقِهِ وَلَا يَرَى إِنْسَاناً، إِذْ أَطْلَعَ فِي رَكِيٍّ^(٣) أَوْ حَوْضٍ فَرَأَى وَجْهَهُ فَقَالَ:

(١) الْغُرْبَالُ: الدُّفُّ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ، شُبِّهَ بِالْغُرْبَالِ فِي اسْتِدَارَتِهِ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «أَعْلِنُوا النِّكَاحَ وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالْغُرْبَالِ». يُكْنَى بِالْغُرْبَالِ عَنِ الرَّجُلِ اللَّئَامِ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ فِي الْقَصِيدَةِ.

(٢) الدَّهْوَرَةُ: جَمْعُكَ الشَّيْءِ وَقَدْفَكَ بِهِ فِي مَهْوَاةٍ؛ وَدَهْوَرْتُ الشَّيْءَ كَذَلِكَ. وَفِي حَدِيثِ النَّجَاشِيِّ: فَلَا دَهْوَرَةَ الْيَوْمَ عَلَى حَزْبِ إِبْرَاهِيمَ، كَأَنَّهُ أَرَادَ لَا ضَبْعَةَ عَلَيْهِمْ وَلَا يَتْرَكَ حَفْظَهُمْ وَتَعَهُدَهُمْ، وَالْوَاوُ زَائِدَةٌ، وَهُوَ مِنَ الدَّهْوَرَةِ جَمْعُكَ الشَّيْءِ وَقَدْفَكَ إِيَّاهُ فِي مَهْوَاةٍ؛ وَدَهْوَرَ اللَّقَمَ مِنْهُ، وَقَالَ: دَهْوَرَ اللَّقَمَ كَبَرَهَا.

(٣) سُمِعَ مِنَ الْعَرَبِ الْمَرْكُورُ الْحَوْيْضُ الصَّغِيرُ يُسَوِّيهِ الرَّجُلُ بِيَدَيْهِ عَلَى رَأْسِ الْبُتْرِ إِذَا أَعْوَزَهُ إِنَاءٌ يَسْقِي =

أَرَى لِي وَجْهًا شَوْهَ اللَّهِ خَلَقَهُ فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهِهِ وَقُبِّحَ حَامِلُهُ
[الطويل]

[قدم المدينة فجمعت له العطايا خوفاً منه]

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ الْحَرَمِيِّ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِي قَالَ: قَدِمَ الْحَطِئَةُ الْمَدِينَةَ فَأَرْصَدْتُ^(١) قَرِيشَ لَهُ الْعَطَايَا خَوْفًا مِنْ شَرِّهِ، فَقَامَ فِي الْمَسْجِدِ فَصَاحَ: مَنْ يَحْمِلُنِي عَلَى بَغْلَيْنِ.

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيفَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ وَأَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى الْمِرْدَاسِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْمَدَائِنِيُّ وَمُضْعَبٌ: كَانَ الْحَطِئَةُ سُؤْلًا جَشَعًا، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ وَقَدْ أَرْصَدَتْ لَهُ قَرِيشُ الْعَطَايَا، وَالنَّاسُ فِي سَنَةِ مُجْدِدَةٍ وَسَخْطَةٍ مِنْ خَلِيفَةٍ، فَمَشَى أَشْرَافُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَقَالُوا: قَدْ قَدِمَ عَلَيْنَا هَذَا الرَّجُلُ وَهُوَ شَاعِرٌ، وَالشَّاعِرُ يَظُنُّ فَيَحَقِّقُ، وَهُوَ يَأْتِي الرَّجُلَ مِنْ أَشْرَافِكُمْ يَسْأَلُهُ، فَإِنْ أَعْطَاهُ جَهْدَ نَفْسِهِ بَهْرَهَا^(٢)، وَإِنْ حَرَمَهُ هَجَاهُ، فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا لَهُ شَيْئًا مُعَدًّا يَجْمَعُونَهُ بَيْنَهُمْ لَهُ، فَكَانَ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْ قَرِيشٍ وَالْأَنْصَارِ يَجْمَعُونَ لَهُ الْعَشْرَةَ وَالْعَشْرِينَ وَالثَّلَاثِينَ دِينَارًا، حَتَّى جَمَعُوا لَهُ أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ أَغْنَوْهُ، فَاتَوْهُ فَقَالُوا لَهُ: هَذِهِ صَلَّةُ آلِ فُلَانٍ وَهَذِهِ صَلَّةُ آلِ فُلَانٍ وَهَذِهِ صَلَّةُ آلِ فُلَانٍ، فَأَخَذَهَا؛ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَفَّوهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، فَإِذَا هُوَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَدْ اسْتَقْبَلَ الْإِمَامَ مَاثِلًا يَنَادِي: مَنْ يَحْمِلُنِي عَلَى بَغْلَيْنِ وَقَاهُ اللَّهُ كِبَةً^(٣) جَهَنَّمَ.

[متانة شعره]

ووصف أبو عبيدة ومحمد بن سلام شعر الحطيئة فجمعت متفرق ما وصفاه به في هذا الخبر، أخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلام وابن دُرَيْدٍ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَا: كَانَ الْحَطِئَةُ مَتِينُ الشَّعْرِ، شُرُودٌ^(٤) الْقَافِيَةِ، وَكَانَ دَنِيءَ النَّفْسِ، وَمَا

= فِيهِ بَعِيرًا أَوْ بَعِيرَيْنِ. يُقَالُ: اِزْكُ مَرْكُوءًا تَسْقِي فِيهِ بَعِيرَكَ، وَأَمَّا الْحَوْضُ الْكَبِيرُ فَلَا يُسَمَّى مَرْكُوءًا. اللَّيْثُ: الرَّكُوءُ أَنْ تَخْفَرَ حَوْضًا مُسْتَطِيلًا وَهُوَ الْمَرْكُوءُ.

(١) أَرْصَدْتُ هَذَا الْجَيْشَ لِلْقِتَالِ، وَهَذَا الْفَرَسُ لِلطَّرَادِ، وَهَذَا الْمَالُ لِأَدَاءِ الْحَقُوقِ إِذَا أَعْدَدْتَهُ لَذَلِكَ وَجَعَلْتَهُ بِسَبِيلٍ مِنْهُ.

(٢) الْبَهْرُ: التَّكْلِيفُ فَوْقَ الطَّاقَةِ.

(٣) كَبَبْتُ فَلَانًا لَوَجْهِهِ فَانْكَبَّ. وَأَكَبَّ عَلَيْهِ يَطْلُبُهُ. وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ صَرَعَتْهُ فَقَدْ كَبَبَتْهُ. وَكِبَةُ النَّارِ: صَدَمَتُهَا.

(٤) شُرْدَ الْبَعِيرِ يَشُرْدُ شُرُودًا وَشِرَادًا: نَفَرٌ، فَهُوَ شَارِدٌ وَشُرُودٌ. وَالْجَمْعُ شُرْدٌ وَجَمْعُ الشُّرُودِ شُرْدٌ. وَقَافِيَةُ شُرُودٌ: أَيُّ سَائِرَةٍ فِي الْبِلَادِ. وَالتَّشْرِيدُ: الطَّرْدُ.

تشاء أن تطعن في شعر شاعر إلا وجدت فيه مطعناً، وما أقل ما تجد ذلك في شعره .

[دنيء النفس]

قالا: فبلغ من دناءة نفسه أنه أتى كعب بن زهير - وكان الحطيئة راوية زهير وآل زهير - فقال له: قد علمت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي إليكم، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك، فلو قُلْتُ شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك! - وقال أبو عبيدة: تبدأ بنفسك فيه ثم تُثني بي - فإنَّ الناس لأشعاركم أروى وإليها أسرع! فقال كعب^(١):

فَمَنْ لِلْقَوافي شائها^(٢) مَنْ يَحوكُها إِذا ما ثوى^(٣) كَعْبٌ وَفَوَزٌ^(٤) جَرَوُلٌ^(٥)
كَفَيْتُكَ لا تَلقى مِنَ الناسِ واحداً تَنخُلُ^(٦) مِنْها مِثْلَ ما نَتَنخُلُ
نَقولُ فلا نَعيا بِشيءٍ نَقولُهُ وَمِنْ قائِليها مَنْ يُسيءُ وَيُجْمِلُ
نثَقِّفها حَتَّى تَلينَ مُتَوْنُها فَيَقْصُرُ عَنها كُلُّ ما يُتَمَثَّلُ
[الطويل]

قال: فاعترضه مُزَرَّدُ بن ضِرار^(٧)، واسمه يزيد وهو أخو الشَّماخ، وكان عريضاً^(٨) أي شديد العارضة كثيرها، فقال:

باستك إذ خَلَفْتَنِي خَلَفَ شاعِرٍ من الناس لم أَكْفى^(٩) ولم أَتَنخُلِ

(١) كعب بن زهير بن أبي سلمى، المازني، أبو المضرَّب. شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، كان ممن اشتهر في الجاهلية. ولما ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ، وأقام يشبب بنساء المسلمين، فأهدر النبي ﷺ دمه، فجاءه كعب مستأماً وقد أسلم وأنشده لاميته المشهورة، فعفا عنه النبي ﷺ، وخلع عليه برده. وهو من أعرق الناس في الشعر: أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير وابنه عقبة وحفيده العوام كلهم شعراء. وقد كثر مخمَّسو لاميته ومشطَّروها، وترجمت إلى غير العربية.

(٢) شان: عاب.

(٣) قال الليث: الثواء: طول المقام. والفعل: ثوى يثوي ثواء. ويقال للمقتول: قد ثوى.

(٤) فَوَزُ المسافر: ركب المفازة ومضى فيها.

(٥) جَرَوُلٌ: الرُّجُلُ الدَّميم أو القصير.

(٦) اتَنَخَلْتُ الشيء: استقصيت أفضله، وتَنَخَّلْتُه: تَخَيَّرْتَه.

(٧) مزرد بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني. فارس شاعر جاهلي، أدرك الإسلام في كبره وأسلم ويقال: اسمه يزيد، غلب عليه لقبه مزرد، خبيث اللسان، حلف لا ينزل به ضيف إلا هجاه، ولا يتنكب بيته إلا هجاه، توفي سنة ١٠ للهجرة.

(٨) عريض: يتعرَّض للناس بالشر وبالسوء.

(٩) الإكفاء في الشعر بمعنيين: أحدهما: قلب القوافي على الجر والرفع والنصب مثل الإقواء، قافية =

فإن تُخَشِّباً^(١) أَخْشِبَ وإن تَتَنَخَّلَا وإن كنتُ أفْتَى منكما أتنخَّل
فلست كحسانِ الحُسامِ ابنِ ثابتٍ ولست كشمَّاخٍ^(٢) ولا كالمُخَبِّلِ^(٣)
[الطويل]

[أنشد عمر شعراً هجا به قومه]

نسختُ من كتاب الحرَميِّ بن أبي العلاء قال: حدَّثنا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال:
حدَّثني محمد بن الضَّحَّاك قال: أنشد الحطيئة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدة
نال فيها من قومه ومدح إبله فقال:

مَهَارِيسُ^(٤) يُرَوِي رَسْلَهَا ضَيْفَ أَهْلِهَا إذا الرِّيحُ أَبَدَتْ أَوْجُهَ الْخَفِرَاتِ^(٥)
يُزِيلُ الْقَتَادَ^(٦) جَذْبُهَا بِأَصُولِهِ إذا أَصْبَحَتْ مُقَوَّرَةً^(٧) خَرِصَاتِ^(٨)
[الطويل]

[دخوله حفل سعيد بن العاص]

أخبرني عمِّي قال: حدَّثنا الكِرانيُّ عن التَّوْزِيِّ عن أبي عُبَيْدَةَ قال: بينا سعيد بن

= جر، وأخرى نصب، وثالثة رفع. والآخر: يقال: بل الاختلاط في القوافي، قافية تبنى على الراء،
ثم تجيء بقافية على النون، ثم تجيء بقافية على اللام.

(١) خَشَّبَ الشَّعْرَ يَخْشِبُهُ خَشْباً أي يُمِرُّهُ كما يَجِيئُهُ، ولم يَتَأَنَّقْ فيه، ولا تَعَمَّلَ له؛ وهو يَخْشِبُ الكلام
والعَمَلُ إذا لم يُحْكَمْ ولم يُجَوِّد.

(٢) جبل شامخ: طويل في السماء، ويجمع: شوامخ، وقد شَمَخَ شُمُوخاً. وشَمَخَ فلان بأنفه. وشَمَخَ
أنفه، إذا رفعه عزاً.

(٣) الخَبْلُ: جُنُون أو شِبْهُهُ في القلب، ورجل مخْبُولٌ: به خَبْلٌ، وهو مُخَبِّلٌ أي: لا فؤاد له.

(٤) إبل مَهَارِيس: جسام ثقال تهرس الأرض بشدة وطئها أو شديداً الأكل تهرس ما تأكله هرساً شديداً.

(٥) خفرت فلاناً وخفرت به وخفرت: أجرت. وخفر بعهد: وفى به. وأخفرت: نقضت عهده.
وأخفرت: جعلت معه خفيراً. وتخفرت به: استجرت به. وأنا خفيره، ونحن خفراؤه. وكان فلان لي
خفيراً، فضعت في خفرتة وخفارتة.

(٦) القَتَادُ: خشبُ الرُّحْلِ، وجمعه أَقْتَادٌ وَقْتُودٌ. والقَتَادُ: شجرٌ له شوْكٌ، وهو الأعظم. وأمَّا القَتَادُ
الأصغر فهي التي ثمرتها نَفَاخَةٌ كنفَاخَةِ العُشْرِ. قال الكسائي: إِبِلٌ قَتَدَةٌ وقَتَادِي، إذا اشتكت من
بطونها من أكل القَتَادِ.

(٧) المقوَّرة هنا: المهازيل، ويقال أيضاً على السمان، فهو من أسماء الأضداد.

(٨) خرج الخراصون يخرصون النخل، وكم خرص، ولا في بيتها قرص؛ وهو الحلقة بحبسة واحدة.
واجتمع عليّ الخرص وهو الجوع والقر. ورجل خرص، وإبل خرصات. ومن المجاز: «قتل
الخراصون» أي الكذابون. وقد خرص يخرص، واخترص القول وتخرصه: افتعله. وقد تكذَّب
عليّ فلان وتخرص، وقال ذلك تخرصاً. وما تملك فلانة خرصاً أي لا شيء لها.

العاص يُعَشِّي الناسَ بالمدينة والناسُ يخرجون أولاً أولاً، إذ نُظِرَ على بساطه إلى رجل قبيح المنظر، رث الهيئة، جالس مع أصحاب سَمَرِهِ، فذهب الشُّرْطُ يقيمونه فأبى أن يقوم، وحانت من سعيدِ التَّفَاتَةِ فقال: دَعُوا الرجلَ، فتركوه؛ وخاضوا في أحاديث العرب وأشعاره مَلِيًّا؛ فقال لهم الحطيئة: واللَّهِ ما أصبتم جَيِّدَ الشعرِ ولا شاعرَ العرب؛ فقال له سعيد: أتعرف من ذلك شيئاً؟ قال: نعم؛ قال: فمن أشعر العرب؟ قال: الذي يقول:

لَا أَعُدُّ الْإِقْتَارَ^(١) عُدْمًا وَلَكِنْ فَقَدْ مَن قَد رُزِئَتْهُ^(٢) الْإِعْدَامُ^(٣)
[الخفيف]

وأنشدها حتى أتى عليها؛ فقال له: من يقولها؟ قال: أبو دُوَادٍ الإيادي؛ قال: ثم مَنْ؟ قال: الذي يقول:

أَفْلِحَ بِمَا شِئْتَ فَقَدْ يُدْرِكُ بِالْجَهْلِ وَقَدْ يُخْدَعُ الْأَرِيبُ^(٤)
[مخلع البسيط]

ثم أنشدها حتى فرغ منها؛ قال: ومن يقولها؟ قال: عبيد بن الأبرص؛ قال: ثم من؟ قال: واللَّهِ لِحَسْبِكَ بي عند رغبة أو رهبة إذا رفعت إحدى رجلي على الأخرى ثم عَوَيْت في أثر القوافي عَوَاءَ الْفَصِيلِ الصَّادِي؛ قال: ومن أنت؟ قال: الحطيئة؛ قال: فَرَحَبَ به سعيد، ثم قال: أسأت بكتماننا نفسك منذ الليلة؛ ووصله وكساه.

[خبره مع عتيبة بن النّهاس]

ومضى لوجهه إلى عُتَيْبَةَ بن النّهاس العجلي فسأله؛ فقال له: ما أنا على عملٍ

(١) الْقَتْرُ وَالتَّقْيِيرُ: الرُّمَّةُ مِنَ الْعَيْشِ.

(٢) الرُّزْءُ: المصيبة، والجمع: الأرزاء. وَرَزَأْتُ الرجلَ أَرْزُوهُ رُزْءًا، وَمَرَزْنَتْهُ، إِذَا أَصَبَتْ مِنْهُ خَيْرًا مَا كَانَ. وَيُقَالُ: مَا رَزَأْتُهُ مَالَهُ، وَمَا رَزَيْتُهُ مَالَهُ، أَيِ مَا نَقَصْتُهُ، وَارْتَزَأُ الشَّيْءَ: انْتَقَصَ. وَالْمَرَزْنَةُ: المصيبة، وكذلك: الرزينة والجمع الرزايا. وَرَجُلٌ مُرَزَّأٌ، أَيِ كَرِيمٌ، يَصِيبُ النَّاسَ خَيْرَهُ. وَقَدْ رَزَأْتُهُ رَزِيئَةً، أَيِ أَصَابْتَهُ مَصِيبَةً.

(٣) هذا البيت للإيادي، وهو جارية بن الحجاج بن حذاق الإيادي، وقيل: حنظلة بن الشرقي. شاعر جاهلي ولد سنة ١٤٦ق. هـ، وهو أحد نعات الخيل المجيدين، وإنما أحسن نعت الخيل لأنه كان على خيل النعمان بن منذر. وكان أبو داود قد جاور كعب بن أمية الإيادي، فكان إذا هلك له بغير أو شاة أخلفها، فضرب المثل به فقالوا: كجار أبي داود، وقيل: جار أبي داود هو الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان. قال الأصمعي: كانت العرب لا تروي أشعار أبي داود لأن ألفاظه ليست بنجدية، له شعر في الأصمعيات، توفي سنة ٧٩ق. هـ.

(٤) يقال: مؤاربة الأريب جهل وعناء.

فأعطيك من عَدَدِهِ، ولا في مالي فضل عن قومي؛ قال له: فلا عليك، وانصرف. فقال له بعض قومه: لقد عَرَضْنَا ونَفْسَكَ للشر! قال: وكيف! قالوا: هذا الحطيئة هو هاجينا أخبث هجاء؛ فقال: رُدُّوهُ فَرُدُّوهُ إِلَيْهِ، فقال له: لِمَ كَتَمْتَنَا نَفْسَكَ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَطْلُبُ الْعِلَلَ عَلَيْنَا! اجلسْ فلك عندنا ما يسرك؛ فجلس، فقال له: مَنْ أَشْعَرَ النَّاسَ؟ قال: الذي يقول:

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ يَفِرُهُ^(١) وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمَ
[الطويل]

فقال له عتيبة: إن هذا من مقدمات أفاعيك؛ ثم قال لوكيله: اذهب معه إلى السوق فلا يَطْلُبُ شيئاً إلا اشتريته له؛ فجعل يَعرِضُ عليه الخَزَّ ورقيق الثياب فلا يريدُها ويُؤمىء إلى الكرابيس^(٢) والأكسية الغلاظ فيشتريها له حتى قضى أربه ثم مضى؛ فلما جلس عُتَيْبَةُ في نادي قومه أقبل الحطيئة، فلما رآه عتيبة قال: هذا مقام العائذ بك يا أبا مُليكة من خيرك وشرِّك؛ قال: كُنْتُ قُلْتُ بيتين فاستمعهما، ثم أنشأ يقول:

سُئِلْتُ فَلَمْ تَبْخَلْ وَلَمْ تُعْطِ طَائِلاً فَسَيِّئَانِ لَا دَمَّ عَلَيْكَ وَلَا حَمْدُ
وَأَنْتَ أَمْرٌ لَا الْجُودُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ^(٣) فَتُعْطِي وَقَدْ يُعْطِي عَلَى النَّائِلِ الْوُجْدُ^(٤)
[الطويل]

ثم ركض فرسه فذهب.

[ليس في شعره مطعن]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن يزيد البوشنجي^(٥) قالا: حدَّثنا حماد بن إسحاق قال: حدَّثني محمد بن عمرو الجَرَجَرَانِيُّ^(٦) عن أبي صفوان الأَحْوزِيِّ قال: ما من أحدٍ إلا لو أشاء أن أجد في شعره مطعناً لوجدته إلا الحطيئة.

(١) يتمه ولا ينقصه.

(٢) الكَرَابِيسُ: فارسيٌّ معرَّب، بكسر الكاف، والكِرْبَاسَةُ أَخَصُّ منه، والجمع الكَرَابِيسُ، وهي ثياب خشنَّة.

(٣) وهو على سجية حميدة وسجيات وسجايا، وهي ما سجا عليه طبعه وثبت.

(٤) الوجد: اليسار والسعة.

(٥) بُوْشَنْجُ: بفتح الشين، وسكون النون، وجيم: بليدة نزهة خصيبة في وادٍ مشجر من نواحي هراة، بينهما عشرة فراسخ.

(٦) جرجرايا: بلدة من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد.

[أشعر الشعراء بعد زهير]

قال حمّاد: وسمعتُ أبي يقول وقد أنشدَ قولَ الحطيئة:

وَفَتِيانٍ صِدْقٍ مِّنْ عَدِيٍّ عَلَيْهِمْ صَفَائِحُ بُصْرَى^(١) عُلِّقَتْ بِالْعَوَاتِقِ
إِذَا مَا دُعُوا لَمْ يَسْأَلُوا مَنْ دَعَاهُمْ وَلَمْ يُمَسِّكُوا فَوْقَ الْقُلُوبِ الْخَوَافِقِ
وَطَارُوا إِلَى الْجُرْدِ^(٢) الْعِتَاقِ فَالْجَمُوا وَشَدُّوا عَلَى أَوْسَاطِهِمْ بِالْمَنَاطِقِ
أَوَّلَيْكَ أَبَاءُ الْعَرِيبِ وَغَائِثُ الضُّ صَرِيخٍ وَمَأْوَى الْمُرْمِلِينَ الدَّرَادِقِ^(٣)
أَحَلُّوا حِيَاضَ الْمَوْتِ فَوْقَ جَبَاهِهِمْ مَكَانَ النَّوَاصِي مِنْ وَجْهِ السَّوَابِقِ
[الطويل]

ويروى: إذا استلحموا^(٤) وإذا ركبوا لم ينظروا عن شمالهم.

ويروى: أولئك أبناء العزيف^(٥) - ثم قال: أما إني ما أزعم أن أحداً بعد زهير أشعر من الحطيئة.

[ابن ميادة والحطيئة]

أخبرني الحسين بن يحيى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: بلغني أنه لما قال ابنُ ميادة^(٦):

تَمَشَّى بِهِ ظِلْمَانُهُ وَجَاذِرُهُ

[الطويل]

(١) بصرى: موضع بالشام.

(٢) الجُردُ: فضاء لا نبات فيه.

(٣) الدَّرْدَقُ، والجميع: الدَّرَادِقُ: وهو صغار الإبل والناس. والدَّرْدَقُ: دك صغير متلبد.

(٤) استلحموا: نشبوا في الحرب ودخلوا في غمارها.

(٥) العزيفُ: صوت الرِّمال إذا هبَّت بها الرِّيح. وعزِفُ الرِّيح: أصواتها. وأعزَفَ: سمع عزيفَ الرِّيح والرِّمال. وعزيفُ الرِّيح: ما يسمع من دويِّها. والعزِفُ والعزيفُ: صوت في الرمل لا يُدْرَى ما هو، وقيل: هو وقوعُ بعضه على بعض.

(٦) الرِّمَّاح بن أبرد بن ثوبان الذيباني الغطفاني المُرِّي، أبو شرحبيل، ويقال: أبو حرملة. وميادة أمه وبنيته إليها اشتهر. شاعر رقيق هجاء، من مخضرمي الدولة الأموية والعباسية، قالوا: كان متعرضاً للشعر طالِباً لمهاجاة الناس ومُسَابَبة الشعراء، مدح من الأمويين الوليد بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان، ومن الهاشميين المنصور وجعفر بن سليمان. وفي العلماء من يرى أنه أشعر غطفان في الجاهلية والإسلام وأنه كان خيراً لقومه من النابغة، وقد أفرد الزبير بن بكار أخباره في كتاب.

قيل له: قد سبقك الحطيئة إلى هذا، فقال: واللّه ما علمت أنّ الحطيئة قال هذا قطّ، والآن علمت واللّه أنني شاعرٌ حين واطأت^(١) الحطيئة.

[شعره وقول الأصمعي]

قال حمّاد: قال أبي: وقال لي الأصمعي وقد أنشدني شيئاً من شعر الحطيئة: أفسدَ مثلَ هذا الشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع.

[سئل من أشعر الناس فأخرج لسانه يعني نفسه]

قال حمّاد: قال أبي: وبلغني عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه قال: لقيت الحطيئة بذات عرق^(٢) فقلت له: يا أبا مليكة، من أشعر الناس؟ فأخرج لسانه كأنه لسان الحية ثم قال: هذا إذا طمع.

[قابل حسان متنكراً وسمع من شعره]

ونسختُ من كتاب أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثنا الزبيرُ قال: حدّثني يحيى بن محمد بن طلحة وكان قد قاربَ ثمانين سنة قال: أخبرني بعضُ أشياخنا أن أعرابياً وقف على حسان بن ثابت وهو يُشيدُ، فقال له حسان: كيف تسمع يا أعرابي؟ قال: ما أسمع بأساً؛ قال حسان: أما تسمعون إلى الأعرابي! ما كنيك أيها الرجل؟ قال: أبو مليكة، قال: ما كنت قطّ أهونَ عليّ منك حين اكتنيتَ بامرأة، فما اسمك؟ قال: الحطيئة، فأطرق حسان ثم قال له: امضِ بسلام.

[كان بخيلاً يطرد الضيوف]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائني قال: مرَّ ابنُ الحمامة بالحطيئة وهو جالس بفناء بيته، فقال: السلامُ عليكم؛ فقال: قُلْتُ ما لا يُنكر؛ قال: إنّي خرجتُ من أهلي بغير زاد؛ فقال: ما ضمنتُ لأهلك قِراك؛ قال: أفتأذن لي أن آتي ظلّ بيتك فأتفياً به؟ قال: دونك الجبل يفيءُ عليك؛ قال: أنا ابنُ الحمامة؛ قال: انصرف وكن ابن آي طائر شئت.

وأخبرنا بهذا الخبر اليزيدي عن الخزّاز عن المدائني، فحكى ما ذكرناه من قول الحطيئة عن أبي الأسود الدؤلي.

(١) أواطئه مواطاة: إذا وافقته عليه، معيناً له، غير مخالف عليه.

(٢) ذات عرق: مهل أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة.

وأخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن أبي عُبَيْدَةَ والمدائنيّ قالا: أتى رجلُ الحطيئة وهو في غنم له فقال له: يا صاحب الغنم، فرَفَعَ الحطيئةُ العصا وقال: إنها عجراء^(١) من سَلَم؛ فقال الرجل: إني ضيف؛ فقال: للضيّفانِ أعددتُها، فانصرف عنه. قال إسحاق: وقال غيرهما: إنّ الرجل قال له: السلام عليكم؛ فقال له: عَجْراء من سلم؛ فقال: السلام عليكم؛ فقال: أعددتُها للطُّراق؛ فأعاد السلام فقال له: إن شئتُ فُمتُ بها إليك؛ فانصرف الرجلُ عنه.

[كان يقول إنما أنا حسب موضوع]

أخبرني عليّ بن سليمان الأُخْفَش قال: حدّثنا محمد بن يزيد قال: زعم الجاحظُ أنّ الحطيئة كان يقول: إنما أنا حسبُ موضوع؛ فسمع عمرو بن عُبيد رجلاً يحكي ذلك عنه يقال له عبد الرحمن بن صِدِّيقَة، فقال عمرو: كذبَ تَرَحَّه^(٢) الله إنما ذلك التقوى.

[هجاؤه أضيافه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: قال الأصمعيّ: لم ينزل ضيف قطُّ بالحطيئة إلا هجاه، فنزل به رجلٌ من بني أسد لم يُسمَّه الأصمعيّ، وذكر أبو عُبَيْدَة أنه صخر بنُ أَعْيَى الأَسَدِيّ أحدُ بني أَعْيَى بن طريف بن عمرو بن عُعين، فسقاه شربةً من لبن، فلما شربها قال:

لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّ مَنْ يَبْتَغِي الْقَرْيَ وَأَنَّ ابْنَ أَعْيَى لَا مَحَالَةَ فَاضِحِي
شَدَّدْتُ حَيَازِيمَ^(٣) ابْنِ أَعْيَى بِشَرْبَةِ عَلَى ظَمِإٍ سَدَّتْ أَصُولَ الْجَوَانِحِ
[الطويل]

وروى الأصمعيّ شدّت بالشين المعجمة.

وَمَا كُنْتُ مِثْلَ الْكَاهِلِيِّ وَعِرسِهِ بَغَى الْوُدَّ مِنْ مَطْرُوفَةِ الْعَيْنِ طَامِحِ
غَدَا بَاغِيًّا يَبْغِي رِضَاهَا وَوُدَّهَا وَغَابَتْ لَهُ غَيْبَ امْرِئٍ غَيْرِ نَاصِحِ

(١) الْأَعْجَرُ: كُلُّ مَا تَرَى لَهُ نُثْوَاءٌ وَعُقْدَاءٌ مِنْ عِزْقٍ أَوْ بَطْنٍ. وَالْعُجْرَةُ وَالْمُعْجَرُ: الْعُقْدَةُ؛ حَتَّى يُقَالَ: فِي وَشْيٍ هَذَا السِّيفِ عَجْرٌ: إِذَا رُئِيَ كَأَنَّ فِيهِ عُقْدًا.

(٢) قِيلَ: مَا الدُّنْيَا إِلَّا فَرَحٌ وَتَرَحٌ. وَمَا مِنْ فَرَحَةٍ، إِلَّا وَبَعْدَهَا تَرَحَةٌ. وَأَتَرَحَهُ وَتَرَحَهُ: أَحْزَنَهُ، وَتَرَحَّتْهُ الْمَتَارَحُ. وَعِيشٌ مَتَرَحٌ: شَدِيدٌ. وَرَجُلٌ تَرَحَ: قَلِيلُ الْخَيْرِ يَتَرَحُ سَائِلُهُ.

(٣) الْحَيَزُومُ: وَسَطُ الصَّدْرِ حَيْثُ يَلْتَقِي فِيهِ رُؤُوسُ الْجَوَانِحِ فَوْقَ الرُّهَابَةِ بِجِيَالِ الْكَاهِلِ.

دَعَت رَبَّهَا أَلَّا يَزَالَ بِفَاقَةٍ وَلَا يَغْتَدِي إِلَّا عَلَى حَدِّ بَارِحٍ
[الطويل]

قال فأجابه صخر بن أعبي فقال:

أَلَا قَبَّحَ اللَّهُ الْخَطِيئَةَ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ ضَيْفٍ ضَافَهُ فَهُوَ سَالِحٌ^(١)
دُفِعْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْنُقُ كَلْبَهُ أَلَا كُلُّ كَلْبٍ لَا أَبَاكَ نَابِحٌ
بَكَيْتَ عَلَى مَذْقٍ خَبِيثٍ قَرَيْتَهُ أَلَا كُلُّ عَبَسِيٍّ عَلَى الزَّادِ شَائِحٌ^(٢)
[الطويل]

قال أبو عبيدة: وهجا الحطيئة أيضاً رجلاً من أضيافه فقال^(٣):

وَسَلَّمَ مَرَّتَيْنِ فَقُلْتُ مَهْلاً كَفَتِكَ الْمَرَّةُ الْأُولَى السَّلَامَا
وَنَقْنُقُ^(٤) بَطْنُهُ وَدَعَا رُؤَاساً^(٥) لِمَا قَدْ نَالَ مِنْ شَبَعٍ وَنَامَا
[الوافر]

[فَقَدَ نَاقَةً فَقَالَ شِعْراً]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام عن يونس أن الحطيئة خرج في سفر له ومعه امرأته أمامة وابنته مليكة، فنزل منزلاً وسرح ذوذاً^(٦) له ثلاثاً، فلما قام للرّواح فقد إحداها فقال:

أَذِئْبُ الْقَفْرِ أَمْ ذِئْبٌ أَنْيْسُ أَصَابَ الْبَكَرَ أَمْ حَدَثَ اللَّيَالِي
وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُ ذُودٍ لَقَدْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَى عِيَالِي
[الوافر]

[لَا يَذْهَبُ الْعَرَفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ]

أخبرني محمد بن حلف وكيع والحسين بن يحيى قالا: حدّثنا حمّاد عن أبيه

(١) السَّالِحُ مذكّر، لأنّه يُجمع على أسلحة، ورجل سَالِحٌ: معه سلاح.

(٢) شَائِحٌ: حذر.

(٣) هذه الأبيات تنسب إلى الراعي الثُميري، وهو عُبَيْدُ بْنُ حُصَيْنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَنْدَلٍ، النُميري، أبو جندل. من فحول الشعراء المحدثين، كان من جَلَّةِ قَوْمِهِ، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل وكان بنو نمير أهل بيتٍ وسؤدد. وقيل: كان راعي إبلٍ من أهل بادية البصرة.

(٤) نَقَّ الظِّلْمُ والدجاجة والحجلّة والرَّخْمَةُ والضَّفَادِعُ والعقرب تَنْقُ تَقِيْقاً، وَنَقْنُقُ: صَوْتٌ.

(٥) رُؤَاسٌ: من بني كلاب، يقول: حين شبع أشعر ونادى: يا لبني رؤاس.

(٦) الذُّودُ من الإبل: ما بين الثلاث إلى العشر؛ وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها، والكثير أذواد.

قال: قال أبو عمرو بن العلاء: لم تقل العرب بيتاً قطُ أصدق من بيت الحُطِئَة: مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ^(١) لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ [البسيط]

فقل له: فقول طرفة:

سَتُبْدِي لَكَ الْآيَّامَ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ [الطويل]

فقال: من يأتيك بها ممن زوّدت أكثر، وليس بيت مما قالت الشعراء إلا وفيه مَطْعَنٌ إلا قول الحطِئَة:

لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

قال إسحاق: قال المدائني: قال سَلَمُ بْنُ قُتَيْبَةَ: ما أعلم قافية تستغني عن صدرها وتدلّ عليه وإن لم يُنشَدْ مثل قول الحطِئَة:

لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

[كتب له الأصمعي أربعين قصيدة في ليلة]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قال: حدّثنا الرّياشي قال: سمعتُ الأصمعي يقول: كتبت للحطِئَة في ليلة أربعين قصيدة.

[قوله لا يذهب العرف مكتوب في التوراة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عُبَيْدة قال: بلغني أنّ هذا البيت في التوراة، ذكره غير واحد عن أبيّ بن كَعْبٍ. يعني قول الحطِئَة:

لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

قال إسحاق: وذكر عبد الله بن مروان عن أيّوب بن عثمان الدمشقي عن عثمان بن أبي عائشة قال: سَمِعَ كَعْبُ الْجَبْرِ رجلاً يُشَدُّ بَيْتَ الحطِئَة:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ فقال: والذي نفسي بيده إن هذا البيت لمكتوب في التوراة. قال إسحاق: قال العُمريّ: والذي صحّ عندنا في التوراة: «لا يذهب العرف بين الله والعباد».

(١) قال ابن جني: ظاهر هذا أن يكون «جوازيه»: جمع جاز: أي لا يعدم شاكراً عليه، ويجوز أن يكون جمع جَزَاء: أي لا يعدم جزاء عليه.

[أوصى ابن شداد ابنه محمداً بشعره]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال: قال أبو عدنان: لما حضرت عبيد الله ابن شداد الوفاة دعا ابنه محمداً فأوصاه وقال له: يا بني أرى داعي الموت لا يقلع، وبحق أن من مضى لا يرجع، ومن بقي فإليه ينزع. يا بني، ليكن أولى الأمور بك تقوى الله في السر والعلانية، والشكر لله، وصدق الحديث والنية، فإن للشكر مزيداً، والتقوى خير زاد، كما قال الحطيئة:

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ وَلَكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ
وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ دُخْرًا وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْآتَقَى مَزِيدُ
وَمَا لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ قَرِيبٌ وَلَكِنَّ الَّذِي يَمْضِي بَعِيدُ
[الوافر]

[مدحه أبا موسى الأشعري]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال: قَدِمَ حماد الراوية البصرة على بلال بن أبي بردة وهو عليها؛ فقال له: ما أطرفتني شيئاً يا حماد؛ قال: بلى، ثم عاد إليه فأنشده للحطيئة في أبي موسى الأشعري يمدحه:

جَمَعْتَ مِنْ عَامِرٍ فِيهِ وَمِنْ جُشَمٍ وَمِنْ تَمِيمٍ وَمِنْ حَاءٍ وَمِنْ حَامٍ
مُسْتَحَقَّاتٍ^(١) زَوَايَاهَا^(٢) جَحَافِلُهَا^(٣) يَسْمُو بِهَا أَشْعَرِي طَرَفُهُ سَامِي
[البسيط]

فقال له بلال: وَيَحَاكَ! أيمدح الحطيئة أبا موسى الأشعري وأنا أروي شعر الحطيئة كله فلا أعرفها! ولكن أشعها تذهب في الناس.

وذكر المدائني أن الحطيئة قال هذه القصيدة في أبي موسى، وأنها صحيحة. قالها فيه وقد جمع جيشاً للغزو فأنشده:

جَمَعْتَ مِنْ عَامِرٍ فِيهِ وَمِنْ أَسَدٍ

وذكر البيتين وبينهما هذا البيت وهو:

فَمَا رَضِيَتْهُمْ حَتَّى رَفَدَتْهُمْ بَوَائِلُ رَهْطِ ذِي الْجَدَّيْنِ بِسْطَامٍ
[البسيط]

(١) احْتَقَبَ وَاسْتَحَقَبَ: أي شَدَّ الحَقِيْبَةَ من خلفه، وكذلك ما حمل من شيء من خلفه.

(٢) أراد بـ«زواياها»: حوامل ثقل، ويقال: الإبل التي تحمل أزوادهم وأثقالهم.

(٣) الجحفل هو الجيش، ولا يقال له جحفل إلا إذا كان فيها خيل.

فوصله أبو موسى؛ فكتب إليه عمر رضي الله عنه يلومُهُ على ذلك؛ فكتب إليه: إنني اشتريت عِرْضِي منه بها؛ فكتب إليه عمر: إن كان هذا هكذا وإنما فديت عِرْضَكَ من لسانه ولم تعطه للمدح والفخر فقد أحسنت. ولما ولي بلالُ بن أبي بُرْدَةَ أنشده إياها حمَّادُ الراويةُ فوصله أيضاً.

[كذب الحطيئة]

ونسخت من كتاب لحمَّاد بن إسحاق حدَّثني به أبي وأخبرني به عمِّي عن الكِرانيِّ عن الرِّياشيِّ قال: حدَّثني محمدُ بن الطُّفيل عن أبي بكر بن عِيَّاش عن الحارث بن عبد الرحمن بن مكحول قال: سَبَقَ رسولُ اللَّهِ ﷺ على فرس له فجثا على ركبتيه وقال: «إنه لبحر»^(١)؛ قال عمر: كَذَبَ الحطيئةُ حيث يقول:

وَإِنَّ جِيَادَ الْخَيْلِ لَا تَسْتَفِزُّنَا وَلَا جَاعِلَاتُ الرِّيطِ^(٢) فَوْقَ الْمَعَاصِمِ
[الطويل]

لو ترك هذا أحدٌ لتركه رسول الله ﷺ.

[رقة قلب الحطيئة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن أبي عُبَيْدة أن الحُطَيْئَةَ أراد سفراً فأتته امرأته وقد قُدِّمَتْ راحلَتُهُ ليركَبَ، فقال:

أَذْكَرَ تَحَنُّنَنَا إِلَيْكَ وَشَوْقَنَا وَاذْكَرْ بِنَاتِكَ إِنَّهِنَّ صَغَارُ
[الكامل]

فقال: حظوا، لا رحلت لسفر أبداً.

[رؤية صاحب الحطيئة الجني]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي ومحمد بن الحسن بن دُرَيْد قالَا: حدَّثنا عبد الرحمن ابنُ أخي الأصمعيِّ عن عمه عن أبيه قال: قال رجلٌ: ضِفْتُ^(٣) قوماً في سفر وقد ضَلَلْتُ الطريقَ، فجاءوني بطعام أجْدُ طعمه في فمي وثَقَلَهُ في بطني، ثم قال شيخ منهم لشاب: أنشد عمَّكَ؛ فأنشدني:

(١) سُمِّيَ البحرُ بحراً لِسَعَتِهِ وانْبِسَاطِهِ، ومنه قولُهُم: إِنَّ فلاناً لَبَحْرٌ، أي واسعُ المعروف، وهي في النص بمعنى واسع الجري.

(٢) الرِّيطَةُ: المُلَاءَةُ إذا كانت واحدة ولم تكن لفتين، والجمعُ رِيط.

(٣) ضفت: نزلت عليهم ضيفاً.

عفا من سُليْمى مُسْحُلاًنُ فَحَامِرُهُ تَمَشَّى بِهِ ظِلْمَانُهُ وَجَاذِرُهُ
[الطويل]

فقلت له: أليس هذا للحُطَيْئَةِ؟ فقال: بلى، وأنا صاحبه من الجن.

[ابن شبرمة وشعر الحطيئة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال ابن عُيَيْنَةَ: سمعت ابن شُبرْمَةَ يقول: أنا والله أعلم بجيد الشعر، لقد أحسن الحُطَيْئَةُ حيث يقول:

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبُنَى وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا
وَإِنْ كَانَتْ النُّعْمَاءُ فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدَّوْا
وَإِنْ قَالَ مَوْلَاهُمْ عَلَى جُلٍّ حَادِثٍ مِنْ الدَّهْرِ رُدُّوا فَضَلَ أَحْلَامِكُمْ رَدَّوْا
[الطويل]

قال: وقال الأصمعي وقد سأله أبو عَدْنَان عن هذا البيت: ما واحد البنى، قال: بُنْيَةٌ؛ فقال له: أَتُجْمَعُ فَعْلَةٌ عَلَى فُعْلٍ؟ قال: نَعَمْ مثل رِشْوَةٍ وَرُشَى وَحِبْوَةٍ وَحُبَى.

[نزوله على بني مقلد بن يربوع]

حدَّثنا أحمد بن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عَمَّار قال: حدَّثني محمد بن أحمد بن صدقة الأنباري قال: حدَّثنا ابن الأعرابي عن المُفَضَّل: أن الحُطَيْئَةَ أَقْحَمَتْهُ ^(١) السَّنةُ ^(٢)، فنزل ببني مُقْلَدَ بن يَرْبُوعَ، فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا: إن هذا الرجل لا يَسْلَمُ أَحَدٌ من لسانه، فتعالوا حتى نسأله عما يحب فنفعله وعما يكره فنجتنبه؛ فأتوه فقالوا له: يا أبا مُلَيْكَةَ، إنك اخترتنا على سائر العرب ووجب حقك علينا، فمُرْنَا بما تحبُّ أن نفعله وبما تحبُّ أن ننتهي عنه؛ فقال: لا تُكثِرُوا زيارتي فتُمِلُّوني، ولا تقطعوها فتوحشوني، ولا تجعلوا فِئَاءَ بيتي مجلساً لكم، ولا تُسْمِعُوا بناتي غناء شَبَّانِكُمْ، فإنَّ الغناء رُقِيَّةٌ ^(٣) الزنا. قال: فأقام عندهم. وجمع كلُّ رجل منهم ولده وقال: أُمُّكُمْ الطلاقُ، لئن تَعَنَّى أَحَدٌ مِنْكُمْ والحُطَيْئَةُ مَقِيمٌ بَيْنَ أَظْهُرِنَا لِأَضْرِبَتِهِ ضَرْبَةً بَسِيفِي أَخَذْتُ مِنْهُ مَا أَخَذْتُ. فلم يزل مُقِيمًا فيما يرضى حتى انجَلَّتْ عنه السَّنةُ، فارتحل وهو يقول:

(١) قحِم: ركب قحمةً من القحَم وهي عظام الأمور التي لا يركبها كل أحد. ووقعوا في القحمة وهي السنة الشديدة. وركب قحمة الطريق: ما صعب منها على سالكه، وللخصومة قحَمٌ. واقتحم عقبه أو وهدة أو نهراً: رمى بنفسه فيها على شدة ومشقة، وأقحم دابته النهر.

(٢) السنة: الجذب.

(٣) الرقية: العطاء.

جَاوَرْتُ آلَ مُقْلَدٍ فَحَمِدْتُهُمْ إِذْ لَيْسَ كُلُّ أَخِي جَوَارٍ يُحَمَدُ
أَيَّامَ مَنْ يُرِدُ الصَّنِيعَةَ يَصْطَنِعُ فِينَا وَمَنْ يُرِدِ الزَّهَادَةَ يَزْهَدُ

[الكامل]

[خبره مع الزُّبرقان]

فأما خبره مع الزُّبرقان بن بدر والسبب في هجائه إياه، فأخبرني به أبو خليفة عن محمد بن سَلَامٍ ولم يتجاوز به، وأخبرني الحُسَيْنُ بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن محمد بن سَلَامٍ عن يونس، وأخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ عن أبي حاتم عن أبي عُبَيْدَةَ، وأخبرني اليزيدي عن عمه عبيد الله عن أبي حبيب عن ابن الأعرابي وقد جمعت رواياتهم وضممت بعضها إلى بعض: أَنَّ النبي ﷺ كان وَلَى الزُّبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم عملاً، وذكر مثل ذلك الأصمعي، وقال: الزُّبرقان: القمر، والزُّبرقان: الرجل الخفيف اللحية. قال: وأقره أبو بكر رضي الله عنه بعد النبي ﷺ على عمله، ثم قدم على عمر في سنة مُجْدِبَةٍ لِيُؤَدِّيَ صَدَقَاتِ قَوْمِهِ، فلقيه الحطِيبَةُ بَقَرَقَرَى^(١) ومعه ابنه أَوْسٌ وسوادهُ وبناته وامراته؛ فقال له الزُّبرقان وقد عرفه ولم يعرفه الحطِيبَةُ: أين تريد؟ قال: العراق، فقد حَطَمْتُنَا هذه السنة؛ قال: وتصنع ماذا؟ قال: ودِدْتُ أَنْ أَصَادِفَ بِهَا رَجُلًا يَكْفِينِي مَوْوَنَةً عِيَالِي وَأُصْفِيهِ^(٢) مدحي أبدأ؛ فقال له الزُّبرقان: قد أصبته، فهل لك فيه يُوَسِّعُكَ^(٣) لبناً وتمرّاً ويَجَاوِزُكَ أَحْسَنَ جَوَارٍ وَأَكْرَمَهُ؟ فقال له الحطِيبَةُ: هذا وأبيك العيش، وما كُنْتُ أَرْجُو هذا كُلَّهُ؛ قال: فقد أصبته؛ قال: عِنْدَ مَنْ؟ قال: عندي؛ قال: ومن أنت؟ قال: الزُّبرقان بن بدر؛ قال: وأين محلُّكَ؟ قال: اركب هذه الإبل، واستقبل مَطْلِعَ الشَّمْسِ، وسل عن القمر حتى تأتي منزلي. قال يونس: وكان اسم الزُّبرقان الحُصَيْنَ بن بدر، وإنَّما سُمِّيَ الزُّبرقان لِحُسْنِهِ، شُبَّهَ بالقمر. وقيل: بل لِبَسِ عِمَامَةً مَزَبْرَقَةً^(٤) بِالزَّعْفَرَانِ فَسُمِّيَ الزُّبرقان لذلك. وقال أبو عُبَيْدَةَ في خبره: فقال له: سِرُّ إِلَى أُمِّ شَذْرَةَ وَهِيَ أُمُّ الزُّبرقان وَهِيَ أَيْضاً عَمَةُ الْفَرَزْدَقِ، وَكُتِبَ إِلَيْهَا أَنْ أَحْسِنِي إِلَيْهِ، وَأَكْثِرِي لَهُ مِنَ التَّمْرِ وَاللَّبَنِ. وقال آخرون: بل وَكَلَّهُ إِلَى زَوْجَتِهِ. فَلَحِقَ

(١) قرقرى: أرض باليمامة فيها قرى وزروع ونخيل كثيرة.

(٢) أصفيه: أخلصه.

(٣) يوسع: يكثر.

(٤) سُمِّيَ الرَّجُلُ زَبْرَقَان لِحَمَالِهِ. وقالوا: زبرق ثوبه، إذا صبغه بحُمْرَةٍ أَوْ صُفْرَةٍ. وَالزُّبْرِقَانُ، زَعَمُوا: الْقَمَر.

الحُطَيْيَةُ بزوجته على رواية ابن سَلَام، وهي بنت صَعَصَعَةَ بن نَاجِيَةَ المُجَاشِعِيَّة، واسمها هُنَيْدَة، وعلى رواية أَبِي عُبَيْدَة: أَنَّهَا أُمُّهُ، وذلك في عام صَعْبٍ مُجْدِبٍ، فَأَكْرَمَتْهُ الْمَرْأَةُ وَأَحْسَنْتْ إِلَيْهِ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ بَغِيضُ بن عامر بن شَمَّاسٍ بن لَآيٍ بن جَعْفَرٍ وهو أَنْفُ النَاقَةِ بن فُرَيْع بن عَوْفٍ [بن كعب] بن سعد بن زيد مَنَاة بن تَمِيم، وبلغ إخوته وبني عمه فاغتنموها. وفي خبر اليزيدي عن عمه قال ابن حبيب عن ابن الأعرابي: وكانوا يغضبون من أَنْفِ النَاقَةِ، وإنما سُمِّيَ جَعْفَرُ أَنْفِ النَاقَةِ لِأَنَّ أَبَاهُ قُرَيْعاً نَحَرَ نَاقَةً ففَاسَمَهَا بَيْنَ نِسَائِهِ، فَبَعَثَتْ جَعْفَرًا هَذَا أُمُّهُ، وهي الشَّمُوسُ من وائل ثم من سعد هَذِيم، فَأَتَى أَبَاهُ وَلَمْ يَبْقَ مِنَ النَاقَةِ إِلَّا رَأْسُهَا وَعُنُقُهَا، فَقَالَ: شَأْنُكَ بِهَذَا؛ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي أَنْفِهَا وَجَرَّ مَا أَعْطَاهُ؛ فَسُمِّيَ أَنْفُ النَاقَةِ. وكان ذلك كَاللَّقَبِ لَهُمْ حَتَّى مَدَحَهُمُ الْحُطَيْيَةُ، فَقَالَ:

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ النَاقَةِ الذَّنْبَا
[البسيط]

فصار بعد ذلك فخراً لهم ومدحاً، وكانوا ينازعون الزبرقان الشرف - يعني بغيضاً وإخوته وأهله - وكانوا أشرف من الزبرقان، إلا أنه قد كان استعلاهم بنفسه. وقال أبو عُبَيْدَة في خبره: كان الحطيئة دميماً سَيِّءَ الْخُلُقِ، لا تأخذه العين، ومعه عيال كذلك. فلما رأت أُمُّ شَذْرَةَ حَالَهُ هَانَ عَلَيْهَا وَقَصَّرَتْ^(١) بِهِ، وَنَظَرَ بَغِيضٌ وَبَنُو أَنْفِ النَاقَةِ إِلَى مَا تَصْنَعُ بِهِ أُمُّ شَذْرَةَ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ: أَنْ ائْتِنَا، فَأَبَى عَلَيْهِمْ وَقَالَ: إِنْ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ التَّقْصِيرَ وَالْعَفْلَةَ، وَلَسْتُ بِالَّذِي أَحْمَلُ عَلَى صَاحِبِهَا ذَنْبَهَا. فلما أَلَحَّ عَلَيْهِ بَنُو أَنْفِ النَاقَةِ، وَكَانَ رَسُولُهُمْ إِلَيْهِ شَمَّاسُ بن لَآيٍ وَعَلَقَمَةُ بن هَوْدَةَ وَبَغِيضُ بن شَمَّاسٍ وَالْمُخْبِلُ الشَّاعِرُ، قَالَ لَهُمْ: لَسْتُ بِحَامِلٍ عَلَى الرَّجُلِ ذَنْبَ غَيْرِهِ، فَإِنْ تُرَكْتُ وَجُفِيتْ تَحَوَّلْتُ إِلَيْكُمْ؛ فَأَطْمَعُوهُ وَوَعَدُوهُ وَعَدًا عَظِيمًا. وقال ابن سَلَام في خبره: فلما لم يُجِيبَهُمْ دَسُّوا إِلَى هُنَيْدَةِ زَوْجَةِ الزَّبْرَقَانِ أَنَّ الزَّبْرَقَانَ إِنَّمَا يَرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَ ابْنَتَهُ مُلْكِيَّةً؛ وَكَانَتْ جَمِيلَةً كَامِلَةً، فَظَهَرَتْ مِنَ الْمَرْأَةِ لِلْحُطَيْيَةِ جَفْوَةٌ وَهِيَ فِي ذَاكَ تَدَارِيهِ. ثم أرادوا التُّجْعَةَ^(٢)، قَالَ أَبُو عُبَيْدَة: فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ شَذْرَةَ - وَقَالَ ابْنُ سَلَامٍ: فَقَالَتْ لَهُ هُنَيْدَة - : قَدْ حَضَرَتْ التُّجْعَةُ فَارْكَبِ أَنْتِ وَأَهْلُكَ هَذَا الظَّهَرَ إِلَى مَكَانِ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ ارْجِعِي إِلَيْنَا حَتَّى نَلْحَقَكَ فَإِنَّهُ لَا يَسْعُنَا جَمِيعًا؛ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا: بَلْ تَقْدَمِي أَنْتِ فَأَنْتِ أَحَقُّ بِذَلِكَ؛ فَفَعَلْتُ وَتَثَاقَلْتُ عَنْ رَدِّهَا إِلَيْهِ وَتَرَكَتُهُ يَوْمِينَ أَوْ ثَلَاثَةً، وَأَلَحَّ بَنُو أَنْفِ النَاقَةِ عَلَيْهِ وَقَالُوا

(١) قصرت به: أهملته ولم تكرمه.

(٢) التُّجْعَةُ: طلب الكالأ والخير. وانتجعت أرض كذا في طلب الريف. وانتجعت فلاناً لطلب معروفه.

له: قد تُركت بمضيعة. وكان أشدهم في ذلك قولاً بغيض بن شماس وعَلَقَمَة بن هُوْذَة، وكان الزُّبرقان قد قال في عَلَقَمَة:

لِي ابْنُ عَمٍّ لَا يَزَا لُ يَعِيبُنِي وَيُعِينُ عَائِبَ
وَأَعِينُهُ فِي النَّائِبَا ت وَلَا يُعِينُ عَلَى النَّوَائِبِ
تَسْرِي عَقَارِبُهُ إِلَا يَّ وَلَا تَدِبُ لَهُ عَقَارِبُ
لَا^(١) ابْنُ عَمِّكَ لَا يَخَا فُ الْمُحْزَنَاتِ مِنَ الْعَوَاقِبِ

[مجزوء الكامل]

قال: فكان عَلَقَمَة مُمْتَلِئاً غيظاً عليه. فلما أَلَحُوا على الحُطَيْئَة أجابهم وقال: أما الآن فنعم، أنا صائرٌ معكم. فتَحَمَّلَ معهم، فضربوا له قُبَّةً، وربطوا بكلَّ طُنْبٍ^(٢) من أطناها جُلَّةً^(٣) هجرية، وأراحوا^(٤) عليه إبلهم، وأكثروا له من التمر واللبن، وأعطوه لِقَاحاً^(٥) وكسوة^(٦). قال: فلما قَدِمَ الزُّبرقان سأل عنه فأخبر بقصته، فنَادَى في بني بَهْدَلَة بن عَوْفٍ، وهم لَأَمٌّ دون قُرَيْعٍ، أُمُّهم السَّفْعَاء بنت غنم بن قُتَيْبَة من باهله. فركب الزُّبرقان فرسه، وأخذ رمحه، وسار حتى وقف على نادي بني شماس القَرْنَعِيِّين، فقال: رُدُّوا عَلَيَّ جاري؛ فقالوا: ما هو لك بجار وقد أطرحته وضيَّعته؛ فآلَمَ^(٧) أن يكون بين الحيَّين حربٌ، فحضرهم أهلُ الحِجَا^(٨) من قومهم، فلاموا بَغِيضاً وقالوا: ارددْ على الرجل جاره؛ فقال: لَسْتُ مُخْرِجُهُ وقد آوَيْتُهُ، وهو رجلٌ حرٌّ مالِكٌ لأمره، فخيروه فإن اختارني لم أُخْرِجْهُ، وإن اختاره لم أُكْرِهه. فخيروا الحُطَيْئَة فاختار بَغِيضاً ورَهْطَهُ؛ فجاء الزُّبرقان ووقف عليه وقال له: أبا مُلَيْكَة، أفارقت جواري عن سُخْطٍ وذمٍّ؟ قال: لا؛ فانصرف وتركه. هذه رواية ابن سَلام، وأما أبو عُبَيْدَة فإنه

(١) لاه: بمعنى الله.

(٢) الطُّنْبُ: حَبْلُ الخَبَاء والسُّرَادِق ونحوهما، وأطناب الشَّجَر: عروقه، وأطنابُ الجَسَد: عَصَبٌ يصل المفاصل والعظام ويَشُدُّها. والإطنابُ: البلاغة في المنطق في مَدْحٍ أو ذَمٍّ. والإطنابةُ: سَبْرٌ يُوصَلُ بَوَتَرِ القَوْسِ العربيَّة، ثم يُدارُ على كُطْرِيها، وقَوْسٌ مُطَبَّبة.

(٣) الجُلَّة: وعاء يتخذ من الخوص يوضع ويكنز فيها التمر.

(٤) أراحوا الإبل: ردُّوها عند العشي.

(٥) اللَّفْحَة: الناقَة الحَلُوب، فإذا جُعِلَ نَعْتاً قيل: ناقَة لَفُوح، ولا يقال: ناقَة لِفْحَة. ويقال: هذه لِفْحَة بني فلان.

(٦) الكِسْوَة والكُسْوَة: اللباس، كَسَوْتُهُ أَكْسَوْتُهُ.

(٧) ألَمَ: قرب، يقال: ألَمَ أن يذهب بصره أي قرب أن يذهب.

(٨) الحجا: العقل والفتنة.

ذكر أنه كان بين الزبرقان ومن معه من القرعيين تلاح^(١) وتشاح. وزعم غيرهما أن الزبرقان استعدى عمر بن الخطاب على بغيص، فحكم عمر بأن يُخْرِجَ الحطيئة حتى يُقام في موضع خالٍ بين الحيين وحده ويُخلَى سبيله، ويكون جارٍ أيهما اختار؛ ففعل ذلك به، فاختار القرعيين. قال: وجعل الحطيئة يمدحهم من غير أن يهجو الزبرقان، وهم يحضونه على ذلك ويحرضونه فيأبى ويقول: لا ذنب للرجل عندي؛ حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من التمر بن قاسط يقال له دثار بن شيان، فهجا بغيصاً فقال:

أرى إبلي بجوف الماء حلت
وقد وردت مياه بني قريع
تحلاً^(٢) يوم ورد الناس إبلي
ألم أك جار شماس بن لأي
فقلت تحولي يا أم بكر
وجدنا بيت بهدلة بن عوف
وما أضحي لشماس بن لأي
سوى أن الحطيئة قال قولاً

وأعوزها به الماء الرواء
فما وصلوا القرابة مذ أساءوا
وتصدروا وهي مُحْنِقة^(٣) ظمأ
فأسلمني وقد نزل البلاء
إلى حيث المكارم والعلاء
تعالى سمْكُهُ ودحا^(٤) الفناء
قديم في الفعال^(٥) ولا رباء^(٦)
فهذا من مقالته جزاء

[الوافر]

فحينئذ قال الحطيئة يهجو الزبرقان ويُناضل^(٧) عن بغيص قصيدته التي يقول

فيها:

- (١) تلاح: تنازع.
- (٢) الحلاء: حكاكة حجرين تُكحل به العين، حلاّت فلاناً حلاً. والحلوة: الحجر للدواء. وأحلاّت الرجل إحلاءً: فعلت به ذاك. وحلاّت الإبل: حبستها عن الرؤود. وقيل: تحلاً: تمنع.
- (٣) محنقة: ضامرة.
- (٤) دحوت الشيء دحواً: بسطته.
- (٥) الفعل بالفتح: مصدر فعل يفعل. وقرأ بعضهم: «وأوحينا إليهم فعل الخيرات» والفعل بالكسر الاسم، والجمع الفعّال. والفعّال بالفتح: الكرم. وقال هذبة:
ضروباً بلحيميّ على عظم زوره
إذا القوم همّشوا للفعّال تقنّعوا
والفعّال أيضاً، مصدر. وكانت منه فعلة حسنة أو قبيحة. وافتعل كذباً وزوراً، أي اختلق. وفعلت الشيء فانفعل، كقولك: كسرتة فانكسر.
- (٦) الرباء بالفتح: الطول والمنة والفضل.
- (٧) فلان يناضل عن فلان، إذا تكلم عنه بعذره ودافع.

وَاللَّهِ مَا مَعَشَرٌ لَأُمُوا امِرّاً جُنْباً
 مَا كَانَ ذَنْبٌ بَغِيضٌ لَا أَبَا لَكُمْ
 لَقَدْ مَرَيْتُكُمْ^(٢) لَوْ أَنَّ دَرَّتْكُمْ^(٣)
 وَقَدْ مَدَحْتُكُمْ عَمداً لِأَرْشِدْكُمْ
 لَمَّا بَدَا لِي مِنْكُمْ غَيْبٌ أَنْفُسِكُمْ
 أَزَمَعْتُ يَأْساً مُبِيناً مِنْ نَوَالِكُمْ
 جَارٌ لِقَوْمٍ أَطَالُوا هُؤُونَ مَنْزِلِهِ
 مَلُّوا قِرَاءَهُ وَهَرَّتْهُ^(٩) كِلَابُهُمْ
 دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبَغْيَتِهَا
 مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ
 مَا كَانَ ذَنْبِي أَنْ فَلْتُ مَعَاوِلَكُمْ
 فِي آلِ لَأَيِ بْنِ شَمَّاسٍ بِأَكْيَاسٍ
 فِي بَائِسٍ جَاءَ يَحْدُو^(١) آخِرَ النَّاسِ
 يَوْمًا يَجِيءُ بِهَا مَسْحِي وَإِسَاسِي^(٤)
 كَيْمَا يَكُونُ لَكُمْ مَتَحِي^(٥) وَإِمْرَاسِي^(٦)
 وَلَمْ يَكُنْ لِجِرَاحِي فِيكُمْ آسِي^(٧)
 وَلَنْ تَرَى طَارِداً لِلْحُرِّ كَالْيَاسِ
 وَغَادَرُوهُ مُقِيماً بَيْنَ أَرْمَاسِ^(٨)
 وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسِ
 وَقَعْدَ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِ
 لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
 مِنْ آلِ لَأَيِ صَفَاةً أَصْلُهَا رَاسِ

(١) حَدَا يَحْدُو حَدَوًا: تَبَعَ شَيْئًا.

(٢) مَرَيْتُكُمْ: مَرَى النَّاقَةَ: مَسَحَ ضَرْعَهَا.

(٣) دَرَّتْكُمْ: لَبَنَكُمْ.

(٤) وَأَبَسَ بِالْإِبِلِ عِنْدَ الْحَلَبِ إِذَا دَعَا الْفَصِيلَ إِلَى أُمِّهِ، وَأَبَسَ بِأُمِّهِ لَهُ.

(٥) الْمَتَحُ: جَذْبُكَ رِشَاءِ الدَّلْوِ تَمْدُّ بِيَدٍ وَتَأْخُذُ بِيَدٍ عَلَى رَأْسِ الْبَثْرِ؛ مَتَحَ الدَّلْوُ يَمْتَحُهَا مَتَحًا وَمَتَحَ بِهَا. وَقِيلَ: الْمَتَحُ كَالنَّزْعِ غَيْرَ أَنَّ الْمَتَحَ بِالْقَامَةِ، وَهِيَ الْبُكَرَةُ؛ قَالَ:

ولولا أبو الشُّفْرَاءِ، مَا زَالَ مَاتِحٌ يُعَالِجُ خَطَاءَ بِلَاحِدَى الْجَرَائِرِ
 وقيل: الماتِحُ المُسْتَقِي، والماتِحُ: الذي يملأُ الدلو من أسفل البثر؛ تقول العرب: هو أَبْصَرُ من
 الماتِحِ بِاسْتِ الماتِحِ؛ تعني أَنَّ الماتِحَ فوق الماتِحِ، فالماتِحِ يَرَى الماتِحَ ويرى اسْتَهُ.
 (٦) الْمَرْسُ: أَسْفَلُ الْجَبَلِ يَسِيلُ مِنْهُ الْمَاءُ فَيَدِبُ دَبِيبًا وَلَا يَخْفِرُ، وَجَمْعُهُ أَمْرَاسٌ.
 (٧) وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يَقَالُ أَسِي يَأْسَى أَسَى مَقْصُورٌ: إِذَا حَزَنَ، وَرَجُلٌ أَسِيَانٌ وَأَسْوَانٌ: أَيُّ حَزِينٍ.
 وَيَقَالُ: أَسَيْتُ فَلَانًا بِمَصِيبَتِهِ: إِذَا عَزَيْتَهُ.

(٨) الرَّمْسُ: مَصْدَرُ رَمَسْتُهُ أَرْمُسُهُ رَمْسًا: إِذَا دَفَنْتَهُ، وَبِهِ سُمِّيَتِ الرِّيحُ رَوَامِسَ، لِأَنَّهَا تَرْمُسُ الْآثَارَ أَيُّ تَدْفِنُهَا، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ فِي كَلَامِهِمْ؛ فَسُمِّيَ الْقَبْرُ رَمْسًا.

(٩) هَارَ الْجَرْفُ يَهْوَرُ هَوْرًا وَهَوُورًا، فَهُوَ هَائِرٌ. وَيَقَالُ أَيْضًا: جَرَفٌ هَارٍ، خَفَضُوهُ فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ وَأَرَادُوا (هَائِرًا). وَهَوْرُهُ فَتَهَوَّرَ. وَانْهَارَ، أَيُّ انْهَدَمَ. وَهَزَّتُهُ بِالشَّيْءِ، أَيُّ أَتَهَمْتُهُ بِهِ، وَالْأَسْمُ الْهَوْرَةُ. وَالتَّهَوَّرَ: الْوُقُوعُ فِي الشَّيْءِ بِقَلَّةٍ مَبَالَاةً. يَقَالُ: فَلَانٌ مُتَهَوَّرٌ. وَتَهَوَّرَ اللَّيْلُ: أَيُّ مَضَى أَكْثَرُهُ وَانْكَسَرَ ظِلَامُهُ. وَتَهَوَّرَ الشِّتَاءُ: ذَهَبَ أَكْثَرُهُ وَانْكَسَرَ بَرْدُهُ. وَاهْتَوَّرَ الشَّيْءُ: هَلَكَ. وَالتَّيْهَوَّرَ مِنْ الرَّمْلِ: الْمَشْرِفُ.

قَدْ نَاضَلُوكَ فَسَلُّوا مِنْ كِنَائِهِمْ مَجْدًا تَلِيدًا وَنَبْلًا غَيْرَ أَنْكَاسٍ^(١)

[البسيط]

- الجُنُب: الغريب. والإبساس: أن يُسَكَّنْها عند الحَلْب. والماتح: المستقي الذي يجذبُ الدلو من فوق. والإمراس: أن يقع الحبل في جانب البكرة فيُخرجُه -.

فاستَعْدَى الزُّبْرَقَانُ عَمْرَ بنَ الخطاب، فرفعه عَمْرُ إليه واستنشدَه فأنشده؛ فقال عَمْرُ لِحَسَّان: أترأه هجاء؟ قال: نعم وسلح عليه، فحبسه عَمْرُ.

[دع المكارم لا ترحل لبغيها]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبیب بن نصر المَهَلْبِي قالَا: حَدَّثَنَا عَمْرُ بن شَبَّة قال: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بن مُعَاوِيَةَ عن أَبِي عبد الرحمن الطائي عن عبد الله بن عِيَّاش عن الشَّعْبِيِّ قال: شَهِدْتُ زِيَادًا وَأَتَاهُ عَامِرُ بن مسعود بأبي عَلَاثَةَ التَّيْمِي، فقال: إنه هجاني؛ قال: وما قال لك؟ قال: قال:

وكيف أَرَجِي ثَرَوْها ونمائها وقد سار فيها خُصِيَّةُ الكلبِ عامرُ
[الطويل]

فقال أبو علاثة: ليس هكذا قلت؛ قال: فكيف قُلْتَ؟ قال: قلت:

وإنِّي لأرجو ثَرَوْها ونمائها وقد سار فيها ناجذ الحق عامرُ
[الطويل]

قال زياد: قاتل الله الشاعر، ينقلُ لسانه كيف شاء، والله لولا أن تكون سُنَّةُ لِقَطْعَتِ لِسَانِكَ! فقام قَيْسُ بن فهد الأنصاري فقال: أصلح الله الأمير، ما أدري من الرجل، فإن ثبتت حديثك عن عَمْرٍ بما سَمِعْتُ مِنْهُ - قال: وكان زياد يعجبه الحديث عن عَمْرٍ رضي الله عنه - قال: هاتيه، قال: شهدته وأتاه الزُّبْرَقَانُ بن بدر بالحطيئة فقال: إنه هجاني؛ قال: ما قال لك؟ قال: قال لي:

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِها وَأَقْعِدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي
[البسيط]

فقال عَمْرُ: ما أسمع هجاء ولكنها معاتبه؛ فقال الزُّبْرَقَانُ: أو ما تبلغُ مروءتي إلا أن آكلَ وألبس! فقال عَمْرُ: علي بحسان، فجيء به فسأله؛ فقال: لم يَهْجُهْ ولكن سلح عليه - قال: ويقال: إنه سأل لبيداً عن ذلك فقال: ما يسرني أنه لحقني من هذا

(١) أنكَاس: جمع نكس وهو أضعف السهام.

الشعر ما لحِقَهُ وأن لي حُمْرُ النَّعَم - فأمر به عمرُ فجُعِلَ في نَقِيرٍ^(١) في بئر ثم أُلْقِيَ عليه شيء، فقال:

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرِّخٍ^(٢) زُعْبُ^(٣) الْحَوَاصِلِ^(٤) لَا مَاءَ وَلَا شَجَرُ
أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فَاغْفِرْ عَلَيكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عُمَرُ
أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ أَلْقَتْ إِلَيْكَ مَقَالِيدَ التُّهَى الْبَشَرُ
لَمْ يُوْثِرُوا بِهَا إِذْ قَدَّمُوا لَهَا لَكِنْ لِأَنْفُسِهِمْ كَانَتْ بِكَ الْأَثَرُ
[البسيط]

فأخرجه وقال له: إِيَّاكَ وَهَجَاءَ النَّاسِ؛ قال: إِذَا يَمُوتُ عِيَالِي جَوْعاً، هَذَا مَكْسَبِي وَمِنْهُ مَعَاشِي؛ قال: فَإِيَّاكَ وَالْمُقْدَعُ مِنَ الْقَوْلِ؛ قال: وما المقْدَعُ؟ قال: أَنْ تَخَايِرَ بَيْنَ النَّاسِ فَتَقُولَ: فَلَانٌ خَيْرٌ مِنْ فَلَانٍ، وَآلُ فَلَانٍ خَيْرٌ مِنْ آلِ فَلَانٍ؛ قال: فَأَنْتَ وَاللَّهِ أَهْجَى مِنِّي. ثم قال: وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَكُونَ سُنَّةً لِقَطْعَتُ لِسَانِكَ، وَلَكِنْ أَذْهَبُ فَأَنْتَ لَهُ، خُذْهُ يَا زَبْرَقَانَ؛ فَأَلْقَى الزَّبْرَقَانُ فِي عُنُقِهِ عِمَامَةً فَاقْتَادَهُ بِهَا؛ وَعَارَضْتَهُ غَطْفَانُ فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا شَذْرَةَ، إِخْوَتُكَ وَبَنُو عَمِّكَ، هَبْ لَنَا؛ فَوَهَبَهُ لَهُمْ. فقال زيادٌ لعامر بن مَسْعُودٍ: قَدْ سَمِعْتُ مَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ، وَإِنَّمَا هِيَ السُّنَنُ، فَأَذْهَبُ بِهِ فَهُوَ لَكَ؛ فَأَلْقَى فِي عُنُقِهِ حَبْلًا أَوْ عِمَامَةً، وَعَارَضْتَهُ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ فَقَالُوا لَهُ: أَخْوَالُكَ وَجِيرَانُكَ؛ فَوَهَبَهُ لَهُمْ.

[استعطف عمر بشعر فأطلقه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قال: أَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ: أَنَّ الْحَطِيبَةَ لَمَّا حَبَسَهُ عُمَرُ قَالَ وَهُوَ أَوَّلُ مَا قَالَهُ:

أَعُوذُ بِجَدِّكَ إِنِّي أَمْرُؤُ سَقَتْنِي الْأَعَادِي إِلَيْكَ السَّجَالَا
فَإِنَّكَ خَيْرٌ مِنَ الزَّبْرَقَانِ أَشَدُّ نَكَالاً وَأَرْجَى نَوَالَا

(١) النقيير: ما نقر من حجر وخشب ونحوهما.

(٢) ذي مرخ: وادٍ في الحجاز.

(٣) الزُعْبُ: الشَّعِيرَاتُ الصَّفْرُ عَلَى رِيشِ الْفَرَسِ؛ وَقِيلَ: هُوَ صِغَارُ الشَّعْرِ وَالرِّيشِ وَلَيْتَهُ؛ وَقِيلَ: هُوَ دُقَاقُ الرِّيشِ الَّذِي لَا يَطُولُ وَلَا يَجُودُ.

(٤) الْحَوْصَلُ وَالْحَوْصَلَةُ وَالْحَوْصَلَةُ وَالْحَوْصَلَاءُ، مَمْدُودٌ، مِنَ الطَّائِرِ وَالطَّلِيمِ: بِمَنْزِلَةِ الْمَعِدَةِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَهِيَ الْمَصَارِينُ لَدَى الظِّلْفِ وَالْخَفِّ، قَالَ: وَالْقَانِصَةُ مِنَ الطَّيْرِ تُدْعَى الْجَرِيئَةَ، مَهْمُوزٌ عَلَى فِعْلِيَّةٍ، وَقَدْ حَوْصَلَ أَيُّ مَالاً حَوْصَلْتَهُ. وَيُقَالُ: حَوْصَلِي وَطَيْبِرِي. وَاحْوَصَلَ الطَّائِرُ: ثَنَى عُنُقَهُ وَأَخْرَجَ حَوْصَلَتَهُ. وَحَوْصَلَةُ الْإِنْسَانِ وَكُلُّ شَيْءٍ: مُجْتَمَعُ الثُّغْلِ أَسْفَلَ مِنَ السُّرَّةِ، وَقِيلَ: الْحَوْصَلَةُ الْمُرِيْطَاءُ، وَهُوَ أَسْفَلُ الْبَطْنِ إِلَى الْعَانَةِ.

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيكَ فَإِنْ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالَا
وَلَا تَأْخُذْنِي بِقَوْلِ الْوُشَاةِ فَإِنْ لِكُلِّ زَمَانٍ رَجَالَا
فَإِنْ كَانَ مَا زَعَمُوا صَادِقًا فَسَيَقَتْ إِلَيْكَ نِسَائِي رَجَالَا^(١)
حَوَاسِرَ لَا يَشْتَكِينُ الْوَجَا^(٢) يُخَفِّضْنَ آلا وَيَرْفَعْنَ آلا
[المقارب]

فلم يلتفت عمر إليه حتى قال أبياته التي أولها:

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرَخٍ

أخبرني الحرَميُّ بن أبي العلاء ومحمد بن العباس اليزيدي وعمر بن عبد العزيز بن أحمد وطاهر بن عبد الله الهشامي قالوا: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني محمد بن الضحّاك بن عثمان الحزامي قال: حدّثني عبد الله بن مُصعب عن ربيعة بن عثمان عن زيد بن أسلم عن أبيه قال:

أرسل عمر إلى الحطيئة وأنا جالس عنده وقد كلمه فيه عمرو بن العاص وغيره، فأخرجه من السجن فأشده قوله:

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرَخٍ زُعِبَ الْحَوَاصِلُ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرُ
أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عُمَرُ
أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ أَلَقْتَ إِلَيْكَ مَقَالِيدَ التُّهَى الْبَشَرُ
لَمْ يُوْثِرُوا بِهَا إِذْ قَدَّمُوا لَهَا لَكِنْ لِأَنْفُسِهِمْ كَانَتْ بِكَ الْأَثَرُ
فَامْتُنْ عَلَى صَبِيَةٍ بِالرَّمْلِ مَسْكُنُهُمْ بَيْنَ الْأَبَاطِحِ تَغْشَاهُمْ بِهَا الْقَرَرُ^(٣)
أَهْلِي فِدَاؤُكَ كَمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مِنْ عَرَضِ دَاوِيَّةَ^(٤) تَعْمَى بِهَا الْخُبْرُ
[البسيط]

- قال: فبكى حين قال:

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرَخٍ

(١) رجالاً: جمع رجلة أي راجلة.

(٢) الوجا: الحفا.

(٣) القرر: من قر وهو البرد.

(٤) الدّو: موضع بالبادية أُمس كَأَنَّهُ الرّاحة، قال:

جُنَيْنَةٌ مِنْ مُجْتَنَى عَوِيصٍ بِالْدَّوِّ أَوْ صَحْرَائِهِ الْقَمُوصِ

والدّويّة: مَفَاذَةٌ مَلَسَاءُ بَلُغَةٌ تَمِيمٌ، ودَاوِيَّةٌ لِأَهْلِ الْحِجَازِ بَلُغَتُهُمْ، قال ذو الرمة:

دَاوِيَّةٌ وَدَجَى لَيْلٍ كَأَنَّهُمَا

فقال عمرو بن العاص: ما أظَلَّتِ الخضراء ولا أَقَلَّتِ الغبراء أعدل من رجل يبكي على تركه الحُطَيْئَة - فقال عمر: عليّ بالكُرْسِيِّ، فأتني به، فجلس عليه ثم قال: أشيروا عليّ في الشاعر، فإنه يقول الهُجَرَ وينسب بالحُرَم ويمدحُ الناس ويذمُّهم بغير ما فيهم، ما أراني إلا قاطعاً لسانه، ثم قال: علي بالطَّسْتِ، فأتني بها، ثم قال: علي بالمُخَصِّفِ^(١)، عليّ بالسَّكِينِ، لا بل عليّ بالمُوسَى، فهو أَوْحَى^(٢)؛ فقالوا: لا يعود يا أمير المؤمنين، فأشاروا إليه أن قُلْ لا أعود؛ فقال: لا أعود يا أمير المؤمنين؛ فقال له: النَّجَاء. قال: فلمَّا وُلِّي قال له عمر: يا حُطَيْئَة، كَأَنِّي بك عند فتى من قريش، قد بسط لك نُمْرَقَةً^(٣) وكَسَرَ لَهُ أُخْرَى وقال: غَنَّا يا حُطَيْئَة فَطَفِقْتَ تَغْنِيَهُ بأعراض الناس. قال ابن أسلم: فما انقضت الدنيا حتى رأيتُ الحُطَيْئَة عند عبيد الله بن عُمر قد بَسَطَ له نُمْرَقَةً وكَسَرَ لَهُ أُخْرَى وقال: غَنَّا يا حُطَيْئَة، فجعل يغنيه، فَقُلْتُ له: يا حُطَيْئَة، أتذكر قولَ عمر؟ فَفَزِعَ وقال: يرحمُ الله ذلك المرء، أما إنه لو كان حيّاً ما فعلتُ. قال: وقلت لعبيد الله: سَمِعْتُ أَبَاكَ يقول كذا وكذا فكنت أنت ذلك الرجل.

[اشتري منه عمر أعراض المسلمين]

وروي عن عبد الله بن المبارك أنَّ عمر رضي الله عنه لما أطلق الحُطَيْئَة أراد أن يؤكِّد عليه الحُجَّة فاشتري منه أعراض المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم؛ فقال الحُطَيْئَة في ذلك:

وَأَخَذَتْ أَطْرَافَ الْكَلَامِ فَلَمْ تَدَعْ شَتْمًا يَضُرُّ وَلَا مَدِيحًا يَنْفَعُ
وَحَمِيَّتَنِي عِرْضَ اللَّيْمِ فَلَمْ يَخَفْ ذَمِّي فَأَصْبَحَ آمِنًا لَا يَفْزَعُ
[الكامل]

[شفاعة ابن عوف له عند عمر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: حدَّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن نافع بن أبي نُعَيْم: أن عبد الرحمن بن عوف هو الذي استرضى عمر بن الخطاب وكَلَّمَهُ في أمر الحُطَيْئَة حتى أخرجته من السجن. قال حمَّاد: وأخبرني أبي عن أبي عبيدة أن عمر رضي الله عنه لما أطلقه قال الشاعر التَّمَرِيُّ الذي كان الزُّبَرِّقَان حمله على هجاء بغيض:

(١) المخصف: مخرز الإسكافي.

(٢) أَوْحَى مدة: إذا أسرعَ أخذه.

(٣) التَّمْرُقُ والتَّمْرُقَة: وسادةٌ صغيرة، وكذلك التَّمْرُقَة. وربما سُمُوا الطَّنْفِيسَة التي فوق الرجل نُمْرَقَةً.

وَأَهْلِي بِالْعَلَاةِ^(٢) فَمَنْيَانِي
إِلَى حَبٍّ وَأَنْعَامٍ سِمَانٍ
وَأَرْبَعَةً فَذَلِكَ حَجَّتَانِ
وَأَسْلَمَنِي بِدَائِي الدَّاعِيَانِ
لَنَا بِاللَّيْلِ بئْسَ الضَّائِفَانِ
أَهْجَهْجُ^(٤) عَنْ بَنِي وَيَعْرُوَانِ
سَيَدْرِكُنَا بَنُو الْقَرْمِ الْهَجَانِ^(٥)
سِرَاجِ اللَّيْلِ لِلشَّمْسِ الْحَصَانِ
لَصَوْتٍ أَنْ يَنْدَادِي دَاعِيَانِ
أَنَا النَّمْرِيُّ جَارُ الزُّبْرِقَانِ
بِمَا اجْتَرَمْتُ يَدِي وَجَنَى لِسَانِي
نَزَلْتُ عَلَى الْمَمْنَعِ^(٦) مِنْ أَبَانِ^(٧)
وَضِيَّعَنِي بِتَرِيمٍ^(٨) مِنْ دَعَانِي
[الوافر]

دَعَانِي الْأَثْبَجَانِ^(١) ابْنَا بَغِيضٍ
وَقَالُوا سِرْ بِأَهْلِكَ فَاتَيْنَا
فَسِرْتُ إِلَيْهِمْ عَشْرِينَ شَهْرًا
فَلَمَّا أَنْ أَتَيْتُ ابْنَيْ بَغِيضٍ
يَبِيتُ الذُّبُّ وَالْعَثْوَاءُ^(٣) ضَيْفًا
أُمَارِسُ مِنْهُمَا لَيْلًا طَوِيلًا
تَقُولُ حَلِيلَتِي لَمَّا اشْتَكَيْنَا
سَيَدْرِكُنَا بَنُو الْقَمَرِ بِنِ بَذْرِ
فَقُلْتُ ادْعِي وَأَدْعُو إِنْ أُنْدَى
فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَلِئَنِّي
طَرِيدُ عَشِيرَةٍ وَطَرِيدُ حَرْبٍ
كَأَنِّي إِذْ نَزَلْتُ بِهِ طَرِيدًا
أَتَيْتُ الزُّبْرِقَانَ فَلَمْ يُضْعِنِي

[بنو قريع والحطيئة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال: لم يزل الحطيئة في بني قريع يمدحهم حتى إذا أحيوا^(٩) قال لبغيض: فلي بما كنت تضمّنت؟ فأتى بغيض علقمة بن هوذة فقال له: قد جاء الله بالحيا^(١٠)، ففلي بما

- (١) الأثبجان: مثني أثبج وهو الأحذب.
- (٢) العلاة: جبل في ديار النمر بن قاسط.
- (٣) العثو: أصل بناء العثواء يقال: ضُبِعَ عَثْوَاءٌ، إذا كانت كثيرة الشعر على وجهها. وكذلك يقال: رجل أعثنى وامرأة عثواء، إذا كثرت الشعر على خديهما. وفي بعض اللغات عثا يعثو عثوًا، إذا أفسد، في معنى عاث يعيث، وليس بثبت.
- (٤) ههْجَهْجَ: زجر للغنم، مبنًى على الفتح. وههْجَهْجْتُ بالسَّعِ، أي صَحْتُ به وزجرته ليُكْفَ.
- (٥) الهجان: الرجل الحبيب.
- (٦) الممنع: العالي الذي يتمتع الوصول إلى ذروته.
- (٧) أبان: اسم جبل.
- (٨) تريم: بكسر أوله وفتح الياء: اسم واد بين المضايق ووادي ينبع.
- (٩) أحيوا: أصابهم الحيا أو المطر.
- (١٠) الحيا: المطر.

قلت - وكان قد ضمن له مائة بعير- وأبرئني مما تضمنته عهدي؛ فقال: نعم، سل في بني قُريَيع فمهما فضل بعد عطائهم أن يُتَمَّ مائة أتممتُه، ففعل فجمعوا له أربعين أو خمسين بعيراً، كان الرجل يعطيه على قدر ماله البعير والبعيرين؛ قال: فأتَمَّتْها علقمة له مائة وراعيين فدُفِعَتْ إليه، فلم يزل يمدحهم وهو مُقيمٌ بينهم حتى قال كلمته السينية واستعدى الزبرقان عليه عمرَ رضي الله عنه. فلما رحل عنهم قال:

لا يبعد الله إذ ودعت أرضهم أخي بغيضاً ولكن غيره بُعدا
لا يُبعد الله من يُعطي الجزيلَ ومن يحبو الجليلَ وما أكدي^(١) ولا نكدًا^(٢)
ومن تلاقيه بالمعروفِ مُبتَهجاً إذا أجره^(٣) صفا^(٤) المذموم أو صلدا
لاقيته ثلجاً^(٥) تندی أنامله إن يُعطكَ اليوم لا يَمْنَعُكَ ذاك غدا
إنِّي لرافدُهُ وُدِّي وَمَنْصَرْتِي وحافظُ غيبه إن غاب أو شهدا
[البسيط]

[سؤاله ابن عباس في هجاء الناس]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن موسى قال: حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن دأب عن عبد الله بن عيَّاش المَنُتُوف قال: بيّنا ابن عباس جالس في مجلس رسول الله ﷺ بعدما كُفَّ بصره وحوله ناس من قريش، إذ أقبل أعرابيٌّ يَخْطُرُ وعليه مطرفٌ وجبةٌ وعمامةٌ خَزٌّ، حتى سلّم على القوم فردّوا عليه السلام، فقال: يا بن عمّ رسول الله، أفنّني؛ قال: في ماذا؟ قال: أتخاف عليّ جُنَاحاً

(١) أَكْدَى الرجل: قلّ خيرُه. وقيل: المُكْدِي من الرجال: الذي لا يثوب له مال ولا يَنْمِي. وقد أَكْدِي، أَشَدُّ ثعلب:

وأصبحت الزُّوَارُ بعدك أَمْحَلُوا وأُكْدِي باغي الخَيْرِ وانقطع السَّفَرُ
ويقال للرجل عند فُهر صاحبه له: أَكَدْتُ أَظْفَارُكَ. وأكدي المطر: قلّ ونكد.
(٢) النَّكْدُ: الشُّؤْمُ واللُّؤْمُ. وكلُّ شيءٍ جَرَّ على صاحبه شراً فهو نَكْدٌ ونَكْدٌ، وصاحبه أَنْكَدٌ ونَكْدٌ. والنَّكْدُ - مَجْزُومٌ -: قَلَّةُ الْعَطَاءِ وَأَنْ لَا تُهَنِّئَهُ مَنْ تُعْطِيهِ. والنَّكْدُ: الْغَزِيرَاتُ الْأَلْبَانِ مِنَ الْإِبِلِ، وقيل: الْقَلِيلَاتُ الْأَلْبَانِ، وهو من الأضداد. وقيل: هي اللَّوَاتِي مَاتَ أَوْلَادُهَا، وَالْوَاجِدَةُ نَكْدَاءً.
(٣) أَجْرَهْدَ الرَّجُلُ فِي سَيْرِهِ: أَسْرَعَ. وَأَجْرَهْدَ الطَّرِيقَ: أَمْتَدَّ. وَأَجْرَهْدَ اللَّيْلَ: طَالَ. وَأَجْرَهْدَ فِي السَّيْرِ: اسْتَمَرَّ. وَأَجْرَهْدَ الْقَوْمَ: قَصَدُوا الْقَصْدَ. وَأَجْرَهْدَتِ الْأَرْضُ: لَمْ يُوجَدْ فِيهَا نَبْتُ وَلَا مَرْعَى. وَأَجْرَهْدَتِ السَّنَةُ: اشْتَدَّتْ وَصَعُبَتْ.

(٤) الصفا: الصخرة الملساء.

(٥) ثلجاً: فرحاً ومبتَهجاً.

إن ظلمني رجل فظلمتُهُ وشتمتني فشتمتُهُ وقصّر بي فقصّرتُ به؟ فقال: العفو خير، ومن انتصر فلا جناح عليه؛ فقال: يا بن عمّ رسول الله ﷺ أرايتُ امرأً أتاني فوعدني وغرّني ومَنّاني ثم أخلفني واستخف بحُرْمَتِي، أيسعني أن أهجوه؟ قال: لا يصلح الهجاء، لأنّه لا بُدَّ لك من أن تهجُو غيره من عشيرته فتظلم من لم يظلمك، وتشتُم من لم يشتُمك، وتبغى على من لم يَبغِ عليك، والبغي مرْتَعٌ وخيم، وفي العفو ما قد علمت من الفضل؛ قال: صدقت وبررت؛ فلم يَنْشُب أن أقبل عبد الرحمن بن سيحان المُحاربِي حليف قريش، فلما رأى الأعرابيَّ أجله وأعظمه وألطف في مسأله، وقال: قرب الله دارك يا أبا مُليكة، فقال ابن عباس: أَجْرُولُ^(١)؟ قال: جرول؛ فإذا هو الحطيئة، فقال ابن عباس: لله أنت! أي مردي^(٢) قذاف، وذائد عن عشيرة، ومثني بعارفة تُؤتاها أنت يا أبا مُليكة! والله لو كُنْتُ عَرَكَتُ^(٣) بجانبك بعض ما كرهت من أمر الزبرقان كان خيراً لك، ولقد ظلمت من قومه من لم يظلمك، وشتمت من لم يشتُمك؛ قال: إني والله بهم يا أبا العباس لعالم؛ قال: ما أنت بأعلم بهم من غيرك؛ قال: بلى والله! يرحمك الله! ثم أنشأ يقول:

أنا ابنُ بجدتهم^(٤) علماً وتجربةً فسَلِ سَعِدٍ تَجِدني أَعْلَمَ الناسِ
سَعِدُ بنُ زَيْدٍ كَثِيرٌ إنْ عَدَدْتَهُمُ ورَأْسُ سَعِدٍ بنِ زَيْدٍ آلُ شَمَّاسِ
والزبرقان دُناياهم وشرهم ليس الذُّنابى أبا العباس كالراسِ
[البسيط]

فقال ابن عباس: أقسمتُ عليك ألا تقول إلا خيراً، قال: أفعل. ثم قال ابن عباس: يا أبا مُليكة، من أشعرُ الناس؟ قال: أمن الماضين أم من الباقين؟ قال: من الماضين؛ قال: الذي يقول:

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ يَفِرُهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمُ
[الطويل]

وما بدونه الذي يقول:

(١) جرول: قبيح.

(٢) المردى: الحجر.

(٣) عَرَكَ بجانبه ما كان من صاحبه، يَعْرُكُهُ، كأنه حكه حتى عفاه.

(٤) بَجَدَ بالمكان بُجوداً: أقام به. وقولهم: هو عالمٌ بِبَجْدَةِ أَمْرِك، وبُجْدَةِ أَمْرِك، أي بدخلة أَمْرِك وباطنه. ويقال: عنده بَجْدَةُ ذلك، بالفتح، أي عِلْمُ ذلك. ومنه قيل للعالم بالشيء المتقن: هو ابن بَجْدَتِها. والبِجَادُ: كساءٌ مَخْطُوطٌ من أكسية الأعراب.

وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَخْلاً لَا تَلُمُّهُ عَلَى شَعَثِ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ^(١)

[الطويل]

ولكنَّ الضراعة أفسدته كما أفسدت جَرُولاً - يعني نفسه - واللَّه يا بن عم رسول الله لولا الطمع والجشع لَكُنْتُ أشعرَ المَاضِينَ، فأما الباقون فلا تشكُّ أني أشعرهم وأصردُهم^(٢) سهماً إذا رميت .

[الزبرقان وبنو أنف الناقة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: رُوي لنا عن أبي عبيدة والهيثم بن عدي وغيرهما: أنَّ عبد الله بن أبي ربيعة لما قَدِمَ من البحرين نزل على الزبرقان بن بدر بمائه فحَلَّاهُ وهو الماء الذي يقال له بُنيان، فنزل على بني أنف الناقة بمائهم وهو الذي يُقالُ له وشيع، فأكرموه وذبحوا له شاةً وقالوا: لو كانت إبْلنا منا قريبةً لنحرنَّا لك؛ فراح من عندهم يتغنَّى فيهم بقوله:

وَمَا الزَّبْرِقَانُ يَوْمَ يَمْنَعُ مَاءُهُ بِمُحْتَسَبِ التَّقْوَى وَلَا مُتَوَكِّلِ
مُقِيمٍ عَلَى بُنْيَانٍ يَمْنَعُ مَاءُهُ وَمَاءُ وَشِيْعٍ مَاءُ ظِمَّانٍ مُرْمِلِ

[الطويل]

قال: فركب الزبرقان إلى عمر رضي الله عنه فاستعداه على عبد الله وقال: إنه هجاني يا أمير المؤمنين؛ فسأل عمر عن ذلك عبد الله؛ فقال له: يا أمير المؤمنين، إني نزلت على مائه فحَلَّاني^(٣) عنه؛ فقال عمر رضوان الله عليه: يا زبرقان، أتمنع ماءك من ابن السبيل! قال: يا أمير المؤمنين ألا أمتع ماءً حَفَرَ آبائي مجاريه ومستقره وحفرته أنا بيدي! فقال عمر: والذي نفسي بيده، لئن بلغني أنك مَنَعْتَ ماءك من أبناء السبيل لا ساكتني بنجد أبداً! فقال بعض بني أنف الناقة يُعَيِّرُ الزبرقان ما فعله:

أَتَدْرِي مَنْ مَنَعْتَ وَرُودَ حَوْضِ سَلِيلِ خَضَارِمٍ^(٤) مَنَعُوا الْبِطَاحَا
أَزَادَ الرِّكْبِ تَمْنَعُ أَمْ هِشَاماً وَذَا الرُّمَحِينَ أَمْنَعُهُمْ سِلَاحَا

(١) يُنسبُ هذا البيت للناطقة الذيباني .

(٢) أصردهم: أنفذهم .

(٣) حلأت الإبل عن الماء . وتقول ذاك جناب لا يجد رائد فيه كلاً، ولا يزال وارده محلاً .

(٤) بئر خَضْرَم: كثيرة الماء . وماء مُخَضَّرَمٌ وخَضَارِمٌ: كثير؛ وخرج العَجَاج يريد اليمامة فاستقبله جرير بن الحطفي فقال: أين تريد؟ قال: أريد اليمامة، قال: تجد بها نببداً خَضْرَمًا أي كثيراً . والخَضْرَم: الكثير من كل شيء، وكلُّ شيء كثير واسع خَضْرَمٌ . والخَضْرَم، بالكسر: الجواد الكثير العطية، مشبه بالبحر الخَضْرَم، وهو الكثير الماء .

هُم مَنَعُوا الْأَبَاطِحَ دُونَ فَهْرٍ وَمَنْ بِالْخَيْفِ وَالْبُدْنَ اللَّقَاحَا
بِضْرِبٍ دُونَ بَيْضَتِهِمْ^(١) طَلَخَفِ^(٢) إِذَا الْمَلْهُوفُ لَأَذٍ بِهِمْ وَصَاحَا
وَمَا تَدْرِي بِأَيِّهِمْ تُلَاقِي صُدُورَ الْمَشْرِفِيَّةِ وَالرَّمَاخَا
[الوافر]

[وصيته عند موته بالشعراء والفقراء]

وللحطيئة وصيةٌ ظريفةٌ يأتي كلُّ فريقٍ من الرواة ببعضها، وقد جمعتُ ما وقع إليَّ منها في موضع واحد وصدّرتُ بأسانيدِها.

أخبرني بها محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ قال: حدّثنا عُيَيْنَةُ بن المِنْهَالِ عن الأصمعيّ، وأخبرني بها أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شَبَّةَ، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قُتَيْبَةَ، ونسختها من كتاب محمد بن الليث عن محمد بن عبد الله العبديّ عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عبد الرحمن [ابن أبي عمرة] عن أبيه، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة، وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدّثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قالوا: لما حضرت الحطيئة الوفاةً اجتمع إليه قومه فقالوا: يا أبا مُلَيْكَةَ: أوص، فقال: ويلٌ للشَّعْرِ من راويةِ السوء؛ قالوا: أوص رحمة الله يا حُطَيْءُ؟ قال: من الذي يقول:

إِذَا أَنْبَضَ^(٣) الرّامونَ عَنْهَا تَرَنَّمَتْ^(٤) تَرَنَّمْ تَكَلَّى أَوْجَعَتْهَا الْجَنَائِزُ
[الطويل]

قالوا: الشماخ^(٥)؟ قال: أبلغوا غَطَفَانَ أنه أشعرُ العرب؛ قالوا: وَيَحَا! أهذه

(١) بيضتهم: خوذتهم وساحتهم وأصلهم.

(٢) طلخف: شديد.

(٣) أنْبَضَ القَوْسُ مثل أنْضَبَهَا: جَذَبَ وَتَرَّهَا لثُصَوْتُ. وَأَنْبَضَ بالوتر إذا جَذَبَهُ ثم أرسله لِيَرْنَ. وَأَنْبَضَ الوتر أيضاً: جَذَبَهُ بغير سهم ثم أرسله؛ عن يعقوب. قال اللحياني: الإنباضُ أن تَمُدَّ الوتر ثم تُرْسِلَهُ فتسمع له صوتاً.

(٤) ترنم المغني وترنم ورنم رنماً: رجع صوته، وسمعت له رنيماً ورنمة حسنة وترنماً وترنيماً. وترنم الطائر في هديره. وفي صوت المكاء ترنيم.

(٥) الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني. شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وهو من طبقة لبيد والنابعة. كان شديد متون الشعر، ولبيد أسهل منه منطقاً، وكان أَرْجَزُ الناس على البديهة. جمع بعض شعره في ديوان. شهد القادسية، وتوفي في غزوة موقان سنة ٢٢هـ.

وصيَّة! أوص بما ينفعك! قال: أبلغوا أهل ضابئ^(١) أنه شاعرٌ حيث يقول:

لكلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غَيْرُ أَنَّنِي رأيتُ جَدِيدَ المَوْتِ غَيْرَ لَذِيذِ
[الطويل]

قالوا: أوص ويحك بما ينفعك! قال: أبلغوا أهل امرئ القيس أنه أشعر العرب حيث يقول:

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ
[الطويل]

قالوا: اتق الله ودع عنك هذا؛ قال: أبلغوا الأنصار أن أصحابهم أشعر العرب حيث يقول:

يُغَشَّوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ^(٢)
[الكامل]

قالوا: هذا لا يعني عنك شيئاً، فقل غير ما أنت فيه؛ فقال:

الشَّعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سَلَمُهُ إِذَا ارْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ
رَلْتُ بِهِ إِلَى الْحَضِيضِ قَدَمُهُ يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ^(٣)
[الرجز]

(١) ضابئ بن الحارث بن أوطاة بن غالب بن حنظلة البرجمي. شاعر، أدرك النبي ﷺ، وكان قد استعار كلباً من بني جرول فطال مكثه عنده فطالبوه به فامتنع. ثم عرضوا له فأخذه، فغضب ورماهم بهجاء شنيع، فحبسه عثمان بن عفان، فلم يزل به إلى أن مات سنة ٣٠ للهجرة.

(٢) هذا الشعر لحسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد. شاعر النبي (ﷺ) وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. وكان من سكان المدينة. واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام، وعمي قبل وفاته. لم يشهد مع النبي (ﷺ) مشهداً لعله أصابته. توفي في المدينة عام ٥٤هـ.

(٣) هذا الشعر، ورد على الشكل التالي:

مَرُوءٌ لَمَّا أَنْ تَهَاوَتْ أَتْجُمُهُ وَخَانَهُ فِي حُكْمِهِ مُنْجَمُهُ
فِي بَطْنِهِ غَاشِيَةٌ تَتَمَّمُهُ الشَّعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سَلَمُهُ
إِذَا ارْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ رَلْتُ بِهِ إِلَى الْحَضِيضِ قَدَمُهُ
وَالشَّعْرُ لَا يَسْطِيعُهُ مَنْ يَظْلِمُهُ يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ

وهي للشاعر رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي أبو الجحاف أو أبو محمد. راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة، مات في البادية، وقد أسن.

قالوا: هذا مثلُ الذي كُنتَ فيه؛ فقال:

قَدْ كُنْتُ أَحْيَاناً شَدِيدَ الْمُعْتَمَدِ وَكُنْتُ أَحْيَاناً عَلَى الْخَصْمِ الْأَدِّ
فَوَرَدَتْ نَفْسِي وَمَا كَادَتْ تَرِدُ

[الرجز]

قالوا: يا أبا مُليكة، ألك حاجة؟ قال: لا والله، ولكن أجزع على المديح الجيد يُمدح به من ليس له أهلاً. قالوا: فمن أشعرُ الناس؟ فأوماً بيده إلى فيه وقال: هذا الجحير إذا طمِعَ في خير (يعني فَمَه) واستعبر باكياً؛ فقالوا له: قل لا إله إلا الله؛ فقال:

قالت وفيها حَيْدَةٌ^(١) ودُعُرٌ عَوْدُ بَرَبِي مِنْكُمْ وَحُجْرٌ

[الرجز]

فقالوا له: ما تقول في عبيدك وإمائك؟ فقال: هم عبيد قن ما عاقب الليل النهار؛ قالوا: فأوص للفقراء بشيء؛ قال: أوصيهم بالإلحاح في المسألة فإنها تجارة لا تبور، واست^(٢) المسؤول أضيق.

قالوا: فما تقول في مالك؟ قال: للأثنى من ولدي مثل حظ الذكر؛ قالوا: ليس هكذا قضى الله جلَّ وعزَّ لهنَّ؛ قال: لكني هكذا قضيت.

قالوا: فما توصي لليتامى؟ قال: كلوا أموالهم وانكحوا^(٣) أمهاتهم؛ قالوا: فهل شيء تعهد فيه غير هذا؟ قال: نعم، تحملوني على أتانٍ وتتركوني راكبها حتى أموت، فإنَّ الكريم لا يموث على فراشه، والأتان مَرَكَبٌ لم يمت عليه كريم قط؛ فحملوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول:

لَا أَحَدٌ أَلَامٌ مِنْ حُطَيِّهِ هَجَا بَنِيهِ وَهَجَا الْمُرِيَّهِ
مِنْ لُؤْمِهِ مَاتَ عَلَى فُرِيَّهِ

[الرجز]

والفرية: الأتان.

(١) حيدة: من حاد عن الشيء إذا صد عنه أو نفر خوفاً منه.

(٢) يقولون: «هو أمتع من است الثمر». و«تركت فلاناً باست المتن» - وهو متن الأرض -: أي تركته بالصَّخْرَاءِ الواسِعَةِ لَيْسَ له شيءٌ. و«لقيت منه است الكلبة»: أي ما كرهت. وفي النص استخدم المجاز كناية عن العجز.

(٣) ورد في بعض النسخ «نيكوا» بدل «انكحوا».

[الغناء في شعر الحطيئة]

ذكر ما غنّي فيه من القصائد التي مدح بها الحطيئة بغيضاً وقومه وهجا الزبرقان وقومه . منها :

صوت

أَلَا طَرَقْتَنَا بَعْدَ مَا هَجَعُوا هِنْدُ وَقَدْ حُزْنَ غَوْرًا وَاسْتَبَانَ لَنَا نَجْدُ
وَإِنَّ الَّتِي نَكَّبْتُهَا^(١) عَنْ مَعَاشِرِ عَلَيَّ غِضَابٍ أَنْ صَدَدْتُ كَمَا صَدَّوْا
[الطويل]
الغناء لعلّويه ثقیلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو، وهذه القصيدة التي يقول فيها :

أَتَتْ آلَ شَمَّاسٍ بِنِ لَأَيٍّ وَإِنَّمَا أَتَاهُمْ بِهَا الْأَحْلَامُ وَالْحَسَبُ الْعِدُّ^(٢)
فَلِإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ تُعَادِي صُدُورُهُمْ وَذُو الْجَدِّ مَنْ لاذُوا إِلَيْهِ وَمَنْ وَدَّوْا
يَسُوسُونَ أَحْلَاماً بَعِيداً أَنَاثُهَا فَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الْحَفِيزَةُ وَالْجِدُّ
أَقْلَوْا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَبِيكُمْ مِنْ اللَّوْمِ أَوْ سُدَّوْا الْمَكَانَ الَّذِي سَدَّوْا
أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبُنَى وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدَّوْا
وَإِنْ كَانَتْ النُّعْمَى عَلَيْهِمْ جَزَّوْا بِهَا وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدَّوْا
وَإِنْ قَالَ مَوْلَاهُمْ عَلَى جُلٍّ حَادِثٍ مِنْ الدَّهْرِ رُدُّوْا فَضْلَ أَحْلَامِكُمْ رَدَّوْا
مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَا مَكَاشِيفٌ لِلدُّجَى بَنَى لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَبَنَى الْجَدُّ
ومنها :

صوت

وَأَدْمَاءُ حُرْجُوجٍ^(٣) تَعَالَلْتُ^(٤) مُوهِنًا بِسَوَاطِي فَارَمَدَتْ نَجَاءَ الْخَفِيدِ^(٥)

(١) نَكَّبَ فلانٌ عن طريق الصَّوابِ، يَنْكُبُ، يُكْوِبُ: إِذَا عَدَلَ عَنْهُ وَنَحَا وَمَالَ بِهِ.

(٢) العِدُّ: القديم.

(٣) الْحَرْجُ وَالْحُرْجُوجُ: الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الأرض، وقيل: الشديدة، وقيل: هي الضامر. وَالْحُرْجُوجُ: الناقة الوقادة القلب.

(٤) سَقَوْا إِبْلَهُمْ عَلَاءً بَعْدَ نَهْلٍ. وَعَالَلَتْ الناقة: حَلَبَتْهَا صَبَاحاً وَمَسَاءً وَظَهراً. وَمِنْ الْمُسْتَعَارِ: عَلَيْهِ ضَرْباً إِذَا تَابَعَ عَلَيْهِ الضَرْبَ. وَسُئِلَ تَابِعِيْ عَمَنْ ضَرَبَ رَجُلًا فَقَتَلَهُ فَقَالَ: إِذَا عَلَيْهِ ضَرْباً فَفِيهِ الْقُودُ. وَمَا بَقِيَ مِنَ اللَّبَنِ إِلَّا عَلَالَةٌ أَيْ بَقِيَّةٌ، وَبَقِيَّةُ كُلِّ شَيْءٍ: عَلَالَتُهُ.

(٥) الْخَفِيدُ مِنَ الظُّلْمَانِ: الضَّخْمُ الطَّوِيلُ السَّاقَيْنِ، وَالْجَمِيعُ الْخَفِيدَاتُ وَالْخَفَادِ.

إِذَا آنَسَتْ وَقَعاً مِّنَ السَّوْطِ عَارَضَتْ بِهِ الْجَوْرَ حَتَّى يَسْتَقِيمَ ضُحَى الْعَدِ
وَتَشْرَبُ بِالْقَعْبِ^(١) الصَّغِيرِ وَإِنْ تُقَدِّ بِمِشْفَرِهَا يَوْمًا إِلَى الرَّحْلِ تَنْقُدِ

[الطويل]

المَوْهِن: وقت من الليل بعد مُضَيِّ صدرٍ منه. وارمَدَتْ: نجت، والارمداد: النجاء^(٢). والخفיד: الظليم.

الغناء لابن مُحَرِّز خَفِيفَ رَمَلٍ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ. وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ: أَنَّ فِيهِ لِإِبْرَاهِيمَ خَفِيفَ رَمَلٍ آخَرَ، وَهُوَ فِي جَامِعِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِ مُجَنَّسٍ. وَفِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ مَجْهُولٌ، وَذَكَرَ حَبَشٌ: أَنَّهُ لِمُعَبَّدٍ؛ وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ لِيَحْيَى الْمَكِّي.

[الحطيئة أشعر الناس]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ ابْنِ عَبَّادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الْجَوْسُقِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ كَعْبٍ قَالَ: جِئْتُ سَوْقَ الظُّهْرِ^(٣) فَإِذَا بِكُثِيرٍ، وَإِذَا النَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ^(٤) عَلَيْهِ، فَتَخَلَّصْتُ حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ: أَبَا صَخْرَ؟ قَالَ: مَا تَشَاءُ؟ قُلْتُ: مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ؟ قَالَ: الَّذِي يَقُولُ:

أَثَرْتُ إِدْلَاجِي^(٥) عَلَى لَيْلِ حُرَّةٍ هَضِيمِ الْحَشَا حُسَانَةً^(٦) الْمُتَجَرَّدِ
تُفَرِّقُ بِالْمِدْرِ أَثِيثًا^(٧) نَبَاتُهُ عَلَى وَاضِحِ الذُّفْرِ^(٨) أَسِيلِ^(٩) الْمُقْلَدِ^(١٠)

[الطويل]

(١) الْقَعْبُ: معروف، وهو الْقَدَحُ مِنَ الْخَشَبِ، وَالْجَمْعُ قِعَابٌ.

(٢) النجاء: السرعة في السير.

(٣) الظهر: النوق.

(٤) يُقَالُ لِلْقَوْمِ إِذَا خَلُّوا عَنْ شَيْءٍ فِتْرَةً وَخَذَلَانًا: انْقَصَفُوا عَنْهُ. وَرَجُلٌ قَصِفٌ عَنِ النَّجْدَةِ.

(٥) قيل: الدَّلَجُ: الليل كله من أوله إلى آخره، حكاه ثعلب عن أبي سليمان الأعرابي، قال: أي ساعة سرت من الليل إلى آخره فقد أَدْلَجْتَ.

(٦) حسانة: فائقة الحسن.

(٧) أَثَّ النَّبَاتُ يَثُّ أَثَاثَهُ أَيْ كَثَرَ وَالتَّنْفُ. وَنَبَاتٌ أَثِيثٌ وَشَعَرٌ أَثِيثٌ. وَنِسَاءٌ أَثَائِثٌ: كَثِيرَاتُ اللَّحْمِ. قَالَ رُؤْبَةُ: وَمِنْ هَوَايَ الرُّجُحِ الْأَثَائِثُ وَالْأَثَاتُ: مَتَاعُ الْبَيْتِ. قَالَ الْفَرَاءُ: لَا وَاحِدَ لَهُ. وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: الْأَثَاتُ الْمَالُ أَجْمَعُ: الْإِبِلُ، وَالْغَنَمُ، وَالْعَبِيدُ، وَالْمَتَاعُ. وَالْوَحْدَةُ أَثَاثَةٌ. وَتَأَثَّتْ فُلَانٌ، إِذَا أَصَابَ رِيَاشًا.

(٨) عظم خلف الأذن.

(٩) الأسيل: الطويل.

(١٠) المقلد: العنق.

قال: قلت: هذا الحُطِيئة؟ قال: هو ذاك.

[الحُطِيئة وعمر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن موسى قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخزّاز عن المدائنيّ عن علي بن مُجاهد عن هشام بن عُروة: أنَّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أُشيدَ قول الحُطِيئة:

مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشَوُ^(١) إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدٍ [الطويل]

فقال عمر: كَذَبَ، بل تلك نارُ موسى نبيّ الله عليه السلام.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الراوية: أنَّ رجلاً دَخَلَ على الحُطِيئة، وهو مُضْطَجِعٌ على فراشه وإلى جانبه سَوْدَاءٌ قد أخرجت رِجْلَهَا من تحت الكساء، فقال له: ويحك! أفي رجلك خُفٌّ؟ قال: لا والله ولكنها رِجْلُ سَوْدَاءٍ، أتدري مَنْ هي؟ قال: لا؛ قال: هي والله التي أقول فيها:

آثَرْتُ إِدْلَاجِي عَلَى لَيْلِ حُرَّةٍ

- وذكر البيتين - والله لو رأيتهما يابن أخي لما شَرِبْتُ الماء من يدها؛ قال: فجعلت تسبُّه أقبَحَ سبٍّ وهو يضحك. ومنها:

صوت

ما كَانَ ذَنْبٌ بَغِيضٌ لَا أَبَا لَكُمْ طَافَتْ أَمَامَهُ بِالرُّكْبَانِ آوَنَةً
فِي بَائِسٍ جَاءَ يَحْدُو أَيْنُقًا شُرْبًا^(٢) إِذْ تَسْتَبِيكَ بِمَصْقُولٍ عَوَارِضُهُ^(٣)
يَا حُسْنَهَا مِنْ خِيَالٍ زَارٍ مُنْتَقِبًا حُمَشِ^(٤) اللَّثَاثِ تَرَى فِي مَائِهِ شَبَا
وَكَذَّبَتْ حُبَّ مَلْهَوْفٍ وَمَا كَذَبَا قَدْ أَخْلَقْتَ عَهْدَهَا مِنْ بَعْدِ جَدَّتِهِ

[البسيط]

(١) العاشية: كلُّ شيءٍ يعيش إلى ضوء نارٍ بالليل كالفرّاش وغيره.

(٢) الشَّارِبُ: الحَشِينُ. وَالضَّامِرُ الْيَابِسُ مِنَ النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْلِ وَالنَّاسِ. ويقال: مَكَانٌ شَارِبٌ أَيْ حَشِينٌ.

(٣) العوارض: الثنايا، وهي ما يظهر عند الضحك.

(٤) حمش اللثا: دقيقها في حسن.

الغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة .
ومنها :

صوت

جَزَى اللّهُ خَيْراً وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ عَلَى خَيْرِ مَا يَجْزِي الرِّجَالُ بَغِيضَا
فَلَوْ شَاءَ إِذْ جِئْنَاهُ صَدَّ فَلَمْ يُلَم وَصَادَفَ مَنَأَى^(١) فِي الْبِلَادِ عَرِيضَا
[الطويل]

الغناء للهذليّ ثقیل أول بالنصر عن الهشاميّ .

(١) ناء الرجل - مثال ناع - : لُغَة فِي نَأَى : إِذَا بَعُدَ .

أخبار ابن عائشة ونسبه

[اسمه وكنيته ونسبه إلى أمه]

محمد ابن عائشة ويكنى أبا جعفر، ولم يكن يعرف له أب فكان يُنسب إلى أمه، ويُلقب من عاداه أو أراد سبه «ابن عاهة الدار». وكان [هو] يزعم أن اسم أبيه جعفر؛ وليس يُعرف ذلك. وعائشة أمه مولاة لكثير بن الصلت الكندي حليف قريش. وقيل: إنها مولاة لآل المطلب بن أبي وداعة السهمي، ذكر ذلك إسحاق عن محمد بن سلام. وحكى ابن الكلبي القول الأول، وقال إسحاق: هو الصحيح، يعني قول ابن الكلبي. وقال إسحاق فيما رواه لنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه: إن محمد بن معن الغفاري ذكر له عن أبي السائب المخزومي أن ابن عائشة مولى المطلب بن أبي وداعة السهمي وأنه كان غير رشدة^(١)، فأدركت المشيخة وهم إذا سمعوا له صوتاً حسناً قالوا: أحسن ابن المرأة. قال إسحاق وقال عمران بن هند الأرقمي: بل كان مولى لكثير بن الصلت.

[سأله الوليد عن نسبه لأمه فأجابه]

قال إسحاق: قال عبيد الله بن محمد ابن عائشة: قال الوليد بن يزيد لابن عائشة: يا محمد، ألغية أنت؟ قال: كانت أمي يا أمير المؤمنين ماشطة^(٢)، وكنت غلاماً، فكانت إذا دخلت إلى موضع قالوا: ارفعوا هذا لابن عائشة؛ فغلبت على نسبي.

[كان يفتن كل من سمعه]

قال إسحاق: وكان ابن عائشة يفتن كل من سمعه، وكان فتیان من المدينة قد فسدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته. وقد أخذ عن معبد ومالك ولم يموتا حتى ساواهما على تقديمه لهما واعترافه بفضلهما.

(١) الرشدة نقيض البغية: وابن رشدة إذا كان من ماء صاف. والبغية من الرئي.

(٢) المشط والمشط، لغتان، والمشطة: ضرب من المشط، والمشطة: واحدة. والماشطة: الجارية التي تحسن المشاطة.

[كان جيد الغناء دون الضرب]

وقد قيل: إنه كان ضارباً ولم يكن بالجيد الضرب؛ وقيل: بل كان مُرتجلاً لم يضرب قط. وابتدأه بالغناء كان يُضربُ به المثل، فيُقَالُ للابتداء الحسن كائناً ما كان من قراءة قرآن، أو إنشاد شعر، أو غناء يُبدَأُ به فيُسْتَحْسَنُ: كأنه ابتداء ابن عائشة. قال إسحاق: وسمعتُ علماءنا قديماً وحديثاً يقولون: ابنُ عائشة أحسنُ الناس ابتداءً، وأنا أقول: إنه أحسن الناس ابتداءً وتوسطاً وقطعاً بعد أبي عباد مَعْبَد، وقد سمعتُ من يقول: إنَّ ابنَ عائشة مثله؛ وأما أنا فلا أجسر على أن أقول ذلك.

وكان ابنُ عائشة غير جيد اليدين فكان أكثر ما يُعْنَى مُرتجلاً. وكان أطيّب الناس صوتاً.

قال إسحاق: وحدثني محمد بن سلام قال: قال لي جرير: لا تخدعن عن أبي جعفر محمد ابن عائشة، فلولا صلفٌ كان فيه لَمَا كان بعد أبي عباد مثله.

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال: حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي عن أبيه عن جدّه قال: ثلاثة من المغنّين كانوا أحسنَ الناس حُلُوقاً: ابنُ عائشة وابن تيزن وابن أبي الكّثات.

[ابن أبي عتيق وانتصاره له]

حدثني عمي قال: حدثنا محمد بن داود بن الجراح قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثني مُصْعَبُ الرُّبَيْرِي عن أبيه قال: رأى ابنُ أبي عتيق حَلَقَ ابن عائشة مُخَدَّشاً^(١) فقال: من فعل هذا بك؟ قال: فلان، فمضى فنزع ثيابه وجلس للرجل على بابه، فلما خرج أخذ بتلبيبه^(٢) وجعل يضربه ضرباً شديداً والرجل يقول له: ما لك تضرُّبني! أي شيء صنعت! وهو لا يجيبه حتى بلغ منه؛ ثم خلاه وأقبل على من حضر فقال: هذا أراد أن يكسر مزامير داود: شدَّ على ابن عائشة فخنقه وخدش حلقه.

[لولا آخر غنائه لفاق ابن سريج]

قال إسحاق في خبره: وحدثني أبي عن سباط عن يونس الكاتب قال: ما عرفنا

(١) الخَدَشُ مزق الجلد قل أو كثر، وخادشهُ السفا: أطرافه. وكان أهل الجاهلية يسمون كاهل البعير: مُخَدَّشاً، لأنه يَخْدِشُ الفم لقلة لحمه.

(٢) التَّلْبِيبُ: مَجْمَعٌ ما في مَوْضِع اللَّبِّب من ثياب الرّجل، يقال: أخذ فلانٌ بتلبيب فلانٍ. ولَبَّيْتُه، إذا جعلت في عُقْبِهِ ثوباً أو حَبْلاً، وقبضت على موضع تلبيبه، وأنت تَعْلِيهِ.

بالمدينة أحسنَ ابتداءً من ابن عائشة إذا غَنَّى، ولو كان آخرُ غِنائِهِ مثلَ أولِهِ لقدمتهُ على ابن سُرَيْج. قال إبراهيم: هو كذلك عندي، وقال إسحاق مثلَ قولهما. قال: وقال يونس: كان ابنُ عائشة يَضْرِبُ بالعود ولم يكن مُجيداً، وكان غناؤه أحسنَ من ضربه، فكان لا يكاد يمسُّ العودَ إلَّا أن تجتمع جماعةٌ من الضُّرَّاب فيضربون عليه ويضرب هو ويُعَنِّي، فناهيكَ بِهِ حُسناً!

[نديم الخلفاء والملوك]

أخبرني الحُسَيْنُ عن حمَّاد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن صالح بن حَسَّان أنه ذكر يوماً المغنِّين بالمدينة، فقال: لم يكن بها أحدٌ بعد طُويس أعلم من ابن عائشة ولا أظرف مجلساً ولا أكثر طيباً؛ وكان يَصْلُحُ أن يكون نديمَ خليفة أو سَمِيرَ ملك. قال إسحاق: فأذكرني هذا القولَ قولَ جميلة له: وأنت يا أبا جعفر فمع الخلفاء تصلح أن تكون.

[أخلاقه]

قال إسحاق: وحَدَّثني المدائني قال: حَدَّثني جرير قال: كان ابنُ عائشة تائهاً سيِّئ الخُلُق، فإن قال له إنسانٌ: تَعَنَّ، قال: أَلِمَثْلِي يقال هذا! وإن قال له إنسانٌ وقد ابتدأ هو بغناء: أحسنت، قال: أَلِمَثْلِي يقال أحسنت! ثم يسكت، فكان قليلاً ما يُتَنَفَّعُ بِهِ. فسأل العقيقُ مرَّةً فدخل عَرَصَةَ سعيد بن العاصي الماء حتى ملأها، فخرج الناس إليها وخرج ابنُ عائشة فيمن حَرَجَ، فَجَلَسَ على قَرْنِ البئر، فبينما هم كذلك إذ طلع الحسن بنُ الحسن بنِ عليٍّ بن أبي طالب، رضي الله عنهم، على بَغْلَةٍ وخَلْفَهُ غلامان أسودان كأنهما من الشياطين، فقال لهما: امضيا رويداً حتى تَقِفَا بأصل القرن الذي عليه ابنُ عائشة، فخرجا حتى فعلا ذلك. ثم ناداه الحسن: كيف أصبحت يا ابن عائشة؟ قال: بخير، فذاك أبي وأمي، قال: انظر من إلى جَنْبِكَ، فنظر فإذا العبدان، فقال له: أتعرفهما؟ قال: نعم، قال: فهما حُرَّان لئن لم تغنَّني مائة صوت لأمرنَّهما بطَرْحِكَ في البئر، وهما حُرَّان لئن لم يفعلا لأقطعنَّ أيديهما، فاندفع ابنُ عائشة فكان أوَّلَ ما ابتدأ به صوتاً له وهو:

أَلَا لِيْلَهُ دَرْكٌ مِّنْ فَتَى قَوْمٍ إِذَا رَهَبُوا

[مجزوء الوافر]

ثم لم يسكت حتى غنَّى مائة صوت، فيقال: إن الناس لم يسمعوا من ابن عائشة أكثر مما سمعوا في ذلك اليوم، وكان آخر ما غنى:

صوت

قُلْ لِلْمَنَازِلِ بِالظُّهْرَانِ^(١) قد حانا أن تنطقي فتبينني القولَ تَبَيَّانَا

[البسيط]

قال جرير: فما رُبِّي يومٌ أَحْسَنُ منه، ولقد سمع الناس شيئاً لم يسمِعُوا مثله، وما بلغني أن أحداً تشاغل عن استماع غنائه بشيء، ولا انصرف أحدٌ لقضاء حاجةٍ ولا لغير ذلك حتى فرغ. ولقد تبادَرَ الناسُ من المدينة وما حولها حيث بلغهم الخبرُ لاستماع غنائه، فيقال: إنه ما رُبِّي جمعٌ في ذلك الموضع مثلُ ذلك الجمع، ولقد رَفَعَ الناسُ أصواتهم يقولون له: أَحْسَنْتَ واللَّه، أَحْسَنْتَ واللَّه، ثم انصرفوا حوله يَرْفُؤُهُ إلى المدينة رَفًّا.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

منها:

ألا لَلَّه دُرُكٌ مِّنْ
وقالوا مَن فَتَّى للحر
فَكُنْتُ فتاهمُ فيها
ذكرتُ أخي فعَاودَنِي
كما يعتاد ذات البـ
على عُبْدِ بن زُهْرَةَ بثـ
فتى قوم إذا رَهَبُوا
ب يَرْقُبُنَا وَيَرْتَقِبُ
إذا تُدْعَى لَهَا ثَثُ
رُدَاعُ^(٢) السُّقْمِ وَالْوَصْبُ
وَبَعْدُ سُلُوهَا الطَّرْبُ
تُ طَوَّلَ اللَّيْلِ أَنْتَحِبَ

[مجزوء الوافر]

الشعر لأبي العيال الهذلي^(٣). والغناء لمعبد، وله فيه لَحْنَان، أحدهما ثَقِيلٌ أَوَّلُ
بالخُصَرِ في مجرى الوسطى عن إسحاق يُبْدَأُ فيه بقوله:

دَكَرْتُ أَخِي فعَاودَنِي رِدَاعُ السُّقْمِ وَالْوَصْبِ

[مجزوء الوافر]

(١) الظهران: وادٍ قرب مكة المكرمة . (٢) الرداع: النكس .

(٣) أبو العيال الهذلي بن أبي عنترة بن خفاجة بن سعد بن هذيل، وقيل ابن أبي عنترة. شاعر فصيح مقدم من شعراء هذيل، وهو مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. أسلم فيمن أسلم من هذيل، وعمر إلى خلافة معاوية، وتوفي سنة ٤١هـ.

والآخر خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانه. وفيه لابن عائشة خفيف رمل آخر، وقيل: بل هو لحن معبد. وذكر حماد بن إسحاق أن خفيف الرمل لمالك. البو: جلد يُخشى تَبْنًا وَيُجَفَّفُ لكيلا تَحْبُثَ رائحته، ويُدنى إلى الناقة التي قد نُجِرَ فصيلها أو مات لتَشَمَّه فتَدِرَّ عليه.

ومنها:

صوت

قُلْ لِلْمَنَازِلِ بِالظُّهْرَانِ قَدْ حَانَا أَنْ تَنْطَقِي فُتُبِي الْقَوْلَ تَبْيَانَا
قَالَتْ وَمَنْ أَنْتَ قُلْ لِي قُلْتُ ذُو شَعْفٍ هَجَّتْ لَهُ مِنْ دَوَاعِي الْحُبِّ أَحْزَانَا^(١)

[البسيط]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن عائشة خفيف ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وحش.

[غنى بالموسم فحبس الناس عن المسير]

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيَّات: حدَّثني عبد الرحمن بن سليمان عن علي بن الجهم الشاعر قال: حدَّثني رجل: أن ابن عائشة كان واقفاً بالموسم مُتَحَيِّراً، فَمَرَّ به بعض أصحابه فقال له: ما يُقِيمُكَ ها هنا؟ فقال: إني أعرف رجلاً لو تكلم لحبس الناس ها هنا فلم يذهب أحد ولم يجيء؛ فقال له الرجل: وما ذاك؟ قال أنا، ثم اندفع يُعَنِّي:

جَرَتْ سُنْحاً فَقُلْتُ لَهَا أَجِيزِي نَوَى مَشْمُولَةً فَمَتَى اللِّقَاءُ

[الوافر]

قال: فَحَبَسَ النَّاسُ، واضطربت المَحَامِلُ، ومَدَّتِ الإِبِلُ أعناقها، وكادت الفتنة أن تقع. فَأَتَيْتُ به هشام بن عبد الملك، فقال له: يا عدوَّ الله، أَرَدْتَ أَنْ تَفْتِنَ النَّاسَ! قال: فأمسك عنه وكان تَيَّاهاً، فقال له هشام: ارفُقْ بَتِيهَكَ، فقال: حَقٌّ لِمَنْ كَانَتْ هَذِهِ مَقْدِرَتُهُ عَلَى الْقُلُوبِ أَنْ يَكُونَ تَيَّاهاً، فَضَحِكَ مِنْهُ وَخَلَّى سَبِيلَهُ.

(١) ورد هذا البيت في الديوان على الشكل التالي:

قَالَتْ وَمَنْ أَنْتَ أَذْكَرُ قَالَ ذُو شَعْنٍ قَدْ هَاجَ مِنْهُ نَحِيبُ الْحُبِّ أَحْزَانَا

نسبة هذا الصوت الذي غناه ابن عائشة

صوت

جَرَتْ سُنْحًا فَقُلْتُ لَهَا أَجِيزِي نَوَى مَشْمُولَةً فَمَتَى اللَّقَاءُ
بِنَفْسِي مَنْ تَذْكُرُهُ سَقَامٌ أَعَانِيهِ وَمَطْلَبُهُ عَنَاءُ

[الوافر]

السانح: ما أقبل من شماليك يُريدُ يمينك، والبارح ضده. وقال أبو عبيدة: سَمِعْتُ يونس بن حبيب يسأل رُؤْبَةَ عن السانح والبارح، فقال: السانح: ما ولأك ميامنه، والبارح: ما ولأك مشائمه. وقوله: أجيزي أي انفذي. قال الأصمعي: يقال: أَجَزْتُ الوادي إذا قَطَعْتَهُ وَخَلَفْتَهُ، وَجَزْتُهُ أَي سِرْتُ فِيهِ فَتَجَاوَزْتُهُ، وَجَاوَزْتُهُ مَثْلُهُ. قال أَوْسُ بْنُ مَعْرَاءَ:

وَلَا يَرِيْمُونَ فِي التَّعْرِيفِ مَوْقِفَهُمْ حَتَّى يَقَالَ أَجِيزُوا آلَ صُوفَانَا

[البسيط]

ومشمولة: سريعة الانكشاف. أخذته من السحابة المشمولة، وهي التي تصيبها الشَّمَال فتكشفُها، ومن شأن الشمال أن تقطَعَ السحاب، واستعارها هنا هنا في النوى لسرعة انكشافهم فيها عن بلدهم، وأجرى ذلك مجرى الذم للسانح لأنه يُتَشَاءَمُ بِهِ. البيت الأول من الشعر لزُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ، والثاني مُحَدَّثُ الْحَقِّهِ الْمَغْنُونُ بِهِ لَا أَعْرِفُ قَائِلَهُ. والغناء لابن عائشة، ولحنه خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ.

[غنى الوليد بحضرة معبد ومالك]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ وَأَخْبَرَنِي بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَزِيدٍ وَالحسين بن يحيى قالا: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ عَنْ حَمَادِ الرَّائِيَةِ قَالَ: كَتَبَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ إِلَى يَوْسُفَ بْنِ عُمَرَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي هَذَا فَسَرِّحْ إِلَيَّ حَمَاداً الرَّائِيَةَ عَلَى مَا أَحَبَّ مِنْ دَوَابِّ الْبَرِيدِ، وَأَعْطِهِ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ يَتَهَيَّأُ بِهَا. قَالَ: فَأَتَاهُ الْكِتَابُ وَأَنَا عِنْدَهُ فَنَبَذَهُ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ؛ فَقَالَ: يَا دُكَيْنَ، مُرْ شَجَرَةً يَعْطِيهِ عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَأَخَذْتُهَا. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي أَرَدْتُ الْخُرُوجَ فِيهِ أَتَيْتُ يَوْسُفَ بْنَ عُمَرَ، فَقَالَ: يَا حَمَادُ، أَنَا بِالْمَوْضِعِ الَّذِي قَدْ عَرَفْتَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَسْتُ مُسْتَغْنِيًّا عَنْ ثَنَائِكَ؛

فقلت: أصلح الله الأمير: «إِنَّ الْعَوَانَ لَا تُعَلِّمُ الْخِمْرَةَ»^(١) وسيلغك قولي وثنائي .
فخرجتُ حتى انتهيتُ إلى الوليد وهو بالبخراء^(٢)، فاستأذنت عليه فأذن لي، فإذا هو
على سرير ممهد، وعليه ثوبان أصفران: إزارٌ ورداءٌ يقيئان الزعفران قيئاً، وإذا عنده
مَعْبَدٌ ومالك بن أبي السَّمْح وأبو كاملٍ مولاه، فتركني حتى سَكَنَ جَأْشِي، ثم قال:
أنشدني:

أَمِنَ الْمَنُونِ وَرَيْبَهَا تَتَوَجَّعُ^(٣)

فأنشدته حتى أتيتُ على آخرها؛ فقال لساقيه: يا سبرة اسقيه، فسقاني ثلاثة
أكؤس خَثَرَنَ^(٤) ما بين الذُّؤَابَةِ والنعل .

ثم قال: يا مالك، غنني:

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَظْعَا نُ إِذِ جَاوَزَ مُطَّلَحَا

[مجزوء الوافر]

ففعل . ثم قال له: غنني:

جَلَا أُمِيَّةٌ عَنِي كُلُّ مَظْلَمَةٍ سَهْلُ الْحِجَابِ وَأَوْفَى بِالذِّئْبِ وَعَدَا

[البسيط]

ففعل . ثم قال له: غنني:

أَتَنَسَى إِذْ تُودُّعُنَا سُلَيْمَى بِفَرْعِ بَشَامَةٍ^(٥) سُقِيَ الْبَشَامُ^(٦)

[الوافر]

ففعل . ثم قال: يا سبرة، أو يا أبا سبرة، اسقني بَزْبٍ فِرْعَوْنَ؛ فأتاه بقدحٍ مُعَوَّجٍ

(١) انظر: كتاب الأمثال، أبو عبيد بن سلام حيث يقول: «إِنَّ الْعَوَانَ لَا تُعَلِّمُ الْخِمْرَةَ». والعوان هي امرأة الثيب، ويقول: فتلك قد عرفت كيف تخمر، لا تحتاج إلى أن تعلم، وكذلك الرجل المسن المجرب.

(٢) هي أرض في الشام لا حجر فيها ولا مدر، ويستفاد من القصة أن الوليد بن يزيد قتل وهو نازل فيها.

(٣) البيت كاملاً على الشكل التالي:

أَمِنَ الْمَنُونِ وَرَيْبَهَا تَتَوَجَّعُ وَالْدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ مِّنْ يَجْزَعُ.

(٤) لبن وطلاء خاثر، وفيه خثورة، وقد خَثَرَ وَخَثَرَ وَخَثَرَ، وأخثره وخثره، وذهب صفوه وبقيت خثارته أي عكارته ووسخه. ومن المجاز: خثرت نفسه: غثت، وهو خاثر النفس إذا لم تكن طيبة.

(٥) بشم الفصيل من اللبن والرجل من الطعام إذا اتخم. وفي كلام الحسن: وأنت تتجشأ من الشبع بشماً. واستاكت بفرع بشامة، وتقول: ما أهل الشام إلا كشجر البشامك دهنه من أطيب الأفواه، وعوده مطيبة الأفواه. ومن المجاز: بشم من كذا إذا سئم منه.

(٦) يُنسَبُ هذا البيت لجريز.

فسقاه به عشرين، ثم أتاه الحاجب فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، الرجل الذي طلبت بالباب؛ قال: أدخله، فدخل شاب لم أر شاباً أحسن وجهاً منه، في رجله بعض الفدع^(١)، فقال: يا سبرة اسقه، فسقاه كأساً؛ ثم قال له: غنني:

وَهِيَ إِذْ ذَاكَ عَلَيْهَا مِئْزَرٌ وَلَهَا بَيْتُ جَوَارٍ مِنْ لَعَبِ
[الكامل]

فغنّاه؛ فنبذ إليه الثوبين. ثم قال له: غنني:

طَافَ الْخِيَالُ فَمَرْحَبَا أَلْفَا بِرُؤْيَا زَيْنَبَا
[مجزوء الكامل]

فغضب معبد وقال: يا أمير المؤمنين، إنا مقبلون عليك بأقدارنا وأسناننا، وإنك تركتنا بمزجر الكلب، وأقبلت على هذا الصبي! فقال: والله يا أبا عبّاد، ما جهلت قدرك ولا سنك، ولكن هذا الغلام طرحني في مثل الطنجير^(٢) من حرارة غنائه. قال حماد الراوية: فسألت عن الغلام فقل لي هو ابن عائشة.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

جَلَا أُمِّيَّةٌ عَنِي كُلَّ مَظْلَمَةٍ سَهَّلَ الْحِجَابَ وَأَوْفَى بِالَّذِي وَعَدَا
إِذَا حَلَلْتُ بِأَرْضٍ لَا أَرَاكَ بِهَا ضَاقَتْ عَلَيَّ وَلَمْ أَعْرِفْ بِهَا أَحَدَا
[البسيط]

الغناء لابن عبّاد الكاتب خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانه أنه لعمر الوادي. وذكر حبش أن فيه لمالك لحناً من خفيف الثقيل الأول بالوسطى.

ومنها:

(١) كل ظليم أفدع، وكأنهم الضراغمة الفدع وهو اعوجاج في الرسغ، وأمة فدعاء: اعوجت يدها من العمل. واستعرض رجل عبداً فرأى به فدعاً فأعرض عنه، فقال له العبد: خذ الأفدع، وإلا فدع؛ فاشتره.

(٢) طنجير: الطنجير، بالكسر، أهمله الجوهري، وهو معروف: مُعَرَّبٌ فَارِسِيٌّ بِاتِيْلِهِ، قال شيخنا: ولم يذكره ابن الجواليقي في المُعَرَّب. قلت: ولا استدركه ابن منظور. والطنجرة بمعناه. والطنجير: كناية عن الجبان، أو اللئيم، هكذا تستعمله العرب في زماننا، وكأنهم يعنون به الحضري المُلَازِم أكله في قُودِر النحاس، وصحونه، بخلاف البدو.

صوت

أَتَنْسَى إِذْ تُودِّعُنَا سُلَيْمَى بَفَرَعِ بِشَامَةٍ سُقِيَ الْبَشَامُ
مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ^(١) سُقِيَتِ الْغَيْثُ أَيُّهَا الْخِيَامُ
أَتَمْضُونَ الرُّسُومَ وَلَمْ نُسَلِّمْ كَلَامُكُمْ عَلَيَّ إِذَا حَرَامُ^(٢)
بِنَفْسِي مَنْ تَجَنَّبُهُ عَزِيزُ عَلَيَّ وَمَنْ زِيَارَتُهُ لِمَامُ
وَمَنْ أُمْسِي وَأَصْبَحُ لَا أَرَاهُ وَيَطْرُقُنِي إِذَا رَقَدَ النَّيَامُ^(٣)

[الوافر]

الشعر لجريير . والغناء لابن سُرَيْج ، وله في هذه الأبيات ثلاثة ألحان : أحدها في الأول والرابع ثقیلٌ أوّلٌ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . والآخر في الثاني ثم الأول ثاني ثقیل بالبنصر عن عمرو ، والآخر في الثالث وما بعده رمل بالبنصر عن الهشاميّ وحَبَش . وللدّلال في الثاني والثالث ثاني ثقیل بالسّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والمكيّ . وللغريض في الأول والثاني والثالث خفيف رمل بالبنصر عن عمرو . وفيها لمالك ثقیل أوّل بالبنصر عن الهشاميّ . ولابن جامع في الأول والثاني والرابع والخامس هَزَجٌ عن الهشاميّ . وفيها لابن جُنْدَبٍ خفيفٌ ثقیل بالبنصر .

ومنها الصوت الذي أوّله في الخبر :

وَهِيَ إِذْ ذَاكَ عَلَيَّهَا مِئْزَرٌ^(٤)

[الرمّل]

وأوّله :

(١) ذو طلوح : موضع بين اليمامة ومكة .

(٢) جاء البيت في ديوان جرير على الشكل التالي :

(٣) جاء البيت في ديوان جرير على الشكل التالي :

(٤) ورد البيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة على الشكل التالي :

وَهِيَ إِذْ ذَاكَ عَلَيَّهَا مِئْزَرٌ وَلَهَا بَيْتُ جَوَارٍ مِنْ لُعَبِ

صوت

عَهْدَتْنِي نَاشِئاً ذَا غِرَّةٍ رَجُلَ الْجُمَّةِ^(١) ذَا بَطْنٍ أَقْبَ^(٢)
 أَتَبَعَ الْوِلْدَانَ^(٣) أَرْخِي مِئْزَرِي ابْنِ عَشْرٍ ذَا قُرَيْطٍ مِنْ ذَهَبٍ
 وَهِيَ إِذْ ذَاكَ عَلَيْهَا مِئْزَرٌ وَلَهَا بَيْتٌ جَوَارٍ مِنْ لَعَبٍ
 [الرميل]

الشعرُ لامرئ القيس، ويقال: إنه أول شعر شَبَّ فيه بالنساء. والغناء لابن عائشة ثاني ثقل بالنصر عن الهشامي ودنانير^(٤) وحماد بن إسحاق. وفيه خفيف ثقيل بالنصر ذكر حماد في أخبار جميلة أنه لها، وذكر حبش والهشامي أنه لابن سريج، وقيل: إنه لغيرهما.

ومنها:

صوت

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَظْعَا نْ إِذْ جَاوَزْنَ مُطَّلَحَا
 نَعَمَ وَلَوْ شَاكَ بَيْنَهُمْ جَرَى لَكَ طَائِرٌ سُئِحَا
 أَخَذَنَ الْمَاءَ مِنْ رَكَكٍ^(٥) وَضَوْءُ الْفَجْرِ قَدْ وَضَحَا^(٦)
 يَقْلُنَ مَقِيلُنَا قَرْنٌ نُبَاكِرُ مَاءَهُ ضُبْحَا
 تَبِعَتْهُمْ بِطَرْفِ الْعَيِ نِ حَتَّى قِيلَ لِي افْتَضَحَا
 يُودَعُ بَعْضُنَا بَعْضاً وَكُلُّ بِالْهَوَى جُرْحَا
 فَمَنْ يَفْرَحُ بِبَيْنِهِمْ فَغَيْرِي إِذْ غَدَوْا فَرَحَا
 [مجزوء الوافر]

الشعر ترويه الرواة جميعاً لعمر بن أبي ربيعة سوى الزبير بن بكار فإنه رواه عن

(١) رجل الجمّة: أي أنّ شعر رأسه المتساقط على المنكبين ما بين السبوة والجعودة.

(٢) أقب: ضامر.

(٣) الولدان: وهو الغلام والجارية إذا استوصفا قبل أن يحتلما.

(٤) دنانير: مغنية معروفة.

(٥) الركك: المطر الخفيف.

(٦) ورد البيت في الديوان على الشكل التالي:

سَلَكَنَ الْجَنَبَ مِنْ رَكَكٍ وَضَوْءُ الْفَجْرِ قَدْ وَضَحَا

عمه وأهله لجعفر بن الزُّبَيْر بن العَوَّام، وقد ذكر خبره في هذا مع أخباره المذكورة في آخر الكتاب. ورواه الزُّبَيْر إذ جاوزَ من طَلِحًا وقال: ليس على وجه الأرض موضعٌ يقال له: مُطْلَح. والغناء لمالك وله فيه لحنان: ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالبَنْصَرِ عن إِسْحاق، وخَفِيفٌ ثَقِيلٌ بالوَسْطَى عن عمرو. وفيه لمعبد ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالخَنْصَرِ في مجرى الوَسْطَى عن إِسْحاق. وفيه لابن سُرَيْج في الخامس - وهو تَبَعْتُهِمْ بطرف العين إلى آخر الأبيات - ثَقِيلٌ أَوَّلُ مطلق في مجرى البَنْصَرِ عن إِسْحاق. وفيها للغريص ثاني ثَقِيلٌ بالوَسْطَى عن الهشامِيّ، قال: وهو الذي فيه استهلالٌ. وذكر ابن المَكِّي أَنَّ الثَقِيلَ الثاني لمالك، وخَفِيفٌ الثَقِيلُ للغريص. ومنها:

صوت

طَرَقَ الْخِيَالَ فَمَرْحَبَا أَلْفَا بِرُؤْيَا زَيْنَبَا
أَنَّى اهْتَدَيْتَ لِفَتْيَةٍ... سَلَكُوا السَّلِيلَ^(١) فَعُلَيْبَا^(٢)
[مجزوء الكامل]

[طرب أبي جعفر الناسك لغناء ابن عائشة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة عن محمد بن سَلَّام قال: حَدَّثَنِي جَرِيرٌ قال: أَخَذَ بَعْضُ وُلاَةِ الْمَدِينَةِ الْمَغْنِيِّينَ وَالْمَخْتَثِينَ وَالسُّفَهَاءَ بِلُزُومِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ فِي الْمَسْجِدِ رَجُلٌ نَاسِكٌ يُكْنَى أَبَا جَعْفَرٍ مَوْلَى لَابْنِ عِيَّاشِ بْنِ أَبِي رَيْبَعَةَ الْمَخْزُومِيِّ يُقْرَأُ النَّاسُ الْقُرْآنَ، وَكَانَ ابْنُ عَائِشَةَ يَلَازِمُهُ، فَخَلَا لَابْنُ عَائِشَةَ يَوْمًا الْمَوْضِعُ مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ فَقَرَأَ لَهُ فَطَرَّبَ وَرَجَّعَ، فَسَمِعَ الشَّيْخُ صَوْتًا لَمْ يَسْمَعْ مِثْلَهُ قَطُّ، فَقَالَ لَهُ: يَا بَنَ أَخِي، أَفْسَدْتَ نَفْسَكَ وَضَيَّعْتَهَا، فَلَوْ أَنَّكَ لَزِمْتَ الْمَسْجِدَ وَتَعَلَّمْتَ الْقُرْآنَ [لَأَقَمْتُ]^(٣) لِلنَّاسِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَلَأَصَبْتَ بِذَلِكَ مِنَ الْوَلَاةِ خَيْرًا، فَوَاللَّهِ مَا دَخَلَ أُذُنِي قَطُّ صَوْتُ أَحْسَنُ مِنْ صَوْتِكَ؛ فَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ: فَكَيْفَ لَوْ سَمِعْتَ يَا أَبَا جَعْفَرٍ صَوْتِي فِي الْأَمْرِ الَّذِي صُنِعَ لَهُ! قَالَ وَمَا هُوَ؟ قَالَ: انْطَلَقَ مَعِيَ حَتَّى أَسْمِعَكَ، فَخَرَجَ مَعَهُ إِلَى مِيضَاةٍ^(٤) بِبَقِيعِ الْعَرْقَدِ^(٥) عِنْدَ دَارِ الْمُغِيرَةِ بْنِ

(١) السليل: اسم لواء لم يحدد موقعه بدقة.

(٢) عليب: واد لهذيل بتهامة، وقيل غير ذلك.

(٣) ورد في بعض النسخ «لأمت الناس» بدل «لأقمت الناس».

(٤) الميضاة: مطهرة كبيرة يتوضأ منها.

(٥) بقيع العرقد: مقبرة المدينة.

شُعْبَة، وكان أبو جعفر يتوضأ عندها كل يوم، فاندفع ابن عائشة يغني:

الآن أَبْصَرْتُ الْهُدَى وَعَلَا الْمَشِيبُ مَفَارِقِي^(١)

[مجزوء الكامل]

فبلغ ذلك من الشيخ كل مبلغ، وقال: يابن أخي، هذا حسن وأنا أشتهي أن أسمع، ولكن لا أطلبه ولا أمشي إليه؛ قال ابن عائشة: فعلي أن أسمعك؛ فكان يرصده، فإذا خرج أبو جعفر يتوضأ خرج ابن عائشة في أثره حتى يقف خلف جدار الميضاة بحيث يسمع غناءه، فيغنيه أصواتاً حتى يفرغ أبو جعفر من وضوئه. فلم يزل يفعل ذلك حتى أطلقوا من لزوم المسجد.

نسبة هذا الصوت

صوت

طَرَقَ الْخَيَالُ الْمُعْتَرِي وَهَنًا فُؤَادَ الْعَاشِقِ
طَيْفُ أَلَمٍ فَهَاجَنِي لِلْبَيْنِ أَمْ مُسَاحِقِ
الآن أَبْصَرْتُ الْهُدَى وَعَلَا الْمَشِيبُ مَفَارِقِي
وَتَرَكْتُ أَمْرَ غَوَايَتِي وَسَلَكْتُ قَصْدَ طَرَائِقِي
وَلَقَدْ رَضِيتُ بِعَيْشِنَا إِذْ نَحْنُ بَيْنَ حَدَائِقِ
وَرَكَائِبِ تَهْوِي بِنَا بَيْنَ الدُّرُوبِ فَدَائِقِ^(٢)

[مجزوء الكامل]

الشعر للوليد بن يزيد، ويقال: إنه لابن رُهَيْمَة. والغناء لابن عائشة رمل بالبنصر عن عمرو، وذكره يونس أيضاً له في كتابه. وفيه لأبي زكَّار الأعمى خفيف رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي. وذكر ابن خردادبه أنه لأبي زكَّار الأعمى وهو قديم، وأنه وجد ذلك في كتاب يونس. وفيه لحكم الوادي لحن في كتاب يونس غير مجتس، ولا أدري أيها هو. وفي هذه الأبيات خفيف ثقيل متنازع فيه نسب إلى معبد وإلى مالك، ولم أجده لهما عن ثقة، وأظنه لحن حكم.

(١) ينسب هذا البيت إلى الوليد بن يزيد.

(٢) دابق بكسر الباء: قرية على بعد أربعة فراسخ من حلب بها قبة سليمان بن عبد الملك، الذي عزم على عدم العودة إلى دمشق قبل فتح القسطنطينية، ولكنه توفي قبل تحقيق هدفه.

[يوم البغيغة]

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر البوشنجي والحسين بن يحيى الأعور المرداسي قالا: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام عن أبيه قال: كان الحسن بن الحسن مكرماً لابن عائشة محباً له، وكان ابن عائشة منقطعاً إليه، وكان من أتبه خلق الله وأشدّه ذهاباً بنفسه، فسأله الحسن أن يخرج معه إلى البغيغة^(١) فامتنع ابن عائشة من ذلك؛ فأقسم عليه فأبى؛ فدعا بغلمان له حبشان وقال: نُفِيتُ من أبي لئن لم تسر معي طائعاً لتسيرن كارهاً، ونُفِيتُ من أبي لئن لم ينفذوا أمري فيك لأقطعن أيديهم. فلما رأى ابن عائشة ما ظهر من الحسن علم أنه لا بد من الذهاب، فقال له: بأبي أنت وأمي، أنا أمضي معك طائعاً لا كارهاً. فأمر الحسن بإصلاح ما يحتاج إليه وركب، وأمر لابن عائشة ببغلة فركبها ومضيا، حتى صارا إلى البغيغة فنزلا الشعب^(٢)، وجاءهم ما أعدوا فأكلوا؛ ثم أمر الحسن بأمره وقال: يا محمد؛ فقال له: ليك يا سيدي؛ قال: غنني؛ فاندفع فغنناه:

صوت

يدعو النبي بعمه فيجيبه يا خير من يدعو النبي جلالاً
ذهب الرجال فلا أحس رجالاً وأرى الإقامة بالعراق ضلالاً
وأرى المرجي للعراق وأهله ظمآن هاجرة يؤمل آلا^(٣)
وطربت إذ ذكر المدينة ذاكر يوم الخميس فهاج لي بلبالا^(٤)

(١) البغيغة: على التصغير، ضيعة وعين كانت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم وقفها هي وعين أبي نيزر. ونص كتاب الوقف: هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيغة على فقراء المدينة وابن السبيل ليقى الله وجهه بهما حر النار يوم القيامة، لا تباعا ولا تورثا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين إلا أن يحتاج إليهما الحسن والحسين رضي الله عنهما فهما طلق لهما ليس لأحد غيرهما. قال: فركب الحسين رضي الله عنه دين فحمل إليه معاوية رضي الله عنه في عين أبي نيزر مائتي ألف دينار فأبى أن يبيعها وقال: إنما تصدق بهما أبي ليقى الله بهما وجهه حر النار.

(٢) انشعب الطريق، إذا تفرق. وانشعب النهر، وانشعبت أغصان الشجرة. قال: ويقال هذه عصا في رأسها شعبتان. قلت: وسماعي من العرب عصا في رأسها شعبان، بغير تاء. وهو مسيل الماء في بطن الأرض له حرفان مشرفان وعرضه بطحة رجل إذا انبطح.

(٣) الآل: السراب.

(٤) البلبل: شدة الوسواس والهم.

فَظَلِلْتُ أَنْظُرَ فِي السَّمَاءِ كَأَنِّي أَبْغِي بِنَاحِيَةِ السَّمَاءِ هَلَالًا
[الكامل]

— الشعر لابن المولى من قصيدة طويلة قالها وقد قَدِمَ إلى العراق لبعض أمره فطال مُقَامُهُ بها واشتاق إلى بلده . وقد ذُكِرَ خبره في موضعه من هذا الكتاب . والغناء لابن عائشة ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالبصر عن حماد والهشاميّ وحَبَش . وقال الهشامي خاصةً : فيه لحن لقراريط — فقال له الحسنُ : أَحَسَنْتَ واللّهُ يابن عائشة ! فقال ابن عائشة : واللّهُ لَا غَنِيَّتُكَ فِي يَوْمِي هَذَا شَيْئاً ؛ فقال الحسن : فواللّهِ لَا بَرَحَتِ الْبُعْبُعَةُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ! فَاغْتَمَّ ابْنُ عَائِشَةَ لِيَمِينِهِ وَنَدِمَ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا حِيلَةَ لَهُ إِلَّا الْمُقَامُ ، فَأَقَامُوا . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي قَالَ لَهُ الْحَسَنُ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ فَقَدْ بَرَّتْ يَمِينُكَ ، وَكَانُوا جُلُوساً عَلَى شَيْءٍ مُرْتَفِعٍ ، فَنَظَرُوا إِلَى نَاقَةٍ تَقْدُمُ جَمَاعَةَ إِبِلٍ ، فَاَنْدَفَعَ ابْنُ عَائِشَةَ فَغَنَى :

تَمُرَّ كَجَنْدَلَةٍ^(١) الْمَنْجَنِيقِ ق^(٢) يُرْمَى بِهَا السَّوْرُ يَوْمَ الْقِتَالِ
فَمَاذَا تُخْطِرُ^(٣) مَنْ قُلَّةٍ وَمِنْ حَدَبٍ وَأَكَامٍ تَوَالِ
وَمِنْ سِيرِهَا الْعَنْقُ الْمُسْبِطِ رُ وَالْعَجْرَفِيَّةُ^(٤) بَعْدَ الْكَلَالِ^(٥)
[المقارب]

فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ : وَيَلَلَك يَا مُحَمَّدُ ! لَقَدْ أَحَسَنْتَ الصَّنْعَةَ ؛ فَسَكَتَ ابْنُ عَائِشَةَ ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ : غَنِّنَا ، فَغَنَّا :

إِذَا مَا انْتَشَيْتُ طَرَحْتُ اللَّجَا مَ فِي شِدْقٍ مُنْجَرِدٍ^(٦) سَلْهَبٍ^(٧)

(١) الجندل : ما يقل الرجل من الحجارة .

(٢) المنجنيق : آلة حربية كانت تستخدم لذلك الحصون .

(٣) التَّخْطُرُ من الانقحام والتَّكْلُفُ ؛ تَخْطُرُ الشَّيْءَ إِذَا جَاوَزَهُ وَتَعَدَّاهُ .

(٤) الْعَجْرَفَةُ وَالْعَجْرَفِيَّةُ : الْجَفْوَةُ فِي الْكَلَامِ ، وَالْخُرْقُ فِي الْعَمَلِ ، وَالسَّرْعَةُ فِي الْمَشْيِ ، وَقِيلَ : الْعَجْرَفِيَّةُ أَنْ تَأْخُذَ الْإِبِلُ فِي السَّيْرِ بِخُرْقٍ إِذَا كَلَّتْ ؛ قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي عَائِدٍ :

وَمِنْ سِيرِهَا الْعَنْقُ الْمُسْبِطُ ر وَالْعَجْرَفِيَّةُ بَعْدَ الْكَلَالِ

الْأَزْهَرِي : الْعَجْرَفِيَّةُ الَّتِي لَا تَقْصِدُ فِي سَبْرِهَا مِنْ تَشَاطُهَا .

(٥) هَذَا الْبَيْتُ لِأُمَيَّةَ بْنِ أَبِي عَائِدٍ الْعَمْرِيِّ . شَاعِرٌ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ ، وَعَاشَ فِي الْإِسْلَامِ . كَانَ مِنْ مَدَاحِ بَنِي أُمَيَّةَ ، لَهُ قِصَائِدٌ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، تُوْفِيَ سَنَةَ ٧٥ هـ .

(٦) الْمَنْجَرِدُ مِنَ الْجِيَادِ : الْقَصِيرُ الشَّعْرَ .

(٧) السَّلْهَبُ مِنَ الْخَيْلِ : الْفَرَسُ الطَّوِيلُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَرَبَّمَا جَاءَ بِالْصَّادِ .

يَبْذُ الْجِيَادَ بِتَقْرِيْبِهِ^(١) وَيَأْوِي إِلَى حُضْرٍ^(٢) مُلْهَبٍ^(٣)
 كُمَيْتٌ كَأَنَّ عَلَى مَتْنِهِ سَبَائِكُ مِنْ قِطْعِ الْمُنْذَهَبِ
 كَأَنَّ الْقُرْنُفُلَ وَالزَّنَجَبِيلَ يُعَلُّ عَلَى رِيقِهَا الْأَطْيَبِ^(٤)
 [المقارب]

فقال له الحسن: أَحَسَنْتَ يا محمد، فقال له ابن عائشة: لَكُنَّكَ، بأبي أنت وأُمِّي، قد أَلْجَمْتَنِي بحجر فما أَطِيق الكلام. فَأَقَامُوا باقي يومهم يتحدَّثون؛ فلما كان اليوم الثالث قال الحسن: هذا آخر أيامك يا محمد؛ فقال ابن عائشة: عليه وعليه إن غَنَّاكَ إلا صوتاً واحداً حتى تَنْصَرِفَ، وعليه وعليه إن حلفت ألا أْبْرَ قَسَمَكَ ولو في ذهاب روحه! فقال له الحسن: فلك الأمان على مَحَبَّتِكَ؛ فاندفع فغَنَّاهُ:

صوت

أَنْعَمَ اللَّهُ لِي بِذَا الْوَجْهِ عَيْنَاً وَبِهِ مَرْحَباً وَأَهْلاً وَسَهْلاً
 حِينَ قَالَتْ لَا تُذَكِّرَنَّ حَدِيثِي يَا بَنَ عَمِّي أَقَسَمْتُ قُلْتُ أَجَلٌ لَا
 لَا أَخَوْنُ الصَّدِيقَ فِي السَّرِّ حَتَّى يُنْقَلَ الْبَحْرُ بِالْغَرَابِيلِ نَقْلاً^(٥)
 [الخفيف]

قال: ثم انصرف القوم، فما رأى الحسن بن الحسن ابن عائشة بعدها.

[نسبة الغناء في الشعر الذي غنى به ابن عائشة ذلك اليوم]

نسبة ما لم تمض نسبته في الخبر من هذه الأصوات.
 منها:

- (١) التقريب: أن يرفع الفرس يديه ويضعهما معاً.
- (٢) الحضر: العدو.
- (٣) الملهب: المثير للشهب بسبب سرعته.
- (٤) هذا الشعر للتابعَةِ الجَعْدِيّ، وهو قيس بن عبد الله بن عُذْس بن ربيعة، الجعدي العامري، أبو ليلي. شاعر مفلق، صحابي من المعمرين، اشتهر في الجاهلية وسمي النابغة لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقال، وكان ممن هجر الأوثان، ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام، توفي سنة ٥٤هـ.
- (٥) هذه الأبيات تنسب للحارث المخزومي، وهو شاعر قرشي يتقن الغزل، من أهل مكة نشأ في أواخر أيام عمر بن أبي ربيعة وكان يذهب مذهبه، لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء.

صوت

تَمُرَّ كَجَنْدَلَةِ الْمَنْجَنِـ
فَمَاذَا تُخْطِرُ مِنْ قُلَّةِ
وَمِنْ سَيْرِهَا الْعَنْقُ الْمُسْبِطِ
أَلَا يَا لَقَوْمٍ لَطِيفِ الْخِيَالِ
يُثْنِي التَّحِيَّةَ بَعْدَ السَّلَا
خِيَالٍ لِسَلَمَى فَقَدْ عَادَ لِي
قِي يُرْمِي بِهَا السَّوْرُ يَوْمَ الْقِتَالِ
وَمِنْ حَدَبٍ وَأَكَامٍ تَوَالِ
رُ وَالْعَجْرَفِيَّةُ بَعْدَ الْكَالِ
يُؤَرِّقُ مِنْ نَازِحِ ذِي دَلَالِ
مِ ثُمَّ يُفَدِّي بِعَمٍّ وَخَالِ
بُنْكَسٍ مِنَ الْحُبِّ بَعْدَ انْدِمَالِ

[المقارب]

أما الذي قاله الشاعر في هذا الشعر فإنه قال: يمر بالياء لأنه وصف به حماراً وحشياً، ولكنَّ المغنَّين جميعاً يغنونه بالتاء على لفظ المؤنث، وقد وصَفَ في هذه القصيدة الناقة ولم يذكر من صفتها إلا قوله:

وَمِنْ سَيْرِهَا الْعَنْقُ الْمُسْبِطُ

ولكنَّ المغنَّين أخذوا من صفة العير شيئاً ومن صفة الناقة شيئاً فخلطوها وغنَّوا فيهما. وقوله:

فَمَاذَا تُخْطِرُ مِنْ قُلَّةِ

يعني أنه يمرُّ بالمَوْضِعِ المُرْتَفِعِ فيَطْفِرُهُ^(١). وروى الأصمعي:

فَمَاذَا تُخْطِرُ مِنْ حَالِقٍ وَمِنْ قُلَّةٍ وَحِجَابٍ وَجَالٍ

[المقارب]

فالحالق: ما أشرف. والحجاب: ما حُجِبَ عنك ما بين يديك من الأرض.

والجال: حرف^(٢) الشيء، يقال له: جالٌ وجولٌ. والعنق المُسْبِطُ: المُسْتَرَسِلُ السهل. والعجرفية: التعسف والإسراع. يقول: إذا كَلَّتْ وَتَعَبَتْ تَعَجَّرَفْتُ في السير من بقيَّة نفسها وشِدَّتْها. وروى الأصمعي فيها:

خِيَالٌ لَجَعْدَةٍ قَدْ هَاجَ لِي نُكَاساً مِنَ الْحُبِّ بَعْدَ انْدِمَالِ

[المقارب]

(١) طفر: طفرأ وطفوراً وطفرة منكراً، ومنها: طفرة النظام. وطفرة النهر والحائط إلى ما وراءه، وهو طفار الأنهار. وطفرة الفرس النهر، وطفرة النهر

(٢) حرف: تصفيح لكلمة جرف، وهو ما أكلته السيول أو جانب النهر الذي يسقط كل ساعة جزء منه.

يُقَالُ: نَكَسَ وَنُكَاسَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَهُوَ عَوْدُ الْمَرَضِ بَعْدَ الصَّحَةِ. وَالْإِنْدِمَالُ: الْإِفَاقَةُ مِنَ الْعِلَّةِ، وَإِنْدِمَالُ الْجُرْحِ: بُرْؤُهُ. فَأَمَّا الْأَبْيَاتُ الَّتِي يَصِفُ بِهَا النَّاقَةَ فَقَوْلُهُ:

فَسَلَّ الْهُمُومَ بِعَيْرَانَةٍ^(١) مُوَاشِكَةٍ^(٢) الرَّجْعَ بَعْدَ انْتِقَالِ
 دُمُولٍ^(٣) تَزِفُ زَفِيفَ الظَّلِيلِ سَمَ شَمَرٍ^(٤) بِالنَّعْفِ^(٥) وَسَطَ الرِّئَالِ^(٦)
 وَتَرَمَدُ^(٧) هَمَلَجَةٍ زَعَزَعَا^(٨) كَمَا انْخَرَطَ الْحَبْلُ فَوْقَ الْمَحَالِ^(٩)
 وَمِنْ سَيْرِهَا الْعَنْقُ الْمُسَبِّطُ رُ وَالْعَجْرَفِيَّةُ بَعْدَ الْكَلَالِ
 كَأَنِّي وَرَحْلِي إِذَا رُعْتُهَا عَلَى جَمَزَى^(١٠) جَازِيءٍ بِالرِّمَالِ
 [المتقارب]

وَأَمَّا صِفَةُ الْحِمَارِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فَقَوْلُهُ فِيهِ وَفِي الْأَتْنِ:

فَظَلَّ يُسَوِّفُ^(١١) أَبْوَالَهَا وَيُوفِي زِيَاذِي^(١٢) حُدْبَ التَّلَالِ^(١٣)
 فَطَافَ بِتَعَشِيرِهِ^(١٤) وَأَنْتَحَى جَوَائِلَهَا وَهُوَ كَالْمُسْتَجَالِ
 تَهَادَى حَوَافِرُهَا جَنْدَلًا^(١٥) زَوَاهِقَ^(١٦) ضَرْبِ قُلَاتٍ بِقَالَ

(١) العيرانة: الناقة الناجية في نشاط.

(٢) مواشكة الرجوع: السريعة.

(٣) قالت الأعراب: إن الأرنب قالت: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي حُدْمَةً لُدْمَةً، أَي سَرِيعَةً الْعَدُوِّ لَازِمَةً لِمَوْضِعِهَا لَا تَفَارِقُهُ. وَذَمَلَتْ النَّاقَةَ دَمِيلًا وَذَمَلَانًا، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ أَعْلَى مِنَ الْعَنْقِ؛ وَنَاقَةُ دُمُولٍ.

(٤) شمر: جدٌ مُسْرِعاً.

(٥) النَّعْفُ: مَا انْحَدَرَ مِنْ حُزُونَةِ الْجَبَلِ وَارْتَفَعَ عَنْ مَنَحْدَرِ الْوَادِي. فَمَا بَيْنَهُمَا نَعْفٌ، وَسَرُوءٌ، وَخَيْفٌ. وَالْجَمْعُ نَعَافٌ.

(٦) الرُّأْلُ: وَلَدُ النِّعَامِ، وَالْأُنْثَى رَأْلَةٌ، وَالْجَمْعُ رِئَالٌ.

(٧) ترمد: تسرع في العدو.

(٨) الهملجة: سير الدابة بسرعة بشكل حسن، والزعزعة: التحرك الذي به شدة.

(٩) المحال: البكرة العظيمة التي يستقى عليها، وسميت كذلك لأنها تدور فتنتقل من حالة إلى حالة.

(١٠) جَمَزَ الْإِنْسَانُ وَالْبَعِيرَ وَالِدَابَةَ يَجْمِزُ جَمْزًا، وَجَمَزَى: وَهُوَ عَدُوٌّ دُونَ الْخَصْرِ وَفَوْقَ الْعَنْقِ. وَحِمَارٌ جَمَزَى: وَثَابَ.

(١١) سَوِّفْتُ الشَّيْءَ أَسُوِّفُهُ سَوِّفًا: إِذَا شَمِئْتَهُ.

(١٢) زيازي: جمع زيزاءة وهي الأرض الغليظة.

(١٣) حذب التلال: صعباها.

(١٤) التعشير: النهيق.

(١٥) يعني الشاعر بهذا الصدر، أن تقدفه هذه إلى هذه أي ترمي به اليد إلى الرجل والرجل إلى اليد.

(١٦) زَهَقَ الْفَرَسُ، وَزَهَقَتِ الرَّاحِلَةُ تَزْهَقُ زُهُوقًا، فَهِيَ زَاهِقَةٌ، إِذَا سَبَقَتْ وَتَقَدَّمَتْ أَمَامَ الْخَيْلِ.

رَمَى بِالْجَرَامِيزِ^(١) عُرِضَ الْوَجِي - ن^(٢) وَارْمَدَ فِي الْجَرِي بَعْدَ انْفِتَالِ
بِشْأَوْ^(٣) لَهُ كَضْرِيمِ^(٤) الْحَرِي - قِ أَوْ شِقَّةَ الْبَرْقِ^(٥) فِي عُرْضِ خَالِ^(٦)
يَمُرُّ كَجَنْدَلَةِ الْمَنْجَنِ - قِ يُرْمَى بِهَا السَّوْرُ يَوْمَ الْقِتَالِ
فَمَاذَا تَخْطَرُفُ^(٧) مِنْ حَالِقِ - وَمِنْ حَادِبٍ وَجِجَابٍ وَجَالِ
[المقارب]

الشعرُ لأمية بن أبي عائذ الهذلي. والغناء لابن عائشة. ولحن ابن عائشة مشكوك فيه: أي الألحان المصنوعة في هذا الشعر هو، فيقال: إنه خفيف الرمل، ويُقال: إنه هو الثقيل الأول، ويُقال: إنه الرمل. فأما خفيف الرمل فهو بالخنصر في مَجْرَى الوُسْطَى، وذكره إسحاق في موضع فتوقَّف عنه ولم ينسبه، ونسبه في موضع آخر إلى ابن أبي يَزَن المكي. ونسبه [عمرو بن بانه] إلى مَعْبِدٍ وقال: فيه خفيف رمل آخر لمالك. وذكره يونس في أمانى ابن أبي يزن المكي] ونسبه ولم يُجَنِّسْهُ. وذكر ابن خُرْداذبَه والهشامِيُّ أَنَّ فيه لهشام بن المُرِّيَّة لحنًا من الثقيل الأول، ورأيت ذلك أيضاً في بعض الكتب بخط علي بن يحيى المُنْجَم كما ذكرنا. وذكر إسحاق أَنَّ الرَّمْلَ مطلق في مَجْرَى الوسطى وأنه لابن عائشة. وذكر أحمد بن المكي أَنَّهُ لأبيه، وذكر غيره أَنَّهُ غَلَطَ وَأَنَّ لحن أبيه هو الثقيل الأول والرمل لابن عائشة. وقال حَبَش: فيه لابن سُرَيْج هَزَج خفيف بالوُسْطَى.

ومنها، - وقد مضى تفسيره في الخبر واقتصر على البيت الأول منه - :

صوت

إِذَا مَا انْتَشَيْتُ طَرَحْتُ اللَّجَا مَ فِي شِدْقٍ مُنْجَرِدٍ سَلْهَبِ
[المقارب]

(١) الْجَرَامِيزُ: بَدَنُ الْإِنْسَانِ جُمْلَةً، وَبِهِ فُسِّرَ حَدِيثُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ جَرَامِيزَهُ وَيَتَّبِعُ عَلَى الْفَرَسِ»، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ الْبِدَانُ وَالرَّجُلَانِ؛ وَيُقَالُ: رَمَاهُ بِجَرَامِيزِهِ، أَيْ بِنَفْسِهِ. وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: رَمَى فَلَانٌ الْأَرْضَ بِجَرَامِيزِهِ وَأَزْوَاقِهِ، إِذَا رَمَى بِنَفْسِهِ. وَيُقَالُ: جَمَعَ جَرَامِيزَهُ، إِذَا انْقَبَضَ لِيَتَّبِعَ، يُقَالُ: أَخَذَهُ بِجَرَامِيزِهِ وَحَذَافِيرِهِ، أَيْ أَجْمَعَ. وَتَجَرَّمَزَ عَلَيْهِمْ: سَقَطَ، وَتَجَرَّمَزَ اللَّيْلُ: ذَهَبَ.

(٢) الْوَجِينُ: الْغَلِيظُ مِنَ الْأَرْضِ. (٣) الشَّأْوُ: الشَّوْطُ.

(٤) الضَّرِيمُ: اسْمٌ لِلْحَرِيقِ. (٥) شِقَّةُ الْبَرْقِ: لَمَحَ مِنْهُ.

(٦) عَرْضُ خَالٍ: السَّحَابُ الَّذِي يَحْمِلُ الْمَطَرَ.

(٧) جَمَلٌ خَطْرُوفٌ: يُخْطَرُفُ خَطْوُهُ؛ وَيَتَخَطَّرُفُ فِي مَشْيِهِ: يَجْعَلُ خَطْوَتَيْنِ خَطْوَةً مِنْ وَسَاعَتِهِ.

الشعر للتابغة الجعدِيّ. والغناء لابن عائشة: خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي وحمّاد.

ومنها الصوت الذي أوله:

أَنعمَ اللّهُ لي بِذا الوَجْهِ عَيْنَا

وقد جُمِعَ مع سائر ما يُغنى فيه من القصيدة، وهو:

أَثَلْ^(١) جودي عَلَى الْمُتَيَّمِ أَثَلَا
أَثَلْ إِنِّي وَالرَّاقِصَاتِ بِجَمْعِ^(٢)
سَانِحَاتِ^(٤) يَقْطَعْنَ مِنْ عَرَفَاتِ
وَالْأَكْفِ الْمُضَمَّرَاتِ عَلَى الرُّكْ
لَا أَخُونُ الصَّدِيقِ فِي السَّرِّ حَتَّى
أَوْ تَمُورَ^(٦) الْجِبَالِ مَوْرَ سَحَابِ
أَنعمَ اللّهُ لي بِذا الوَجْهِ عَيْنَا
حِينَ قَالَتْ لَا تُفْشِينَ حَدِيثِي
فَاتَّقِي اللّهُ وَاقْبَلِي الْعُذْرَ مِنِّي
إِنْ أَكُنْ سُوْتُكُمْ بِهِ فَلَكِ الْعُتْ
لَمْ أَرْحَبْ بِأَنْ سَخِطْتَ وَلَكِنْ
إِنَّ شَخْصاً رَأَيْتُهُ لَيْلَةَ الْبَدِ
جَعَلَ اللّهُ كُلَّ أَنْثَى فِدَاءً

لَا تَزِيدِي فُؤَادَهُ بِكَ حَبْلَا
يَتَبَارَيْنَ فِي الْأَزْمَةِ فُتْلَا^(٣)
بَيْنَ أَيْدِي الْمَطِيِّ حَزْناً وَسَهْلاً
نِ لَشُعْثٍ سَعَوْا إِلَى الْبَيْتِ رَجُلَا^(٥)
يُنْقَلُ الْبَحْرُ بِالْغَرَابِيلِ نَقْلَا
مُزْتَقٍ قَدْ وَعَى مِنَ الْمَاءِ ثِقْلَا
وَبِهِ مَرْحَباً وَأَهْلاً وَسَهْلاً
يَا بَنَ عَمِّي أَقْسَمْتُ قُلْتُ أَجَلْ لَا
وَتَجَافِي عَنْ بَعْضِ مَا كَانَ زَلَا
بِي لَدِينَا وَحَقُّ ذَاكَ وَقَلَا
مَرْحَباً أَنْ رَضِيتِ عَنَّا وَأَهْلاً
رِ عَلَيْهِ ابْتَنَى الْجَمَالَ وَحَلَا
لِكَ بَلْ خَدَّهَا لِرَجْلَيْكَ نَعْلَا

(١) الأثلة: السمرة، وقيل: شجرة من العضاء طويلة مستقيمة الخشبة تعمل منها القصاع والأقداح، فوقعت مجازاً في قولهم: نحت أثلته إذا تنقصه، وفلان لا تنحت أثلته. ولفلان أثلة مال أي أصل مال. ثم قالوا: أثلت مالاً وتأثلته، وشرف مؤثّل وأثيل. وقد أثل أثالة، حتى سمي المجد بالأثال بالفتح. تقول: له أثال، كأنه أثال، أي مجد كأنه الجبل.

(٢) يقصد الشاعر بجمع المزدلفة لاجتماع الناس فيها.

(٣) فتل: ناقة فتلاء إذا كان في ذراعها فتّل وبانت عن الجنب.

(٤) سنح: مر به الطائر سانحاً وسنيحاً: عن يمينه، وقد سنح له وسنحه. ومن المجاز: سنح له رأي أي عرض له.

(٥) رجلا: اسم جمع لرجل وهو خلاف الراكب.

(٦) مَرَّ الشَّيْءُ يَمُورُ مَوْرًا: تَرَهَّبًا، أي تحرّك وجاء وذهب، كما تَكْفَأُ النخلة العَيْدَانَةُ.

وَجْهُكَ الْبَدْرُ لَوْ سَأَلْتُ بِهِ الْمُرَّ نَ مِنَ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ اسْتَهْلًا
[الخفيف]

الشعر للحارث بن خالد المخزومي. والغناء لمعبد في الأربعة الأبيات الأول:
خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى عن عمرو بن بانه. ولابن هُوَيْرٌ في الأول والثاني ثَقِيلٌ أَوَّلٌ
عن إسحاق. ولابن سريج في الأول والثاني والخامس ثَقِيلٌ أَوَّلٌ وآخرُ بالبِنْصَرِ أَوَّلُهُ
استهلال. وللغريض في الخامس وما بعده إلى التاسع خفيفٌ ثَقِيلٌ بالوسطى.
ولدَحْمَانٍ في التاسع والثالث عشر والرابع عشر خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالبِنْصَرِ. ولمالك في
التاسع إلى آخر الثاني عشر لحن من كتاب يُؤنُس، ولم يَقع إليَّ من يُجَنِّسُهُ. ولابن
سريج فيها بعينها رَمَلٌ بالوسطى عن الهشامي. وفيها أيضاً للغريض خفيفٌ رَمَلٌ
بالبِنْصَرِ. ولابن عائشة في السابع والثامن لحن ذكره حماد عن أبيه ولم يُجَنِّسُهُ.

[غنى الوليد فطرب وقبل كل أعضائه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس الشيعي وحبيب بن
نصر المُهَلَّبِي قالوا: حَدَّثَنَا عمر بن شبة قال: حَدَّثَنِي محمد بن سلام، وأخبرني
محمد بن مَزِيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالوا: حَدَّثَنَا حماد بن إسحاق عن
أبيه عن محمد بن سلام عن أبيه عن شيخ من تَنُوخ، ولم يَقُلْ عمر بن شبة في خبره:
محمد بن سلام عن أبيه، ورواه عن محمد عن شيخ من تَنُوخ، قال: كُنْتُ صَاحِبَ
سِتْرِ الْوَلِيدِ بن يزيد، فَرَأَيْتُ ابن عائشة عنده وقد غَنَّاه:

صوت

إِنِّي رَأَيْتُ صَبِيحَةَ النَّفْرِ حُورًا نَفَيْنَ عَزِيمَةَ الصَّبْرِ
مِثْلَ الْكَوَاكِبِ فِي مَطَالِعِهَا بَعْدَ الْعِشَاءِ أَطْفَنَ بِالْبَدْرِ
وَخَرَجْتُ أَبْغِي الْأَجَرَ مُحْتَسِبًا فَرَجَعْتُ مَوْفُورًا مِنَ الْوِزْرِ^(١)
[الكامل]

- قال إسحاق في خبره: والشعرُ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، والغناء لمالك. هكذا في
خبر إسحاق. وما وجدته ذكره لمالك في جامع أغانيه. ووجدته في غِنَاءِ ابن سريج
خفيفٌ رَمَلٌ بالوسطى عن الهشامي - قال: فَطَرَبَ الْوَلِيدُ حَتَّى كَفَرَ وَالْحَدَّ، وقال: يا
غلام، اسقنا بالسَّماءِ الرَّابِعَةَ، وَكَانَ الْغِنَاءُ يَعْمَلُ فِيهِ عَمَلًا ضَلَّ عَنْهُ مِنْ بَعْدِهِ؛ ثُمَّ قَالَ:

(١) حَمَلْتُهُ الْوِزْرَ وَهُوَ الْحَمْلُ الثَّقِيلُ، وَوِزْرُهُ يَزْرُهُ: حَمَلَهُ، وَهُوَ وَازَرَهُ، وَوَازَرَهُ: حَامَلَهُ.

أحسنن واللّه يا أميري! أعد بحقّ عبد شمس، فأعاد؛ ثم قال: أحسنن واللّه يا أميري! أعد بحقّ أميّة، فأعاد؛ ثم قال: أعد بحقّ فلان، أعد بحقّ فلان، حتى بلغ من الملوك نفسه، فقال: أعد بحياتي؛ فأعاده. قال: فقام إليه فأكبّ عليه فلم يبق عضو من أعضائه إلا قبله وأهوى إلى هنيه؛ فجعل ابن عائشة يضمّ فخذه عليه؛ فقال: واللّه العظيم لا تريم^(١) حتى أقبله، فأبداه له فقبل رأسه، ثم نزع ثيابه فألقاها عليه، وبقي مجرداً إلى أن أتوه بمثلها، ووهب له ألف دينار، وحمله على بغلة وقال: اركبها - بأبي أنت - وانصرف، فقد تركتني على مثل المقلّي من حرارة غنائك؛ فركبها على بساطه وانصرف.

[أمر لمحتاج بمال فأبى إلا سماعه]

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني محمد بن الحسن النّحعيّ قال: حدّثني محمد بن الحارث بن كليب بن زيد الرّبعي قال: خرج ابن عائشة المدنيّ من عند الوليد بن يزيد وقد غناه:

أبعدك معقلاً أرجو وحضناً قدّ اعيتني المعاقِلُ والحُصُونُ
- وهي أربعة أبيات، هكذا في الخبر، ولم يذكّر غير هذا البيت منها - قال: فأطربه فأمر له بثلاثين ألف درهم وبمثل كارة القصار^(٢) كسوة. فبينا ابن عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادي القرى كان يشتهي الغناء ويشرب النبيذ، فدنا من غلامه وقال: من هذا الراكب؟ قال: ابن عائشة المغني؛ فدنا منه وقال: جعلت فداك، أنت ابن عائشة أم المؤمنين؟ قال: لا، أنا مولى لقريش وعائشة أمي وحسبك هذا فلا عليك أن تكثر؛ قال: وما هذا الذي أراه بين يديك من المال والكسوة؟ قال: غنيت أمير المؤمنين صوتاً فأطربته فكفر وترك الصلاة وأمر لي بهذا المال وهذه الكسوة؛ قال: جعلت فداك، فهل تمنّ عليّ بأن تُسمّعني ما أسمعته إياه؟ فقال له: ويلك! أمثلي يُكلّم بمثل هذا في الطريق! قال: فما أصنع؟ قال: الحقني بالباب. وحرّك ابن عائشة بغلة شقراء كانت تحته لينقطع عنه؛ فعدا معه حتى وافيا الباب كفرسي رهان، ودخل ابن عائشة فمكّت طويلاً طمعاً في أن يضجر فينصرف، فلم يفعل؛ فلما أعياه قال لغلامه: أدخله؛ فلما دخل قال له: ويلك! من أين صَبَّك اللّهُ عليّ! قال: أنا رجل من أهل وادي القرى أشتهي هذا الغناء؛ فقال له: هل لك فيما هو أنفع لك منه؟ قال: وما

(١) تريم: تذهب وتبرح.

(٢) كارة القصار: الثياب التي يجمعها ويحملها.

ذاك؟ قال: مائتا دينار وعشرة أثواب تنصرف بها إلى أهلك؛ فقال له: جُعِلْتُ فداءك، والله إنَّ لي لبُنيَّةً ما في أذنها - علم الله - حَلَقَةٌ من الورق فضلاً عن الذهب، وإنَّ لي لزوجةً ما عليها - يشهد الله - قميصٌ. ولو أعطيتني جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الخَلَّةِ^(١) والفقر اللذين عرفتُكهما وأضعفتُ لي ذلك، لكان الصوتُ أعجب إليَّ - وكان ابن عائشة تائهاً لا يغني إلا لخليفةٍ أو لذي قدرٍ جليلٍ من إخوانه - فتعجب ابن عائشة منه ورحمه، ودعا بالدَّوَاةِ^(٢) وكان يغني مُرْتَجِلاً، فغَنَّاهُ الصوتُ؛ فَطَرَبَ له طرباً شديداً، وجعل يُحَرِّكُ رأسه حتى ظَنَّ أن عُنُقَهُ سَيَنْقَصُفُ، ثم خَرَجَ من عنده ولم يَرَزَّاهُ شيئاً، وبلغ الخبرُ الوليد بن يزيد فسأل ابن عائشة عنه، فجعل يَغِيبُ عن الحديث. ثم جدَّ الوليد به فصدَّقَهُ عنه، وأمر بطلب الرجل فطلب حتى أُخْصِرَ، ووصله صِلَةً سنيَّةً، وجعله في ندمائه ووَكَّلَهُ بالسَّقْيِ، فلم يزل معه حتى مات.

[سمع الشعبي غناءه فمدحه]

أخبرني الحسن بن عليّ الحَقَّاف قال: حدَّثنا أحمد بن زُهَيْر بن حَرْب قال: حدَّثنا محمد بن سلام قال: حدَّثني عمر بن أبي خليفة قال: كَانَ الشَّعْبِيُّ مع أبي في أعلى الدار، فسمعنا تحتنا غِنَاءً حسناً، فقال له أبي: هل ترى شيئاً؟ قال: لا، فنظرنا فإذا غلام حسن الوجه حديث السنَّ يَتَغَنَّى:

قَالَتْ عُبَيْدُ تَجَرُّمًا^(٣) فِي الْقَوْلِ فِعْلَ الْمَازِحِ
[مجزوء الكامل]

فما سَمِعْتُ غِنَاءً كَانَ أَحْسَنَ منه، فإذا هو ابن عائشة، فجعل الشَّعْبِيُّ يَتَعَجَّبُ من غِنَائِهِ، ويقول: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ^(٤).

نسبة هذا الصوت

صوت

قَالَتْ عُبَيْدُ تَجَرُّمًا فِي الْقَوْلِ فِعْلَ الْمَازِحِ

(١) الخلة: الحاجة والخصاصة.

(٢) الدواة: لعلها تحريف عن الأداة وهي آلة من آلات الغناء.

(٣) تَجَرَّمَتِ السَّنُونُ، أي انقضت. وَتَجَرَّمَ اللَّيْلُ: ذَهَبَ. وَتَجَرَّمَ عَلَيَّ فُلَانٌ، أي ادَّعَى ذَنْباً لَمْ أَفْعَلْهُ.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَؤُلَآئِكَ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

أَنْجِزْ بَعْمَرِكَ وَعَدْنَا فَأُظَنَّ حَبَّكَ فَاضْحِي
فَأَجْبِثْهَا لَوْ تَعْلَمِي نَ بِمَا تُجْنُ جَوَانِحِي
فِي مَا أَرَى لَرَجْمَتِي مِنْ حَمْلٍ خُبِّ فَادِحِ
مَا فِي الْبَرِيَّةِ لِي هَوَى فَاسْمَعُ مَقَالََةَ نَاصِحِ
أَشْكُو إِلَيْهِ جَفَاءَكُمْ إِلَّا سَلَامٌ مُصَافِحِي
[مجزوء الكامل]

زعم حبش أن الغناء لابن عائشة خفيف ثقيل بالنصر.

[حج ولقيه جماعة من قریش]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: حدثني بعض أهل المدينة قال: حدثني من رأى ابن عائشة حاجاً وقد دعاه فتية من بني هاشم فأجابهم، قال: وكنت فيهم، فلما دخلنا جعلوا صدر المجلس لابن عائشة فجلس فتحدثوا حتى حصر الطعام؛ فلما طعموا دعا بشراب فشربوا، وكان ابن عائشة إذا سُئِلَ أن يغني أبي ذلك وغضب، فإذا تحدث القوم بحديث ومضى فيه شعر قد غني فيه ابتداء هو فعناه، فكان من فطن له يفعل ذلك به، فقال رجل منهم: حدثني اليوم رجل من الأعراب ممن كان يصاحب جميلاً بحديث عجيب؛ فقال القوم: وما هو؟ فقال: حدثني أن جميلاً بينما هو يحدث كما كان يحدثه إذ أنكره ورأى منه غير ما كان يرى، فثار نافراً، مُشْعِر الشعر، مُتَغَيِّر اللون إلى ناقة له مجتمعة^(١) قريبة من الأرض، مَوْتَقَّة^(٢) الخلق، فشد عليها رحله ثم أتاها بمحلب فيه لبن فشربته، ثم ثنى فشربت حتى رويت، ثم قال: اشدد أداة رحلك واشرب واسق جملك، فإني ذاهب بك إلى بعض مذهب، ففعلت، فجال في ظهر ناقته، فسرنا بياض يومنا وسواد ليلتنا، ثم أصبحنا فسرنا يومنا لا والله ما نزلنا إلا للصلاة؛ فلما كان اليوم الثالث دفعنا إلى نسوة فمال إليهن فوجدنا الرجال خلوفاً^(٣)، وإذا قَدْرُ لَبِأ^(٤) وقد جُهِدْتُ

(١) جَمَعْتُ الشَّيْءَ الْمَتَفَرِّقَ فَاجْتَمَعَ. وَالرَّجُلُ الْمُجْتَمِعُ: الَّذِي بَلَغَ أَشَدَّهُ. وَالْمَجْمَعَةُ: شَدِيدَةُ قُوَّةٍ.

(٢) الْوَتِيقُ: الشَّيْءُ الْمَحْكَمُ وَالْجَمْعُ وَثَاقٌ وَقَدْ وَثِقَ بِالْضَمِّ وَثَاقَةً، أَيْ صَارَ وَثِقًا. وَيُقَالُ: أَخَذَ بِالْوَتِيقَةِ فِي أَمْرِهِ، أَيْ بِالثَّقَّةِ. وَتَوَثَّقَ فِي أَمْرِهِ مِثْلَهُ. وَوَثَّقْتُ الشَّيْءَ تَوَثِّقًا فَهُوَ مُوْتَقٌّ. وَنَاقَةٌ مُوْتَقَّةٌ الْخَلْقُ، أَيْ مُحْكَمَتُهُ. وَوَثَّقْتُ فَلَانًا، إِذَا قُلْتُ: إِنَّهُ ثَقَّةٌ. وَاسْتَوَثَّقْتُ مِنْهُ، أَيْ أَخَذْتُ مِنَ الْوَتِيقَةِ.

(٣) الْخُلْفُ: قَوْمٌ يَذْهَبُونَ مِنَ الْحَيِّ يَسْتَقُونَ وَخَلَفُوا أَثْقَالَهُمْ، يُقَالُ: أَبْيَنَاهُمْ وَهُمْ خُلُوفٌ أَيْ غَيْبٌ.

(٤) اللَّبَاءُ، مَهْمُوزٌ مَقْصُورٌ: أَوَّلُ حَلَبٍ عِنْدَ وَضْعِ الْمَلْبِيِّ. . . وَتَقُولُ: لَبَأَتِ الشَّاةُ وَلَدَهَا: أَرْضَعَتْهُ اللَّبَاءُ، وَهِيَ تَلْبُؤُهُ. وَقَدْ تَلَبَّأَهَا وَلَدَهَا، أَيْ: رَضَعَ لَبَاءَهَا. وَلَبَأْتُ الْقَوْمَ: سَقَيْتُهُمْ لَبَاءً، وَالتَّبَأْتُ أَنَا، أَيْ: شَرِبْتُ لَبَاءً.

جوعاً وعَطْشاً، فلما رَأَيْتُ الْقَدَرَ اقْتَحَمْتُ^(١) عن بعيري وتركتهما جانباً، ثم أدخلت رأسي في القدر ما يشينني حرّها حتى رَوَيْتُ، فذهبتُ أُخْرِجُ رأسي من القدر فضاقتُ عليّ وإذا هي على رأسي قَلْنُسُوءَ، فضجكتُ مني وعَسَلَنْ ما أصابني. وأتي جميلٌ بقرى فوالله ما التفتُ إليه؛ فبينما هو يحدثهنّ إذا رواعي الإبل، وقد كان السُلْطَانُ أَحَلَّ لهم دَمَهُ إن وجدوه في بلادهم، وجاء الناسُ فَقُلْنَ: وَيَحَكَ! انْجُ وتقدّم، فوالله ما أكبرهم ذلك الإكبار، فإذا بهم يرمونه، ويطردونه، فإذا عَشَوْه قاتلهم ورمى فيهم، وقام بي جملي، فقال لي: يَسِّرْ لِنَفْسِكَ مَرْكَباً خَلْفِي، فأردفني خَلْفَهُ، لا والله ما انكسر ولا انحلّ عن فرصته حتى رَجَعَ إلى أهله، وقد سار ستّ ليالٍ وستّة أيام وما التفتُ إلى الطعام وقال في ذلك:

إِنَّ الْمَنَازِلَ هَيَّجَتْ أَطْرَابِي وَاسْتَعْجَمَتْ آيَاتُهَا بِجَوَابِي^(٢)
[الكامل]

وهي قصيدة طويلة. وقال أيضاً:

وَأَحْسَنُ أَيَّامِي وَأَبْهَجُ عَيْشَتِي إِذَا هَيَّجَ بِي يَوْمًا وَهْنٌ قُعودُ
[الطويل]

قال: فقال ابن عائشة: أفلا أُغْنِيَّ لكم ذلك؟ فقلنا: بلى والله، فاندفع فغناؤه، فما سَمِعَ السامعون شيئاً أَحْسَنَ من ذلك، وبقي أصحابنا يتعجبون من الحديث وحُسنه والغناء وطيبه؛ فقال له أصحابنا: يا أبا جعفر، إِنَّا مستأذنوك، فإن أذنت لنا سألناك، وإن كرهت تركناك؛ فقال: سلّوا، فقالوا: نُحِبُّ أَنْ تُغْنِيَنَا في مجلسنا هذا ما نشطت هذا الصوت فقط؛ فقال لهم: نعم ونعمة عين وكرامة، فما زلنا في غاية السرور حتى انقضى المجلس.

نسبة هذا الغناء

صوت

إن المنازل هيّجت أطرابي واستعجمت آياتها بجوابي
قفر تلوح بذی اللجين كأنها أنضاء وشم أو سطور كتاب
لما وقفت بها القلوص تبادرت مني الدموع لفرقة الأحباب
وذكرت عصراً يا بثينة شاقني إذ فاتني وذكرت شرخ شبابي
[الكامل]

(٢) يُنسب هذا البيت لجميل بثينة.

(١) اقتحمت: بادرت بالنزول عنه.

الشعر لجميل . والغناء للهذلي ثاني ثقیل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

أخبرني عمي قال : حدثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال : حدثني عمرو بن أبي الكنات الحكمي قال : حدثني يونس الكاتب قال :

كنا يوماً متنزهين بالعقيق أنا وجماعةً من قريش ، فبينما نحن على حالنا إذ أقبل ابن عائشة يمشي ومعه غلام من بني ليث وهو متوكئ على يده ، فلما رأى جماعةنا وسمعني أغني جاءنا فسلم وجلس إلينا وتحدث معنا ، وكانت الجماعة تعرف سوء خلقه وغضبه إذا سئل أن يغني ، فاقبل بعضهم على بعض يتحدثون بأحاديث كثير وجميل وغيرهما من الشعراء ، يستجرون بذلك أن يطرب فيغني ، فلم يجدوا عنده ما أرادوا ، فقلت لهم أنا : لقد حدثني اليوم بعض الأعراب حديثاً يأكل الأحاديث ، فإن شئتم حدثتكم إياه ؛ قالوا : هات ؛ قلت : حدثني هذا الرجل أنه مر بناحية الربذة^(١) فإذا صبيانٌ يتغاطسون في غدير ، وإذا شاب جميلٌ منهوك الجسم عليه أثر العلة ، والنحول في جسمه بينٌ ، وهو جالسٌ ينظرُ إليهم ، فسلمتُ عليه فردَّ عليَّ السلام وقال : من أين وضح^(٢) الراكب ؟ قلتُ : من الحمى ؛ قال : ومتى عهدك به ؟ قلتُ : رائحاً ؛ قال : وأين كان مبيتك ؟ قلتُ : ببني فلان ؛ فقال : أوه ! وألقى بنفسه على ظهره وتنفَّس الصعداء تنفُّساً ، قلتُ : إنه قد خرَّقَ حجابَ قلبه ؛ ثم أنشأ يقول :

صوت

سَقَى بِلداً أُمَسْتُ سُلَيْمَى تَحُلُّهُ مَنِ الْمُزْنِ مَا يَرَوَى بِهِ وَيُسِيمُ^(٣)
وإنْ لَمْ أَكُنْ مِنْ قَاطِنِيهِ فَإِنَّهُ يَحُلُّ بِهِ شَخْصٌ عَلَيَّ كَرِيمُ
أَلَا حَبْذاً مَنْ لَيْسَ يَعْدِلُ قُرْبَهُ لَدَيَّ وَإِنْ شَطَّ الْمَزَارُ نَعِيمُ

(١) الربذة : منزل فيه أعراب وماء كثير ، وفيه منزل أبي ذر رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ وفيه قبره وفيها مسجد جامع ، وهي من القرى القديمة في الجاهلية . والربذة هي التي جعلها عمر رضي الله عنه حمى لإبل الصدقة ، وهي في اللغة الصوفة من العين تعلق على البعير ، وإليها نفى عثمان رضي الله عنه أبا ذر رضي الله عنه فمات بها سنة اثنتين وثلاثين ، وهو جندب بن عبادة ويقال ابن السكن ، وهو من غفار قبيلة من كنانة .

(٢) توضح : موضع ، وفي النص بدا وطلع .

(٣) يسيم : أن يكون صالحاً للإسامة بما يكون فيه من خصب وكلاء .

ومن لأمني فيه حميمٌ وصاحبٌ فرُدَّ بغِيظٍ صاحبٌ وحميمٌ

[الطويل]

ثم سَكَنَ كالمُعْشِيِّ عليه، فَصِحَتْ بالصَّبِيَّةِ، فَاتُوا بِماءٍ فَصَبَّيْنَاهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَأَفَاقَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

إِذَا الصَّبُّ^(١) الْغَرِيبُ رَأَى خُشُوعِي وَأَنْفَاسِي تَزَيَّنَ بِالْخُشُوعِ
وَلِي عَيْنٌ أَضَرَّ بِهَا التَّفَاتِي إِلَى الْأَجْزَاعِ مُطْلَقَةَ الدَّمُوعِ
إِلَى الْخَلَوَاتِ يَأْنَسُ فِيكَ قَلْبِي كَمَا أَنْسَ الْغَرِيبُ إِلَى الْجَمِيعِ
[الوافر]

فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا أَنْزِلُ فَأَسَاعِدَكَ، أَوْ أَكُرُّ عَوْدِي عَلَى بَدَنِي إِلَى الْحِمَى فِي حَاجَةٍ إِنْ كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ أَوْ رِسَالَةٌ؟ فَقَالَ: جُزَيْتَ خَيْرًا وَصَحْبَتُكَ السَّلَامَةُ! امْضِ لِطَيْتِكَ^(٢)، فَلَوْ أَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ تُغْنِي عَنِّي شَيْئًا لَكُنْتُ مُوضِعًا لِلرَّغْبَةِ وَحَقِيقًا بِإِسْعَافِ الْمَسْأَلَةِ، وَلَكِنَّكَ أَدْرَكْتَنِي فِي صُبَابَةٍ مِنْ حَيَاتِي يَسِيرَةٌ؛ فَانْصَرَفْتُ وَأَنَا لَا أَرَاهُ يُمَسِّي لَيْلَتَهُ إِلَّا مَيِّتًا، فَقَالَ الْقَوْمُ: مَا أَعْجَبَ هَذَا الْحَدِيثَ! وَانْدَفَعَ ابْنُ عَائِشَةَ فَتَغَنَّى فِي الشَّعْرَيْنِ جَمِيعًا وَطَرِبَ وَشَرِبَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَلَمْ يَزَلْ يُغَنِّيُنَا إِلَى أَنْ انْصَرَفْنَا.

فَأَمَّا نِسْبَةُ هَذَيْنِ الصَّوْتَيْنِ فَإِنَّ فِي الْأَوَّلِ مِنْهُمَا لَحْنًا مِنْ خَفِيفِ الرَّمَلِ الثَّقِيلِ الْمَطْلُوقِ فِي مَجْرَى الْوُسْطَى، نَسَبَهُ يَحْيَى الْمَكِّي إِلَى مَعْبَدٍ، وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ مَنْحُولٌ. وَفِي هَذَا الْخَبَرِ: أَنَّ ابْنَ عَائِشَةَ غَنَّا، وَهُوَ يُغَنِّي فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنَ الْأَبْيَاتِ. وَفِيهِ لِلضَّيْزَنِيِّ الْمَلَقَبِ بِنَبِيكَ لَحْنٌ جَيِّدٌ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ. وَكَانَ نُبَيْكَةَ هَذَا مِنْ حُدَاقِ الْمَغَنِّينَ وَكِبَارِهِمْ، وَقَدْ خَدَمَ الْمُعْتَمِدَ ثُمَّ شَخَّصَ إِلَى مِصْرَ فَخَدَمَ خُمَارَوِيهَ بْنَ أَحْمَدَ، ثُمَّ قَدِمَ بَغْدَادَ فِي أَيَّامِ الْمُفْتَدِرِ، وَرَأَيْنَاهُ وَشَاهَدْنَاهُ، وَكَانَتْ فِي يَدِهِ صُبَابَةٌ قَوِيَّةٌ مِنْ إِفْضَالِ ابْنِ طُولُونَ وَاسْتَغْنَى بِهَا حَتَّى مَاتَ، وَلَهُ صَنْعَةٌ جَيِّدَةٌ قَدْ ذَكَرْتُ مَا وَقَعَ إِلَيَّ مِنْهَا فِي «الْمَجْرَدِ»^(٣). وَذَكَرْتُ مِمَّا وَقَعَ إِلَيَّ لَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ لَحْنًا جَيِّدًا فِي شَعْرِ سَعْدِ دُلْفَاءَ، وَهُوَ:

وَلَمَّا وَقَفْنَا دُونَ سَرَحَةِ مَالِكٍ

(١) الصَّبَابَةُ مصدرٌ يَقَالُ: رَجُلٌ صَبٌّ، وَامْرَأَةٌ صَبَّةٌ، وَهُوَ يَصَبُّ إِلَيْهَا عَشْقًا، وَهُوَ الْوَجْدُ وَالْمَحَبَّةُ.

(٢) طَوَى اللَّهُ لَكَ الْبَعْدَ. وَهُوَ يَطْوِي الْبِلَادَ. وَمَضَى فَلَانَ لَطَيْتَهُ، أَيْ: لَنَيْتِهِ الَّتِي انْتَوَاهَا، وَبَعْدَتْ عَنْهُ طَيْتُهُ وَهِيَ الْجَهَّةُ الَّتِي إِلَيْهَا يَطْوِي الْبِلَادَ. وَلَهُ طَيَاتٍ شَتَّى، وَلَقَيْتَهُ بِطَيَاتِ الْعِرَاقِ: فِي نَوَاحِيهِ وَجَهَاتِهِ.

(٣) كِتَابُ الْأَبِيِّ الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيِّ.

في موضعه من أخباره .

وأما الشعرُ الثاني الذي ذَكَرْتُ في هذا الخبر الماضي : أَنَّ ابْنَ عائِشةَ غَنَّاهُ ، فما رَأَيْتُ لَهُ نِسْبَةً في كتاب ولا سَمِعْتُ فيه صِنْعَةً من أحد ، ولعلَّهُ ممَّا انطوى عَنِّي أو لم يَشْتَهَر فسقط عن الناس .

[سبب موته]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّادِ بن إِسحاق عن أبيه ، وأخبرني به الحسن بن عليٍّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن حمَّاد عن أبيه عن يعقوب بن طلحة الليثي عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال : أقبل ابنُ عائِشةَ من الشام حتى نَزَلَ قَصْرَ ذي حُشْبٍ ^(١) ومعه مالٌ وطيبٌ وكُساءٌ ^(٢) فَشَرِبَ فيه ، ثم تَطَرَّقُوا ^(٣) إلى ظَهْرِ القصر فصعدوا ، ثم نَظَرَ فإذا بِنِسْوَةٍ يَتَمَشَّيْنَ في ناحية الوادي ، فقال لأصحابه : هل لكم فيهنَّ ؟ قالوا : وكيف لنا بهنَّ ؟ فَتَهَضَّ فَلَسَ مُلَاءَةٌ ^(٤) مدلوكة ^(٥) ، ثم قام على شُرْفَةٍ مِنْ شُرُفات القصر فتغنى :

وَقَدْ قَالَتْ لِأَتْرَابٍ لَهَا زُهْرٌ تَلَاقَيْنَا
تَعَالَيْنَ فَقَدْ طَابَ لَنَا الْعَيْشُ تَعَالَيْنَا ^(٦)

[الهج]

فَأَقْبَلَ إلىهِ فَطَرِبَ واستدارَ حتى سَقَطَ من السطح ؛ وهذا الخبرُ يُذَكِّرُ على شرحه في خبر وفاته .

[كان يعشق شعر الحطيئة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال : قال حمَّاد : قَرَأْتُ على أبي عن محمد بن سلام عن جَرِيرِ أبي الحُصَيْن قال : كان ابنُ عائِشةَ إذا غَنَّى في صَوْتٍ له من شعر الحطيئة وهو :

عَفَا مِنْ سُلَيْمَى مُسْحُلَانُ فَحَامِرُهُ

(١) قَصْرَ ذي حُشْبٍ : قصرٌ على أميال من المدينة في طريق الشام .

(٢) كُساءٌ : جمع كسوة . (٣) تطرقوا : ابتغوا له طريقاً .

(٤) ملأءة : الملحفة .

(٥) المَدْلُوكُ : المَصْفُوق . وَذَلِكَ الثَّوبُ : ماصُهُ لِيَعْبِلَهُ .

(٦) تنسب هذه الأبيات لعروة بن يحيى بن مالك بن الحارث الليثي . شاعر غزل مقدم ، من أهل المدينة ، وهو معدود من الفقهاء والمحدثين أيضاً ، ولكن الشعر أغلب عليه ، توفي سنة ١٣٠ هـ .

نَظَرَ إِلَى أَعْطَافِهِ فِي كُلِّ رَنَّةٍ، فَسُئِلَ يَوْمًا - وَقَدْ دَبَّ فِيهِ الشَّرَابُ - عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَنَا عَاشِقٌ لِهَذَا الصَّوْتِ، وَعَاشِقٌ لِحَدِيثِهِ، وَعَاشِقٌ لَغَرِيبِهِ، وَعَاشِقٌ لِقَوْلِ الْحَطِيطَةِ، إِنَّ الْغَنَاءَ رُفِيَّةٌ مِنْ رُقَى النَّيِّكِ، وَيَعْجِبُنِي فَهْمُ الْحَطِيطَةِ بِالْغَنَاءِ وَلَيْسَ هُوَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا بِصَاحِبِ غِنَاءٍ، وَكَيْفَ لَا أُعْجَبُ بِهِ وَمَحَلُّهُ مِنِّي هَذَا الْمَحَلُّ! وَكَانَ لَا يَسْأَلُهُ أَحَدٌ إِلَّا يَأْهَ إِلَّا غَنَاءَهُ، فَمَنْ فَطِنَ لَهُ أَكْثَرُ سَوْأَلِهِ إِيَّاهُ. وَكَانَ جَرِيرٌ يَقُولُ: إِنَّهُ أَحْسَنُ صَوْتٍ لَهُ وَأَرْفُهُ وَأَجُودُهُ.

[وفاة ابن عائشة]

وَتُوفِّيَ ابْنُ عَائِشَةَ فِيمَا قِيلَ فِي أَيَّامِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَقِيلَ: فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ. وَمَا أَظُنُّ الصَّحِيحَ إِلَّا أَنَّهُ تُوُفِّيَ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ، لِأَنَّهُ أَقْدَمَهُ إِلَيْهِ. وَذَكَرَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ تُوُفِّيَ فِي خِلَافَةِ هِشَامٍ: أَنَّهُ إِنَّمَا وَفَدَ عَلَى الْوَلِيدِ وَهُوَ وَلِيَّ عَهْدٍ.

[روايات أخرى في سبب موته]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: ذَكَرَ عُمَرَانُ بْنُ هِنْدٍ: أَنَّ الْعَمْرَ بْنَ يَزِيدٍ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا نَزَلَ قَصْرَ ذِي خُشْبٍ شَرِبَ عَلَى سَطْحِهِ، فَغَنَّى ابْنُ عَائِشَةَ صَوْتًا طَرَبَ لَهُ الْعَمْرُ، فَقَالَ: ارْزُدْهُ، فَأَبَى، وَكَانَ لَا يَرُدُّ^(١) صَوْتًا لِسَوْءِ خُلُقِهِ، فَأَمِيرَ بِهِ، فَطَرَحَ مِنْ أَعْلَى السَّطْحِ فَمَاتَ. وَيَقَالُ: بَلْ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ سَكْرَانٌ لِيَبُولَ فَسَقَطَ مِنَ السَّطْحِ فَمَاتَ.

[حكايات أخرى]

قَالَ إِسْحَاقُ: فَحَدَّثَنِي الْمَدَائِنِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَالَ: أَقْبَلَ ابْنُ عَائِشَةَ مِنْ عِنْدِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ وَقَدْ أَجَارَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، فَجَاءَ بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ أَحَدٌ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا قَرَّبَ مِنَ الْمَدِينَةِ نَزَلَ بِذِي خُشْبٍ عَلَى أَرْبَعَةِ فَرَاسِخٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ وَالِيهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الْمَخْزُومِيِّ، وَلَأَهُ هِشَامٌ وَهُوَ خَالُهُ، وَكَانَ فِي قَصْرِ هُنَاكَ، فَقِيلَ لَهُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، هَذَا ابْنُ عَائِشَةَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ عِنْدِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ، فَلَوْ سَأَلْتَهُ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَنَا الْيَوْمَ فَيُطْرَبَنَا وَيَنْصَرِفَ مِنْ غَدٍ! فَدَعَا بِهِ فَسَأَلَهُ الْمَقَامَ عِنْدَهُ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا أَخَذُوا فِي شُرْبِهِمْ أَخْرَجَ الْمَخْزُومِيُّ جَوَارِيَهُ، فَظَنَرَ إِلَى ابْنِ عَائِشَةَ وَهُوَ يَغْمِزُ جَارِيَةً مِنْهُنَّ، فَقَالَ لَخَادِمِهِ: إِذَا خَرَجَ ابْنُ عَائِشَةَ يَرِيدُ حَاجَتَهُ فَارْمِ بِهِ،

(١) ورد في بعض النسخ «يردد».

وكانوا يشربون فوق سَطْحٍ ليس لَهُ إِفْرِيزٌ^(١) ولا شُرُفَاتٍ، وهو يُشْرِفُ على بُسْتَانٍ، فلما قام لِيَبُولَ رَمَى بِهِ الخَادِمُ من فوق السطح فمات، فقبْرُهُ معروف هناك.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن يعقوب بن طلحة الليثي عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال: أقبل ابن عائشة من الشام حتى نَزَلَ بقصر ذي خُشْبٍ ومعه مالٌ وطيبٌ وكُساءٌ، فشرَب فيه، ثم تَطَرَّقُوا^(٢) إلى ظهر القصر فصعدوا، ثم نظر فإذا بنسوة يتمشّين في ناحية الوادي، فقال لأصحابه: هل لكم فيهنّ؟ قالوا: وكيف لنا بهنّ؟ فنهض فلبس ملاءة مدلوكةً، ثم قام على شُرُفَةٍ من شُرُفِ القصر فتغنّى في شعر ابن أذينة:

وَقَدْ قَالَتْ لِأَتْرَابٍ لَهَا زُهْرٌ تَلَاقَيْنَا
تَعَالَيْنَ فَقَدْ طَابَ لَنَا الْعَيْشُ تَعَالَيْنَا

[الهج]

فأقبلن إليه؛ وطرب فاستدار فسقط فمات. قال: وقال قوم: بل قَدِمَ المدينة فمات بها.

[بكى عليه أشعب فأضحك الناس]

قال: ولما مات قال أشعبُ: قد قُلْتُ لكم، ولكنّه لا يُعْنِي حذرٌ من قَدَرٍ: زَوَّجُوا ابنَ عائشة رُبَيْحَةَ الشَّمَّاسِيَّةِ تَخْرُجْ لكم بينهما مزاميرُ داود فلم تفعلوا، وجعل يبكي والناس يضحكون منه.

نسبة هذا الصوت الذي غناه

صوت

سُلَيْمَى أَرْزَمَعَتْ بَيْنَا فَأَيْنَ بَقُولِهَا أَيُّنَا
وَقَدْ قَالَتْ لِأَتْرَابٍ لَهَا زُهْرٌ تَلَاقَيْنَا
تَعَالَيْنَ فَقَدْ طَابَ لَنَا الْعَيْشُ تَعَالَيْنَا

(١) الإِفْرِيزُ: الطَّنْفُ، ومنه ثوب مَفْرُورٌ. قال أبو منصور: الإِفْرِيزُ إِفْرِيزُ الحائط؛ معرّب لا أصل له في العربية؛ قال: وأما الطَّنْفُ فهو عربي محض.

(٢) تطرقوا: ابتغوا له طريقاً.

وَعَابَ الْبَرَمُ^(١) اللَّيْلَ وَالْعَيْنُ فَلَا عَيْنَا
فَأَقْبَلْنَ إِلَيْهَا مُسْـ رِعَاتٍ يَتَّهَادِينَا
إِلَى مِثْلِ مَهَاةِ الرَّمِ لِي تَكْسُو الْمَجْلِسَ الزَّيْنَا
إِلَى خَوْدٍ مُنْعَمَةٍ حَفَفْنَ بِهَا وَقَدَّيْنَا
تَمَتُّيْنَ مُنَاهُنَّ فَكُنَّا مَا تَمَتُّيْنَا

[الهج]

الشعرُ لَعُرْوَةَ بنِ أُذَيْنَةَ. والغناء لابن عائشة لحنانٍ أحدهما رَمَلٌ مُطْلَقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخرُ ثاني ثَقِيلٌ بالوسطى عن حبشٍ.

[كان مالك بن أنس يكره الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزِيد قالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بنِ إِسْحَاقَ عن أبيه قال:

سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بنَ سَعْدٍ يَحْلِفُ لِلرَّشِيدِ وَقَدْ سَأَلَهُ عَمَّنْ بِالْمَدِينَةِ يَكْرَهُ
الْغِنَاءَ، فَقَالَ: مَنْ قَنَعَهُ^(٢) اللَّهُ بِخَزِيهِ مَالِكُ بنِ أَنَسٍ، ثُمَّ حَلَفَ لَهُ أَنَّهُ سَمِعَ مَالِكًا
يَغْنِي:

سُلَيْمَى أَزْمَعَتْ بَيْنَا فَأَيْنَ بَقُولِهَا أَيُّنَا

[الهج]

في عُرْسِ رَجُلٍ من أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَكْنَى أَبَا حَنْظَلَةَ.

[وما نيل المطالب بالتمني]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالَا: حَدَّثَنَا عُمَرُ بنُ شُبَّةَ قال: حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ مُحَمَّدُ بنُ يَحْيَى عن بعض أصحابه قال: مَرَّ ابْنُ عَائِشَةَ بِابْنِ أُذَيْنَةَ فَقَالَ لَهُ: قُلْ أَيْبَاتًا هَزَجًا أَعَنَّ فِيهَا؛ فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ، فَجَلَسَ؛ فَقَالَ:

سُلَيْمَى أَزْمَعَتْ بَيْنَا

الْأَبْيَات. قَالَ أَبُو غَسَّانَ: فَحَدَّثْتُ أَنَّ ابْنَ عَائِشَةَ رَوَاهَا، ثُمَّ ضَحَكَ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُ:

(١) الْبَرَمُ بِالْتَحْرِيكِ: مُصَدَّرُ قَوْلِكَ بَرَمَ بِهِ بِالْكَسْرِ، إِذَا سَئِمَهُ. وَتَبَرَّمَ بِهِ مِثْلُهُ. وَأَبْرَمَهُ، أَيِ أَمَلَهُ وَأَضْجَرَهُ. وَالْبَرَمُ أَيْضًا: الَّذِي لَا يَدْخُلُ مَعَ الْقَوْمِ فِي الْمَيْسَرِ؛ وَالْجَمْعُ أَبْرَامٌ.

(٢) قَنَعَهُ: غَشَاهُ بِالْغَاشِيَةِ وَهِيَ الدَّاهِيَةُ.

تَمَنِّيْنَ مُنَاهُنَّ فَكُنَّا مَتَمَنِّيْنَ

[الهج]

ثم قال له: يا أبا عامر، تَمَنِّيَكَ لما أقبل بَحْرُك، وأدبر ذَفْرُك^(١)، ووهنت قواك! فَجَعَلَ يَشْتُمُهُ. هذا لفظ إسماعيل بن يونس.

أخبرني الجَوْهَرِيُّ وإسماعيل بن يونس قالاً: حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّان قال: فَحَدَّثَنِي حَمَّادُ الْخَشَبِيِّ قال: ذُكِرَ ابنُ أُذَيْنَةَ عند عمر بن عبد العزيز، فقال: نِعَمَ الرَّجُلُ أَبُو عَامِرٍ، على [أنه] الذي يقول:

وَقَدْ قَالَتْ لِأَثَرَابٍ لَهَا زُهْرٌ تَلَاقَيْنَا

[الهج]

[غنى الوليد بن يزيد بمكة فأجازه]

أخبرني محمد بن مَزِيد والحُسَيْنُ بن يحيى قالاً: حَدَّثَنَا حَمَّاد عن أبيه عن المَدَائِنِيِّ عن إِسْحَاق بن أَيُّوب الْقُرَشِيِّ قال: كان هِشَامُ بن عبد الملك مُكْرِمًا للوليد بن يزيد، وكان عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّبًا للوليد، وكان، فيما يقال، زَنْدِيقًا، فحمل الوليد على الشراب والاستخفاف بدينه، فاتخذ نُدْمَاءً وَشَرِبَ وَتَهَتَّكَ، فأراد هِشَامُ قطعهم عنه، فولَّاهَ الْمَوْسِمَ في سنة عشر ومائة، فرأى الناس منه تهاونا واستخفافاً بدينه، وأمر مولاة عيسى فصلى بالناس، وبعث إلى المغنِّين فغنَّوهُ وفيهم ابن عائشة فغنَّاه:

سَلِيْمَى أَزَمَعَتْ بَيْنَا

فَنَعَرَ^(٢) الْوَلِيدُ نَعْرَةً أَذِنَ^(٣) لَهَا أَهْلُ مَكَّة. وأمر لابن عائشة بألف دينار، وَخَلَعَ عليه عِدَّةَ خِلَعٍ، وحمله^(٤). فخرج ابن عائشة من عنده بأمر أنكره الناس، وأمر للمغنِّين بدون ذلك، فتكلم أهلُ الْحِجَاز وقالوا: أهذا وليُّ عهدِ المسلمين! وَبَلَغَ ذلك

(١) ذفر فيه ذفر. وهو حدة الرائحة أيما كانت. وله ذفرة شديدة. وروضة ذفرة. ومسك أذفر. وفأرة ذفراء. وكتيبة ذفراء: لرائحة سهكها. وإبط ذفراء. ورجل ذفر: به صنان. قال:

ومؤولق أنضجت كية رأسه فتركته ذفراً كريح الجورب

وقالت أعرابية في شيخ: أدبر ذفره، وأقبل بخره.

(٢) نَعَرَ الرَّجُلُ يَنْعَرُ نَعِيرًا، وهو صوتٌ في الخيشوم. والنُّعْرَةُ: الخيشوم. نعر الناعر، أي: صاح الصائح.

(٣) تأذن بالشر إذا تقدم فيه وحذره وأنذر به. وإذا نادى منادي السلطان بشيء فقد تأذن به.

(٤) حملة: أعطى له ما يركبه.

هشاماً فطَمَعَ في خَلْعِهِ، وأرادَه على ذلك فأبى؛ وتَنَكَّرَ هشام للوليد، وتمادى الوليد في الشرب واللذات فأفرط، وبعَثَ هشامُ بالوليد وخاصَّته ومواليه، فَنَزَلَ بالأزرق بين أرض بَلْقَيْنَ وفَزارة على ماء يقال له الأغدق، حتى مات هشام. «انقضت أخباره».

[غناؤه في صوت من المائة الصوت المختارة]

ومن المائة صوت المختارة من أغانيه

صوت

من رواية علي بن يحيى:

حَنَّتْ إلى بَرَقٍ فَقُلْتُ لَهَا قِرِي
بأبي الوليدِ اليومَ وأمَّ نفسي كلَّما
أثوى فأكرمَ في الثَّوَاءِ وفُضِّيتْ
لا تَبْعَدَنَّ إِداوَةَ مطروحةً
بَعْضَ الحَنِينِ فَإِنَّ شَجَوَكِ شَائِقِي
بَدَتِ النُّجُومُ وذَرَّ قَرْنُ الشَّارِقِ
حاجأتنا من عند أروغَ باسِقِ
كانت حديثاً للشَّرابِ العاتِقِ
[الكامل]

ويروى: بالشراب العاتق. عروضه من الكامل. حَنَّتْ، يعني نَاقَتَهُ. وهذا البيت يتبع بيتاً قبله وهو:

فإلى الوليدِ اليومَ حَنَّتْ نَاقَتِي تهوي بِمُغَبَّرِ الْمُتُونِ سَمَالِقِ^(١)
[الكامل]

وبعده «حَنَّتْ إلى برق . . .» وقوله: «قري» من الوقار، كأنَّها لَمَّا حَنَّتْ أسرعَت ونازعت إلى الوطن أو المقصد، فقال يخاطبُها: قِرِي. وذَرَّ قَرْنُ الشَّارِقِ: طلع قرن الشمس؛ يريد: بأبي الوليد وأمي في كل ليل ونهار أبداً. وأثوى: أنزل.

والثَّوَاءِ: الإقامة؛ قال الأعشى:

لَقَدْ كَانَ فِي حَوْلِ ثَوَاءِ ثَوَيْتَهُ تُقَضِّى لُبَانَاتٍ وَيَسَامُ سَائِمُ
[الطويل]

(١) سَمَلَقٌ: السَّلْمَقُ: القاع الأملس. وعجز سَمَلَقٌ: سيئة الخلق. والسَّمْلَقَةُ: الرديئة في البضع.

والباسق: الطويل؛ قال الله عز وجل: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ [ق: ١٠]. أي طوالاً. ويروي:

لَا تَبْعُدَنَّ إِدَاوَةَ مَطْرُوحَةٍ^(١)

[الكامل]

الشعر لعبد الرحمن بن أَرْطاة المَحَارِبِيِّ. والغناء لابن عائشة. ولحنه المختار ثَقِيلُ أَوَّلٍ بِإِطْلَاقِ الْوَتَرِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ. وفيه للهُذَلِيِّ لَحْنٌ آخَرُ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ عَنْ الْهَشَامِيِّ وَابْنِ الْمَكِّيِّ. فَأَوَّلُ لَحْنِ الْهُذَلِيِّ اسْتِهْلَالٌ فِي:

حَنَنْتُ إِلَى بَرْقٍ فَقُلْتُ لَهَا قِرِي^(٢)

[الكامل]

وَأَوَّلُ لَحْنِ ابْنِ عَائِشَةَ:

بِأَبِي الْوَلِيدِ وَأُمِّ نَفْسِي كُلَّمَا بَدَتِ النُّجُومُ وَدَرَ قَرْنُ الشَّارِقِ

[الكامل]

(١) البيت:

لَا تَبْعُدَنَّ إِدَاوَةَ مَطْرُوحَةٍ

(٢) البيت:

حَنَنْتُ إِلَى بَرْقٍ فَقُلْتُ لَهَا قِرِي

كَانَتْ زَمَانًا لِلشَّرَابِ الْعَائِقِ

بَعْضَ الْحَنِينِ فَإِنَّ شَجُوكَ شَائِقِي

أخبار ابن أُرطاة ونسبه

[نسبه]

هو عبد الرحمن بن أُرطاة، وقيل: عبد الرحمن بن سِيحان بن أُرطاة بن سِيحان بن عمرو بن نُجيد بن سَعْد بن لاجِب بن ربيعة بن شُكُم بن عبد الله بن عَوْف بن زيد بن بكر بن عُمَيْر بن علي بن جَسْر بن مُحارب بن خَصَفَة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار. وأمّ جَسْر ماوِيَة بنت علي بن بكر بن وائل، هذه رواية أبي عبد القيس، وأمّ علي بن جسر ماوِيَة بنت علي بن بكر بن وائل، هذه رواية أبي عمرو الشيباني أخبرني بها عمي والصُّولي عن الحَزْبَل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه، قال: وشُكُم بن عبد الله أول مُحاربِي سَاد قَوْمَهُ وأَبْدَهُمْ رَأْساً بِنَفْسِهِ، وكانوا جيراناً في هَوَازَنَ؛ وآل سِيحان حلفاء حَرْب بن أُمِيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف، وبمنزلة بعضهم عندهم خاصّة وعند سائر بني أُمِيَّة عامّة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شَبَّه قال: حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عِمْران قال: بنو سِيحان من بني جَسْر بن مُحارب، وبنو مناف تُقَوِّي حِلْفَهُمْ، وهم عندي أعزّأوهم وليسوا بأحلافهم.

أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمَّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالوا: حدّثنا عمر بن شَبَّه قال: حدّثنا محمد بن يحيى أبو غَسَّان قال: لما قَتَلَ هِشَامُ بن الوليد أبا أَرْبُهر، بَعَثَتْ قُرَيْشُ أُرطاة بن سِيحان حَلِيفَ حَرْب بن أُمِيَّة إلى الشِّراة^(١) يُحَدِّثُ مَنْ بِهَا مِنْ تُجَّارِ قُرَيْشٍ، وخرج حاجزُ الأَزْدِيِّ لِيُخْبِرَ قَوْمَهُ، فسبقَهُ أُرطاة، وقال في ذلك وقد حدّثهم فَجَّجُوا:

مِثْلُ الحَلِيفِ يَشْدُ عُرْوَتَهُ يَثْنِي العِناجَ^(٢) لَهَا مع الكَرْبِ^(٣)

(١) الشِّراة: صقع بالشام بين دمشق والمدينة المنورة.

(٢) العِناج: خَيْطٌ أَوْ سَيْرٌ يُشْدُّ فِي أَسْفَلِ الدَّلْوِ ثُمَّ يَشْدُ فِي عُرْوَتِهِ، فَإِذَا انْقَطَعَ الحَبْلُ أَمْسَكَ العِناجُ الدَّلْوُ مِنْ أَنْ تَقَعَ فِي البَثْرِ، وَكُلُّ شَيْءٍ يُجْعَلُ لَهُ ذَلِكَ فَهُوَ عِناجٌ. وَثَلَاثَةُ أَعْنَجَةٍ، وَجَمْعُهُ عُجَجٌ. وَكُلُّ شَيْءٍ تَجْذِبُهُ إِلَيْكَ فَقَدْ غَنَجْتَهُ. عَنَجَ رَأْسَ البَعِيرِ، أَي: جَذَبَهُ إِلَيْهِ بِخَطَامِهِ.

(٣) الكَرْب: الحَبْلُ الَّذِي يَشْدُ عَلَى الدَّلْوِ بَعْدَ المَنِينِ، وَهُوَ الحَبْلُ الْأَوَّلُ، فَإِذَا انْقَطَعَ المَنِينُ بَقِيَ الكَرْبُ.

رَلَمٌ^(١) إِذَا يَسَرُّوا^(٢) بِهِ يُسُرُّ وَمَنَاضِلُ يَحْمِي عَنْ الْحَسَبِ
 هَلْ تَشْكُرُنْ فَهَرُّ^(٣) وَتَاجِرُهَا دَابَّ السُّرَى بِاللَّيْلِ وَالْحَبَبِ^(٤)
 حَتَّى جَلَوْتُ لَهُمْ يَقِينَهُمْ بَبِيَانٍ لَا أَلْسِ^(٥) وَلَا كَذِبِ
 [الكامل]

[كان حليفاً لبني أمية ومدحهم]

وكان عبد الرحمن شاعراً مُقِلّاً إسلامياً ليس من الفحول المشهورين، ولكِنَّه كان يقول في الشراب والغزل والفخر ومدح أحلافه من بني أمية، وهو أحدُ المعاقرين للشراب والمعدودين فيه، وكان مع بني أمية كواحدٍ منهم إلا أنَّ اختصاصه بآل أبي سُفيان وآل عثمان خاصّة كان أكثر، وخصوصه بالوليد بن عثمان ومؤانسته إياه أزيد من خصوصه بسائرهم، لأنهما كانا يتنادمان على الشراب.

وهذه الأبيات التي فيها الغناء يقولها في الوليد بن عثمان، وقيل: بل في الوليد بن عُتْبَةَ. وخبرُهُ في ذلك يُذكر بعد هذا.

[أصابه خمار فداواه منه الوليد بن عثمان]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال عُتْبَةُ بن المِنْهَالِ الْمُهَلْبِيُّ: حَدَّثَنِي غَيْرُ

(١) زلم: استقسموا بالأزلام وهي القداح. والزلم والقلم واحد. ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾ ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ﴾ وهما فعل بمعنى مفعول من زلمه وقلمه إذا قطعه. يقال: زلم أذنه وأنفه زلماً. وهذا العبد زلماً: قدأً وتقطيعاً أي قداه قد العبيد، ويقال: زلمة وزلمة. وقال رجل من بني سعد لرجل من محارب: اذهب فأنت والله العبد زلمة يعني لا شك في عبوديتك ولم يخطئك شكل العبيد. وعن زلماء زلمة.

(٢) يسروا: لعبوا الميسر.

(٣) فهر: اضرب الوند بالفهر وهي مؤنثة وتبصغيرها سمي أبو عامر بن فهيرة. وتقول: فلان يتلصص كالْفَويرة، ثم يصير على الضرب كالفهيرة. وقعد يرمي في حلقه أمثال الأفهار أي يدهور اللقم. وكانهم اليهود خرجوا من فهرهم وهو مدراسهم تعريب بهر بالعبرانية. ونهى رسول الله ﷺ عن الفهر وهو أن يخالط إحدى جاريته وينزل مع الأخرى.

(٤) حَبَب: الحَبُّ والحَبُّ: الرجل الخداع الجُرْبُزُ. تقول منه: حَبَيْتَ يا رجل تَحَبُّ حَبّاً، مثال عَلِمْتُ تُعَلِّمُ علماً. وقد حَبَّبَ غلامي فلاناً، أي خدعه. والحَبَّةُ والحَبَّةُ والخَبَّةُ: طريقة من رمل أو سحاب، أو خِرْقَةٌ كالعصابة، والخَبِيَّةُ مثله، يقال: ثوب حَبَائِبُ، أي مُتَقَطَّعٌ، مثل هَبَائِبُ. وَاحْتَبَّ من ثوبه حَبَّةً، أي أَخْرَجَ.

(٥) ألس فلان لا يدالس، ولا يؤالس؛ أي لا يدامج. واللَّهم إنا نعوذ بك من الألس والألق، أي من الخيانة والكذب.

واحد من أهل الحجاز قالوا: كان ابن سِيحانَ حَلِيفاً لقريش ينزل بالمدينة، وكان نديماً للوليد بن عثمان، فأصابه ذات يوم خُمَارٌ^(١)، فَذَهَبَ لِسَانُهُ وَسَكَتَتْ أَطْرَافُهُ وصرخ أهله عليه، فأقبل الوليد إليه فَرِزَعاً، فلما رآه قال: أَخِي مَخْمُورٌ وربّ الكعبة، ثم أمر غلاماً له فأتاه بشراب من منزله في إداوة فأمر به فأسخن ثم سقاه إياه وقيأه، وصنع له حساءً وجعل على رأسه دهناً وجعل رجله في ماء سخن، فما لبث أن انطلق وذهب ما كان به. ومات الوليد بعد ذلك. فبينما ابن سِيحان يوماً جالسٌ وبعضُ متاعه يُنْقَلُ من بيتٍ إلى بيت، إذ مرّت الخادم بإداوة^(٢) الوليد التي كان داواها بما فيها من الشراب وقد يَبَسَتْ وَتَقَبَّضَتْ، فانتحب وقال:

لَا تَبْعِدَنَّ إِداوَةَ مَطْرُوحَةً كَانَتْ حَدِيثاً لِلشَّرَابِ الْعَاتِقِ
[الكامل]

وذكر باقي الأبيات.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثَنَا أحمد بن معاوية عن الواقدي قال: حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي عُبيدة عن أبيه قال: كان الوليد بن عثمان بن عفان يَشْرَبُ مع الوليد بن عُتْبَةَ بن أبي سُفيان وابن سِيحان وكان يُخْمَرُ^(٣) فأصابه من ذلك شيءٌ شديدٌ حتى خِيفَ عليه وشَقَّ النساءُ عليه الجيوب، فدُعِيَ له ابن سِيحان، فلما رآه قال: اخْرُجْ عني وعن أخي، فخرجن فقال له: الصَّبُوحُ أبا عبد الله، فجلس مُفِيقاً؛ فذلك حيث يقول ابن سِيحان:

بِأَبِي الْوَلِيدِ وَأُمِّ نَفْسِي كُلِّمَا بَدَتِ النُّجُومُ وَدَرَّ قَرْنُ الشَّارِقِ
أَثْوَى^(٤) فَأَكْرَمَ فِي الثَّوَاءِ وَقُضِيَتْ حَاجَاتُنَا مِنْ عِنْدِ أَرْوَغِ بَاسِقِ^(٥)
كَمْ عِنْدَهُ مِنْ نَائِلٍ^(٦) وَسَمَاحَةٍ وَفَضَائِلٍ مَعْدُودَةٍ وَخَلَائِقِ
وَسَمَاحَةٍ لِلْمُعْتَفِينَ^(٧) إِذَا أَعْتَفُوا فِي مَالِهِ حَقًّا وَقَوْلٍ صَادِقِ

(١) الخُمَار: بقية السكر وما يصيب الرجل من ألم وصداع وأذى من الخمر.

(٢) إداوة: إناء من الجلد.

(٣) يخمر: يُصاب بالخمار.

(٤) أثوي بالمكان وأثوى: أقام.

(٥) قال الله عز وجل: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾. قال الفراء: باسقات: طوالاً. يقال: بسق طوالاً، فهو باسق، فهن طوال النخل.

(٦) النِّوَالُ والنَّيْلُ والنَّوْلُ: ما نِلْتَ من مَعْرُوفٍ إِنْسَانٍ. وَأَنَالَه مَعْرُوفَهُ وَنَوَّلَهُ: أَعْطَاهُ نَوَالاً. وهما يَتَنَوَّلَانِ وَيَتَنَائِلَانِ. وَأَنَالَ المَعْدُنَ: أَصْبَتْ فِيهِ شَيْئاً. وما عِنْدَهُ نَائِلٌ وَلَا طَائِلٌ: أَيُّ عَطَاءٍ وَبُلْعَةٍ.

(٧) جمع معترف وهو الضيف وكل طالب فضل أو رزق.

لَا تَبْعِدَنَّ إِدَاوَةَ مَطْرُوحَةً كَانَتْ حَدِيثًا لِلشَّرَابِ الْعَاتِقِ
[الكامل]

[كان من ندماء الوليد بن عثمان]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان الوليد بن عثمان يُكنى أبا الجهم، وكان لابن سيحان صديقاً ونديماً، وكان صاحب شراب، فَمَرَضَ فعادَهُ الوليد وقال: ما تشتهي؟ قال: شراباً، فبعث فجاءه بشراب في إداوة. ثم ذكر باقي الخبر نحو الذي قبله.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب ابن عباية قال: كان الوليد بن عثمان ذا غلة^(١) في الحجاز يَخْرُجُ إليها في زمان التمر بنقر من قومه، يَجْنُونُ له وَيُعَاوَنُونَهُ، فكان إذا حَضَرَ خُرُوجَهُمْ دَفَعَ إليهم نفقات لأهلهم إلى رَجْعَتِهِمْ، فخرج بهم مرة كما كان يَخْرُجُ وفيهم ابن سيحان، فأتى ابن سيحان كتاباً من أهله يسألونه القُدومَ لحاجة لا بُدَّ منها، فاستأذنه فأذن له، فقال له ابن سيحان: زودوني من شرابكم هذا، فزودوه إداوةً ملأها له من شرابهم، فكان يَشْرِبُها في طريقه حتى قَدِمَ على أهله، فألقاها في جانب بيته فارغة، فمكث زماناً لا يذكرها، ثم كَسُوا البيتَ فَرَأَاهَا مُلْقَاةً في الكناسة فقال:

لَا تَبْعِدَنَّ إِدَاوَةَ مَطْرُوحَةً كَانَتْ حَدِيثًا لِلشَّرَابِ الْعَاتِقِ
إِنْ تُصْبِحِي لَا شَيْءَ فِيكَ فَرُبَّمَا أُتْرَعْتَ^(٢) مِنْ كَأْسٍ تَلْدُ لِذَائِقِ
بِأَبِي الْوَلِيدِ وَأُمُّ نَفْسِي كُلَّمَا بَدَتِ النُّجُومُ وَذَرَّ قَرْنُ الشَّارِقِ
كَمْ عِنْدَهُ مِنْ نَائِلٍ وَسَمَاحَةٍ وَشَمَائِلِ مَيْمُونَةٍ وَخَلَائِقِ
وَكَرَامَةٍ لِلْمُعْتَفِينَ إِذَا اعْتَفَوْا فِي مَالِهِ حَقًّا وَقَوْلٍ صَادِقِ
أَثْوَى فَأَكْرَمَ فِي الثَّوَاءِ وَقُضِّيت حَاجَاتُنَا مِنْ عِنْدِ أَرْوَغِ بَاسِقِ
لَمَّا أَتَيْنَاهُ أَتَيْنَا مَا جَدَ الـ أَخْلَاقِ سَبَّاقًا لِقَرَمِ^(٣) سَابِقِ
قَالَ الْوَلِيدُ يَدِي لَكُمْ رَهْنٌ بِمَا حَاوَلْتُمْ مِنْ صَامِتٍ أَوْ نَاطِقِ

(١) غل: وفاء غلة ضيعته وهو كل ما يحصل من ريع أرض أو كرائها أو أجرة غلام أو نحو ذلك، وضبعة مغلة، وقد أغلت، وله أرضة يستغلها ويغتلبها.

(٢) ترعة الحوض: مفتاح الماء إليه. ومنه يقال: أترعت الحوض إتراعاً إذا ملأته وأترعت الإناء مثله، فهو مُتْرَعٌ وسحاب ترع كثير المطر.

(٣) القرم: السيد.

فإلى الوليد اليوم حئت ناقتي تهوي بمُعْبَرِ الْمُثُونِ سَمَالِقِ
حئت إلى بَرْقٍ فَقُلْتُ لَهَا قِرِي بَعْضَ الْحَنِينِ فَإِنَّ شَجْوَك شَائِقِي
[الكامل]

[حده مروان بالخمير ومنع منه معاوية]

أخبرني عمي قال: حدّثني محمد بن عبد الله التميمي الأصبهاني المعروف بالحزنبَل قال: حدّثني عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه وأخبرني الحسين بن يحيى المزداسي قال: قال حمّاد بن إسحاق: قرأتُ على أبي، قالاً جميعاً: كان عبد الرحمن بن سيحان قد غاظ مروان بن الحكم أيام كان معاوية يُعاقِبُ بينه وبين سعيد بن العاص في ولاية الحرّمين، وأنكرَ عليه أشياء بلغته فغاطته: من مدحه سعيداً وانقطاعه إليه وسروره بولايته، فرصده حتى وجده خارجاً من دار الوليد بن عثمان وهو سكران فضربه الحدّ ثمانين سوطاً. وقدمَ البريدُ من المدينة على معاوية فسأله عن أخبار الناس فجعل يُخبرُه بها، حتى انتهى به الحديثُ إلى ابن سيحان فأخبره أنّ مروان ضربه الحدّ ثمانين؛ فعُصِبَ معاوية وقال: واللّه لو كان حليف أبي العاص لما ضربه ولكنّه ضربه لأنّه حليفُ حربٍ، أليس هو الذي يقول:

وإنّي امرؤٌ حلفُ إلى أفضل الورى عديداً إذا ارْفَضْتُ^(١) عصا المُتَحَلِّفِ^(٢)

[الطويل]

كَذَبَ واللّه مروان، لا يضره في نبذ أهل المدينة وشكهم وحمقهم؛ ثم قال لکاتبه: اكتب إلى مروان: فليُبطل الحدّ عن ابن سيحان، وليخُطَبَ بذلك على المنبر، وليقلّ إنّه كان ضربه على شُبّهة ثم بان له أنه لم يشرب مُسكراً، وليعطه ألفي درهم. فلما وردَ الكتابُ على مروان عظمَ ذلك عليه، ودعا بابنه عبد الملك فقرأه عليه وشاوره فيه؛ فقال له عبد الملك: راجعه ولا تُكذّب نفسك، ولا تُبطل حُكمك؛ فقال مروان: أنا أعلم بمعاوية إذا عَزَمَ على شيء أو أرادَه، لا واللّه لا أراجعه. فلما كان يومُ الجمعة وفرغ من الخطبة قال: وابنُ سيحان فإنّا كشفنا أمره، فإذا هو لم يشرب مُسكراً، وإذا نحن قد عجلنا عليه؛ وقد أبطلت عنه الحدّ. ثم نزل فأرسل إليه بألفي درهم.

[خبر الوليد ومروان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثني أحمد بن معاوية عن الواقدي قال: حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال:

(١) ارفضت: انشقت وتوزعت.

(٢) المتحلف: المحالف.

كان عبد الرحمن بن سيحان المُحاربِي شاعراً، وكان حلوَ الاحاديث، عنده أحاديثٌ حسنةٌ غريبةٌ من أخبار العرب وأيامها وأشعارها، وكان على ذلك يُصِيبُ من الشراب، فكان كلُّ من قدم من وُلاة بني أُمَيَّة وأحداثهم ممن يُصِيبُ الشراب يدعوه ويناديه، فلما وَلِيَ الوليدُ بن عُثْبَةَ بن أبي سُفْيَان وَعُزِلَ مروان وَجَدَ^(١) مروانُ في نفسه وكان قد سَبَعَهُ^(٢)، فَحَقَّدَ عليه مروانُ واضطغنه^(٣)، وكان الوليدُ يُصِيبُ من الشراب ويبعث إلى ابن سيحان فيشرب معه، وابن سيحان لا يظنُّ أنَّ مَرَوَانَ يفعل به الذي فعله، وقد كان مدحه ابن سيحان وَوَصَلَهُ مروان، وَلَكِنَّ مروان أراد فضيحةَ الوليد، فَرَصَدَهُ ليلةً في المسجد، وكان ابن سيحان يخرج في السَّحَرِ من عند الوليد ثَمَلًا فيمرُّ في المقصورة من المسجد حتى يَخْرُجَ في زُقاقٍ عاصِم، وكان محمد بن عمرو يبيت في المسجد يصلي، وكذلك عبد الله بن حَنْظَلَةَ وغيرهما من القراء يبيتون في المسجد يتَهَجَّدون، فلما خَرَجَ ابن سيحان ثَمَلًا من دار الوليد أخذه مروان وأعوانه، ثم دعا له محمد بن عمرو وعبد الله بن حَنْظَلَةَ فأشهدهما على سكره، وقد سأله أن يَقْرَأَ أمَّ القرآن فلم يقرأها، فدفعه إلى صاحب شُرْطَتِهِ فَحَبَسَهُ؛ فلمَّا أصبحَ الوليدُ بَلَغَهُ الخبرُ وشاعَ في المدينة وَعَلِمَ أنَّ مروان إنما أراد أن يفضَّحَهُ، وأنه لو لَقِيَ ابن سيحان ثَمَلًا خارجاً من عند غيره لم يعرض له، فقال الوليد: لا يُبْرِئَنِي من هذا عند أهل المدينة إلا ضربُ ابن سيحان، فأمرَ صاحبَ شُرْطَتِهِ فضربه الحدَّ ثم أرسله. فجلس ابن سيحان في بَيْتِهِ لا يخرجُ حياءً من الناس، فجاءه عبد الرحمن بن الحارث بن هشام في ولده وكان له جليساً فقال له: ما يُجْلِسُكَ في بيتك؟ قال: الاستحياء من الناس؛ قال: اخرج أيها الرجل، وكان عبد الرحمن قد حَمَلَ له معه كُسْوَةً، فقال له: البَسْها ورُحْ معنا إلى المسجد فهذا أخرى أن يُكَذَّبَ به مُكَذَّبٌ، ثم تَرَحَّلْ إلى أمير المؤمنين فتُخْبِرُهُ بما صنع بك الوليد فإنه يَصِلُكَ وَيُبَيِّطُ هذا الحدَّ عنك؛ فراحَ مع عبد الرحمن في جماعة ولده متوسطاً لهم حتى دخلَ المَسْجِدَ فصلَّى ركعتين، ثم تساند مع عبد الرحمن إلى الأسطوانة^(٤)؛ فقائلٌ يقولُ: لم يُضْرَبْ، وقائلٌ يقولُ: أنا رأيته يُضْرَبُ، وقائلٌ يقولُ: عزَّزَ أسواطاً.

(١) وجد: اغتاظ وغضب.

(٢) سَبَعَهُ يَسْبَعُهُ سَبْعاً: طعن عليه وعابه وشتمه ووقع فيه بالقول القبيح.

(٣) ضغن: في صدره ضغن وضغينة وأضغان وضغائن، وضغن عليّ فلان واضطغن، وهو ضغن عليّ ومضطغن، ومضاغن إليّ، وأبعد الله كل مضاغن لأخيه، مشاحن لمواليه. وما زلت به حتى سللت بقية ضغنه، وأخلت صدره عما كان في صمته.

(٤) الأسطوانة: العمود والسارية.

[حُبِّ معاوية له]

فمكث أياماً ثم رحل إلى معاوية فدخل إلى يزيد فَشَرِبَ معه، وَكَلَّمَ يزيدُ أباه معاوية في أمرِهِ فدعا به فأخبره بَقِصَّتِهِ وما صنعه به مروان، فقال: قَبَّحَ اللَّهُ الوليد ما أضعفَ عقلَهُ! أما استحيا من ضربك فيما شرب! وأما مروان فإنِّي كُنْتُ لا أحسبه يبلغ هذا منك مع رأيك فيه ومودَّتكَ له، ولكِنَّه أراد أن يَضَعَ الوليدَ عندي ولم يصب، وقد صَيَّرَ نفسه في حدٍّ كنا نُنزِّهه عنه.

[إبطاله الحد عنه]

صار شُرْطِيًّا! ثم قال لكتابه: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الوليد بن عُثْبَةَ. أمّا بعد، فالعجب لضربك ابن سيحان فيما تَشْرَبُ منه، ما زِدْتَ على أن عَرَفْتَ أهل المدينة ما كُنْتَ تَشْرَبُهُ مما حُرِّمَ عليك، فإذا جاءك كتابي هذا فأبطل الحدَّ عن ابن سيحان، وطُفَّ به في حِلَقِ المسجد وأخبرهم أنَّ صاحب شُرْطِكَ تعدَّى عليه وظلمه، وأنَّ أمير المؤمنين قد أبطل ذلك عنه، أليس ابنُ سيحان الذي يقول:

وإنِّي امرؤٌ أنمى إلى أفضلِ الورى
إلى نَضْدٍ^(١) من عبد شمس كائنهم
ميامين^(٢) يرضون الكفاية إن كُفُوا
عَطَارِفُهُ^(٣) ساسوا البلادَ فأحسنوا
فمن يك منهم مُوسِراً يُفْشِ فضلَهُ
عديداً إذا أرفضت عصا المُتحلفِ
هضابُ أجا^(٤) أركانها لم تقصِّفِ
ويكفون ما وُلُّوا بغير تكلفِ
سياستها حتى أذرت لمُردِفِ^(٥)
ومن يك منهم مُعْسِراً يَتَعَفَّفِ

(١) أنضادُ القوم: جماعتُهم وعددهم. والنضدُ: الأعمام والأخوال المتقدمون في الشرف، والجمع أنضادٌ.

(٢) أجا: أحد جبلي طيء.

(٣) اليمُنُّ: البركة؛ وقد تكرر ذكره في الحديث. واليُمُنُّ: خلاف الشُّوم، ضده. يقال: يُمُنُّ، فهو مَيْمُونٌ، وَيَمْنُهُم فهو يامِنٌ. ابن سيده: يَمُنُّ الرجلُ يُمُنًا وَيَمِنَ وَيَمِنَ به واستيَمَنَ، وإنَّه لَمَيْمُونٌ عليهم. ويقال: فلان يَتِيَمُنُ برأيه أي يُتَبَرِّكُ به، وجمع المَيْمُونِ مَيَامِينُ. وقد يَمِنُهُ اللَّهُ يُمُنًا، فهو مَيْمُونٌ، واللَّهُ اليَامِنُ. الجوهري: يُمِنُ فلانٌ على قومه، فهو مَيْمُونٌ إذا صار مُبارَكًا عليهم، وَيَمْنُهُم، فهو يامِنٌ، مثل شَيْمٍ وشَامٍ. وَيَمِنْتُ به: تَبَرَّكْتُ.

(٤) العِطْرِيفُ: السيّد، وفرخ البازي. والعَطْرِفَةُ والتَّعَطُّرُفُ والتَّعَتُّرُفُ: التكبر.

(٥) ترادفوا: تتابعوا، والمردف التابع.

وإن تُبْسَطِ الثُّعْمَى لَهُمْ يَنْسُطُوا بِهَا أَكْفًا سِبَاطًا^(١) نَفْعُهَا غَيْرُ مُقَرَّفٍ^(٢)
 وإن تُزَوَّ عَنْهُمْ لَا يَضِجُوا وَتُلْفِيهِمْ قليلي التشكي عندها والتكْلَفِ
 إذا انصرفوا للحقَّ يوماً تَصَرَّفُوا إذا الجاهل الحيران لم يتصرَّفِ
 سَمَوْا فَعَلُّوا فَوْقَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا بُنْيَانِ عَالٍ مِنْ مُنِيفٍ وَمُشْرِفٍ

[الطويل]

قال: وكتب له بأن يُعْطَى أربعمائة شاةٍ وثلاثين لِفَحَةً^(٣) مما يُوطِنُ السَّيَالَةَ^(٤)، وأعطاه هو خمسمائة دينار؛ وأعطاه يزيدٌ مائتي دينار. ثم قَدِمَ بكتاب مُعَاوِيَةَ إلى الوليد، فطاف به في المسجد، وأبْطَلَ ذلك الحدَّ عنه، وأعطاه ما كتب به له مُعَاوِيَةَ. وكتب مُعَاوِيَةَ إلى مَرْوَانَ يلومه فيما يفعله بابن سِيحَانَ، وما أَرَادَهُ بذلك. ودعا الوليدُ عبد الرحمن بن سِيحَانَ إلى أن يعود للشرب معه؛ فقال: واللَّهِ لَا ذُقْتُ مَعَكَ شَرَابًا أَبَدًا.

[ضربه مروان الحد فأبطله معاوية]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثَنَا أَبُو مسلم الغِفَارِيُّ قال: حَدَّثَنِي موسى بن عبد العزيز قال: أَخَذَ ابْنُ سِيحَانَ الْجَسْرِيَّ - هَكَذَا قَالَ وَهُوَ غُلَطٌ - فِي شَرَابٍ فِي إِمَارَةِ مَرْوَانَ، وَكَانَ حَلِيفًا لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، فَضَرَبَهُ مَرْوَانَ ثَمَانِينَ سَوْطًا عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ، فَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ يَشْكُوهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ: أَمَّا بَعْدَ فَإِنَّكَ أَخَذْتَ حَلِيفَ حَرْبٍ فَضَرَبْتَهُ ثَمَانِينَ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ، وَاللَّهِ لَتُبْطِلَنَّهَا عَنْهُ، أَوْ لَاقِيْدَنَّهُ مِنْكَ؛ فَقَالَ مَرْوَانَ لِابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ: مَا تَرَى؟ قَالَ: أَرَى وَاللَّهِ أَلَّا تَفْعَلَ؛ قَالَ: وَيْحَكَ! أَنَا أَعْلَمُ بِعِزَمَاتِ مُعَاوِيَةَ مِنْكَ، فَصَعِدَ الْمُبْتَرَّ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا كُنَّا ضَرْبْنَا ابْنَ سِيحَانَ بِشَهَادَةِ رَجُلٍ مِنَ الْحَرَسِ وَوَجَدْنَاهُ غَيْرَ عَدْلٍ وَلَا رِضًا، فَاشْهَدُوا أَنِّي قَدْ أَبْطَلْتُ ذَلِكَ الْحَدَّ عَنْهُ.

أخبرني أحمد قال: حَدَّثَنَا عمر قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قال: حَدَّثَنِي عبد العزيز بن عِمْرَانَ قال: ضَرَبَ مَرْوَانَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سِيحَانَ فِي الْخَمْرِ ثَمَانِينَ

(١) إِنَّهُ لَسَبَطَ الْأَصَابِعَ أَيَّ طَوِيلُهَا، وَسَبَطَ الْيَدَيْنِ أَيَّ سَمَحُ الْكَفَيْنِ.

(٢) مقرف: المشوب بالأمر الشائن.

(٣) اللَّفْحَةُ: الناقَةُ الْحَلُوبُ، فَإِذَا جُعِلَ نَعْتًا قِيلَ: نَاقَةٌ لَفُوحٌ، وَلَا يَقَالُ: نَاقَةٌ لِفَحَةٌ. وَيُقَالُ: هَذِهِ لِفَحَةٌ بَنِي فَلَانٍ. وَاللَّقَاحُ: جَمْعُ اللَّفْحَةِ.

(٤) السَّيَالَةُ: أَرْضٌ يَطُورُهَا طَرِيقُ الْحَاجِّ، قِيلَ: هِيَ أَوَّلُ مَرَحَلَةٍ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ إِذَا أَرَادُوا مَكَّةَ.

سَوَاطًا، فكتب إليه معاوية: أما بعد، فَإِنَّكَ ضَرَبْتَ عبد الرحمن في نبيذ أهل الشام الذي يستعملونه وليس بحرام، وَإِنَّمَا ضَرَبْتُهُ حَيْثُ كَانَ حِلْفُهُ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ كَانَ حَلِيفًا لِلْحَكَمِ مَا ضَرَبْتُهُ، فَأَبْطُلَ عَنْهُ الْحَدُّ قَبْلَ أَنْ أَضْرِبَ مِنْ أَخَذَ مَعَهُ: أَخَاكَ عبد الرحمن بْنَ الْحَكَمِ؛ فَأَبْطُلَ مَرْوَانُ عَنْهُ الْحَدُّ؛ فَقَالَ ابْنُ سَيْحَانَ فِي ذَلِكَ يَذْكُرُ حِلْفَهُ:

وَإِنِّي أَمْرٌ عَقْدِي إِلَى أَفْضَلِ الْوَرَى عَدِيدًا إِذَا أَرَفَضْتُ عَصَا الْمُتَحَلِّفِ

[الطويل]

وقال الطوسي: كان عبدُ الرحمن بْنُ الْحَكَمِ أَخُو مَرْوَانَ يَشْرِبُ مَعَ ابْنِ سَيْحَانَ، فَلَمَّا ضَرَبَهُ مَرْوَانُ الْحَدَّ كَتَبَ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ: وَاللَّهِ لَتُبْطِلَنَّ عَنْهُ أَوْ لِأَبْعَثَنَّ إِلَى أَخِيكَ مَنْ يَضْرِبُ ظَهْرَهُ بِالسَّوِطِ فِي السُّوقِ، أَلَيْسَ ابْنُ سَيْحَانَ الَّذِي يَقُولُ:

سَمَوْتُ بِحَلْفِي لِلطَّوَالِ مِنَ الرَّبِيِّ وَلَمْ تَلْقِنِي قِنًا لَدَى مَبْرَكِ الْجَرْبِ
إِذَا مَا حَلِيفُ الدُّلِّ أَقْمَأُ^(١) شَخْصَهُ وَدَبَّ كَمَا دَبَّ الْحَسِيرُ^(٢) عَلَى نَقَبٍ^(٣)
وَهَضْتُ^(٤) الْحَصَى لَا أَخْسِ^(٥) الْأَنْفَ قَابِعًا إِذَا أَنَا رَاخِي لِي خِنَاقِي بَنُو حَرْبٍ

[الطويل]

[كان مع سعيد بن عثمان حين قتله وهرب عنه ثم رثاه]

أخبرني الحرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ وَأَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الطُّوسِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي مُضْعَبٌ وَغَيْرُهُ قَالُوا: قَدِمَ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ الْمَدِينَةَ فَقَتَلَهُ غُلَمَانٌ جَاءَ بِهِمْ مِنَ الصُّغْدِ^(٦)، وَكَانَ مَعَهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أُرطَاةَ بْنُ سَيْحَانَ حَلِيفُ بَنِي حَرْبِ بْنِ أُمِيَّةَ، فَهَرَبَ عَنْهُ لَمَّا قَتَلُوهُ، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ يَرِثِي سَعِيدَ بْنَ عُثْمَانَ - وَعُثْمَانُ أَخُوهُ لِأُمِّهِ - :

يَا عَيْنُ جُودِي بَدَمَعَ مِنْكَ تَهْتَانَا^(٧) وَابْكِي سَعِيدَ بْنَ عُثْمَانَ بْنَ عَقْنَانَ

(١) قَمَأً: هُوَ صَاغِرٌ قَمِيٌّ، وَقَدْ قَمِئَ قَمَاءً وَقَمَأَ قَمًا إِذَا ذَلَّ وَصَغُرَ فِي الْأَعْيُنِ، وَتَقُولُ: فَلَانُ قَمِيٍّ، إِلَّا أَنَّهُ كَمِيٍّ.

(٢) بَصْرٌ حَسِيرٌ، كَلِيلٌ.

(٣) النَّقَبُ وَالنَّقَبُ: طَرِيقٌ ظَاهِرٌ عَلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ وَالْأَكَامِ وَالرُّوَابِي لَا يَزُوجُ عَنِ الْأَبْصَارِ، وَهُوَ الْمَنْقَبَةُ أَيْضًا.

(٤) الْوَهْصُ: كَسْرُ الشَّيْءِ الرُّخْوُ؛ وَقَدْ وَهَصَهُ وَهْصًا فَهُوَ مُوْهَوِصٌ وَوَهِيصٌ: دَقُّهُ وَكَسْرُهُ.

(٥) الْخَسَنُ: تَأَخَّرَ الْأَنْفَ عَنِ الْوَجْهِ مَعَ ارْتِفَاعٍ قَلِيلٍ فِي الْأَرْنَبَةِ. وَالرَّجُلُ أَخْسَنُ، وَالْمَرْأَةُ خَنْسَاءُ.

(٦) الصُّغْدُ: نَاحِيَةُ كَثِيرَةُ الْمِيَاهِ نَضْرَةُ الْأَشْجَارِ مُؤَنَّقَةُ الرِّيَاضِ تَمْتَدُّ مَسِيرَةً خَمْسَةَ أَيَّامٍ لَا تَقَعُ الشَّمْسُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَرَاضِيهَا وَلَا تَبِينُ الْقُرَى مِنْ خِلَالِ أَشْجَارِهَا وَقَصَبَتِهَا سَمَرَقَنْدَ.

(٧) قَالَ النَّضْرُ: التَّهْتَانُ مَطَرٌ سَاعَةٌ ثُمَّ يَفْتَرُ ثُمَّ يَعُودُ.

إِنَّ ابْنَ زَيْنَةَ لَمْ تَصْدَقْ مَوَدَّتَهُ وَفَرَّ عَنْهُ ابْنُ أَرْطَاةَ بْنِ سَيْحَانَ
[البسيط]

فقال ابن سَيْحَانَ يَعْتَذِرُ مِنْ ذَلِكَ :

يَقُولُ رَجُلًا قَدْ دَعَاكَ فَلَمْ تُجِبْ وَذَلِكَ مِنْ تَلْقَاءِ مِثْلِكَ رَائِعُ
فَإِنْ كَانَ نَادَى دَعْوَةً فَسَمِعْتُهَا فَشَلَّتْ يَدَيَّ وَاسْتَكَّ^(١) مِنْهُ الْمَسَامِعُ
وإِلَّا فَكَانَتْ بِالَّذِي قَالَ بَاطِلًا وَدَارَتْ عَلَيْهِ الدَّائِرَاتُ الْقَوَارِعُ
يَلُومُونَنِي أَنْ كُنْتُ فِي الدَّارِ حَاسِرًا وَقَدْ فَرَّ عَنْهُ خَالِدٌ وَهُوَ دَارِعُ
[الطويل]

فقال بعض الشعراء يجيبه :

فَإِنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَلَكِنْ رَأَيْتَهُ بَعَيْنِيكَ إِذْ مَجْرَاكَ فِي الدَّارِ وَاسِعُ
وَأَسْلَمْتَهُ لِلضُّعْدِ تَدْمِي كُلُّوْمُهُ^(٢) وَفَارَقْتَهُ وَالصَّوْتُ فِي الدَّارِ شَائِعُ
وَمَا كَانَ فِيهَا خَالِدٌ بِمَعْذَرٍ^(٣) سِوَاءِ عَلَيْهِ صَمٌّ أَوْ هُوَ سَامِعُ
فَلَا زِلْتُمَا فِي غُلٍّ سَوْءٍ بِعَبْرَةٍ وَدَارَتْ عَلَيْكُمْ بِالشَّمَاتِ الْقَوَارِعُ
[الطويل]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا الْكَرَانِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عَنْ الْعُثْبِيِّ قَالَ : لَمَّا قُتِلَ
سَعِيدُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ قَالَتْ أُمُّهُ : أَشْتَهِي أَنْ يَرِثِيهِ شَاعِرٌ كَمَا فِي نَفْسِي حَتَّى أُعْطِيَهُ
مَا يَحْتَكَمُ ؛ فَقَالَ ابْنُ سَيْحَانَ :

إِنْ كُنْتُ بِأَكْيَافَةٍ فَتَّى فَبَاكِ هَبِلْتُ^(٤) عَلَى سَعِيدِ
فَارَقْتَ أَهْلَكَ بِغَتَّةٍ وَجَلَبْتُ حَتْفَكَ مِنْ بَعِيدِ
أَذْرِي دَمَوْعَكَ وَالِدَمَا عَلَى الشَّهِيدِ ابْنِ الشَّهِيدِ
[مجزوء الكامل]

فَقَالَتْ : هَكَذَا كُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يُقَالَ فِيهِ ، وَوَصَلَتْ ابْنُ سَيْحَانَ ، وَكَانَتْ تَنْدُبُهُ
بِهَذَا الشَّعْر .

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو فِي رَوَايَتِهِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا عَنْ عَمِّي عَنْ الْحَزَنْبَلِ عَنْ عَمْرٍو بْنِ أَبِي

(١) اسْتَكَّ : صَمِتَ وَضَاقَتْ .

(٢) كُلُّوْمُهُ : جُرُوحُهُ . (٣) مَعْذَرُ : الَّذِي لَمْ يَثْبُتْ لَهُ عَذْرُ .

(٤) هَبِلْتُهُ أُمُّهُ : ثَكَلَتْهُ . وَامْرَأَةٌ هَابِلٌ وَهَبُولٌ ، وَفِي الدَّعَاءِ : هَبِلْتُ وَلَا يُقَالُ : هَبِلْتُ ، عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، قَالَ ثَعْلَبُ : الْقِيَاسُ هَبِلْتُ بِالضَّمِّ ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَدْعَى عَلَيْهِ بِأَنْ تَهَبِّلَهُ أُمُّهُ ، أَيْ تَثْكَلَهُ .

عمرو عن أبيه قال: جلس ابنُ سَيحان وخالدُ بن عُقبة بعد مقتل سعيد بن عثمان يتحدثان، فجرى ذكره فبكيا جميعاً عليه، فقال ابن سَيحان يرثيه:

ألا إن خيرَ الناس إن كُنتَ سائِلاً سعيدُ بنُ عثمانَ القَتيلُ بلا دَخلٍ^(١)
تداعت عليه عُضْبَةٌ فارسيَّةٌ فأضحى سعيدٌ لا يَمُرُّ ولا يُحلي
[الطويل]

وقال خالد بن عقبة:

ألا إن خيرَ الناس نفساً ووالداً سعيدُ بن عثمانٍ قتيلُ الأعاجِمِ
بَكَتْ عَيْنُ من لم يَبْكِهِ وَسَطٌ يَثْرِبُ مدى الدهر منه بالدموع السَّواجِمِ^(٢)
فإن تَكُنِ الأيامُ أردتَ صروفُها سعيداً، فَمَنْ هذا عليها بسالم
[الطويل]

قال الحَزَنبُلُ: أنشدني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه لابن سَيحان قال عمي:
وأنشدني السُّكَّرِيُّ عن ابن حبيب والطُّوسِيِّ له:

صوت

رَحِمَ اللَّهُ صاحِبِي ابْنِي الحَا رِثْ إِذِ يَنْهَيَانَنِي أَنْ أَبُوحَا
بِالْتِي تَيَّمْتُ فَوَادِي وَأَنْ أَذْ رِي دَمُوعِي عَلَى رِدَائِي سُفُوحَا^(٣)
فِي مَغَانِي مَنَازِلٍ مِنْ حَبِيبٍ بَاشَرْتُ بَعْدَهُ قِطَاراً^(٤) وَرِيحَا
وَلَقَدْ قُلْتُ لِلْفَوَادِ وَلَكِنْ كَانَ قَدَمًا إِلَى هَوَاهُ جَمُوحَا
قُلْتُ أَقْصِرْ عَنْ بَعْضِ حُبِّكَ أَرَوْى إِنَّ بَعْضَ الْحَبَابِ^(٥) كَانَ فُضُوحَا
فَعَصَانِي، فَلَيْسَ يَسْمَعُ قَوْلًا مِنْ حِمَامٍ عَلَى الْأَرَاكِ، جُنُوحَا
أَمْ يَحْيَى تَقَبَّلَ اللَّهُ يَحْيَى بِقَبُولٍ كَمَا تَقْبَلُ نُوحَا
أَمْ يَحْيَى لَوْلَا طِلَابُكَ قَدْ سَخَا تُمْ مَعَ الْوَحْشِ أَوْ لَيْسَتْ الْمُسُوحَا^(٦)
وَلَقَدْ قُلْتُ لَا أَحْدَثُ سِرًّا سِرًّا أُخْرَى مَا دُمْتُ أَمْشِي صَحِيحَا
[الخفيف]

(٢) السواجم: الغزيرة.

(١) الذحل: الثأر.

(٤) قطار: جمع قطرة وهي المطر.

(٣) سفح الدمع سفوحاً: صبه صباً.

(٦) المسوح: من مسح وهو الكساء من الشعر.

(٥) الحباب: الحب والمودة.

الغناء لمعبد خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلَ بالسَّبابَةِ في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس .
وفيه للعرِض ثَقِيلٌ أَوَّلُ عن الهشامي . وفيه لِزُرَيْقِ رَمَلٌ .

قال أبو عمرو: وابنُ سِيحان الذي يقول:

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَظْعَا نُ إِذْ جَاوَزْنَ مُطَّلَحَا

[مجزوء الوافر]

[بنو مطيع وذمه لهم]

والناس يَزُؤُونَهُ لِعَمَرَ بن أبي ربيعة لغلَبته على أهل الحجاز جميعاً . وقال أبو عمرو في خبره: كان ابنُ سِيحان يحدث قال: كُنْتُ أَلْفُ من قريش أهلَ بيتين سوى من كُنْتُ منقطعاً إليه من بني أمية: بني عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وبني مُطِيع، فلما ضربني مروانُ الحدَّ جِئْتُ فَجَلَسْتُ إلى بني مُطِيع كما كُنْتُ أَجْلِسُ، فلما رَأَوْنِي عَرَفْتُ الكراهَةَ في وجوهِهِمْ، واللَّهِ ما أَقْبَلُوا بوجوهِهِمْ عَلَيَّ بحديثهم ولا وَسَّعُوا لي، فانصرفتُ وَرُحْتُ إلى بني عبد الرحمن، فلما رَأَوْنِي أَقْبَلُوا بوجوهِهِمْ عَلَيَّ وَحَيُّوا وَرَحَّبُوا وَسَهَّلُوا وَوَسَّعُوا، ورفعوني إلى حيثُ لم أَكُنْ أَجْلِسُ وأَقْبَلُوا عَلَيَّ بوجوهِهِمْ يحدثونني، وقالوا: لعلَّكَ خَشَعْتَ للذي لَحِقَّكَ، أما واللَّهِ لقد علم الناسُ أَنَّكَ مَظْلُومٌ، وظَلَمُوا^(١) مروان في فعلِهِ، ورأوا أَنَّهُ قد أَسَاءَ وَأَخْطَأَ في شَأْنِكَ، وقالوا: ما ضَرَّكَ ذلك ولا نَقَصَكَ ولا زادَكَ إلا خيراً، ولم يزالوا حتى بسطوني، فَقُلْتُ أمدحهم وأذمُ بني مُطِيع:

لَقَدْ حَرَّمْتُ وَذَّ بَنِي مُطِيع حَرَامَ الدُّهْنِ لِلرَّجُلِ الْحَرَامِ
وَإِنْ جَنَفَ^(٢) الزَّمانُ مَدَدْتُ حَبَالاً متيناً من حبالِ بني هشام
رَطِيبٌ عودُهُمْ أَبَدًا وَرَيْقٌ إذا ما اغْبَرَّ عِيدَانُ اللَّئِمِ
[الوافر]

[ما وقع له مع امرأته بسبب سكره]

وقال أبو عمرو في خبرِهِ: كان عبد الرحمن بن سِيحان يُنادِمُ الوليد بن عثمان على الشراب فيبيتُ عنده خوفاً من أن يَظْهَرَ وهو سَكْرانٌ فيُحَدِّدُ، فقالت له امرأته: قد

(١) اتهموه بالظلم .

(٢) الْجَنَفُ: المَيْلُ، وقد جَنَفَ بالكسر يَجْنُفُ جَنْفًا . ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنْفًا﴾ . ويقال: أَجْنَفَ الرجلُ، أي جاء بالَجَنْفِ، كما يقال أَلَامَ، أي أتى بما يُلَامُ عليه؛ وأَخْسَ أي أتى بخسيس . وتَجَانَفَ لِإِثْمٍ، أي مالَ . ورجلٌ أَجْنَفُ، أي منحني الظهر .

صرت لا تبيت في منزلك وأظنك قد تزوجت، وإلا فما مبيتك عن أهلِكَ! فقال لها:
 لا تَعْدِمِينِي نَدِيماً ماجداً أنفاً لا قائلاً قاذفاً خلقاً بُهتاناً
 أغرّ راووقه^(١) ملآن صافية تنفي القذى^(٢) عن جبين غير خزيان^(٣)
 سبيئة^(٤) من قُرى بيروت صافية عذراء أو سبيئت من أرض بيسان^(٥)
 إنا لنشربها حتى تميل بنا كما تمايل وسنان بوسنان^(٦)
 [البسيط]

[حثة ابن عمه على شرب الخمر]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه
 عن عاصم بن الحذثان قال: كان ابن سيحان صاحب شراب، فدخل على ابن عم له
 يُقال له الحارث بن سريع فوجده يشرب نبيذ زبيب، فجعل يعظه ويأمره بشرب
 الخمر، وقال له: يابن سريع، إن كنت تشربه على أن نبيذ الزبيب حلال فإنك أحق،
 وإن كنت تشربه على أنه حرام تستغفر الله منه وتنوي التوبة فاشرب أجوده فإن الوزر
 واحد، ثم قال:

دع ابن سريع شرب ما مات مرة وخُذها سُلَفاً حية مُزّة الطعم
 تدعك على مُلك ابن ساسان قادراً إذا حرمت قُرأونا حلب الكرم
 فشتان بين الحي والميت فاعتزم على مُزّة صفراء راووقها يهمي
 فإن سريعا كان أوصى بحبها بنيه وعمي جاوز الله عن عمي
 ويارب يوم قد شهدت بني أبي عليها إلى أن غاب تالية^(٧) النجم
 حسوها صلاة العصر والشمس حية تُدار عليهم بالصغير وبالضخم

(١) روق الشراب: صيره رائقاً بالتصفية، وقد راق الشراب وتروق، وشراب رائق، ومسك رائق: خالص.

(٢) القذى: ما يقع في العين.

(٣) غير خزيان: غير مقهور.

(٤) سبأ: ذهبوا أيدي سبا. وسبأ الخمر سباء. قال لبيد: أغلي السباء بكل أدكن عاتق. قال أبو عبيدة: سبأها: اشتراها للشرب لا للبيع، واستبأها لنفسه. وعنده سبيئة بابلية. وتقول: ما تسبأ لكم الراح، ولكن تسبي منكم الأرواح.

(٥) بيسان: قرية من الأردن بغور الشام.

(٦) الوسنان: النائم، الذي لم يستغرق في نومه.

(٧) توالي كل شيء آخره، وتاليات النجوم أخرها.

فماتوا وعاشوا والمُدامةُ بينهم مُشْعَشَعَةٌ^(١) كالنجم تُوصَفُ بالوهم
[الطويل]

أخبرني محمد بن مَزِيد قال: حَدَّثَنَا حَمَّادُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَاصِمِ بْنِ الْحَدَّثَانِ قَالَ:
كَانَ ابْنُ سَيْحَانَ حَلِيفَ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ يُنَادِمُ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، وَيَشْرَبُ مَعَهُ
الْخَمْرَ، وَهُوَ الْقَائِلُ:

أَصْبَحَ نَدِيمَكَ مِنْ صَهْبَاءٍ صَافِيَةٍ حَتَّى يَرَوْحَ كَرِيمًا نَاعِمَ الْبَالِ
وَاشْرَبْ هُدَيْتَ أَبَا وَهْبٍ مُجَاهِرَةً وَاخْتَلْ فَإِنَّكَ مِنْ قَوْمِ أُولِي خَالٍ^(٢)
أَنْتَ الْجَوَادُ أَبَا وَهْبٍ إِذَا جَمَدَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ بِمَا تَحْوِيهِ مِنْ مَالِ
لَوْلَا رَجَاؤُكَ قَدْ شَمَّرْتُ مَرْتَحِلًا عُنُسًا^(٣) تُعَاقِبُ تَخْوِيدًا^(٤) بِإِرْقَالِ^(٥)
لَمَّا تَوَاصَوْا بِقَتْلِي قُمْتُ مُعْتَزِمًا حَتَّى حَمَيْتُ مِنَ الْأَعْدَاءِ أَوْصَالِي
عَمِ الْوَلِيدُ بِمَعْرُوفِ عَشِيرَتِهِ وَالْأَبْعَدُونَ حَظُّوا مِنْهُ بِإِفْضَالِ
[البسيط]

[شعره في الوليد وقد حماه من أخواله]

قال: وكان ابن سَيْحَانَ قد ضَرَبَ رَجُلًا مِنْ أَخْوَالِهِ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَ يَدَهُ وَلَمْ تَقُمْ
عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ، فَتَأَمَّرَ بِهِ الْقَوْمُ وَمَنَعَ مِنْهُ ابْنُ خَالٍ لَهُ مِنْهُمْ؛ وَخَافَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ أَنْ يَرْجِعَ
إِلَى الْمَدِينَةِ هَارِبًا مِنْهُمْ وَخَوْفًا مِنْ جَنَائِثِهِ عَلَيْهِمْ فَيَفَارِقُهُ وَيَنْقَطِعَ عَنْهُ، فَدَعَاهُمْ وَأَرْضَاهُمْ
وَأَعْطَاهُمْ دِيَّةَ صَاحِبِهِمْ. فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَ الْوَلِيدِ حَتَّى عُزِلَ وَهُوَ نَدِيمُهُ وَصَفِيُّهُ. وَهُوَ الْقَائِلُ
فِي الْوَلِيدِ - وَفِيهِ غَنَاءٌ -:

- (١) مشعشعة: ممزوجة.
- (٢) الخال: التعجرف والكبر.
- (٣) العُنُسُ: الناقة الصلبة، ويقال: هي التي اغتَوَسَ ذَنْبُهَا، أَيْ وَفَرَ. وَعَنَسَتْ الْجَارِيَةُ تَعْنُسُ بِالضَّمِّ
عُنُوسًا وَعِنَاسًا، فَهِيَ عَانِسٌ، وَذَلِكَ إِذَا طَالَ مَكْثُهَا فِي مَنْزِلِ أَهْلِهَا بَعْدَ إِدْرَاكِهَا حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ
عَدَادِ الْأَبْكَارِ. هَذَا مَا لَمْ تَتَزَوَّجْ، فَإِنْ تَزَوَّجَتْ مَرَّةً فَلَا يَقَالُ عَنَسَتْ.
- (٤) عنده خود فتق: شابة ناعمة. وتخود الغصن: تميل. وخودت الإبل في السير: اهتزت من
النشاط، وسيرها تخويد، وخودت تخويد النعام.
- (٥) أَرْقَلَ: أَسْرَعَ، وَقَدْ أَرْقَلَتِ النَّاقَةُ إِزْقَالًا، وَقِيلَ: الْإِرْقَالُ ضَرْبٌ مِنَ الْحَبَبِ، وَرَوَى أَبُو عُبَيْدٍ عَنْ
أَصْحَابِهِ: الْإِرْقَالُ، وَالْإِجْدَامُ، وَالْإِجْمَارُ: سُرْعَةُ سَيْرِ الْإِبِلِ. وَفِي حَدِيثٍ قُسِّ ذِكْرُ الْإِرْقَالِ، وَهُوَ
ضَرْبٌ مِنَ الْعَدْوِ، فَوْقَ الْحَبَبِ.

صوت

بات الوليدُ يعطيني مُشْعَشَعَةً حتى هَوَيْتُ صريعاً بين أصحابي
[البسيط]

في الغناء: بات الكريم يعطيني.

لا أَسْتَطِيعُ نُهَوْضاً إِنْ هَمَمْتُ بِهِ وما أَنُهْنَه من حَسْوٍ وَتَشْرَابِ
حتى إِذَا الصَبْحُ لَاحَتْ لِي جَوَانِبُهُ وَلَيْتُ أَسْحَبُ نَحْوَ الْقَوْمِ أَثَوَابِي
كَأَنَّنِي مِنْ حُمَيَّا كَأْسِهِ جَمْلٌ صَحَّتْ قَوَائِمُهُ مِنْ بَعْدِ أَوْصَابِ
[البسيط]

ويروى:

كَأَنَّنِي مِنْ حُمَيَّا كَأْسِهِ ظَلِغُ
الغناء لِيَحْيِيَ الْمَكِّي - وَرُوي: ضَلَع - خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنِ الْهَشَامِيِّ وَبَذَلَ
قال: قالت بَذَلَ: وفيه لَحْنٌ آخَرُ لِيَحْيِي، ولم تذكر طريقته.

[خبره مع سعيد بن العاص]

أخبرني محمد بن مَزِيد قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قال: حَدَّثَنِي أَبُو فَهْرَةَ قال:
دخل عبد الرحمن بن أرتاة على سعيد بن العاص وهو أمير المدينة؛ فقال له: أَلَسْتُ
القائل:

إِنَّا لَنَشْرَبُهَا حَتَّى تَمِيلَ بِنَا كَمَا تَمِيلُ وَسَنَانٌ بَوْسَنَانِ
[البسيط]

فقال له عبد الرحمن: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَشْرَبَهَا وَأَنْعَتَهَا، وَلَكِنِّي الَّذِي أَقُولُ:

سَمَوْتُ بِحَلْفِي لِلطَّوَالِ مِنَ الذُّرَى وَلَمْ تَلْقَنِي كَالنَّسْرِ فِي مِلْتَقَى جَدِّ
إِذَا مَا حَلِيفُ الْقَوْمِ أَقْعَى^(١) مَكَانَهُ وَدَبَّ كَمَا يَمْشِي الْحَسِيرُ مِنَ النَّقْبِ
وَهَضْتُ^(٢) الْحَصَى لَا أَرْهَبُ الضِّيمَ قَائِماً إِذَا أَنَا رَاخِي لِي خِنَاقِي بَنُو حَرْبِ
[الطويل]

وقام يَجْرُ مِطْرَفُهُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ حَتَّى خَرَجَ. فَأَقْبَلَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ عَلَى أَبِيهِ فَقَالَ:
لَوْ أَمَرْتُ بِهَذَا الْكَلْبِ فَضْرَبَ مَائَتِي سَوْطٍ كَانَ خَيْراً لَهُ؛ فَقَالَ: يَا بَنِي، أَضْرِبْهُ وَهُوَ

(١) أَقْعَى: جَلَسَ عَلَى اسْتِهِ أَيْ عَلَى عَجْزِهِ.

(٢) الْوَهْضُ: كَسْرُ الشَّيْءِ الرَّخْوُ؛ وَقَدْ وَهَضَهُ وَهْضاً فَهُوَ مَوْهَوْضٌ وَوَهِيصٌ: دَفَّهَ وَكَسَرَهُ.

حليفُ حرب بن أُمَيَّة ومعاويةُ خليفةُ بالشَّام! إذاً لا يرضى! فلما حجَّ معاوية لقيه
بمنى، فقال: إيه يا سعيد! أمركَ أحْمَقُك بأن تضرب حليفي مائتي سوط! أما والله لو
جلدته سوطاً لجلدتك سوطين! فقال له سعيد: ولم ذاك؟ أو لم تجلد أنت حليفك
عمر بن جَبَلَة! فقال له معاوية: هو لحمي آكله ولا أوكله. قال: وكان ابن سِيحان قد
قال:

لا يَعدَمُنِّي نَدِيمِي ما جَدَّأَ أنْفاً لا قَائِلاً خالِطاً زوراً ببُهْتانِ
أغرَّ راوُوقُه^(١) مَلانَ صافيةً تَنفِي القَذَى^(٢) عن جَبِينٍ غير خَزِيانِ^(٣)
سَبِيئة^(٤) من قُرَى بَيروَت صافية أو التي سُبِئت من أرض بَيْسانِ^(٥)
إنّا لَنَشْرُبُها حتى تَمِيلَ بنا كما تَمِيلُ وسنانٌ بوسنانِ^(٦)

[البسيط]

انقضت أخباره.

أحد الأصوات من المائة المختارة

[من رواية علي بن يحيى]

صوت

يا خَلِيلِي هَجَّرَا كِي تَروحا هَجَّثْما لِلرَّواحِ قَلْباً قَريحا
إن تُريغا^(٧) لَتَعَلَّما سِرَّ سُعدي تَجِداني بِسِرِّ سُعدي شَحيحا
إن سُعدي لَمُنِيَّةُ الْمُتَمَنِّي جَمَعَت عِفَّةً وَوَجْهاً صَبيحا

(١) روق الشراب: صيره رائقاً بالتصفية، وقد راق الشراب وتروق، وشراب رائق، ومسك رائق: خالص.

(٢) القذى: ما يقع في العين.

(٣) غير خزيان: غير مقهور.

(٤) سبأ: ذهبوا أيدي سبا. وسبأ الخمر سباء. قال لبيد: أغلي السباء بكل أدكن عاتق. قال أبو عبيدة: سبأها: اشتراها للشرب لا للبيع، واستبأها لنفسه. وعنده سبيئة بابلية. وتقول: ما تسبأ لكم الراح، ولكن تسبى منكم الأرواح.

(٥) بيسان: قرية من الأردن بغور الشَّام.

(٦) الوسنان: النائم، الذي لم يستغرق في نومه.

(٧) تريغا: تبغيا وتريدا.

كَلَّمْتَنِي وَذَاكَ مَا نِلْتُ مِنْهَا إِنَّ سُعْدَى تَرَى الْكَلَامَ رَبِيحاً^(١)

[الخفيف]

الشعر لابن مَيَّادَةَ. والغناء لِحُنَيْنٍ، ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانه أن فيه لدَحْمَانٍ لحناً من الثقيل الأول بالبنصر، وأظنه هذا، وأنَّ عَمراً غلط في نسبته إلى دحمان.

(١) ربيحاً: الريح.

أخبار ابن ميادة ونسبه

نسبه

اسمه الرَّمَّاح بن أبرد بن ثوبان بن سُرَاقَة بن حَرْمَلَة، هكذا قال الزبير بن بَكَار في نسبه. وقال ابن الكلبي: ثوبان بن سُرَاقَة بن سلمى بن ظالم، ويُقال: سُرَاقَة بن قيس بن سلمى بن ظالم بن جَذيمة بن يربوع بن غَيْظ بن مُرّة بن عَوْف بن سعد بن ذبيان بن بَغِيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر.

[كان يزعم أن أمه فارسية]

وأمه مَيَّادَة أم ولدٍ بَربريّة، ورُوي أنها كانت صَقْلِيَّة^(١). ويكنى أبا شَرَحِيل، وقيل: بل يكنى أبا شَراحيل. وكان ابنُ مَيَّادَة يزعم أن أمه فارسيّة، وذكر ذلك في شعره فقال:

أنا ابنُ أبي سلمى وَجَدَي ظالمٍ وأُمِّي حَصانٌ أَخْلَصَتْها الأَعاجمُ
أليسَ غلامٌ بينَ كَسرى وَظالمٍ بأَكرمٍ مَن نِيطَتْ^(٢) عَلَيهِ التَّمائمُ
[الطويل]

[كذبه موسى بن سيار أن أمه فارسية]

أخبرني بذلك الحرمي بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بَكَار قال: حدّثني أبو مَسَلَمَة مرهوب بن سيد وأخبرني الحرمي [قال: حدّثنا الزبير] قال: حدّثني موسى بن زُهَير الفزاريّ قال: أخبرني موسى بن سَيَّار بن نَجِيع المُنَزيّ قال: أنشدني ابن مَيَّادَة أبياته التي يقول فيها:

أليسَ غلامٌ بينَ كَسرى وَظالمٍ بأَكرمٍ مَن نِيطَتْ عَلَيهِ التَّمائمُ
[الطويل]

فَقُلْتُ له: لقد أَشَحَطَت بدار العجوز وأبعدت بها النُّجعة، فهَلَّا غَرَبَتْ (يريد أنها

(١) صَقْلَب: من الأندلس وهي تابعة لشتتين التي كانت تتميز بمناخها ووفرة الماء فيها.

(٢) النَّوْطُ: ما بين العَجَزِ والمَتْنِ. وكلُّ ما عُلِقَ من شيء فهو نَوْطٌ.

صَقْلِيَّةٌ ومحلها بناحية المغرب) فقال: إي بأبي أنت، إِنَّهُ من جاع انتجع، فدَعَهَا تَسِرُ في الناس فَإِنَّهُ «من يَسْمَعُ يَخْلُ»^(١). قال الزبير: قال ابن مَسْلَمَةَ: ولمَّا قال ابن مَيَّادَةَ هذه الأبيات قال الحكم الخُضْرِيُّ يَرُدُّ عليه:

[رد عليه الحكم الخضري فخره بأمه وهجاه]

وَمَا لَكَ فِيهِمْ مِنْ أَبٍ ذِي دَسِيعَةٍ^(٢) وَلَا وَلَدَتَكَ الْمُحْصَنَاتُ الْكَرَائِمُ
وَمَا أَنْتَ إِلَّا عَبْدُهُمْ إِنْ تُرِبُهُمْ مِنْ الدَّهْرِ يَوْمًا تَسْتَرِبُكَ^(٣) الْمَقَاسِمُ
رَمَى نَهْهَلٌ^(٤) فِي فَرْجِ أُمِّكَ رَمِيَّةً بِحَوْقَاءَ^(٥) تَسْقِيهَا الْعُرُوقُ الثَّوَاغِمُ^(٦)
[الطويل]

قال أبو مَسْلَمَةَ: وَنَهْهَلٌ عَبْدٌ لِبْنِي مُرَّةَ كَانَتْ مَيَّادَةَ تَزَوَّجَتْهُ بَعْدَ سَيِّدِهَا، وَكَانَتْ صَقْلِيَّةً. وَابْنُ مَيَّادَةَ شَاعِرٌ فَصِيحٌ مُقَدَّمٌ مُحْضَرٌّ مِنْ شِعْرَاءِ الدَّوْلَتَيْنِ. وَجَعَلَهُ ابْنُ سَلَامٍ فِي الطَّبَقَةِ السَّابِعَةِ، وَقَرَنَ بِهِ عُمَرُ بْنُ لَجْأٍ وَالْعُجَيْفُ الْعُقَيْلِيُّ وَالْعُجَيْرُ السَّلُولِيُّ.

[كان يتعرض للهجاء ويساب للناس]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ السُّكْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: كَانَ ابْنُ مَيَّادَةَ عَرِيضاً لِلشَّرِّ، طَالِباً مُهَاجَةً الشُّعْرَاءِ وَمُسَابَّةً النَّاسِ. وَكَانَ يَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى جَنْبِ أُمِّهِ وَيَقُولُ:

إِعْرَنْزِمِي^(٧) مَيَّادَ لِّلْقَوَافِي

[الرجز]

أَيُّ إِنِّي سَاهَجُوا النَّاسَ فِيهِجُونَكَ.

وَأَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَبِي هَفَّانَ بِهَذِهِ الْحِكَايَةِ مِثْلَهُ، وَزَادَ فِيهَا:

- (١) ورد في مجمع الأمثال في باب ذم المخالطة وما يجب من اجتنابهم: من يسمع بخل. يقول: من يسمع أخبار الناس ومعائبهم يقع في نفسه عليهم المكروه. ومعناه إِنَّ المجانبة للناس أَسْلَمَ.
- (٢) الدَّسِيعَةُ: مائدة الرَّجُلِ إِذَا كَانَتْ كَرِيمَةً. قَالَ أَبُو لَيْلَى: الدَّسِيعَةُ: كُلُّ مَكْرَمَةٍ يَفْعَلُهَا الرَّجُلُ. قَالَ: ضَخَمَ الدَّسِيعَةَ حَمَالٌ لِأَثْقَالِ وَرَجُلٌ ذُو دَسِيعَةٍ، أَي: ذُو مَكْرَمَةٍ.
- (٣) تَسْتَرِبُكَ: تَجْعَلُكَ تَمِيلَ.
- (٤) نَهْهَلٌ فَلَانٌ إِذَا أَسَنَّ وَنَهَبَلَتْ فُلَانَةً، وَشَيَخٌ نَهْبَلٌ.
- (٥) أَرْضٌ مُحَوَّقَةٌ: قَلِيلَةُ النَّبْتِ جِدًّا لِقَلَّةِ الْمَطَرِ.
- (٦) الثَّوَاغِمُ: دَائِمَةُ الصَّبِّ.
- (٧) اعْرَنْزِمِ: اشْتَدَّ وَصْلُبَ.

إِعْرَنْزِمِي مَيَّادَ لِّلْقَوَافِي وَاسْتَسْمِعِيهِنَّ وَلَا تَخَافِي
سَتَجِدِينَ أَبْنَكَ ذَا قِذَافٍ^(١)

[الرجز]

[ويقول لأمه اصبري على الهجو]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثنا داود بن عُلْفَةَ الأسدِي قال: جاورت امرأة من الخُضَر: «رَهْطُ الحَكَمِ الخُضَرِيّ» أبيات ابن مَيَّادَةَ، فجاءت ذات يوم تَطْلُبُ رَحَى وَثِفَالاً^(٢) لَتَطْحَنَ، فأعاروها إِيَّاهما؛ فقال لها ابن مَيَّادَةَ: يَا أُخْتَ الخُضَرِ، أَتُرَوِينَ شَيْئاً مما قاله الحَكَمُ الخُضَرِيّ لنا، يريد بذلك أن تسمع أمّه، فجعلت تأبى، فلم يزل حتى أنشدته:

أَمَيَّادُ قَدْ أَفْسَدَتْ سَيْفَ ابْنِ ظَالِمٍ بِبَظْرِكَ حَتَّى عَادَ أَثْلَمَ بِالْيَا

[الطويل]

قال: وميَّادَةَ جَالِسَةً تَسْمَعُ. فَضَحَكَ الرَّمَّاحُ، وَثَارَتْ مَيَّادَةُ إِلَيْهَا بِالْعُمُودِ تَضْرِبُهَا به وتقول: أَي زانية! هيا زانية! أَيْيَايَ تَعْنِينَ! وقام ابن مَيَّادَةَ يَخْلُصُهَا، فبعد لَأَيَّ^(٣) ما أنقذها، وقد انْتَزَعَتْ مِنْهَا الرَّحَى وَالثِّفَالَ.

[إنشاده شمايط هجاء أمه]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني أبو حَرْمَلَةَ مَنْظُور بن أَبِي عَدِيّ الْفَرَارِيّ قال: حدّثني شمايط - وهو الذي يقول:
أَنَا شَمَاطِيْطُ الَّذِي حُدِّثَ بِهِ مَتَى أَنْبَهَ لِلْعَدَاءِ أَنْتَبَهَ^(٤)
حَتَّى يُقَالَ شَرٌّ وَلَسْتُ بِهِ^(٥)

[الرجز]

- قال: كُنْتُ جَالِساً مع ابن مَيَّادَةَ فَوَرَدَتْ عَلَيْهِ أَبْيَاتُ للحَكَمِ الخُضَرِيّ يقول فيها:

(١) قِذَاف: ذَا نَضَالٍ وَمِرَامَاتٍ.

(٢) ابن سيده: الثُّفْلُ وَالثِّفَالُ: مَا وَقِيتَ بِهِ الرَّحَى مِنَ الْأَرْضِ، وَقَدْ ثَفَّلَهَا، فَإِنْ وَقِيَ الثُّفَالُ مِنَ الْأَرْضِ بِشَيْءٍ آخَرَ فَذَلِكَ الْوِفَاضُ، وَقَدْ وَفَّضَهَا.

(٣) لَأَيَّ: جَهْدٌ وَمَشَقَّةٌ.

(٤) الشُّمَاطِيْطُ: الْخَيْلُ الْمُتَفَرِّقَةُ، يُقَالُ: جَاءَتِ الْخَيْلُ شَمَاطِيْطاً، أَيَّ: مُتَفَرِّقَةً.

(٥) تنسب هذا الأبيات لإسحاق الموصلي.

أَنْتَ ابْنُ أَشْبَانِيَّةٍ أَذْلَجْتَ به إلى اللؤمِ مِثْلَاتٍ لئِمْ جَنِينُهَا [الطويل]

- أَشْبَانِيَّة: صَفْلَبِيَّة - قال: وأمه مِيَادَة تسمع فضرِب جنبها وقال:

إِعْرَنْزِمِي مَيَّادَ لِلْقَوَافِي

فَقَالَتْ: هذه جنائتك يابن مَنْ حَبَّتْ وَشَرَّ، وَأَهْوَتْ إِلَى عَصَا تُرِيدُ ضَرْبَهُ بِهَا؛ ففَرَّ مِنْهَا وَهُوَ يَقُول:

يَا صِدْقَهَا وَلَمْ تَكُنْ صَدُوقَا

فَصُحَّتْ بِهِ: أَيُّهُمَا الْمَعْنَى؟ فَقَالَ: أَضَرَّعُهُمَا خَدَّيْنِ وَالْأُمُّهُمَا جَدَّيْنِ؛ فَضَرَبْتُ جَنْبَهَا الْآخَرَ وَقُلْتُ: فَهِيَ إِذَا مَيَّادَة، وَخَرَجْتُ أَعْدُو فِي أَثَرِ الرَّمَّاحِ، وَتَبِعْتُنَا تَرْمِينَا بِالْحِجَارَةِ وَتَفْتَرِي عَلَيْنَا حَتَّى فُتْنَاهَا.

[أُمُّهُ مِيَادَة وَقِصَّةُ تَزْوِجِهَا أَبْرَد]

أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو دَاوُدَ الْفَزَارِيُّ: أَنَّ مِيَادَة كَانَتْ أُمَةً لِرَجُلٍ مِنْ كَلْبٍ زَوْجَةً لِعَبْدٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ نَهْبَلٌ، فَاشْتَرَاهَا بَنُو ثَوْبَانَ بْنِ سُرَاقَةَ فَأَقْبَلُوا بِهَا مِنَ الشَّامِ، فَلَمَّا قَدِمُوا وَصَبَحُوا^(١) بِهَا الْمُلَيْحَةَ «وَهِيَ مَاءَةُ لَبْنِي سَلْمَى وَرَحْلُ بْنُ ظَالِمِ بْنِ جَذِيمَةَ» نَظَرَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلْمَى إِلَيْهَا وَهِيَ نَاعِسَةٌ تَمْلِيلُ عَلَى بَعِيرِهَا، فَقَالَ: مَا هَذِهِ؟ قَالُوا: اشْتَرَاهَا بَنُو ثَوْبَانَ؛ فَقَالَ: وَأَبْيَكُمْ إِنَّهَا لَمِيَادَةٌ تَمِيدُ^(٢) وَتَمِيلُ عَلَى بَعِيرِهَا، فَغَلَبَ عَلَيْهَا «مِيَادَةٌ». وَكَانَ أَبْرَدُ ضِلَّةً مِنَ الضَّلَلِ^(٣) وَرِثَةً^(٤) مِنَ الرِّثَثِ جِلْفًا لَا تَخْلُصُ إِحْدَى يَدَيْهِ مِنَ الْآخَرَى، يَرْعَى عَلَى إِخْوَتِهِ وَأَهْلِهِ، وَكَانَتْ إِخْوَتُهُ كُلُّهُمْ طُرَفَاءَ غَيْرِهِ. فَأَرْسَلُوا مِيَادَةَ تَرْعَى الْإِبِلَ مَعَهُ فَوَقَعَ

(١) صَبَحُوا بِهَا الْمُلَيْحَةَ: أَتَوْهَا صَبَاحًا.

(٢) مِيدَ الْمَائِدَةِ: الْخَوَانُ، اسْتَقْتَتْ مِنَ الْمِيدِ وَهُوَ الذَّهَابُ وَالْمَجِيءُ وَالْاضْطِرَابُ، مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾. وَقِيلَ: تَمِيدُ الْأَكْلِينَ أَيُّ تُبِيرُهُمْ.

(٣) الضَّلَّةُ: الضَّائِعُ وَمَا لَا خَيْرَ فِيهِ.

(٤) «الرِّثْ» وَالرِّثَّةُ وَالرَّيْثُ: الْخُلُقُ الْحَسِيسُ «الْبَالِي» مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، تَقُولُ: ثَوْبٌ رِثٌ، وَحَبْلٌ رِثٌ، وَرَجُلٌ رِثٌ الْهَيْئَةُ فِي لُبْسِهِ، وَأَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُ فِيمَا يُلْبَسُ، وَالْجَمْعُ رِثَاتٌ، «كَالَارْثِ وَالرَّيْثِ». الرِّثُ: «السَّقَطُ مِنْ مَتَاعِ الْبَيْتِ»، مِنَ الْخُلُقَانِ «كَالرِّثَّةِ بِالْكَسْرِ، جَ رِثٌ وَرِثَاتٌ» مِثْلُ قُرْبَةٍ وَقَرَبٍ، وَرَهْمَةٍ وَرَهَامٍ، وَفِي الْحَدِيثِ: «عَفَوْتُ لَكُمْ عَنْ الرِّثَّةِ» وَهِيَ مَتَاعُ الْبَيْتِ الدُّونُ. وَفِي اللِّسَانِ: الرِّثُ وَالرِّثَّةُ جَمِيعًا: رَدْيُ الْمَتَاعِ، وَأَسْقَاطُ الْبَيْتِ مِنَ الْخُلُقَانِ.

عليها، فلم يشعروا بها إلا [حُبلى] قد أفعسها^(١) بطئها، فقالوا لها: لِمَنْ ما في بطنكِ . قالت: لأُبرد، وسألوه فجعل يسْكُت ولا يُجيبُهُمْ، حتى رمت بالرَّمَّاح فرأوا غُلاماً فدغماً^(٢) نجيباً، فأقرَّ به أبرد. وقالت بنو سلمى: ويلكم يا بني ثوبان! ابتطنوه فلعله يُنجِبُ؛ فقالوا: واللَّه ما له غير مَيَّادَة، فبنوا لها بيتاً وأقعدوها فيه، فجاءت بعد الرَّمَّاح بثوبان و خليل وبشير بني أبرد، وكانت أول نساءه وآخرهنَّ، وكانت امرأة صِدِّيقٍ، ما رُمِيَتْ بشيءٍ ولا سُبَّتْ إلا بنَهْبل .

[ابن حمراء العجان]

قال عبد الرحمن بن جُهيم الأسدي في هجائه ابن مَيَّادَة:

لَعَمْرِي لئن شابت حليلاً نَهْبلَ لَيْسَ شَبَابُ المرءِ كان شَبَابُهَا
ولم تدرِ حمراء العجان^(٣) أَنهْبلَ أبوه أم المُرِّيَّ تَبَّ تَبَابُهَا
[الطويل]

[هجا بني مازن فردَّ عليه رجل منهم]

قال أبو داود: وكان ابن مَيَّادَة هجا بني مازن وفَزارة بن دُبيان، وذلك أنهم ظلموا بني الصارد - والصارِد من مُرة - فأخذوا مالَهُم وغلَبوهم عليه حتى الساعة؛ فقال ابن مَيَّادَة:

فَلأُورِدَنَّ عَلَى جَماعَةٍ مازِنٍ خَيْلاً مُقِلَّصَةً^(٤) الخُصَى وَرِجالاً
ظَلَّوا بِذِي أُرْكٍ^(٥) كَأَنَّ رُؤُوسَهُمْ شَجَرَ تَخَطَّاهُ الرِّبِيعُ فَحالا
[الكامل]

فقال رجل من بني مازن يردُّ عليه:

يابن الخبيثة يابن طَلَّةٍ^(٦) نَهْبلٍ هلا جَمَعْتَ كما زَعَمْتَ رِجالاً

(١) القَعْسُ: نَقِيضُ الحَدَبِ. قَعَسَ قَعْساً فهو أَقْعَسُ، والأنثى قَعَسَاءُ، وَجَمْعُهُ قَعَسٌ.

(٢) فدغماً: لحيماً جسيماً.

(٣) العِجانُ: ما بين الخُصِيَّة والفَقْحة.

(٤) فرس مُقِلَّصٌ: طويل القوائم منضم البطن.

(٥) ذو أرك: موضع بين اليمامة والمدينة.

(٦) امرأة طلة: حسنة نظيفة، ومنه: طلة الرجل: لامراته. وتقول: أعجبتني طلله، وراقني هيكله؛ أي شخصه، ومنه: أطل علينا فلان: أوفى بطلله.

أَبْظَرَ^(١) مَيْدَةَ أُمِ بَخْصِيَّ نَهَبَلٍ أُمُ بِالْفُسَاةِ^(٢) تُنَازِلُ الْأَبْطَالَ
وَلَئِنْ وَرَدَتْ عَلَى جَمَاعَةِ مَازِنٍ تَبْغِي الْقِتَالَ لَتَلْقَيْنَ قِتَالًا

[الكامل]

قال: وبنو مِرَّةٍ يُسَمُّونَ الْفُسَاةَ لكَثْرَةِ امْتِيَارِهِمُ التَّمْرَ، وَكَانَتْ مَنَازِلُهُمْ بَيْنَ فِدْكَ وَخَيْبَرَ فَلَقَّبُوا بِذَلِكَ لِأَكْلِهِمُ التَّمْرَ. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ فِي خَبْرِهِ - وَلَمْ يَذْكُرْهُ عَنْ أَحَدٍ - : وَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ يَفْتَخِرُ بِأَمِهِ :

أَنَا أَبْنُ مَيَادَةَ تَهْوِي نُجُبِي صَلْتُ^(٣) الْجَبِينَ حَسَنُ مُرْكَبِي^(٤)
تَرْفَعُنِي أُمِّي وَيُنْمِينِي^(٥) أَبِي فَوْقَ السَّحَابِ وَدُوَيْنَ الْكَوْكَبِ

[الرجز]

قال يحيى بن عليٍّ في خبره عن حماد عن أبيه عن أبي داود الفزاري: إن ابن ميادة قال يفخر بنسب أبيه في العرب ونسب أمه في العجم:

أَلَيْسَ غُلَامٌ بَيْنَ كِسْرَى وَظَالِمٍ بِأَكْرَمَ مَنْ نِيَطَتْ عَلَيْهِ التَّمَائِمُ
لَوْ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ كَانُوا بِتَلْعَةٍ^(٦) وَجِئْتُ بِجَدِّي ظَالِمٍ وَأَبْنِ ظَالِمٍ
لَظَلَّتْ رِقَابُ النَّاسِ خَاضِعَةً لَنَا سُجُودًا عَلَى أَقْدَامِنَا بِالْجَمَاجِمِ

[الطويل]

[سمع الفرزدق شيئاً من شعره فانتحله]

فأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال: حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دِمَازُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: كَانَ ابْنُ مِيَادَةَ وَاقِعًا فِي الْمَوْسَمِ يُنْشِدُ:

لَوْ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ كَانُوا بِتَلْعَةٍ

(١) ثعلب عن ابن الأعرابي: الْبُظْرَةُ نَتْوٌ فِي الشِّفَةِ، وَتَصْغِيرُهَا بُظَيْرَةٌ، قَالَ: وَالْبُظْرَةُ - بِسُكُونِ الظَّاءِ - حَلْقَةُ الْخَاتَمِ بِلَا كَرْسِيٍّ، وَتَصْغِيرُهَا بِظَيْرَةٍ أَيْضًا. قَالَ: وَالْبُظَيْرَةُ تَصْغِيرُ الْبُظْرَةِ وَهِيَ الْقَلِيلَةُ مِنَ الشَّعْرِ فِي الْإِبْطِ يَتَوَانَى الرَّجُلُ عَنْ نَتْفِهَا، فَيَقَالُ: تَحْتَ إِبْطِهِ بُظَيْرَةٌ، قَالَ: وَالْبُظْرُ - بِالضَّادِ - نَوْفُ الْجَارِيَةِ قَبْلَ أَنْ تُخْفَضَ.

(٢) الْفُسُو: مَعْرُوفٌ، الْوَاحِدَةُ فَسُوَةٌ، وَالْجَمِيعُ الْفُسَاءُ، وَالْفَعْلُ: فَسَا يَفْسُو فَسُوءًا. وَالْفَسُو: اسْمُ لَزْمٍ حَيًّا مِنَ الْعَرَبِ مَعْرُوفِينَ يُقَالُ لَهُمُ: الْفُسَاةُ، وَهُمْ: عَبْدُ الْقَيْسِ، وَقِيلَ لَهُمُ: بَنُو فَسُوَةٍ.

(٣) صَلْتُ الْجَبِينَ: وَاضَحَهُ.

(٤) مُرْكَبِي: جَسَدِي.

(٥) يَنْمِينِي: يَكْبِرُنِي وَيَرْفَعُنِي.

(٦) التَّلَاعُ: مَجَارِي أَعْلَى الْأَرْضِ إِلَى بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَاحْدَتُهَا تَلْعَةٌ.

وذكر تمام البيت والذي بعده . قال : والفرزدق واقف عليه في جماعة وهو متلثم ، فلما سمع هذين البيتين أقبل عليه ثم قال : أنت يابن أبرد صاحب هذه القصة ! كذبت والله وكذب من سمع ذلك منك فلم يكذبك ؛ فأقبل عليه فقال : فَمَهْ يا أبا فراس ؛ فقال : أنا والله أولى بهما منك ، ثم أقبل على روايته فقال : اضممهما إليك :

لَوْ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ كَانُوا بِتَلْعَةٍ وَجِئْتُ بِجَدِّي دَارِمٍ وَأَبْنِ دَارِمٍ
لَطَلَّتْ رِقَابُ النَّاسِ خَاضِعَةً لَنَا سُجُوداً عَلَى أَقْدَامِنَا بِالْجَمَاجِمِ
[الطويل]

قال : فأطرق ابن ميادة فما أجابه بحرف ، ومضى الفرزدق فانتحلها .

[كان له أخوان شاعران]

أخبرنا يحيى قال : حدَّثنا حمَّاد عن أبيه عن أبي داود قال : أمُّ بني ثوبان - وهم أبرد أبو ابن ميادة والعوثبان وقريض وناعضة ، وكان العوثبان وقريض شاعرين - أمُّهم جميعاً سلمى بنت كعب بن زهير بن أبي سلمى .

[مهاجاته لعقبة بن كعب بن زهير]

ويُقالُ : إنَّ الشعرَ أتى ابنَ ميادةَ عن أعمامِهِ من قِبَلِ جَدِّهِمْ زُهير . قال إسحاق في خبره هذا : وحدَّثني حُميدُ بن الحارث أنَّ عُقبةَ بن كعب بن زهير نزل المُلَيْحة^(١) على بني سلمى بن ظالم فأكلوا له بغيراً ، وبلغَ ابن ميادة أن عقبة قال في ذلك شعراً ، فقال ابن ميادة يردُّ عليه :

وَلَقَدْ حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ صَادِقاً لَوْلَا قَرَابَةُ نِسْوَةٍ بِالْحَاجِرِ^(٢)
لَكَسَوْتُ عُقْبَةَ كِسْوَةَ مَشْهُورَةٍ تَرِدُ الْمَنَاهِلَ مِنْ كَلَامِ عَائِرٍ
[الكامل]

وهي قصيدة ؛ فقال له عُقبة :

أَلُمُوا أَنَّنِي أَصْبَحْتُ خَالاً وَذَكَرُ الْخَالِ يَنْقُصُ أَوْ يَزِيدُ
لَقَدْ قَلَّدْتُ مِنْ سَلْمَى رَجَالاً عَلَيْهِمْ مَسْحَةٌ وَهُمْ الْعَبِيدُ
فقال ابن ميادة :

(١) الملية : موضع في بلاد بني تميم ، وكان به يوم بين يربوع وبسطام بن قيس الشيباني . وهو اسم جبل في غربي سلمى أحد جبلي طيئ وبه آبار كثيرة .

(٢) الحاجر : اسم مكان بطريق مكة وهو من منازل الحاج .

إِنْ تَكُ خَالِنَا فَقُبِّحَتْ خَالاً فَأَنْتَ الْخَالُ تَنْقُصُ لَا تَزِيدُ
فَيَوْمًا فِي مُزِينَةٍ أَنْتَ حُرٌّ وَيَوْمًا أَنْتَ مَحْتِدُكَ الْعَبِيدُ
أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يَلْقَى هَوَاناً وَيُؤَكَّلَ مَالُهُ الْعَبْدُ الطَّرِيدُ
[الوافر]

[أوصاف ابن ميادة]

قال إسحاق: فحدثني عَجْرَمَةُ قال: كان ابن مَيَّادَةَ أَحْمَرَ سَبْطاً^(١) عَظِيمَ الْخَلْقِ طَوِيلَ اللَّحْيَةِ، وَكَانَ لَبَّاساً عَطِراً، مَا دَنُوتَ مِنْ رَجُلٍ كَانَ أَطِيبَ عَرَفاً مِنْهُ.

[مقارنة بينه وبين النابغة]

قال إسحاق: وحدثني أبو داود قال: سمعت شيخاً عالمياً من غَطَفَانَ يَقُولُ: كَانَ الرَّمَّاحُ أَشْعَرَ غَطَفَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، وَكَانَ خَيْرَ لِقَوْمِهِ مِنَ النَّابِغَةِ، لَمْ يَمْدَحْ غَيْرَ قَرِيشٍ وَقَيْسٍ، وَكَانَ النَّابِغَةُ إِنَّمَا يَهْذِي بِالْيَمَنِ مُضَلَّلاً حَتَّى مَاتَ.

[هو كثير السقط في شعره]

قال إسحاق: وحدثني أبو داود أن بني دُبْيَانَ تَزَعَمَ أَنَّ الرَّمَّاحَ ابْنَ مَيَّادَةَ كَانَ آخِرَ الشُّعْرَاءِ. قَالَ إِسْحَاقُ: وَحَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ الْفَزَارِيُّ أَنَّ الْقَاسِمَ بْنَ جُنْدَبٍ الْفَزَارِيَّ، وَكَانَ عَالِماً، قَالَ لَابَنَ مَيَّادَةَ: وَاللَّهِ لَوْ أَصْلَحْتَ شَعْرَكَ لَذُكِرْتَ بِهِ، فَإِنِّي لَأَرَاهُ كَثِيرَ السَّقَطِ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَيَّادَةَ: يَا بَنَ جُنْدَبٍ، إِنَّمَا الشَّعْرُ كَنْبَلٌ فِي جَفِيرِكَ^(٢) تَرْمِي بِهِ الْغَرَضَ، فَطَالَعُ وَوَاقِعُ وَعَاصِدُ^(٣) وَقَاصِدُ.

[كان زمن هشام وبقي إلى خلافة المنصور]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهری قال: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ مَيَّادَةَ حَدِيثَ الْعَهْدِ لَمْ يُدْرِكْ زَمَانُ قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ، وَلَا دَخَلَ فِيْمَنْ عَنَاهُ حِينَ قَالَ: «أَشْعَرَ قَيْسِ الْمَلْقَبُونَ مِنْ بَنِي عَامِرٍ وَالْمَنْسُوبُونَ إِلَى أَمَهَاتِهِمْ مِنْ غَطَفَانَ»، وَلَكِنَّهُ شَاعِرٌ مُجِيدٌ كَانَ فِي أَيَّامِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَبَقِيَ إِلَى زَمَنِ الْمَنْصُورِ.

(١) شَعْرٌ سَبْطٌ وَسَبْطٌ، أَيْ مُسْتَرَسِلٌ غَيْرُ جَعْدٍ. وَقَدْ سَبَطَ شَعْرَهُ بِالْكَسْرِ يَسْبُطُ سَبْطاً. وَرَجُلٌ سَبِطٌ الشَّعْرُ وَسَبِطُ الْجِسْمِ وَسَبْطُ الْجِسْمِ أَيْضاً إِذَا كَانَ حَسَنَ الْقَدِّ وَالِاسْتَوَاءِ.
(٢) الْجَفِيرُ: شِبْهُ الْكَفَانَةِ إِلَّا أَنَّهُ أَوْسَعُ، يَجْعَلُ فِي نَشَابٍ كَثِيرٍ.
(٣) الْعَاصِدُ: الْمَلْتَوِي الَّذِي لَا يَصِيبُ الْهَدَفَ.

[مدح بني أمية وبني هاشم]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال: كان ابن ميادة فصيحاً يُحتجُّ بشعره، وقد مدح بني أمية وبني هاشم: مدح من بني أمية الوليد بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان، ومدح من بني هاشم المنصور وجعفر بن سليمان.

[كيف عرف أنه شاعر]

وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: حدّثنا الرياشي عن الأصمعي قال: أخبرني طمّاح ابن أخي الرّمّاح ابن ميادة قال: قال لي عمي الرّمّاح: ما علّمتُ أني شاعرٌ حتى واطأت^(١) الحطيئة، فإنّه قال:

عَفَا مُسْحِلَانُ مِنْ سُلَيْمَى فَحَامِرُهُ تَمَشَّى بِهِ ظِلْمَانُهُ وَجَاذِرُهُ
[الطويل]

فوالله ما سمعته ولا رويته، فواطأته بطبعي فقلتُ:

فَذُو الْعُشِّ^(٢) وَالْمَمْدُورِ أَصْبَحَ قَاوِيَا تَمَشَّى بِهِ ظِلْمَانُهُ وَجَاذِرُهُ
[الطويل]

فلما أنشدتها قيل لي: قد قال الحطيئة:

تَمَشَّى بِهِ ظِلْمَانُهُ وَجَاذِرُهُ
فَعَلِمْتُ أَنِّي شَاعِرٌ حِينَئِذٍ.

[كان ينسب بأم جحدر وشعره فيها]

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني موسى بن زهير بن مضرّس قال: كان الرّمّاح بن أبرد المعروف بابن ميادة ينسب بأم جحدر بنت حسان المُرّية إحدى نساء بني جذيمة، فحلف أبوها ليُخْرِجَ جَنَّتَهَا إلى رجل من غير عشيرته ولا يزوجه بنجد؛ فَقَدِمَ عليه رجلٌ من الشام فزوجه إياها؛ فَلَقِيَ عليها ابنُ ميادة شدة، فرأيتها وما لقيَ عليها، فأتاها نساؤها يَنْظُرْنَ إليها عند خروج الشامي بها. قال: فوالله ما ذكّرَنَ منها جمالاً بارعاً ولا حسناً مشهوراً، ولكنها كانت أكسب الناس لِعَجَبٍ. فلما خرج بها زوجها إلى بلاده اندفع ابن ميادة يقول:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ إِلَى أُمِّ جَحْدَرٍ سَبِيلٌ فَأَمَّا الصَّبْرُ عَنْهَا فَلَا صَبْرَا

(١) واطأ: وافق.

(٢) ذو العش: اسم واد من أودية العقيق بنواحي المدينة.

إِذَا نَزَلْتُ بُصْرَى تَرَاحَى مَزَارُهَا وَأَغْلَقَ بَوَابَانِ مِنْ دُونِهَا قَصْرَا
وَهَلْ تَأْتِيَنِي الرِّيحُ تَدْرُجُ مَوْهِنَا بِرِيَاكِ تَعْرُورِي^(١) بِهَا جَرَعَا عُفْرَا
[الطويل]

قال الزبير: وزادني عمي مُضْعَبُ فِيهَا:

فَلَوْ كَانَ نَذْرٌ مُدْنِيَا أَمْ جَحْدَرٍ إِلَيَّ لَقَدْ أَوْجَبْتُ فِي عُنْقِي نَذْرَا
أَلَا لَا تَلْطِي^(٢) السَّتْرِيَا أَمْ جَحْدَرٍ كَفَى بِذُرَا الْأَعْلَامِ مِنْ دُونِنَا سِتْرَا
لَعَمْرِي لئنْ أَمْسَيْتِ يَا أَمْ جَحْدَرٍ نَأَيْتِ فَقَدْ أَبْلَيْتِ فِي طَلَبِ عُذْرَا
فَبَهْرًا لِقَوْمِي إِذْ يَبِيعُونَ مُهْجَتِي بِغَانِيَةِ بَهْرَا^(٣) لَهُمْ بَعْدَهَا بَهْرَا
[الطويل]

قال الزبير: بَهْرَا هَا هُنَا: يَدْعُو عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ مِنَ الْأُمُورِ مَا يَبْهَرُهُمْ، كَمَا تَقُولُ: جَدْعَا وَعَقْرَا. وَفِي أَوَّلِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ - عَلَى مَا رَوَاهُ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ - يَقُولُ:

أَلَا لَا تَعُدُّ لِي لَوْعَةً مِثْلَ لَوْعَتِي عَلَيْكَ بِأَدْمَى وَالْهَوَى يَرْجِعُ الذِّكْرَا
عَشِيَّةَ الْوَيْ بِالرِّدَاءِ عَلَى الْحَشَا كَأَنَّ رِدَائِي مُشْعَلٌ دُونَهُ جَمْرَا
[الطويل]

[زواج أم جحدر وما قاله في ذلك]

قال حُمَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ: وَأُمُّ جَحْدَرٍ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي رَحْلٍ بَنٍ ظَالِمٍ بَنٍ جَذِيمَةٍ بَنٍ يَرْبُوعٍ بَنٍ غَيْظٍ بَنٍ مُرَّةٍ.

أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ وَأَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ عَنِ الزَّبِيرِ عَنْ مُوَهَّبِ بْنِ رَشِيدٍ عَنْ جَبْرِ بْنِ رِبَاطِ النَّعَّامِيِّ: أَنَّ أُمَّ جَحْدَرٍ كَانَتْ امْرَأَةً مِنْ بَنِي مُرَّةٍ ثُمَّ مِنْ بَنِي رَحْلٍ، وَأَنَّ أَبَاهَا بَلَغَهُ مَصِيرُ ابْنِ مِيَادَةَ إِلَيْهَا، فَحَلَفَ لِيَزْوَجَهَا رَجُلًا مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ الْبَلَدِ، فَزَوَّجَهَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَاهْتَدَاها^(٤) وَخَرَجَ بِهَا إِلَى الشَّامِ، فَتَبِعَهَا ابْنُ مِيَادَةَ، حَتَّى أَدْرَكَهَا أَهْلُ بَيْتِهِ فَرَدَّوهُ مُضْمِتًا لَا يَتَكَلَّمُ مِنَ الْوَجْدِ بِهَا؛ فَقَالَ قَصِيدَةُ أَوَّلُهَا:

(١) تعروري: تركب.

(٢) لا تلطي: لا ترخي. ويقال: لط الستر إذا أرخاه وسدله.

(٣) بهره: غلبه. وبهرا له: دعاء عليه بأن يغلب. قال ابن ميادة:

فبهرًا لقومي إذ يبيعون مهجتي بجارية بهرًا لهم بعدها بهرا
(٤) اهتداها: جمعها وضمها إليه.

خَلِيلِيَّ مِنْ أَبْنَاءِ عُذْرَةَ بَلَّغَا رَسَائِلَ مَنَّا لَا تَزِيدُكُمَا وَفَرَا^(١)
 أَلَمَّا عَلَى تَيْمَاءَ نَسَأَلُ يَهُودَهَا فَإِنَّ لَدَى تَيْمَاءَ مِنْ رَكِبِهَا خُبْرَا^(٢)
 وَبِالْغَمْرِ قَدْ جَازَتْ وَجَازَ مَطِيُّهَا عَلَيْهِ فَسَلَّ عَنْ ذَاكَ نَيَّانَ فَالْغَمْرَا^(٣)
 وَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَحُلِّنْ أَهْلُهَا وَأَهْلُكَ رَوْضَاتِ بَبْطُنِ اللَّوَى خُضْرَا
 [الطويل]

[قصة عشقه لها]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدّثني أبو سعيد - يعني عبد الله بن شبيب - قال: حدّثني أبو العالية الحسن بن مالك وأخبرني به الأخفش عن ثعلب عن عبد الله بن شبيب عن أبي العالية الحسن بن مالك الرياحي العُدريّ قال: حدّثني عمر بن وهب العبسيّ قال: حدّثني زياد بن عثمان العُظفانيّ من بني عبد الله بن عُظفان قال: كُنَّا بِبَابِ بَعْضِ وُلاَةِ الْمَدِينَةِ فَعَرَضْنَا^(٤) مِنْ طَوْلِ الثَّوَاءِ^(٥)، فَإِذَا أَعْرَابِي يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ، أَمَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يَأْتِينِي أَعْلَلُهُ إِذْ عَرَضْنَا مِنْ هَذَا الْمَكَانِ فَأَخْبِرَهُ عَنْ أُمِّ جَحْدَرٍ وَعَنِي؟ فَجِئْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا الرَّمَّاحُ بْنُ أَبَرْدٍ، قُلْتُ: فَأَخْبِرْنِي بِدَعْوَى أُمِّكُمْ؟ قَالَ: كَانَتْ أُمُّ جَحْدَرٍ مِنْ عَشِيرَتِي فَأَعْجَبْتَنِي، وَكَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهَا خُلَّةٌ، ثُمَّ إِنِّي عَتَبْتُ عَلَيْهَا فِي شَيْءٍ بَلَّغَنِي عَنْهَا، فَأَتَيْتُهَا فَقُلْتُ: يَا أُمُّ جَحْدَرٍ إِنَّ الْوَصَلَ عَلَيْكَ مَرْدُودٌ؛ فَقَالَتْ: مَا قَضَى اللَّهُ فَهُوَ خَيْرٌ. فَلَبِثْتُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ سَنَةً، وَذَهَبَتْ بِهِمْ نَجْعَةٌ^(٦) فَتَبَاعَدُوا، وَاشْتَقْتُ إِلَيْهَا شَوْقًا شَدِيدًا، فَقُلْتُ لَامْرَأَةً أَخِي لِي: وَاللَّهِ لَئِنْ دَنْتُ دَارُنَا مِنْ أُمِّ جَحْدَرٍ لَا تَأْتِيَنَّهُ وَلَا تُطْلَبَنَّ إِلَيْهَا أَنْ تَرُدَّ الْوَصَلَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، وَلَئِنْ رَدَّتْهُ لَا نَقْضُتْهُ أَبَدًا، وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَانِ حَتَّى رَجَعُوا، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ عَلَيْهِمْ فَإِذَا أَنَا بِيَتَيْنِ نَازِلِينَ إِلَى سِنْدٍ أَبْرَقَ طَوِيلٌ، وَإِذَا امْرَأَتَانِ جَالِسَتَانِ فِي كِسَاءٍ وَاحِدٍ بَيْنَ الْبَيْتَيْنِ، فَجِئْتُ فَسَلَّمْتُ، فَفَرَدَتْ إِحْدَاهُمَا وَلَمْ تَرُدَّ الْآخَرَى، فَقَالَتْ: مَا جَاءَ بِكَ يَا رَمَاحَ إِلَيْنَا؟ مَا كُنَّا حَسِبْنَا إِلَّا أَنَّهُ قَدْ انْقَطَعَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ؛ فَقُلْتُ: إِنِّي جَعَلْتُ عَلَيَّ نَذْرًا لَئِنْ دَنْتُ بِأَمِّ

(١) الوقْر: الثقل الذي يُحمَلُ على الظهر.

(٢) الخبر: العلم بالشيء.

(٣) نيان والغمر: موضعان ببادية الشام قرب تيماء.

(٤) العَرَضُ: المَلَالَةُ وَالضَّجَرُ، تقول: عَرَضْتُ مِنْ فُلَانٍ عَرَضًا. وَعَرَضْتُ إِلَيْهِ: اسْتَقْتُ إِلَيْهِ، وَإِنِّي إِلَيْهِ عَرَضٌ.

(٥) الثواء: طول المقام.

(٦) نجع: طلب الكأ.

جحدر دارٌ لآتينها ولأطلبن منها أن ترد الوصل بيني وبينها، ولئن هي فعلت لا نقضته أبداً، وإذا التي تكلمني امرأة أخيها وإذا الساكتة أم جحدر؛ فقالت امرأة أخيها: فادخل مقدم البيت فدخلت، وجاءت فدخلت من مؤخره فدنت قليلاً، ثم إذا هي قد برزت، فساعة برزت جاء غرابٌ فنعب على رأس الأبرق فنظرت إليه وشهقت وتغير وجهها؛ فقلت: ما شأنك؟ قالت: لا شيء، قلت: بالله إلا أخبرني؛ قالت: أرى هذا الغراب يخبرني أنا لا نجتمع بعد هذا اليوم إلا ببلد غير هذا البلد، فتقبضت نفسي، ثم قلت: جاريةً واللّه ما هي في بيت عيافة ولا قيافة، فأقمت عندها، ثم تروحت إلى أهلي فمكثت عندهم يومين، ثم أصبحت غادياً إليها، فقالت لي امرأة أخيها: ويحك يا رماح! أين تذهب؟ فقلت: إليكم؛ فقالت: وما تريد؟ قد واللّه زوجت أم جحدر البارحة، فقلت: بمن ويحك؟ قالت: برجل من أهل الشام من أهل بيتها، جاءهم من الشام فخطبها فزوَّجها وقد حُمِلَتْ إليه، فمضيت إليهم فإذا هو قد ضرب سرادقات، فجلست إليه فأنشدته وحدثته وعُدْتُ إليه أياماً، ثم إنّه احتملها فذهب بها فقلت:

أَجَارَتْنَا إِنْ الْخُطُوبَ تَنْوُبُ عَلَيْنَا وَبَعْضَ الْأَمْنِينَ تُصِيبُ
أَجَارَتْنَا لَسْتُ الْعِدَاءَ بِبَارِحِ وَلَكِنْ مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ^(١)
فَلِنْ تَسْأَلْنِي هَلْ صَبَرْتُ فَلِإِنِّي صَبُورٌ عَلَى رِبِّ الزَّمَانِ صَلِيبُ
[الطويل]

قال علي بن الحسين: هذه الأبيات الثلاثة أغارَ عليها ابنُ ميادة فأخذها بأعيانها، أما البيتان الأولان فهما لامرئ القيس قالهما لما احتضرَ بأنقرة^(٢) في بيت واحدٍ وهو:

أَجَارَتْنَا إِنْ الْخُطُوبَ تَنْوُبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
[الطويل]

والبيت الثالث لشاعرٍ من شعراء الجاهلية، وتمثّل به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في رسالة كتّب بها إلى أخيه عقيل بن أبي طالب، فنقله ابن ميادة نقلاً. ونرجع إلى باقي شعر ابن ميادة:

جَرَى بِأَنْبِتَاتِ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ جَحْدَرٍ ظِبَاءٌ وَطَيْرٌ بِالْفِرَاقِ نَعُوبُ
نَظَرْتُ فَلَمْ أَعْتَفْ وَعَافْتُ^(٣) فَبَيَّنْتُ لَهَا الطَّيْرُ قَبْلِي وَاللَّبِيبُ لَبِيبُ

(١) عسيب: اسم جبل بعلية نجد، ويقول ابن هلال: هو جبل بجانب المدينة.

(٢) اسم بلدة في بلاد الروم.

(٣) عافَ الرجلُ الطعامَ أو الشرابَ يَعَافُهُ عِيفًا، أي كرهه فلم يشربه، فهو عَائِفٌ.

فَقَالَتْ حَرَامٌ أَنْ تُرَى بَعْدَ هَذِهِ جَمِيعَيْنِ إِلَّا أَنْ يُلِمَّ غَرِيبٌ
أَجَارَتْنَا صَبْرًا فَيَارُبُّ هَالِكٍ تَقَطَّعُ مِنْ وَجِدٍ عَلَيْهِ قُلُوبٌ
[الطويل]

[رحل إلى الشام لرؤيتها فردته]

قال: ثم انحدرت في طلبها، وطمعت في كلمتها: «إلا أن نجتمع في بلد غير هذا البلد». قال: فجئت فدرت الشام زماناً فتلقاني زوجها فقال: ما لك لا تغسل ثيابك هذه! أرسل إلى الدار تغسل، فأرسلت بها؛ ثم إني وقفت أنتظر خروج الجارية بالثياب، فقالت أم جحدر لجاريتها: إذا جاء فاعلميني؛ فلما جئت إذا أم جحدر وراء الباب فقالت: ويحك يا رمّاح! قد كنت أحسب أن لك عقلاً! أما ترى أمراً قد حيل دونه وطابت أنفسنا عنه؟ انصرف إلى عشيرتك فإني أستحيي لك من هذا المقام؛ فانصرفت وأنا أقول:

صوت

عَسَى إِنْ حَجَجْنَا أَنْ نَرَى أُمَّ جَحْدَرٍ وَيَجْمَعُنَا مِنْ نَخْلَتَيْنِ طَرِيقُ
وَتَصْطَلِّكَ أَعْضَادُ الْمَطِيِّ وَبَيْنَنَا حَدِيثٌ مُسَرٌّ دُونَ كُلِّ رَفِيقٍ
[الطويل]

في هذين البيتين لحن من الثقيل الثاني ذكر الهشامي أنه للحجبي.

شعره فيها:

وقال حين خرج إلى الشام - هذه رواية ابن شبيب - :

أَلَا حَيًّا رَسْمًا بِذِي الْعُشِّ مُقْفَرَا وَرَبْعًا بِذِي الْمَمْدُورِ مُسْتَعْجِمًا قَفَرَا
فَأَعْجَبُ دَارٍ دَارُهَا غَيْرَ أَنَّنِي إِذَا مَا أَتَيْتُ الدَّارَ تَرَجُّعُنِي صَفَرَا
عَشِيَّةً أَتْنِي بِالرِّدَاءِ عَلَى الْحَشَى كَأَنَّ الْحَشَى مِنْ دُونِهِ أُسْعِرَتْ جَمْرَا
يَمِيلُ بِنَا شَحْطُ^(١) النَّوَى ثُمَّ نَلْتَقِي عِدَادَ الثُّرَيَّا^(٢) صَادَقَتْ لَيْلَةً بَدْرَا
وَبِالْغَمْرِ^(٣) قَدْ جَاوَزَتْ وَجَاوَزَ مَطِيُّهَا فَأَسْقَى الْغَوَادِي بَطْنَ نَيَّانَ فَالْغَمْرَا

(١) الشَّحْطُ: البُعْدُ فِي الْحَالَاتِ كُلِّهَا يُخَفَّفُ وَيُثَقَّلُ.

(٢) لقيته عداد الثريا: أي مرة في الشهر، وذلك لأن القمر ينزل الثريا في كل شهر مرة. والعداد ما

يعاود الإنسان لوقت، من وجع أو غير ذلك.

(٣) الغمر: الماء الكثير المغمق.

خَلِيلِي مِنْ غَيْظِ بْنِ مُرَّةَ بَلَّغَا
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ إِلَى أُمِّ جَحْدَرٍ
 فَإِنْ يَكُ نَذْرٌ رَاجِعاً أُمِّ جَحْدَرٍ
 وَإِنِّي لَأَسْتَنْشِي^(٢) الْحَدِيثَ مِنْ أَجْلِهَا
 وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أُرَى
 رَسَائِلَ مِنِّي لَا تَزِيدُكُمَا وَقْراً
 سَبِيلُ فَأَمَّا الصَّبْرُ عَنْهَا فَلَا صَبْرًا
 عَلَيَّ لَقَدْ أَوْدَمْتُ^(١) فِي عُنُقِي نَذْرًا
 لِأَسْمَعَ مِنْهَا وَهِيَ نَازِحَةٌ ذِكْرًا
 إِذَا غَدَرَ الْخُلَانُ أَنْوِي لَهَا غَدْرًا
 [الطويل]

أخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد عن أبيه قال: أنشدني أبو داود لابن ميادة وهو يضحك منذ أنشدني إلى أن سكت:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الصَّارِدِيَّةَ^(٣) جَاوَرَتْ
 ثَلَاثًا فَلَمَّا أَنْ أَصَابَتْ فُؤَادَهُ
 بِأَصْهَبَ^(٤) يَرْمِي لِلزَّمَامِ بِرَأْسِهِ^(٥)
 جَلَتْ إِذْ جَلَتْ عَنْ أَهْلِ نَجْدٍ حَمِيدَةً
 وَقَالَتْ وَمَا زَادَتْ عَلَى أَنْ تَبَسَّمَتْ
 لِيَالِي بِالْمَمْدُورِ غَيْرَ كَثِيرٍ
 بِسَهْمَيْنِ مِنْ كُحْلِ دَعَتْ بِهِ جِيرٍ
 كَأَنَّ عَلَى ذِفْرَاهُ^(٦) نَضْخَ^(٧) عَبِيرٍ
 جَلَاءَ عَنِّي لَا جَلَاءَ فَقِيرٍ
 عَذِيرَكَ^(٨) مِنْ ذِي شَيْبَةٍ وَعَذِيرِي

(١) عن ابن الأعرابي: أودمت يميناً، أو أودعتها، أي أوجبتها.

(٢) أستنشي الحديث: أتعرفه وأبحث عنه.

(٣) الصاردية: نسبة إلى بني صار و هم حي من بني مرة بن عوف بن غطفان.

(٤) الصُّهْبَةُ: الشُّقْرَةُ في شعر الرأس، وهي الصُّهْوِيَّة. والرجل أصهَبُ. والصهباء: الخمر، سُمِّيَتْ بذلك للونها. والأصهب من الإبل: الذي يخالط بياضه حمرة، وهو أن يحمرَّ أعلى الوبر وتبيضَّ أجوافه. وجملٌ صهابيٌّ، أي أصهب اللون.

(٥) ورد الصدر بصيغة أخرى:

بِأَحْمَرَ ذَيْالِ الْعَسِيْبِ مُفَرَّجٍ

(٦) الذُّفْرُ من القفا، هو الموضع الذي يَعْرِقُ من البعير خَلْفُ الأُذُنِ.

(٧) النَّضْخُ كَالنَّضْخِ رُبَّمَا اخْتَلَفَا وَرُبَّمَا اتَّفَقَا. ويقال: النَّضْخُ مَا بَقِيَ لَهُ أَثَرٌ، يقال: على ثوبه نَضْخُ دَمٍ. والعَيْنُ تَنْضُخُ بِالماءِ نَضْحًا: أي تفور وتنضح أيضاً. والرجلُ يَعْتَرِفُ بِأَمْرٍ فَيَنْتَضِخُ مِنْهُ: إذا أَظْهَرَ الْبَرَاءَةَ وَبَرَّأَ نَفْسَهُ مِنْهُ جَهْدَهُ. والنَّضِخُ من الحياض: ما قَرُبَ من البئرِ حَتَّى يَكُونَ الْإِفْرَاقُ فِيهِ مِنَ الدَّلْوِ وَيَكُونُ عَظِيماً.

(٨) «قد أعذر من أنذر» أي بالغ في العذر أي في كونه معذوراً، وأعذر فلان، وما عذر، ويقال: من عذيري من فلان وعذيرك من فلان. قال عمرو بن معدي كرب:

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد ومعناه هلم من يعذرک منه إن أوقعت به، يعني أنه أهل للإيقاع به، فإن أوقعت به كنت معذوراً. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم».

عَدِمْتُ الْهَوَى لَا يَبْرُحُ الدَّهْرُ مُقْصِداً^(١) لِقَلْبِي بِسَهْمٍ فِي الْيَدَيْنِ طَرِيرٍ^(٢)
وَقَدْ كَانَ قَلْبِي مَاتَ لِلْوُجْدِ مَوْتَةً فَقَدْ هَمَّ قَلْبِي بَعْدَهَا بِنُشُورٍ
[الطويل]

قال: فَقُلْتُ: وما أضحكك؟ فقال: كَذَبَ ابْنُ مَيَّادَةَ، وَاللَّهِ مَا جَلَّتْ إِلَّا عَلَى
حِمَارٍ وَهُوَ يَذْكُرُ بَعِيراً وَيَصِفُهُ، وَأَنْهَا جَلَّتْ جَلَاءَ غَنِيٍّ لَا جَلَاءَ فَقِيرٍ، فَأَنْطَقَهُ الشَّيْطَانُ
بِهَذَا كُلَّهُ كَمَا سَمِعْتُ.

أخبرني الحرمي قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ زُهَيْرٍ قَالَ:
مَكَثْتُ أُمَّ جَحْدَرٍ عِنْدَ زَوْجِهَا زَمَاناً ثُمَّ مَاتَ زَوْجُهَا عَنْهَا وَمَاتَ وَلَدُهَا مِنْهَا، فَقَدِمْتُ
نَجْداً عَلَى إِخْوَتِهَا وَقَدْ مَاتَ أَبُوهَا.

[آخر عهده بها]

أخبرني سيار بن نجيح المُرْنِي قال: لَقِيتُ ابْنَ مَيَّادَةَ وَهُوَ يَبْكِي فَقُلْتُ لَهُ:
وَيْحَكَ! مَا لَكَ؟ قَالَ: أَخْرَجْتَنِي أُمُّ جَحْدَرٍ وَأَلَّتْ يَمِيناً أَلَا تَكَلِّمُنِي، فَاَنْطَلَقَ فَاشْفَعُ لِي
عِنْدَهَا؛ فَخَرَجْتُ حَتَّى عَسَيْتُ رَوَاقَ بَيْتِهَا فَوَجَدْتُهَا وَهِيَ تَدْمُكُ^(٣) جَرِيرًا^(٤) لَهَا بَيْنَ
الصَّلَايَةِ^(٥) وَالْمُدُقِ^(٦) تَرِيدُ أَنْ تَخْطُمَ^(٧) بِهِ بَعِيراً تَحْجُّ عَلَيْهِ؛ فَقَالَتْ: إِنْ كُنْتُ جِئْتُ
شَفِيعاً لَابْنِ مَيَّادَةَ فَبِيتِي حَرَامٌ عَلَيْكَ أَنْ تُلْقِي فِيهِ قَدَمَكَ. قَالَ: فَحَجَّجْتُ، وَلَا وَاللَّهِ مَا
كَلَّمْتُهُ وَلَا رَأَاهَا وَلَا رَأْتُهُ. قَالَ مُوسَى: قَالَ سَيَّارُ: فَقُلْتُ لَهُ: اذْكُرْ لِي يَوْماً مَا رَأَيْتُهُ
مِنْهَا؛ فَقَالَ لِي: أَمَّا وَاللَّهِ لَا أَخْبِرَنَّكَ يَا سَيَّارُ بِذَلِكَ: بَعَثْتُ إِلَيْهَا عَجُوزاً مِنْهُمْ فَقُلْتُ:
هَلْ تَرَيْنَ مِنْ رِجَالٍ؟ فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ، مَا رَأَيْتُ مِنْ رَجُلٍ؛ فَأَلْقَيْتُ رَحْلِي عَلَى نَاقَتِي

(١) مقصداً: مصيباً قاتلاً.

(٢) قال أبو عبيدة: طررت الحديدية أطرها طرراً: إذا أهدنتها. وقال الليث: سنان مطرور وطيرير:
محدّد، ورجل طيرير: ذو طرّة وهيئة حسنة.

(٣) دمك: دَمَكَتِ الْأَرَنْبُ تَدْمُكُ دُمُوكاً، أَي: أَسْرَعَتْ فِي الْعَدُو.

(٤) الْجَرِيرُ: حَبْلٌ مِنْ أَدَمٍ نَحْوِ الزَّمَامِ، وَيُطْلَقُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْحَبَالِ الْمَصْفُورَةِ. وقال الهوازني: الجريّر
من أَدَمٍ مُلَبَّنٍ يُثْنَى عَلَى أَنْفِ الْبَعِيرِ النَّجْبِيَةِ وَالْفَرَسِ. وقال ابن سَمْعَانَ: أَوْرَطْتُ الْجَرِيرَ فِي عُقْ
الْبَعِيرِ، إِذَا جَعَلْتَ طَرَفَهُ فِي حَلْقَتِهِ، وَهُوَ فِي عُقَّتِهِ ثُمَّ جَذَبْتَهُ.

(٥) الصَّلَايَةُ: كُلُّ حَجَرٍ عَرِضٍ يَدُقُّ عَلَيْهِ الْبُخُورُ وَالْعَطَرُ.

(٦) الْمُدُقُّ، بَضْمَتَيْنِ وَهُوَ نَادِرٌ، قَالَ سَبْيَوَيْه: هُوَ أَحَدُ مَا جَاءَ مِنَ الْأَدَوَاتِ الَّتِي يُعْتَمَلُ بِهَا.

(٧) تَخْطُمُ: الْحَظْمُ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ: مُقَدِّمُ أَنْفِهَا وَفَمِهَا نَحْوَ الْكَلْبِ وَالْبَعِيرِ، وَقِيلَ: الْحَظْمُ مِنَ السَّبْعِ
بِمَنْزِلَةِ الْجَحْفَلَةِ مِنَ الْفَرَسِ. وَخَطَمُ الْبَعِيرِ: هُوَ الْحَبْلُ الَّذِي يَقَادُ بِهِ.

ثم أرسلتها حتى أنختها بين أطناب^(١) بيتهم؛ ثم جعلت أقيد الناقة، فما كان إلا ذاك حتى دخلت وقد ألقت لي فراشاً مرقوماً مطموماً، وطرحت لي وسادتين على عجز الفراش وآخرين على مقدمه؛ قال: ثم تحدثنا ساعة وكأنما تلعبني بحديثها الرُب^(٢) من حلاوته، ثم إذا هي تصب في عُس^(٣) مخضوب^(٤) بالحناء والزعفران من ألوان اللقاح، فأخذت منها ذلك العُس وكأنه قناة فراوحت بين يدي، ما ألقمته فمي ولا دريت أنه معي حتى قالت لي عجوز: ألا تصلي يابن ميادة لا صلى الله عليك فقد أظلك صدر النهار! ولا أحسب إلا أنني في أول البكرة؛ قال: فكان ذلك اليوم آخر يوم كلمتها فيه حتى زوجها أبوها، وهو أظرف ما كان بيني وبينها.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني حكم بن طلحة الفزاري ثم المنظوري قال: قال ابن ميادة: إنني لأعلم أقصر يوم مر بي من الدهر، قيل له: وأي يوم هو يا أبا الشرحبيل؟ قال: يوم جئت فيه أم جحدر باكراً فجلست بفناء بيتها فدعت لي بعُس من لبن فأتيت به وهي تحدثني، فوضعت على يدي وكرهت أن أقطع حديثها إن شربت، فما زال القدح على راحتي وأنا أنظر إليها حتى فاتتني صلاة الظهر وما شربت.

قال الزبير: وحدثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد بمثل هذا، وزاد في خبره: وقال ابن ميادة فيها أيضاً:

ألم تر أن الصارديّة جاورت ليالي بالمدور غير كثير
ثلاثاً فلما أن أصابت فؤاده بسهمين من كحل دعت بهجير
بأحمر ذيال^(٥) العسيب^(٦) مفرج^(٧) كأن على ذفراه^(٨) نضخ عبير

(١) الطنب: جبل الخباء، والجمع أطناب. يقال: خباء مطنّب ورواق مطنّب، أي مشدود بالأطناب. والطنب أيضاً عرق الشجر وعصب الجسد. والمطنّب: المنكب والعائق. والطنب، بالتحريك: اعوجاج في الرمح. وطنب بالمكان، أي أقام به.

(٢) الرب بالضم: دبس الرطب إذا طبخ.

(٣) عس: العس: القدح الضخم يروي الثلاثة والأربعة والعدة.

(٤) خضب الرجل شبيهه، والخضاب: الاسم، وكل شيء غير لونه بحمرة كالدّم ونحوه فهو مخضوب.

(٥) ذيال: طويل الذيل.

(٦) العسيب: عظم الذنب أو منبت الشعر فيه.

(٧) المفرج: ما بان مرفقه عن إبطه.

(٨) الذفرى: العظم الذي خلف الأذن.

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَاقِصَاتِ إِلَى مَنَى
لَقَدْ كَادَ حُبُّ الصَارِدِيَّةِ بَعْدَ مَا
يَكُونُ سَفَاهاً^(٣) أَوْ يَكُونُ ضَمَانَةً^(٤)
عَدِمْتُ الْهَوَى لَا يَبْرَحُ الدَّهْرُ مُقْصِداً
وَقَدْ كَانَ قَلْبِي مَاتَ لِلْحُبِّ مَوْتَةً
جَلَّتْ إِذْ جَلَّتْ عَنْ أَهْلِ نَجْدٍ حَمِيدَةً
رَفِيفَ الْقَطَا يَقْطَعْنَ بَطْنَ هَبِيرٍ^(١)
عَلَا فِي سَوَادِ الرَّأْسِ نَبْذُ قَتِيرٍ^(٢)
عَلَى مَا مَضَى مِنْ نِعْمَةٍ وَعُصُورٍ
لِقَلْبِي بِسَهْمٍ فِي الْفُؤَادِ طَرِيرٍ^(٥)
فَقَدْ هَمَّ قَلْبِي بَعْدَهَا بِنُشُورٍ
جَاءَ غَنِيٍّ لَا جَاءَ فَقِيرٍ
[الطويل]

ومما يغني فيه من أشعار ابن ميادة في النسيب بأم جحدري قوله :

صوت

أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلْهَوَى وَالْتَذَكُّرِ
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ قَلْبِي لَمْ يَطُرْ
وَعَيْنٌ قَذَى إِنْسَانِهَا أُمُّ جَحْدَرٍ
وَلَا كَضُلُوعٍ فَوْقَهُ لَمْ تُكْسِرِ
[الطويل]

الغناء لإسحاق ثقیلٌ أول بالوسطى .

[سيار يروي خبر جاريته]

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا حكيم بن طلحة الفزاري عن رجل من كلب قال : جئْتُ جَنَابَةً فَعَرَمْتُ فِيهَا ، فَنَهَضْتُ إِلَى أَخَوَالِي بَنِي مُرَّةٍ فَاسْتَعْنَتَهُمْ فَأَعَانُونِي ، فَأَتَيْتُ سَيَّارَ بْنَ نَجِيحٍ أَحَدَ بَنِي سَلَمَى بْنِ ظَالِمٍ فَأَعَانَنِي ، ثُمَّ قَالَ : انْهَضْ بِنَا إِلَى الرَّمَّاحِ بْنِ أَبْرَدٍ - يَعْنِي ابْنَ مِيَادَةَ - حَتَّى يُعِينَكَ ،

- (١) الهبير : رمل زرود في طريق مكة المكرمة .
- (٢) القُتْرَةُ : ناموس الرامي يَفْتَتِرُ فيه . وَخَزَقُ التَّنُورِ . وَحَلَقَةُ الدَّرْعِ الْمُدَاخِلُ ، فَتَرْتُ الدَّرْعَ قُتْرًا ، وَمِنْهُ قَتِيرُ الدَّرْعِ : لِلْمُسْمَارِ الَّذِي فِي الْحَلَقَةِ . وَفِي النَّصِّ الْقَتِيرُ : الْمَشِيبُ .
- (٣) السَّفَهُ : ضِدُّ الْجِلْمِ ، وَأَصْلُهُ الْخِفَةُ وَالْحَرَكَةُ . يُقَالُ : تَسَفَّهَتِ الرِّيحُ الشَّجَرَ ، أَيِ مَالَتْ بِهِ . قَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

- جَرَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِيَاخٌ تَسَفَّهَتْ
وَتَسَفَّهَتْ فَلَانًا عَنْ مَالِهِ ، إِذَا خَدَعْتَهُ عَنْهُ . وَتَسَفَّهْتُ عَلَيْهِ ، إِذَا أَسْمَعْتَهُ . وَتَسَفَّهْتُ تَسَفُّهًا : نَسَبَهُ إِلَى السَّفَاهَةِ . وَسَافَهُهُ مُسَافَهَةً . يُقَالُ : سَفِيهُ لَمْ يَجِدْ مُسَافِهًا .
- (٤) الضَّمِنُ : الَّذِي بِهِ ضَمَانَةٌ فِي جَسَدِهِ مِنْ زَمَانَةٍ أَوْ بَلَاءٍ أَوْ كَسْرٍ وَغَيْرِهِ .
- (٥) طَرِيرٌ : لَهُ هَيْئَةٌ حَسَنَةٌ .

فَدَفَعْنَا^(١) إِلَى بَيْتَيْنِ لَهُ، فَسَأَلْنَا عَنْهُ فَقِيلَ: ذَهَبَ أَمْسُ؛ فَقَالَ سَيَّارُ: ذَهَبَ إِلَى أُمِّ لَبْنِي سُهَيْلٍ، فَخَرَجْنَا فِي طَلْبِهِ فَوَقَعْنَا عَلَيْهِ فِي قَرَارَةٍ^(٢) بِيضَاءَ بَيْنِ حَرَّتَيْنِ^(٣)، وَفِي الْقَرَارَةِ عَنَمٌ مِنَ الضَّأْنِ سَوْدٌ وَبَيْضٌ، وَإِذَا حِمَارٌ مُقَيَّدٌ مَعَ الْغَنَمِ وَإِذَا بِهِ مَعَهَا، فَجَلَسْنَا إِذَا شَابَّةٌ حُلُوةٌ صَفْرَاءُ فِي دُرَاعَةٍ مُورَسَةٍ^(٤)، فَسَلَّمْنَا وَجَلَسْنَا؛ فَقَالَ: أَنْشِدِيهِمْ مِمَّا قُلْتَ فِيكَ شَيْئًا؛ فَأَنْشَدْتُنَا:

يَمَثُونَنِي مِنْكَ اللَّقَاءَ وَإِنِّي
إِلَى ذَاكَ مَا حَارَتْ أُمُورُكَ وَأَنْجَلَتْ
إِذَا حَلَّ أَهْلِي بِالْجِنَابِ^(٥) وَأَهْلُهَا
أَقْلُ خُلَّةٌ بَانَتْ وَأَدْبَرَ وَصَلُهَا
وَحَالَتْ شُهُورُ الصَّيْفِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
أَقُولُ لِعَدَايَ لَمَّا تَقَابَلَا
فَلَا تُكْثِرْنَ عَنْهَا السُّؤَالَ فَلِإِنَّهَا

لَأَعْلَمُ لَا أَلْقَاكَ مِنْ دُونِ قَابِلِ
غِيَابَةٍ^(٥) حُبِّكَ أَنْجِلَاءَ الْمَخَايِلِ^(٦)
بِحَيْثُ أَلْتَقَى الْغُلَانُ^(٨) مِنْ ذِي أَرَائِلِ
تَقَطَّعَ مِنْهَا بِاقِيَاتُ الْحَبَائِلِ
وَرَفَعُ الْأَعَادِي كُلَّ حَقٍّ وَبَاطِلِ
عَلَيَّ بَلُومٍ مِثْلَ طَعْنِ الْمَعَابِلِ^(٩)
مُصْلَصِلَةً^(١٠) مِنْ بَعْضِ تِلْكَ الصَّلَاصِلِ

(١) فدفعنا: انتهينا إليه.

(٢) القَرَارَةُ: المستقرُّ من الأرض.

(٣) الحَرَّةُ: الأرض ذات الحجارة السوداء النخرة، التي تبدو كأنها أرقّت بالنار.

(٤) أوردس الرمث: اصفرَّ ثمره فهو وارس ومورس. ورداء مورس، وملاءة مورسة: مصبوغة بالورس.

وقدح ورسى: من الأثل. وحمام ورسى: أصفر. وزعفران وارس. وصخرة وارسة بالطحلب.

(٥) الغَيْبُ: كلُّ ما غاب عنك. تقول: غاب عنه غَيْبَةٌ وَغَيْبًا وَغُيُوبًا وَمَغِيًّا. وجمع الغائب غَيْبٌ وَغُيُوبٌ وَغَيْبٌ أَيْضًا. وَغَيْبَتُهُ أَنَا. وَغِيَابَةُ الْجَبِّ: قَعْرُهُ. وَكَذَلِكَ غِيَابَةُ الْوَادِي. تقول: وقعنا في غَيْبَةٍ وَغِيَابَةٍ، أَيْ هَبْطَةٍ مِنَ الْأَرْضِ. وَقَوْلُهُمْ: غَيْبُهُ غِيَابُهُ، أَيْ دُفِنَ فِي قَبْرِهِ. ابْنُ السَّكَيْتِ: بَنُو فَلَانٍ يَشْهَدُونَ أَحْيَانًا وَيَتَغَايِبُونَ أَحْيَانًا. وَغَابَتِ الشَّمْسُ، أَيْ غَرَبَتْ.

(٦) السَّحَابَةُ الْمُخَيَّلُ وَالْمُخَيَّلَةُ وَالْمُخَيَّلَةُ: التي إذا رَأَيْتَهَا حَسِبْتَهَا مَاطِرَةً.

(٧) جناب: اسم لمواقع عديدة منها: أرض لغطفان، وقيل: أرض بين فزارة وكتب، وقيل: أرض لفزارة وعذرة.

(٨) الغُلَانُ بالضم: نبات الطلح، وهي أودية غامضة في الأرض ذات شجر.

(٩) معابل: جمع معبلة وهي نصل طويل عريض.

(١٠) سمعت صَلَاصِلَةَ الْحَدِيدِ، إِذَا سَمِعْتَ قَرْعَ بَعْضِهِ بَعْضًا. قَالَ الشَّاعِرُ:

لَصَلَصِلَةَ اللَّجَامِ بِرَأْسِ طَرْفٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَنْكُحَ حِينِي
وَتَصَلَصِلَ الْغَدِيرُ، إِذَا جَفَتْ حَمَاتُهُ، وَالْحِمَاءُ الْيَابِسَةُ الصَّلَاصِلُ حِينَئِذٍ. وَبَقِيَتْ مِنَ الْمَاءِ فِي الْإِنَاءِ
صَلَصِلَةً، إِذَا بَقِيَ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ. وَالصَّلَصُلُ: طَائِرٌ مَعْرُوفٌ. وَالصَّلَصُلُ: بَيَاضٌ فِي أَطْرَافِ شَعْرِ
مَعْرِفَةِ الْفَرَسِ، وَهِيَ مِنَ الشَّيَاتِ. وَالصَّلَصُلُ أَيْضًا: الْبَيَاضُ فِي ظَهْرِ الدَّابَّةِ مِنَ السَّرَجِ، زَعَمُوا.
وَحِمَارٌ مَصْلَصِلٌ، إِذَا كَانَ شَدِيدَ التُّهَاقِ.

مِنَ الصُّفْرِ لَا وَرْهَاءُ^(١) سَمَجٌ^(٢) دَلَالُهَا وَلَيْسَتْ مِنَ السُّودِ الْقِصَارِ الْحَوَائِلِ^(٣)
وَلَكِنَّهَا رِيحَانَةٌ طَابَ نَشْرُهَا وَرَدْتُ عَلَيْهَا بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ
[الطويل]

ثم قال لها: قُومِي فاطرحي عنك دُرَاعَتَكَ، فقالت: لا حتى يقول لي سَيَّار بن نجيح ذلك، فأبى سَيَّار؛ فقال له ابن مِيَادَة: لئن لم تفعل لا قضيتُ حاجتكما، فقال لها فقامت فطرحتها، فما رأيتُ أحلى منها. فقال له سَيَّار: فما لك يا أبا الشَّرْحِيل لا تشتريها؟ فقال: إذن يفسد حبُّها.

[ابن ميادة وصخر بن الجعد الخضري]

أخبرني الحرَمِيّ [بن أبي العلاء] قال: حدَّثنا الزُّبَيْرُ قال: حدَّثني مُغِيرَةُ بنتُ أبي عَدِيّ بن عبد الجَبَّار بن مَنظُور بن زَبَّان بن سَيَّار الفَزَارِيَّة قالَت: أخبرني أبي قال: جمعني وابن مِيَادَة وصَخْر بن الجَعْد الخُضْرِيّ، مجلسٌ، فأُشْدنا ابن مِيَادَة قوله:

يُمَثُّونَنِي مِنْكَ اللَّقَاءَ وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ لَا أَلْقَاكَ مِنْ دُونِ قَابِلٍ
[الطويل]

فأقبل عليه صخر فقال له: المُحِبُّ المُكَبُّ يرجو الفاتت ويَعُمُّ الطيرَ، وأراك حَسَنَ الْعَزَاءِ يا أبا الشَّرْحِيل؛ فأعرض عنه ابن مِيَادَة. قال أبو عَدِيّ فقلت:

صَادَفَ دَرَّةً^(٤) السَّيْلَ سَيْلاً يَرْدَعُهُ بِهَضْبَةٍ تَرُدُّهُ وَتَدْفَعُهُ
[الرجز]

- ويروى: دَرَّةُ السَّيْلِ سَيْلٌ - فقال لي: يا أبا عَدِيّ، واللَّهِ لَا أَتَلَطَّخُ بِالْخُضْرِ مَرَّتَيْنِ وَقَدْ قَالَ أَخُو عُدَّة:

هُوَ الْعَبْدُ أَقْصَى هَمِّهِ أَنْ تُسَبَّهُ وَكَانَ سَبَابُ الْحَرِّ أَقْصَى مَدَى الْعَبْدِ
[الطويل]

قال الزُّبَيْرُ: قوله: يَغُمُّ الطيرَ يقول: إذا رأى طيراً لم يزجرها مخافةً أن يقع ما يكره.

(١) الْوَرَّةُ: الْحَمَقُ، وَيُقَالُ: الْخُرْقُ. وَرَجُلٌ أَوْرُهُ وَامْرَأَةٌ وَرْهَاءُ. وَقَدْ وَرَهَتْ تَوْرَةً. وَرِيحٌ وَرْهَاءُ: فِي هُبُوبِهَا خُرْقٌ وَعَجْرَفَةٌ.

(٢) سَمَجٌ: سَمَجُ الشَّيْءِ سَمَاجَةٌ أَيْ لَا مَلَاخَةَ فِيهِ.

(٣) الْحَوَالُ: كُلُّ شَيْءٍ حَالٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ: هَذَا حَوَالُ بَيْنَهُمَا، أَيْ: حَائِلٌ بَيْنَهُمَا. فَالْحَاجِزُ وَالْحِجَازُ وَالْحَوَلُ يَجْرِي مَجْرَى التَّحْوِيلِ. وَحَالُ الشَّيْءِ يَحُولُ حَوْلاً فِي مَعْنَيْنِ، يَكُونُ تَغْيِيراً، وَيَكُونُ تَحْوِيلاً.

(٤) دَرَأُ السَّيْلِ: إِذَا اندفع.

قال: فلم يُجَزْ إليه صخر بن الجعد جواباً. يعني بقوله: «لا أتلطخ بالخضر مرتين» مهاجته الحكم الخضري، وكانا تهاجياً زماناً ثم كف ابن ميادة وسأله الصلح فصالحه الحكم.

[ابن ميادة والحكم الخضري]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الربير بن بكار قال: حدثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد عن عبد الرحمن بن الأحول التغلبي ثم الخولاني قال: كان أول ما بدأ الهجاء بين ابن ميادة وحكم بن معمر الخضري أن ابن ميادة مرّ بالحكم بن معمر وهو يُشَدُّ في مصلى النبي ﷺ في جماعة من الناس قوله:

لَمَنِ الدِّيارُ كَأَنَّهُ لَمْ تُعْمَرْ
بَيْنَ الْكِنَاسِ^(١) وَبَيْنَ بُرْقٍ^(٢) مُحَجَّرٍ^(٣)
حتى انتهى إلى قوله:

يا صاحبي أَلَمْ تَشِمْما بَارِقاً نُضِجَ^(٤) الصُّرَادُ^(٥) بِهِ فَهَضْبُ الْمَنْحَرِ^(٦)
قَدْ بَتُّ أَرْقُبُهُ وَبَاتَ مُصْعُداً نَهَضَ الْمُقَيَّدُ فِي الدَّهَّاسِ^(٧) الْمُوقَرِ^(٨)

[الكامل]

فقال [له] ابن ميادة: ارفع إليّ رأسك أيها المنشد، فرفع حكم إليه رأسه؛ فقال له: من أنت؟ قال: أنا حكم بن معمر الخضري؛ قال: فوالله ما أنت في بيت حسب، ولا في أرومة شعر؛ فقال له حكم: وماذا عبّت من شعري؟ قال: عبّت أنك أذهست وأوقرت؛ قال له حكم: ومن أنت؟ قال: أنا ابن ميادة، قال: ويحك! فلم

(١) الكناس: هو موضع ينسب إليه رمل الكناس في بلاد عبد الله بن كلاب.

(٢) البرق: أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل.

(٣) اسم لمواضع كثيرة.

(٤) النَّضِجُ كَالنَّضِجِ، إِلَّا أَنَّ النَّضِجَ لَهُ أَثَرٌ. وَالْعَيْنُ تَنْضِجُ بِالماءِ نَضِجاً وَتَنْتَضِجُ، وكذلك الْجَبَلُ وَالْجَرَّةُ. وَاسْتَنْضِجَ الرَّجُلُ فِي الوُضُوءِ: رَشَّ عَلَى نَفْسِهِ الماءَ. وَالنَّضِيجُ: العَرَقُ، وَالرَّجُلُ يَنْضِجُ عَنْ نَفْسِهِ مَا قُرِفَ بِهِ: إِذَا أَظْهَرَ الْبَرَاءَةَ مِنْهُ.

(٥) الصُّرَادُ: سحاب بارد نَدَّ لَيْسَ فِيهِ ماءٌ، وَنَحْوُ ذَلِكَ. وَالصُّرَادُ: اسم موضع «المزاد».

(٦) هَضْبُ الْمَنْحَرِ: هَضْبٌ حُمِرَ فِي أَرْضِ ثَعْلَبَةٍ.

(٧) الدَّهْسَةُ: لَوْنٌ كَلَوْنِ الرَّمالِ، يعلوه أَذْنَى سَوادٍ يَكُونُ فِي ألوانِ الرَّمالِ والمَعَزِ. قال العجاج: مُواصلاً قُفّاً بِلَوْنِ أَذْهَسَا، والدَّهَّاسُ: ما كانَ مِنَ الرَّمَلِ كَذَلِكَ، لا يُنْبِتُ شَجَراً، وَتَغِيبُ فِيهِ القِوَامُ.

(٨) الموقر: المثقل، وهو صفة للمقيد.

رَغِبْتَ عَنْ أَبِيكَ وَانْتَسَبْتَ إِلَى أُمِّكَ؟ قَبَّحَ اللَّهُ وَالِدَيْنِ خَيْرُهُمَا مِيَّادَةَ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتَ فِي أَبِيكَ خَيْرًا مَا انْتَسَبْتَ إِلَى أُمِّكَ رَاعِيَةَ الضَّانِ. وَأَمَا إِدْهَاسِي وَإِبْقَارِي فَإِنِّي لَمْ آتِ خَيْرَ إِلَّا مُمْتَارًا لَا مُتَحَامِلًا^(١)، وَمَا عَدَوْتُ أَنْ حَكَيْتَ حَالَكَ وَحَالَ قَوْمِكَ، فَلَوْ [كُنْتَ] سَكَتَ عَنْ هَذَا لَكَانَ خَيْرًا لَكَ وَأَبْقَى عَلَيْكَ. فَلَمْ يَفْتَرَقَا إِلَّا عَنْ هِجَاءٍ.

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْجُمَحِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ ضَمْرَةَ الْخُضَرِيُّ قَالَ: أَوَّلُ مَا هَاجَ الْهَجَاءُ بَيْنَ ابْنِ مِيَّادَةَ وَبَيْنَ حَكَمَ بْنِ مَعْمَرِ بْنِ قُنْبَرِ بْنِ جِحَاشِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ طَرِيفِ بْنِ مُحَارِبٍ - قَالَ: وَالْخُضَرُ وَلَدُ مَالِكِ بْنِ طَرِيفٍ، سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّ مَالِكًا كَانَ شَدِيدَ الْأُدْمَةِ، وَكَذَلِكَ خَرَجَ وَلَدُهُ فَسُمُّوا الْخُضَرُ - أَنَّ حَكَمًا نَزَلَ بِسُمَيْرِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ عَوْسَجَةَ بْنِ أَنَسِ بْنِ يَزِيدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ سَاعِدَةَ بْنِ عَمْرٍو وَهُوَ خَصِيلَةُ بْنُ مَرْثَةَ. فَأَقْبَلَ ابْنُ مِيَّادَةَ إِلَى حَكَمٍ لِيَعْرِضَ عَلَيْهِ شَعْرَهُ وَلِيَسْمَعَ مِنْ شِعْرِهِ، وَكَانَ حَكَمٌ أَسْتَهَمًا، فَأَنْشَدَا جَمِيعًا جَمَاعَةَ الْقَوْمِ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ مِيَّادَةَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْجَبَنِي بَيْتَانِ قُلْتُهُمَا يَا حَكَمَ؛ قَالَ: أَوْ مَا أَعْجَبَكَ مِنْ شِعْرِي إِلَّا بَيْتَانِ! فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْجَبَانِي، يَرَدُّ ذَلِكَ مَرَارًا لَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ لَهُ حَكَمَ: فَأَيُّ بَيْتَيْنِ هُمَا؟ قَالَ: حِينَ تُسَاهِمُ بَيْنَ ثَوْبَيْهَا وَتَقُولُ:

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَزِيدْتُ مَلَاَحَةً وَحُسْنًا عَلَى النَّسْوَانِ أَمْ لَيْسَ لِي عَقْلُ
تَسَاهَمُ ثَوْبَاهَا^(٢) فِي الدَّرْعِ^(٣) غَادَةً وَفِي الْمِرْطِ^(٤) لَفَاوَانِ^(٥) رَذْفُهُمَا عَبْلُ^(٦)

[الطويل]

فَقَالَ لَهُ حَكَمَ: أَوْ مَا أَعْجَبَكَ غَيْرُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ مِيَّادَةَ: قَدْ أَعْجَبَانِي، فَقَالَ: أَوْ مَا فِي شِعْرِي مَا أَعْجَبَكَ غَيْرُهُمَا؟ فَقَالَ: لَقَدْ أَعْجَبَانِي؛ فَقَالَ لَهُ حَكَمَ: فَإِنِّي سَوْفَ أَعِيبُ عَلَيْكَ قَوْلَكَ:

وَلَا بَرَحَ الْمَمْدُورُ رِيَّانَ مُخْصِبًا وَجِيدَ^(٧) أَعَالِي شِعْبِهِ وَأَسَافِلُهُ

[الطويل]

(١) مُتَحَامِلٌ: أَيِ تَحَامُلٌ. وَاسْتَحْمَلْتَهُ: سَأَلْتُهُ أَنْ يَحْمِلَنِي. وَالْحَمْلُ تَكْلِفُ الْحَمْلِ بِالْأَجْرَةِ.

(٢) تَسَاهَمُ ثَوْبَاهَا: تَقَارَعَا وَتَقَاسَمَا.

(٣) الدَّرْعُ: الثَّوْبُ الصَّغِيرُ الَّذِي تَلْبَسُهُ الْجَارِيَةُ فِي بَيْتِهَا.

(٤) الْمِرْطُ - بِالْكَسْرِ -: وَاحِدُ الْمِرْوَطِ؛ وَهِيَ أَكْسِيَّةٌ مِنْ صَوْفٍ أَوْ خَزٍّ كَانَ يُؤْتَرَزُ بِهَا.

(٥) لَفَاوَانٌ: وَهِيَ الْفَخْذُ الضَّخْمَةُ.

(٦) الْعَبْلُ: الضَّخْمُ: يُقَالُ: عَبْلٌ عَبَالَةٌ وَعَبِلَ عَبْلًا؛ فَهُوَ أَعْبَلٌ: أَيِ أَبْيَضٌ غَلِيظٌ. وَجَبَلٌ أَعْبَلٌ، وَصَخْرَةٌ عَبْلَاءُ. وَعَبْلَتُهُ عَبْلًا: قَطَعَتْهُ. وَعَابَلَنِي عَبُولٌ: أَيِ الْمَنِيَّةُ. وَيُقَالُ لِلدَّاهِيَةِ أَيْضًا.

(٧) جِيدٌ: جِيدَتِ الْأَرْضُ: أَصَابَهَا مَطَرٌ جَوْدٌ أَوْ غَزِيرٌ.

فاستسقيت لأعلاه وأسفله وتركت وسطه وهو خير موضع فيه؛ فقال: وأي شيء تريد! تركته لا يزال رياناً مخصباً. وتهاترا فغضب حكم فارتحل ناقتة وهدر^(١) ثم قال:

فَإِنَّهُ يَوْمُ قَرِيضٍ وَرَجَزٍ

[الرجز]

فقال رجل من بني مروة لابن ميادة: اهدر كما هدر يا رمّاح، فقال: إِنَّمَا يَغِطُ^(٢) البكر^(٣). ثم قال الرّمّاح:

فَإِنَّهُ يَوْمُ قَرِيضٍ وَرَجَزٍ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ نَاكِزاً فَقَدْ نَكَزَ
وَبَيَّنَ الطَّرْفُ النَّجِيبُ فَبَرَزَ

[الرجز]

قال الزُّبَيْرُ: يريد بقوله ناكزاً^(٤): غائضاً قد نزع. قال الزُّبَيْرُ: وَسَمِعْتُ رجلاً من أهل البادية يَنْزِعُ على إبل له كثيرة من قَلْبٍ ويرتجز:

قَدْ نَكَزْتُ أَنْ لَمْ تَكُنْ خَسِيفاً أَوْ يَكُنِ الْبَحْرُ لَهَا حَلِيفاً

[الرجز]

[أم جحدر وهجاء الحكم وعملس لها]

قال الزُّبَيْرُ: قال الجُمَحِيُّ: قال عُمَيْرُ بن ضَمْرَةَ: فهذا أول ما هاج التهاجي بينهما. قال الزُّبَيْرُ: قال الجُمَحِيُّ: وحدثني عبد الرحمن بن ضَبْعَانَ الْمُحَارِبِيُّ قال: كان ابن ميادة وحكم الخُضْرِيُّ وَعَمَلَسُ بن عقيل بن عُلْفَةَ مُتَجَاوِرِينَ مُتَحَالِّينَ، وكانوا جميعاً يتحدّثون إلى أم جَحْدَر بنت حَسَّانِ المُرِّيَّةِ، وكانت أمها مَوْلَاةً، ففَضَّلَتْ ابن ميادة على الحكم وعملس فغضب. وكان ابن ميادة قال في أم جَحْدَر:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ إِلَى أُمِّ جَحْدَرٍ سَبِيلٌ فَأَمَّا الصَّبْرُ عَنْهَا فَلَا صَبْرَا

(١) هَدَرَ تَهْدِيراً، إِذَا كَرَّرَ، وَقِيلَ: صَوَّتَ فِي غَيْرِ شِقْشِقَةٍ، وَفِي الصَّحَاحِ: رَدَّدَ صَوْتَهُ فِي حَنْجَرَتِهِ، وَإِبْلٌ هَوَادِرٌ، وَفِي الْمَثَلِ: كَالْمُهْدَرِّ فِي الْعَتَّةِ. يُضْرَبُ لِمَنْ يَصِيحُ وَلَيْسَ وَرَاءَهُ شَيْءٌ.

(٢) غَطَطَ: نَامَ حَتَّى سَمِعَ غَطِيطَهُ وَهُوَ نَخِيرُهُ. وَغَطَّ الْمَذْبُوحَ. وَغَطَّ الْبَعِيرُ فِي شَقْشَقَتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا فَهُوَ هَدِيرٌ، وَالنَّاقَةُ تَهْدِرُ وَلَا تَغْطُ لِأَنَّهُ لَا شَقْشَقَةَ لَهَا. وَتَقُولُ: أَقْبَلَ وَلَهُ نَحِيطٌ كَنَحِيطِ الْمَهْرِ الْمَزْنُوقِ، وَغَطِيطٌ كَغَطِيطِ الْبَكْرِ الْمَخْنُوقِ.

(٣) الْبَكْرُ: الْفَتْنَى مِنَ الْإِبِلِ.

(٤) نَكَزَ الْحَيَّةُ تَنَكَّزَ بِأَنْفِهَا، وَالنَّاكِزُ: ضَرَبَ مِنَ الْحَيَاتِ لَا يَعْضُ بِفِيهِ، وَلَكِنْ يَنْكُزُ بِأَنْفِهِ، فَلَا يَكَادُ يَعْرِفُ ذَنْبَهُ مِنْ أَنْفِهِ لِدَقَّةِ رَأْسِهِ. وَنَكَزَ الْبَحْرُ: غَاضَ، وَبَثَرَ نَاكَزَ.

ويا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَحُلَنَّ أَهْلُهَا وَأَهْلُكَ رَوْضَاتِ بَطْنِ اللَّوَى خُضْرَا
[الطويل]

وقال فيها [أيضاً]:

إِذَا رَكَدَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَوَضَّعَتْ طَنَافِسَهَا^(١) وَلَيْنَهَا الْأَعْيَنَ الْخُزْرَا
[الطويل]

الآيات ؛ فقال عَمَلَسُ بن عقيل وَحَكَمُ الْخُضْرِيِّ يَهْجَوَانَهَا - وهي تُنْسَبُ إلى حَكَم - :

لَا عُوفِيَتْ فِي قَبْرِهَا أُمُّ جَحْدَرٍ وَلَا لَقِيَتْ إِلَّا الْكَالِيْبَ^(٢) وَالْجَمْرَا
كَمَا حَادَثَتْ عَبْدًا لَيْمًا وَخَلَّتْهُ مِنْ الزَّادِ إِلَّا حَشْوَ رِيْطَاتِهِ صِفْرَا
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ رَأَتْ أُمُّ جَحْدَرٍ أَكْشَكَ أَوْ ذَاقَتْ مَغَابِنَكَ^(٣) الْقَشْرَا^(٤)
وَهَلْ أَبْصَرَتْ أَرْسَاعَ^(٥) أَبْرَدَ أَوْ رَأَتْ قَفَا أُمِّ رَمَّاحٍ إِذَا مَا اسْتَقَتْ دَفْرَا^(٦)
وَبِالْعَمْرِ قَدْ صَرَّتْ^(٧) لِقَاحًا وَحَادَثَتْ عَبِيدًا فَسَلَّ عَنْ ذَاكَ نَيَّانَ فَالْعَمْرَا
[الطويل]

وقال عَمَلَسُ بن عقيل بن عُلْفَةَ، ويقال: بل قالها عُلْفَةُ بن عقيل:

فَلَا تَضَعَا عَنْهَا الطَّنَافِسَ إِنَّمَا يُقْصَرُ بِالْمِرْمَاةِ^(٨) مَنْ لَمْ يَكُنْ صَقْرَا
[الطويل]

وزاد يحيى بن عليّ مع هذا البيت عن حمّاد عن أبيه عن جرير بن ربّاط وأبي داود قال: يُعَرِّضُ بقوله: «من لم يكن صقرا» بابين ميادة أي إنه هَجِينٌ ليس من أبوين متشابهين كما الصقر. وبعده بيت آخر من رواية يحيى ولم يَرَوْه الزُّبَيْرُ معه:

مُنْعَمَةٌ لَمْ تَلَقْ بِؤْسًا وَشَقْوَةً بِنَجْدٍ وَلَمْ يَكْشِفْ هَجِينٌ لَهَا سِتْرَا
[الطويل]

(١) وضعت طنافسها: رتبها ونظمتها.

(٢) الكلوب، كسْفُود: حديد، مُعَوَّجَةُ الرَّأْسِ، ذاتُ شُعْبٍ، يُعَلَّقُ بِهَا اللَّحْمُ، والجمع كَلَالِيْبٌ.

(٣) المغابن من غبن، وهو الإبط والرفع وما أطاق به.

(٤) القشر: جمع قشر وهو الشديد الحمرة أو الأبرص.

(٥) الرُّسْغُ: مَفْصِلُ مَا بَيْنَ السَّاعِدِ وَالْكَفِّ، والساق والقدم.

(٦) لحم فيه دفر وهو النتن ووقوع الدود فيه. والدنيا دفرة، ولعن الله أم دفر وهي كنيته. ودفرته عتي: دفعته.

(٧) صرّ: صررت الناقة أي شددت عليها الصرار، وهو خيط يشدّ فوق الخلف لئلا يرضعها ولدها.

(٨) المرماة: السهم الذي يتعلم به الرامي.

قالوا جميعاً: فقال ابن ميادة يهجو عُلفَةَ:

أَعْلَفَ إِنَّ الصَّقْرَ لَيْسَ بِمُدْلَجٍ^(١) وَلَكِنَّهُ بِاللَّيْلِ مُتَّخِذٌ وَكُرا
وَمُفْتَرِشٌ بَيْنَ الْجَنَاحَيْنِ سَلَحَهُ إِذَا اللَّيْلُ أَلْقَى فَوْقَ خُرطومِهِ كِسرا^(٢)
فَإِنْ يَكُ صَقْراً بَعْدَ لَيْلَةٍ أُمِّهِ وَلَيْلَةٍ جَحَّافٍ فَأُفُّ لَهُ صَقْرا
تَشْدُ بِكَفَّيْهَا عَلَى جِذْلِ أَيْرِهِ إِذَا هِيَ خَافَتْ مِنْ مَطِيَّتِهَا نَفْرا
[الطويل]

يريد أن أم عُلفَة من بني أنمار، وكان أبوه عقيل بن عُلفَة ضربها، فأرسلت إلى رجل من بني أنمار يقال له جَحَّاف، فأتاها ليلاً فاحتملها على جمل فذهب بها. وقال يحيى بن عليّ خاصّة في خبره عن حمّاد عن أبيه عن أبي داود: إِنَّ جَحَّافَ بْنَ إِيَادَ كَانَ رَجُلًا مِنْ بَنِي قِتَالِ بْنِ يَرْبُوعَ بْنِ غَيْظَ بْنِ مُرَّةَ، وَكَانَ يَتَحَدَّثُ إِلَى امْرَأَةٍ عَقِيلِ بْنِ عُلفَة - وهي أم ابنه عُلفَة بن عقيل - وَيُتِّهَمُ بِهَا، وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَنْمَارَ بْنِ بَغِيضَ بْنِ رَيْثَ بْنِ غَطَفَانَ يُقَالُ لَهَا سُلَافَةٌ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، وَكَانَ عَقِيلُ مِنْ أَغْيَرِ النَّاسِ، فَرَبَطَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَوْتَادٍ وَدَهَنَهَا بِإِهَالَةٍ^(٣)، وَجَعَلَهَا فِي قَرْيَةٍ تَمْلُ، فَمَرَّ بِهَا جَحَّافُ بْنُ إِيَادَ [لَيْلًا] فَسَمِعَ أَتْنَهَا، فَأَتَاها فاحتملها حَتَّى طَرَحَهَا بِقَدِّكَ، فَاسْتَعَدَّتْ وَالِيهَا عَلَى عَقِيلِ. وَقَامَ عَقِيلُ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ فَأَوْقَدَ عَشْوَةً^(٤)، وَنَظَرَهَا فَلَمْ يَجِدْهَا وَوَجَدَ أَثَرَ جَحَّافٍ فَعَرَفَهُ وَتَبِعَهُ حَتَّى صَبَحَ الْقَرْيَةَ، وَخَنَسَ^(٥) جَحَّافَ عَنْهَا؛ فَأَتَى الْوَالِي فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ رَأَتْنِي وَقَدْ كَبُرَتْ [سَنِي] وَذَهَبَ بَصْرِي فَاجْتَرَأْتُ عَلَيَّ، وَكَانَ عَقِيلُ رَجُلًا مَهِيئًا فَلَمْ يَعَاقِبْهُ الْوَالِي بِمَا صَنَعَهُ لِمَوْضِعِهِ مِنْ صِهْرِ بَنِي مَرْوَانَ. قَالَ: فَعَيَّرَ ابْنُ مِيَادَةَ عُلفَة بْنَ عَقِيلَ بِأَمْرِ جَحَّافٍ هَذَا فِي قَوْلِهِ:

فَإِنْ يَكُ صَقْراً بَعْدَ لَيْلَةٍ أُمِّهِ وَلَيْلَةٍ جَحَّافٍ فَأُفُّ لَهُ صَقْرا
[الطويل]

قال: وَلَجَّ^(٦) الْهَجَاءُ بَيْنَهُمَا. وَقَالَ فِيهِ ابْنُ مِيَادَةَ وَفِي حَكَمِ الْخَضِرِيِّ وَقَدْ عَاوَنَ عُلفَة:

- (١) بات ليلته يدلج دلوجاً، ومنه دلج الليل وهو سيره كله.
- (٢) يريد الشاعر أن الليل غطاء وستره.
- (٣) الإهالة: ما أذبت من الشحم، وقيل: الإهالة: الشحم والزيت، وقيل: كل دهن ائتم به إهالة.
- (٤) العشوة بالضم: الشعلة من النار.
- (٥) خنس الرجل من بين القوم خنوساً إذا تأخر واختفى، وخنسته أنا وأخنسته. وخنس عني حقّي وأخنسه: أخره وغيبه.
- (٦) لجّ في الأمر: تَمَادَى عَلَيْهِ وَأَبَى أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْهُ، وَالْآتِي كَالْآتِي، وَالْمَصْدَرُ كَالْمَصْدَرِ. وَفِي الْحَدِيثِ: إِذَا اسْتَلَجَّ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ فَإِنَّهُ أَثَمَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْكُفَّارَةِ، وَهُوَ اسْتَفْعَلَ مِنَ اللَّجَاجِ.

لَقَدْ رَكِبَ الْخُضْرِيُّ مَنِّي وَتَرَبُّهُ عَلَى مَرَكَبٍ مِنْ نَابِيَاتِ الْمَرَائِبِ
[الطويل]

وقال لعلفة:

يَابْنَ عَقِيلٍ لَا تَكُنْ كَذُوبًا أَنْ شَرِبْتَ الْحَزَرَ وَالْحَلِيبَا
مَنْ شَوَّلٌ^(١) زَيْدٌ وَشَمَمْتُ الطَّيْبَا جَهْلًا تَجَنَّيْتُ لِي الذُّنُوبَا
[الرجز]

قال: ثم لم يُلْبِثْهُ ابْنُ مِيَّادَةَ أَنْ غَلَبَهُ، وَهَاجَ التَّهَاجِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَكَمِ الْخُضْرِيِّ،
وَانْقَطَعَ عَنْهُ عُلْفَةٌ مَفْضُوحًا. قال: وماتت أم جحدر التي كان ينسب بها ابن مِيَّادَةَ عَلَى
تَفِيئَةٍ^(٢) مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُلْفَةٍ مِنَ الْمُهَاجَةِ، وَنُعِيَتْ لَهُ فَلَمْ يُصَدِّقْ حَتَّى أَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ
بَنِي رَحْلٍ يَقَالُ لَهُ عِمَارُ فَنَعَاهَا لَهُ؛ فَقَالَ:

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ صَدَقُوا حَتَّى نَعَاهَا لِي الرَّحْلِيُّ عِمَارُ
[البسيط]

وقال يرثيها:

حَلَّتْ شُعْبُ الْمَمْدُورِ لَسْتُ بِوَاجِدٍ بِهِ غَيْرَ بَالٍ مِنْ عِضَاهِ وَحَرَمِلٍ^(٣)
تَمَنَّيْتُ أَنْ تَلْقَى بِهِ أُمَّ جَحْدَرٍ وَمَاذَا تَمَنَّى مِنْ صَدَى تَحْتَ جَنْدَلٍ
فَلَلَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ ذَمِيمَةٍ وَلَلْبُخْلُ خَيْرٌ مِنْ عَنَاءِ مُطَوَّلٍ
[الطويل]

أخبرني الحرَمِيُّ قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ سَاعِدَةَ
ابْنِ مَرْمَى، وَذَكَرَهُ إِسْحَاقُ أَيْضًا عَنْ أَصْحَابِهِ: أَنَّ ابْنَ مِيَّادَةَ وَحَكَمَ الْخُضْرِيَّ تَوَاعَدَا
الْمَدِينَةَ لِيَتَوَاقَفَا^(٤) بِهَا، فَتَوَاقَفَا بِهَا، وَجَاءَ نَفَرٌ مِنْ قَرِيشٍ - أَمَهَاتُهُمْ مِنْ مَرَّةٍ - إِلَى ابْنِ
مِيَّادَةَ فَمَنْعُوهُ مِنْ مَوَاقِفَةِ حَكَمٍ، وَقَالُوا: أَتَتَعَرَّضُ لَهُ وَلَسْتَ بِكُفُّئِهِ فَيَشْتَمُ أَمَهَاتَنَا وَأَخْوَالَنَا
وَخَالَاتَنَا وَهُوَ رَجُلٌ خَبِيثُ اللِّسَانِ! - قال: وَكَانَ حَكَمٌ يَسْجَعُ سَجْعًا كَثِيرًا - فَقَالَ:

(١) شول: شال الميزان: ارتفعت إحدى كفتيه. قال الأخطل:

وَإِذَا وَضَعْتَ أَبَاكَ فِي مِيزَانِهِمْ قَفَزَتْ حَدِيدَتُهُ إِلَيْكَ فَشَالَا
وَشَالَتِ النَّاقَةُ إِذَا رَفَعْتَ ذَنْبَهَا لِلْقَاحِ، وَهِيَ سَائِلَةٌ وَهَنْ شَوْلٍ، وَشَالَتْ إِذَا ارْتَفَعَ لَبْنُهَا وَهِيَ سَائِلَةٌ
وَهَنْ شَوْلٍ.

(٢) تفيئة: حين.

(٣) عضاه وحرمل: نوعان من الشجر.

(٤) التوافق كالمواقفة: أن يقف معك وتقف معه في حرب أو خصومة.

والله لئن واقفته لأُسَجِّعَنَّ به قبل المُقَارَضَةِ^(١) سَجْعاً أَفْضَحُهُ بِهِ، فلم يَلْقَهُ. وذكر الزُّبَيْرُ له سَجْعاً طويلاً غثاً لا فائدة فيه، لأنَّه ليس برَجَزٍ منظوم ولا كلام فصيح ولا مسجّع سَجْعاً مؤتلفاً كائتلاف القوافي، إلا أن من أسلمه قوله: وَاللَّهِ لئن سَاجَعْتَنِي سِجَاعاً، لتجدنِّي شُجَاعاً، للجار مُنَاعاً، ولأجدنَّكَ هِيعاً^(٢)، للحسب مضياً، ولئن باطشتك بطاشاً، لأدهشتك إدهاشاً، ولأدقنَّ منك مُشاشاً^(٣)، حتى يجيء بولك رشاشاً. وهذا من غث السَّجْعِ ورذله، وإنَّما ذكرته لِيُسْتَدَلَّ به على ما هو دونه مما ألغيت ذكره. قال: ورجز به فقال:

يَا مَعْدِنَ اللَّؤْمِ وَأَنْتَ جَبَلُهُ وَأَخِرَ اللَّؤْمِ وَأَنْتَ أَوَّلُهُ
جَارِيَتْ سَبَّاقاً بَعِيداً مَهْلُهُ كَانَ إِذَا جَارَى أَبَاكَ يُفْشِلُهُ
فَكَيْفَ تَرْجُوهُ وَكَيْفَ تَأْمُلُهُ وَأَنْتَ شَرُّ رَجُلٍ وَأَنْذَلُهُ
أَلَأُمُّهُ فِي مَازِقٍ وَأَجْهَلُهُ أَدْخَلَهُ بَيْتَ الْمَخَازِي مُدْخَلُهُ
فَاللَّؤْمُ سِرْبَالٌ لَهُ يُسْرِبِلُهُ ثُوباً إِذَا أَنْهَجَهُ^(٤) يُبَدِّلُهُ

[الرجز]

فأجابه حكم:

يَابْنَ التِّي جِيرَانَهَا كَانَتْ تَضُرُّ وَتَتَّبَعُ الشَّوْلَ وَكَانَتْ تَمْتَصِرُ^(٥)
كَيْفَ إِذَا مَارَسْتَ حُرّاً تَنْتَصِرُ

[الرجز]

ولهما أراجيز كثيرة طويلة جداً أسقطتها لكثرتها وقلة فائدتها.

[الحكم ولقاء ابن ميادة وتهاجيها]

أخبرني الحرَمِيُّ قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: أَخْبَرَنِي بَعْضُ

(١) يقارض الناس مقارضة: يلاحيه ويواقعهم. وبينهم مقارصات ومقارضات. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: إن قارضت الناس قارضوك، وإن تركتهم لم يتركوك.

(٢) رِيحٌ هِيَاعٌ لِيَاعٌ: سريعة. وَرَجُلٌ هَاعٌ لَاعٌ وهائِعٌ لَائِعٌ: ضَعِيفٌ جَبَانٌ. وَقَدْ هَاعَ يَهَاعُ وَيَهِيْعُ هُيُوعاً وَهَيَعَاناً. وَأَمْرَأَةٌ هَاعَةٌ لَاعَةٌ: جَزُوعٌ. وَقَدْ هَاعَتْ تَهَاعَ هَاعاً. وَهِيْعَتْ أَهَاعُ هَيَعَاناً: ضَجِرَتْ. وَهَاعَتْ الْإِبِلُ إِلَى الْمَاءِ: أَيِ عَطِشَتْ، تَهِيْعُ. وَهَاعَ يَهَاعُ هَيَعَةً وَيَهِيْعُ: جَاعَ.

(٣) مشاش: رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين.

(٤) أنهجه: أبلاه وأخلقه.

(٥) ناقة مصور: بطيئة خروج الدّر لا تحلب إلا مصراً وهو الحلب بأطراف الأصابع، وقد مصرتها وتمصرتها وامتصرتها. وعن مصور: قليلة الدر.

من لقيت من الخُضر: أن حكماً الخُضري خرج يريد لقاء ابن ميادة بالرقم^(١) من غير موعد فلم يلقه، إما لأنه تغيب عنه وإما لأنه لم يصادفه، فقال حكم:

فَرَّ ابْنُ مِيَادَةَ الرَّقْطَاءِ مِنْ حَكَمٍ بِالصُّغْرِ^(٢) مِثْلَ فِرَارِ الْأَعْقَدِ^(٣) الدَّهْمِ
أَصْبَحْتُ فِي أَقْرِ^(٤) تَعْلُو أَطَاوِلَهُ تَفَرُّ مَنِّي وَقَدْ أَصْبَحْتُ بِالرَّقَمِ
[الطويل]

وقال إسحاق في روايته عن أصحابه: قال ابن ميادة يهجو حكماً وينسب بأم جحدَر:

يَمْتَوْنَنِي مِنْكَ اللَّقَاءَ وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ لَا أَلْقَاكَ مِنْ دُونِ قَابِلٍ
[الطويل]

وقد مضى أكثر هذه الأبيات متقدماً، فذكرتُها هنا منها ما لم يمض وهو قوله:

فَيَا لَيْتَ رَثَّ الْوَصْلِ مِنْ أُمِّ جَحْدَرٍ لَنَا بِجَدِيدٍ مِنْ أَوْلَاكَ الْبَدَائِلِ
وَلَمْ يَبْقَ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا مِنْ الْوُدِّ إِلَّا مُخْفَيَاتِ الرِّسَائِلِ
وَإِنِّي إِذَا أَسْتَنْبَهْتُ مِنْ حُلُو رَقْدَةٍ رُمِيتُ بِحُبِّهَا كَرَمِي الْمُنَاضِلِ
[الطويل]

صوت

فَمَا أُنْسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا أُنْسَ قَوْلُهَا وَأَدْمُعُهَا يُذِيرِنَ حَشَوَ الْمَكَاحِلِ
تَمَتَّعَ بِذَا الْيَوْمِ الْقَصِيرِ فَإِنَّهُ رَهِينٌ بِأَيَّامِ الدَّهْوَرِ الْأَطَاوِلِ
[الطويل]

الغناء في هذين البيتين لعلِّي بن يحيى المنجَّم، ولحنه من الثقيل الثاني.

وَكُنْتُ أَمْرًا أَرْمِي الزَّوَائِلَ^(٥) مَرَّةً فَأَصْبَحْتُ قَدْ وَدَّعْتُ رَمِي الزَّوَائِلِ

(١) الرقم: جبل دون مكة بديار غطفان واسم ماء عندها أيضاً.

(٢) الصُّغْر: الذل والهوان.

(٣) اعْتَقَدَ الشَّيْءُ: صَلَبَ. واعْتَقَدَ الْإِحَاءُ وَالْمَوْدَةُ بَيْنَهُمَا: أَي تَبَتَّ، وَالْأَعْقَدُ مِنَ التُّيُوسِ وَالطُّبَاءِ: الَّذِي فِي قَرْنِهِ عُقْدَةٌ. وَرَجُلٌ أَعْقَدٌ، وَقَدْ عَقِدَ يَعْقُدُ عَقْدًا أَي فِي لِسَانِهِ عُقْدَةٌ وَغِلْظٌ فِي وَسْطِهِ، قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي﴾.

(٤) أقر: واد لبني مرة.

(٥) الزَّوُلُ: الْفَتَى الْخَفِيفُ الطَّرِيفُ، وَوَصِيفَةُ زَوْلَةٍ: نَافِذَةٌ، وَفِتْيَانُ أَرْوَالٍ. وَالْعَجَبُ، وَالْبَلَاءُ، أَمْسُوا فِي زَوُلٍ. وَالشَّخْصُ، وَجَمْعُهُ أَرْوَالٌ، وَكَذَلِكَ الزَّائِلَةُ وَالزَّائِلُ. وَرَجُلٌ رَامِي الزَّوَائِلِ: أَي طَبَّ بِإِصْبَاءِ النِّسَاءِ. وَالْمَرْوَلَةُ: الْمُعَالَجَةُ. وَرَجُلٌ زَوُلٌ: حَسُنَ التَّدْبِيرُ.

وَعَطَّلْتُ قَوْسَ اللَّهِ مِنْ سَرَعَانِهَا وَعَادَتْ سِهامي بَيْنَ رَثٍّ وَنَاصِلِ
[الطويل]

السَّرَعَانُ: وَثَرٌ يَعْمَلُ مِنْ عَقَبِ الْمَتْنِ^(١)، وهو أطول العقب.

إِذَا حَلَّ بَيْتِي بَيْنَ بَدْرِ وَمَازِنٍ وَمُرَّةَ نِلْتِ الشَّمْسِ وَأَشْتَدَّ كَاهِلِي
[الطويل]

يعني بدر بن عمرو بمن جُؤَيَّةَ بن لؤذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان،
ومرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان، ومرّة بن فزارة، ومازن بن فزارة. وهي طويلة.

قال أبو الفرج الأصبهاني: أخذ إسحاق الموصلي معنى بيت ابن ميادة في قوله:
«نِلْتُ الشَّمْسَ وَأَشْتَدَّ كَاهِلِي» فقال:

عَطَسْتُ بِأَنْفٍ شَامِخٍ وَتَنَاوَلْتُ يَدَايَ الثُّرَيَّا قَاعِدًا غَيْرَ قَائِمٍ^(٢)
[الطويل]

وَلَعَمْرِي لئن كان استعار معناه لقد اضْطَلَعَ به وزاد فأحسن وأجاد.

وفي هذه القصيدة يقول:

فَضَّلْنَا قُرَيْشًا غَيْرَ رَهْطِ مُحَمَّدٍ وَغَيْرَ بَنِي مَرَوَانَ أَهْلِ الْفَضَائِلِ
[الطويل]

[عندما ضربه إبراهيم بن هشام]

قال يحيى بن عليّ: وأخبرني عليّ بن سليمان بن أيوب عن مُصْعَبٍ، وأخبرني
به الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عن مُصْعَبٍ قال:

قال إبراهيم بن هشام بن إسماعيل لابن ميادة: أَنْتِ فَضَّلْتَ قُرَيْشًا! وَجَرَّدَهُ
فَضْرِبَهُ أَسْوَاطًا.

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: لَمَّا قَالَ ابْنُ مِيَادَةَ:

فَضَّلْنَا قُرَيْشًا غَيْرَ رَهْطِ مُحَمَّدٍ وَغَيْرَ بَنِي مَرَوَانَ أَهْلِ الْفَضَائِلِ
[الطويل]

(١) العقب: العصب الذي تعمل منه الأوتار.

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي، أبو محمد ابن النديم. من أشهر ندماء الخلفاء،
تفرد بصناعة الغناء، وكان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام، راوياً
للشعر حافظاً للأخبار، شاعراً له تصانيف، من أفراد الدهر أدباً وظرفاً وعلماً. فارسي الأصل،
مولده ووفاته ببغداد سنة ١٥٥هـ، وعمي قبل موته بستين سنة ٢٣٥هـ.

قال له الوليد بن يزيد: قَدَّمَتِ آلُ مُحَمَّدٍ قَبْلَنَا؛ فقال: ما كُنْتُ يا أمير المؤمنين أَظُنُّهُ يُمْكِنُ غَيْرَ ذَلِكَ. قال: فلما أَفْضَتِ الْخِلاَفَةُ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ وَفَدِ ابْنُ مَيْيَادَةَ إِلَى الْمَنْصُورِ وَمَدَحَهُ؛ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ لَمَّا دَخَلَ إِلَيْهِ: كَيْفَ قَالَ لَكَ الْوَلِيدُ؟ فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ، فَجَعَلَ الْمَنْصُورُ يَتَعَجَّبُ.

[ابن ميادة والحكم بعريجاء]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْجُمَحِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ سَمُرَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ شَمَّاحِ بْنِ سَمُرَةَ عَنْ رِيحَانَ بْنِ سُؤَيْدِ الْخُضَرِيِّ، وَكَانَ رَاوِيَةَ حَكَمَ بْنِ مَعْمَرِ الْخُضَرِيِّ، قَالَ: تَوَاعَدَ حَكَمٌ وَابْنُ مَيْيَادَةَ عُرَيْجَاءَ^(١) - وَهِيَ مَاءٌ - يَتَوَاقِفَانِ عَلَيْهَا، فَخَرَجَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ، وَأَقْبَلَ صَخْرُ بْنُ الْجَعْدِ الْخُضَرِيُّ يُؤْمُ حَكَمًا، وَهُوَ يَوْمِئِذٍ عَدُوٌّ لِحَكَمٍ لَمَّا فَرَطَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْهَجَاءِ فِي أَرْكَوبٍ مِنْ بَنِي مَازِنَ بْنِ مَالِكِ بْنِ طَرِيفِ بْنِ خَلْفِ بْنِ مُحَارِبٍ؛ فَلَمَّا لَقِيَهُ قَالَ لَهُ: يَا حَكَمُ، أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ عَرَضْتَ لِلْمَوْتِ! وَهُمْ وَجْوهُ قَوْمِكَ! فَوَاللَّهِ مَا دُمَاؤُهُمْ عَلَى بَنِي مُرَّةٍ إِلَّا كَدُمَاءِ جَدَايَةٍ^(٢)، فَعَرَفَ حَكَمُ أَنَّ قَوْلَ صَخْرٍ هُوَ الْحَقُّ فَرَدَّ قَوْمَهُ، وَقَالَ لَصَخْرٍ: قَدْ وَعَدَنِي ابْنُ مَيْيَادَةَ أَنْ يَوَاقِفَنِي غَدًا بَعْرِجَاءَ لِأَنِّي أَنَا شَدَّهُ، فَقَالَ لَهُ صَخْرٌ: أَنَا كَثِيرُ الْإِبِلِ - وَكَانَ حَكَمٌ مُقْبِلًا - فَإِذَا وَرَدَتْ إِبِلِي فَارْتَجِزْ، فَإِنَّ الْقَوْمَ لَا يَشْجَعُونَ عَلَيْكَ وَأَنْتَ وَحْدُكَ، فَإِنَّ لَقِيْتَ الرَّجُلَ نَحَرَ وَأَطْعَمَ فَانْحَرْ وَأَطْعَمْ وَإِنْ أَتَيْتَ عَلَى مَالِي كُلِّهِ. قَالَ رِيحَانُ رَاوِيَتُهُ: فَوَرَدَ يَوْمِئِذٍ عُرَيْجَاءَ وَلَمْ يَلْقَ رَمَاحًا وَلَمْ يَوَافِ لِمَوْعَدِهِ، وَظَلَّ يُنْشِدُ يَوْمِئِذٍ حَتَّى أَمْسَى، ثُمَّ صَرَفَ وَجْوهَ إِبِلِ صَخْرٍ وَرَدَّهَا. وَبَلَغَ الْخَبَرَ ابْنُ مَيْيَادَةَ وَمُوَافَاةَ حَكَمٍ لِمَوْعَدِهِ، فَأَصْبَحَ عَلَى الْمَاءِ وَهُوَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ:

أَنَا أَبْنُ مَيْيَادَةَ عَقَّارُ الْجُزُرِ كُلُّ صَفِيٍّ ذَاتِ نَابٍ مُنْفَطِرٍ
[الرجز]

[صلحهما]

وَوَضَعَ عَلَى الْمَاءِ فَانْحَرَ وَأَطْعَمَ. فَلَمَّا بَلَغَ حَكَمًا مَا صَنَعَ ابْنُ مَيْيَادَةَ مِنْ نَحْرِهِ وَإِطْعَامِهِ شَقَّ عَلَيْهِ مَشَقَّةً شَدِيدَةً. ثُمَّ إِنَّهُمَا بَعْدَ تَوَافِيَا بِحِمَى ضَرِيَّةٍ. قَالَ رِيحَانُ بْنُ

(١) العريجاء: أن ترد الإبل غدوة وتصدر عن الماء فيكون سائر يومها في الكلاء وليلتها ويومها من غدها، ثم ترد ليلاً ثم تصدر عن الماء، ويكون بقية ليلتها في الكلاء ويومها من الغد وليلتها ثم يصبح الماء غدوة، فهذه العريجاء، وهي من باب صفات الرفه.

(٢) الجداية: الظبية.

سُوَيْد: وكان ذلك العامَ عامَ جَذْبِ وسنةٍ إِلَّا بَقِيَّةَ كَلَأٍ بَضْرِيَّةٍ. قال: فسبقنا ابن ميادة يومئذٍ فنزلنا على مولاةٍ لِعُكَّاشَةَ بنِ مُصْعَبِ بنِ الزُّبَيْرِ ذاتِ مالٍ ومنزلةٍ من السلطان. قال: وكان حكم كريمًا على الوُلاةِ هناك يُتَّقَى لِسَانُهُ. قال رِيحَانُ: فبينما نحن عند المولاة وقد حططنا برادعَ دوابِّنا إذا راكبان قد أقبلَا، وإذا نحن برمَّاحٍ وأخيه ثوبان - ولم يكن لثوبان ضَرِيبٌ^(١) في الشجاعة والجمال - فأقبلَا يتسيران، فلما رآهما حكمٌ عرفهما، فقال: يا رِيحَانُ، هذان ابنا أبرد، فما رأيك؟ أتكفيني ثوبان أم لا؟ قال: فأقبلَا نحونا ورمَّاح يتصاحكُ حتى قبض على يد حكم وقال: مرحباً برجل سكتُ عنه ولم يسكت عني، وأصبحت الغداة أطلب سَلْمَهُ يسوقني الذُّبُّ^(٢) والسنة، وأرجو أن أرعى الحمى بجاهه وبركته؛ ثم جلس إلى جنب حكم وجاء ثوبان فقعد إلى جنبي، فقال له حكم: أما وربُّ المرسلين يا رَمَّاح لولا أبياتٌ جعلت تعتصم بهنَّ وترجعُ إليهنَّ - يعني أبيات ابن ظالم - لاستوسقت^(٣) كما استوسق من كان قبلك. قال رِيحَانُ: وأخذنا في حديثٍ أسمعُ بعضه ويُخْفِي عليَّ بعضه، فَظَلَّلْنَا عند المرأة ودُبِجَ لنا وهما في ذلك يتحادثان، مقبل كل واحد منهما على صاحبه لا ينظران شَدَّنَا، حتى كان العِشاء فشددنا للرَّواح نَوْمُ أهلنا، فقال رَمَّاح لحكم: يا أبا مَنِيع - وكانت كنية حكم - : قد قضيت حاجتك وحاجة مَنْ طلبتَ له من هذا العامل، وإنَّ لنا إليه حاجةٌ في أن يُرْعِينَا؛ فقال له حكم: قد والله قضيتُ حاجتي منه وإنِّي لأكره الرجوعَ إليه، وما من حاجتك بُدٌّ، ثم رَجَعَ معه إلى العامل، فقال له بعد الحديث معه: إنَّ هذا الرجلَ مَنْ قد عَرَفْتُ ما بيني وبينه، وقد سأل الصُّلَحَ وأنا ب إليه، فأحببتُ أن يكون ذلك على يدك وبمَحْضَرِكَ. قال: فدعا به عاملٌ ضريَّةً وقال: هل لك حاجةٌ غير

(١) ضريب الشيء: مثله وشكله.

(٢) رجل مذؤوب: فزعته الذئب أو وقع في غنمه الذئب، وقد ذئب فلان، وأرض مذأبة، وأذابت الأرض. وسرج واسع الذئبة، وسروج واسعة الذئب وهي ما بين الجديتين من الفرجة. قال العجاج:

لولا الأبازيْم وأن المنسجما ناهي من الذئبة أن تفرجنا
لأفحم الفارس عنه زعجا

ولها ذؤابة وذوائب وهي الشعر المنسدل من وسط الرأس إلى الظهر. وغلام مذأب: له ذؤابة. ومن المجاز: هو ذئب في ثلة. وهم أذؤب وذئاب، وهم من ذؤبان العرب: من صعاليكهم وشطارهم. وقد ذؤب فلان ذأبة: خبت كالذئب. وأكلتهم الضيع، وأكلهم الذئب أي السنة. وأصابتهم سنة ضيع، وسنة ذئب على الوصف. وأنشد النضر:

وقد ساق قبلي من معدّ وطبيء إلى الشام جوحات السنين وذئبها

(٣) وسق الإبل فاستوسق: أي طردها فأطاعت.

ذلك؟ قال: لا والله، ونسي حاجة رَمَّاح، فأذكرته إياها، فرجع فطلبها واعتذر بالنسيان. فقال العامل لابن ميادة: ما حاجتك؟ فقال: تُرعيني عُريجاء لا يعرضُ لي فيها أحدٌ، فأرعاه إياها. فأقبل رَمَّاح على حكم فقال: جزاك الله خيراً يا أبا منيع، فوالله لقد كان ورائي من قومي مَنْ يَتمنى أن يرعى عُريجاء بنصف ماله. قال فلماً عزمنا على الانصراف ودَّعَ كُلُّ واحدٍ منهما صاحبه وانصرفا راضيين وانصرف ابن ميادة إلى قومه فوجد بعضهم قد ركب إلى ابن هشام فاستغضبه على حكم في قوله:

وما وَلَدَتْ مُرِيَّةً ذاتَ لَيْلَةٍ من الدهر إلا زاد لؤماً جَنيها
[الطويل]

[طرده السلطان فرحل إلى الشام فمات هناك]

فأطرده^(١) وأقسم: لئن ظَفَرَ به لِيُسْرِجَنَّهُ وَلِيَحْمِلَنَّ عليه أحدهم. فقال رَمَّاح - وساء ما صنعوا - : عمدتُم إلى رجل قد صلح ما بيني وبينه وأُرْعِيَتْ بوجهه فاستعديتُم عليه وجئتم بإطراده! وبلغَ الحكمَ الخبرَ فطار إلى الشام فلم يبرحها^(٢) حتى مات.

قال العباس بن سَمُرَةَ: مات بالشَّام غرقاً، وكان لا يُحْسِنُ العومَ فمات في بعض أنهارها. قال: وهو وجهه^(٣) الذي مدح فيه أسود بن بلال المُحاربيّ ثم السَّوائي في قصيدته التي يقول فيها:

واستيقَنتُ أن لا بَرَاحَ من السُّرى حتى تُنَاخَ بأَسودَ بنِ بِلالٍ
قَرُمُ إذا نَزَلَ الوُفودُ ببابه سَمَتِ العِيونُ إلى أَشَمِّ طُوالٍ
[الكامل]

[مناقضات حكم وابن ميادة]

ولحكم الخُضريّ وابن ميادة مُناقضاتٌ كثيرةٌ وأراجيزُ طُوالٍ طُوِيَتْ ذكر أكثرها وألغيت، وذَكَرْتُ منها لَمَعاً من جَيِّد ما قاله لئلا يخلو هذا الكتاب من ذكر بعض ما دار بينهما ولا يستوعب سائرهُ فيطولُ. فمما قاله حكمٌ في ابن ميادة قوله:

خَلِيلِي عُوْجاً حَيِّيا الدارَ بالجَفْرِ^(٤) وقولاً لها سَفِيأً لِعَصْرِكَ من عَصْرِ

(١) أطرده: أمر بإخراجه.

(٢) يبرحها: يتركها.

(٣) وجهه: رحلته وسفره.

(٤) الجفر: موضع بناحية ضرية من نواحي المدينة.

وماذا تُحْيِي من رُسُومٍ تَلَا عَبَتْ

بها حَرْجَفٌ^(١) تَذْرِي بأذيالها الكُدْرَ^(٢)

[الطويل]

ومن جيّد قوله فيها يفتخر:

إِذَا يَبَسَتْ عِيدَانُ قَوْمٍ وَجَدْتَنَا
إِذَا النَّاسُ جَاءُوا بِالْقُرُومِ أَتَيْتُهُمْ
لَنَا الْعَوْرُ وَالْأَنْجَادُ وَالْخَيْلُ وَالْقَنَا

وعِيدَانُنَا تُغْشَى عَلَى الْوَرَقِ الْخُضْرِ
بِقَرْمٍ يُسَاوِي رَأْسَهُ غُرَّةَ الْبَدْرِ
عَلَيْكُمْ وَأَيَّامُ الْمَكَارِمِ وَالْفَخْرِ

[الطويل]

ومن جيّد هجائه قوله:

فِيَا مُرَّ قَدْ أَخْزَاكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
فَمِنْهُمْ أَنَّ الْعَبْدَ حَامِي ذِمَارِكُمْ
وَمِنْهُمْ أَنْ لَمْ تَمْسَحُوا وَجْهَ سَابِقٍ
وَمِنْهُمْ أَنَّ الْمَيِّتَ يُدْفَنُ مِنْكُمْ
وَمِنْهُمْ أَنَّ الْجَارَ يَسْكُنُ وَسَطَكُمْ
وَمِنْهُمْ أَنَّ عُذَّتُمْ بِأَرْقَطَ كَوْدَنٍ^(٣)
تَبَيَّتْ ضِبَابُ^(٦) الضُّغْنِ تَخْشَى احْتِرَاشَهَا^(٧)

مِنَ اللَّوْمِ خَلَّاتٍ يَزِدُّنَ عَلَى الْعَشْرِ
وَبِئْسَ الْمُحَامِي الْعَبْدُ عَنْ حَوْزَةِ الثَّغْرِ
جَوَادٍ وَلَمْ تَأْتُوا حَصَانًا عَلَى طَهْرٍ
فَيَنْفُسُو عَلَى دُقَانِهِ وَهُوَ فِي الْقَبْرِ
بَرِيئًا فَيُلْقَى بِالْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ
وَبِئْسَ الْمُحَامِي أَنْتَ يَا صَرْطَةَ^(٤) الْجَفْرِ^(٥)
يَدِبُ إِلَى الْجَارَاتِ مُحْدَوْدَبَ الظَّهْرِ
وَأِنْ هِيَ أَمَسَتْ دُونَهَا سَاحِلُ الْبَحْرِ

[الطويل]

(١) الحرجف: الريح الباردة الشديدة الهبوب، قال الفرزدق:

إِذَا احْمَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وَهَتَكَتْ كُسُورَ بُيُوتِ الْحَيِّ حَمْرَاءَ حَرْجَفٍ

(٢) الكدر: خلاف الصنفو. وقد كدر الماء بالكسر يَكْدُرُ كَدْرًا، فهو كَدِرٌ وَكَدْرٌ أَيْضًا.

(٣) كودن: البرذون الهجين، يريد الشاعر إنساناً كالبرذون.

(٤) الضراط: الرُدَامُ. وقد صَرَطَ يَضْرُطُ صَرْطًا. وفي المثل: أودى العيرُ إلا صَرَطًا، أي لم يبقَ من جَلْدِهِ وَقُوَّتِهِ إلا هذا. وأضْرَطَهُ غَيْرُهُ وَضَرْطُهُ بِمَعْنَى. وكان يقال لعمر بن هند: مُضْرَطُ الْحَجَارَةِ، لشدته وصرامته. وقولهم: أضْرَطَ به، وخرط به أي هَزَأَ به؛ وحكى له بفيه فعلُ الضارِطِ.

(٥) الجفْر من أولاد المعز: ما بلغ أربعة أشهر وجفَر جَنْبَاهُ وفَصَلَ عن أمه. والأثنى جَفْرَةٌ.

(٦) الضباب: الأحقاد والغل التي تختزن في النفس.

(٧) الحرش والتحرش: إغراؤك إنساناً بغيره. والأحرش من الدنانير ما فيه خشونة لجلده، قال: دنانيرُ حُرْشٌ كُلُّهَا ضَرْبٌ وَاحِدٌ وَالضَّبُّ أَحْرَشٌ: حَشِنُ الْجِلْدِ كَأَنَّهُ مُحَزَزٌ. واحترشت الضب وهو أن تحرشه في حُجْرِهِ فَتُهَيِّجَهُ فَإِذَا خَرَجَ قَرِيبًا مِنْكَ هَدَمْتَ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ الْجَحْرِ. ورُبَّمَا حَارَشَ الضَّبُّ الْأَفْعَى: إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَدْخُلَ عَلَيْهِ قَاتِلَهَا.

فأجابه ابنُ مِيَّادَةَ بقصيدةٍ طويلةٍ، منها قوله مُجِيباً له عن هذه الخصال التي سبَّهم بها:

لَقَدْ سَبَقَتْ بِالْمُخْزِيَّاتِ مُحَارِبٌ وَفَازَتْ بِخَلَّاتٍ عَلَى قَوْمِهَا عَشِيرِ
فَمِنْهُمْ أَنْ لَمْ تَعْقِرُوا ذَاتَ ذِرْوَةٍ لِحَقٍّ إِذَا مَا أَحْتِيجَ يَوْمًا إِلَى الْعَقْرِ
وَمِنْهُمْ أَنْ لَمْ تَمْسَحُوا عَرَبِيَّةً مِنَ الْخَيْلِ يَوْمًا تَحْتَ جُلٍّ عَلَى مُهْرٍ
وَمِنْهُمْ أَنْ لَمْ تَضْرِبُوا بِسُيُوفِكُمْ جَمَاجِمَ إِلَّا فَيْشَلٌ^(١) الْفُرَحَ الْحُمَرِ
وَمِنْهُمْ أَنْ كَانَتْ شَيْوُخُ مُحَارِبٍ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ لَا تَرِيشُ وَلَا تَبْرِي^(٢)
وَمِنْهُمْ أَخْزَى سَوْءَ لَوْ ذَكَرْتُهَا لَكُنْتُمْ عَبِيدًا تَخْدُمُونَ بَنِي وَبَرِ
وَمِنْهُمْ أَنَّ الضَّأْنَ كَانَتْ نِسَاءُكُمْ إِذَا أَخْضَرَ أَطْرَافُ الثُّمَامِ^(٣) مِنَ الْقَطْرِ
وَمِنْهُمْ أَنْ كَانَتْ عَجُوزُ مُحَارِبٍ تُرِيغُ^(٤) الصُّبَا تَحْتَ الصَّفِيحِ مِنَ الْقَبْرِ
وَمِنْهُمْ أَنْ لَوْ كَانَ فِي الْبَحْرِ بَعْضُكُمْ لَخَبَثَ ضَا حِي جِلْدِهِ^(٥) حَوْمَةَ الْبَحْرِ^(٦)
[الطويل]

ومما قال ابن مِيَّادَةَ في حَكَمِ قوله من قصيدة أولها:

أَلَا حَيَّا الْأَطْلَالَ طَالَتْ سِنِيئُهَا بِحَيْثُ أَلْتَقَتْ رُبْدُ^(٧) الْجِنَابِ^(٨) وَعَيْنُهَا
[الطويل]

ويقول فيها:

فَلَمَّا أَتَانِي مَا تَقُولُ مُحَارِبٌ تَعَنَّتْ شَيَاطِينِي وَجُنَّ جُنُونُهَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ عَشَى مُحَارِباً إِذَا اجْتَمَعَ الْأَقْوَامُ لَوْنًا يَشِينُهَا

(١) الْفَيْشَلَةُ، كَحَيْدَرَةٍ: الْحَشَفَةُ، طَرَفُ الذَّكَرِ. قِيلَ: رَأْسُ كُلِّ مُحَوَّقٍ.

(٢) لَا تَرِيشُ وَلَا تَبْرِي: لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ.

(٣) الثُّمَامُ: نَبْتُ ضَعِيفٍ لَهُ حُوصٌ أَوْ شَبِيهٌ بِالْخَوْصِ، وَرَبَّمَا حُشِي بِهِ وَسُدَّ بِهِ خِصَاصُ الْبَيْوتِ، الْوَاحِدَةُ ثُمَامَةٌ.

(٤) أَرَاغَ وَادْتَاغَ بِمَعْنَى: طَلَبَ وَأَرَادَ. تَقُولُ: أَرَعْتُ الصَّيْدَ. وَمَاذَا تُرِيغُ، أَيِ تَرِيدُ وَتَطْلُبُ.

(٥) ضَا حِي جِلْدِهِ: الضَّاحِي ظَاهِرُ الْأَمْرِ، وَأَرْضُ مَضْحَاةٍ، إِذَا كَانَتْ الشَّمْسُ لَا تَكَادُ تَغِيبُ عَنْهَا، وَهِيَ ضِدُّ الْمَقْنَأَةِ لِأَنَّ الْمَقْنَأَةَ الْأَرْضَ الَّتِي لَا تَكَادُ الشَّمْسُ تَصِيبُهَا. وَضَا حِي الْجِلْدُ: ظَاهِرُهُ.

(٦) حَوْمَةُ الْبَحْرِ: أَكْثَرُ مَوْضِعٍ فِي الْبَحْرِ غَزَارَةُ وَمَاءٍ.

(٧) رَبْدٌ: نَعَامَةٌ رَبْدَاءٌ وَنَعَامٌ رَبْدٌ وَظَلِيمٌ أَرْبِدٌ وَنَمِرٌ أَرْبِدٌ. وَفِيهِ رِبْدَةٌ وَهِيَ نَحْوُ الرَّمْدَةِ وَهِيَ لَوْنُ الرَّمَادِ. وَتَرَبَّدَتِ السَّمَاءُ، وَالسَّمَاءُ مَتْرَبْدَةٌ: مَتَغِيمَةٌ. وَرَبِدَتِ الشَّاةُ: أَضْرَعَتْ فَرْئِي فِي ضَرْعِهَا لَمَعَ سَوَادٌ.

(٨) الْجِنَابُ: مَوْضِعٌ بِعَرَاضِ خَيْبَرٍ وَسِلَاحِ وَوَادِي الْقُرَى، وَقِيلَ: هُوَ مِنْ مَنَازِلِ بَنِي مَازَنٍ.

طَوَابِعُ لُؤْمٍ لَيْسَ يَنْفَتُ^(١) طِينُهَا
فَضِمْنَاهُمْ إِنَّا كَذَاكَ نَدِينُهَا
وَصَارَتْ لَهُمْ جَسْرٌ^(٢) وَذَاكَ ثَمِينُهَا
تَحَرَّكَ قُنْبَاهَا^(٣) فَطَارَ طَحِينُهَا
مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا أَزْدَادَ لُؤْمًا جَنِينُهَا
[الطويل]

تَرَى بِوَجْهِهِ الْخُضِرِ خُضِرٌ مُحَارِبٌ
لَقَدْ سَاهَمْتُنَاكُمْ سُلَيْمٌ وَعَامِرٌ
فَصَارَتْ لَنَا أَهْلُ الضَّئِينِ^(٢) مُحَارِبٌ
إِذَا أَخَذَتْ خُضْرِيَّةٌ قَائِمَ الرَّحَى
وَمَا حَمَلَتْ خُضْرِيَّةٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ

فقال حَكَمٌ يحييه عن هذه بقصيدته :

إِلَى اللَّؤْمِ مَقَلَاتٍ لَتِيْمٍ جَنِينُهَا
إِذَا مَا صَغَا فِي خِرْقَتَيْهَا جَبِينُهَا
مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا أَزْدَادَ لُؤْمًا جَنِينُهَا
وَلَا ذُكْرَتْ إِلَّا بِأَمْرِ يَشِينُهَا
بِهَا الدَّرُّ لَا دَرَّتْ بِخَيْرٍ لِبُونُهَا^(٦)
بَشْتَمِي وَبَعْضُ الْقَوْمِ حَمَقَى ظُنُونُهَا
لَحَى مُجْتَهَبَاتٍ^(٨) طَوَالٍ قُرُونُهَا
[الطويل]

لَأَنْتَ ابْنُ أَشْبَانِيَّةٍ أَدْلَجَتْ بِهِ
فَجَاءَتْ بِرَوَاثٍ كَأَنَّ جَبِينَهُ
فَمَا حَمَلَتْ مُرِّيَّةً قَطُّ لَيْلَةٍ
وَمَا حَمَلَتْ إِلَّا لِأَلَامٍ مَن مَشَى
تَزَوَّجَ عَثْوَانُ^(٥) الضَّئِينِ وَتَبْتَغِي
أَظْنَتْ بَنُو عَثْوَانَ أَنْ لَسْتُ شَاتِمًا
مَدَانِيْسَ أَبْرَامَ^(٧) كَانَ لِحَاهُمُ

قال الزُّبَيْرُ: فحدَّثني مَوْهوب بن رَشِيد قال: فسمع هذه القصيدة أحد بني قَتَال بن مُرَّة فقال: ما له أخراه الله يهجو صَبِيَّتَنَا! قال وهم أجفى قوم غَضَبًا لصبيتهم وقد هجاهم بما هجاهم به .

قال: وَبَلَغَ إِبْرَاهِيمَ بن هِشَامُ قَوْلَهُ فِي نِسَاءِ بَنِي مُرَّةٍ إِذْ يَقُولُ:

وَمَا حَمَلَتْ إِلَّا لِأَلَامٍ مَن مَشَى

(١) الانفتات: الانكسار .

(٢) الضَّائِنُ: ذَوَاتُ الْأَصْوَابِ مِنَ الْعَنَمِ، وَالْجَمِيعُ الضَّئِينُ، وَالْعَدْدُ أَضْوَنُ، وَالْوَاجِدَةُ ضَائِنَةٌ. وَرَجُلٌ ضَائِنٌ: حَسَنُ الْجِسْمِ قَلِيلُ الطَّعْمِ.

(٣) جسر: اسم حي .

(٤) الْقُنْبُ: جَرَابٌ قَضِيبُ الدَّابَّةِ، وَإِذَا كُنِيَ عَمَّا يَخْفُضُ مِنَ الْمَرْأَةِ قِيلَ: قُنْبُهَا. وَقَوْلُ الشَّاعِرِ: «قُنْبَاهَا» الْبُظْرُ وَهُوَ مَا بَيْنَ الْأَسْكَتَيْنِ وَهُمَا جَانِبَا الْحَيَاءِ.

(٥) عَثْوَانُ: اسْمُ لَقْبِيلَةٍ غَيْرِ مَعْرُوفَةٍ.

(٦) لبون: الكثيرة اللبن .

(٧) أبرام: جمع برم وهو الثقليل الجافي .

(٨) هذا وصف للتيوس مأخوذ من الهباب وهو هياجها للسفاد .

فَغَضِبَ ثُمَّ نَذَرَ دَمَهُ؛ فَهَرَبَ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى الشَّامِ فَمَاتَ بِهَا.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدَّثنا الزُّبَيْرُ قال: حدَّثني عبد الرحمن بن ضَبْعَانَ الخُضْرِيُّ قال: لَقِيَ ابْنُ مِيَّادَةَ صَخْرَ بْنَ الْجَعْدِ الخُضْرِيَّ فقال له: يا صخر، أَعَنْتَ عَلِيَّ ابْنَ عَمِّكَ الْحَكَمَ بْنَ مَعْمَرٍ! فقال له صخر: لا والله يا أبا الشُّرْحَبِيلَ ما أَعَنْتُهُ عَلَيْكَ، وَلَكِنْ خُيِّلَ إِلَيْكَ مَا كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيَّ، وَلَقَدْ هَاجَيْتُهُ فَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ شَجَرَ الْوَادِي يُعِينُهُ عَلَيَّ.

وَمِنْ جَيِّدِ قَوْلِ ابْنِ مِيَّادَةَ فِي حَكْمِ قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلَهَا:

صوت

لَقَدْ سَبَقَتْكَ الْيَوْمَ عَيْنَاكَ سَبَقَةً وَأَبْكَأكَ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ مَلَاعِبُهُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَيْغْلِبُنِي الْهَوَى إِذَا جَدَّ جَدُّ الْبَيْنِ أَمْ أَنَا غَالِبُهُ
فَإِنْ أَسْتَطِيعَ أَغْلِبُ وَإِنْ يَغْلِبِ الْهَوَى فَمِثْلُ الَّذِي لَاقَيْتُ يُغْلِبُ صَاحِبُهُ
[الطويل]

- في هذه الأبيات غناء ينسب - يقول فيها في هجاء حَكَمَ :

لَقَدْ طَالَ حَبْسُ الْوَفْدِ وَفْدٌ مُحَارِبٌ عَنِ الْمَجْدِ لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ بَعْدُ حَاجِبُهُ
وَقَالَ لَهُمْ كُورُوا فَلَسْتُ بِأَذِنٍ لَكُمْ أَبَدًا أَوْ يُحْصِيَ الثَّرْبَ حَاسِبُهُ
[الطويل]

وهي قصيدة طويلة.

[الوليد بن يزيد يفضل على الشعراء]

أخبرني الحرمي قال: حدَّثنا الزُّبَيْرُ قال: حدَّثني جلال بن عبد العزيز المُرِّي ثم الصادري عن أبيه: - قال جلال: وقد رأيتُ ابْنَ مِيَّادَةَ فِي بَيْتِ أَبِي، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ مِيَّادَةَ: وَصَلْتُ أَنَا وَالشُّعْرَاءُ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ وَهُوَ خَلِيفَةُ. وَكَانَ مَوْلَى مِنْ مَوَالِي خَرَشَةَ يُقَالُ لَهُ شُقْرَانُ يَعِيبُ ابْنَ مِيَّادَةَ وَيَحْسِدُهُ عَلَى مَكَانِهِ مِنَ الْوَلِيدِ، فَلَمَّا اجْتَمَعَتِ الشُّعْرَاءُ قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ لَشُقْرَانَ: يَا شُقْرَانُ، مَا عَلِمْتُكَ فِي ابْنِ مِيَّادَةَ؟ قَالَ: عِلْمِي فِيهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ:

لَيْمٌ يُبَارِي فِيهِ أَبْرَدُ نَهْبَلًا لَيْمٌ أَتَاهُ اللَّؤْمُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
[الطويل]

فَقَالَ الْوَلِيدُ: يَا ابْنَ مِيَّادَةَ، مَا عَلِمْتُكَ فِي شُقْرَانَ؟ قَالَ: عِلْمِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ

عبدٌ لعجوزٍ من خرشةٍ كاتبتهُ على أربعين درهماً ووعدتها - أو قال: وعدته - أن تُجيزه بعشرين درهماً فقبضتهُ إياها، فأعنه عني يا أمير المؤمنين، فليس له أصلٌ فأحتفره ولا فرغٌ فأهتصره^(١)، فقال له الوليدُ: اجتنبه يا شقران فقد أبلغ إليك في الشئمة، فقصر شقران صاغراً، ثم أنشدته، فأقيمت الشعراء جميعاً غيري، وأمر لي بمائة لِفحةٍ وفحلها وراعيها وجاريةٍ بكرٍ وفرسٍ عتيق، فاختلت ذلك اليوم وقُلْتُ:

أَعْطَيْتَنِي مِائَةً صُفْراً مَدَامِئُهَا كَالنَّخْلِ زَيْنَ أَعْلَى نَبْتِهِ الشَّرْبُ

[البسيط]

ويروى:

كَأَنَّهَا النَّخْلُ رَوَى نَبْتَهَا الشَّرْبُ

يَسَوْقُهَا يَافِعٌ جَعْدٌ مَفَارِقُهُ مِثْلُ الْغُرَابِ غَذَاهُ الصَّرُّ وَالْحَلْبُ
وَذَا سَبِيبٍ^(٢) ضَهَبِيَّالَهُ عُرْفُ وَهَامَةٌ ذَاتُ فَرْقٍ مَا بِهَا صَخْبُ

[البسيط]

ولم يذكر الزُّبَيْرُ في خبره غير هذه الأبيات الثلاثة، وهي من قصيدة للرَّمَّاح طويلة يمدح فيها الوليد بن يزيد، وقد أجاد فيها وأحسن؛ وذكرْتُ من مُختارها ها هنا طرفاً، وأولها:

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ بِالْعَلِيَاءِ غَيْرَهَا^(٣) سَافِي الرِّيَّاحِ وَمُسْتَنٌّ^(٤) لَهُ طَنْبُ^(٥)
دَارٌ لِبَيْضَاءٍ مُسَوَّدَةٍ مَسَائِحُهَا كَأَنَّهَا ظُبِيَّةٌ تَرَعَى وَتَنْتَصِبُ

[البسيط]

المسائح: ما بين الأذن إلى الحاجب من الشعر، وتنتصب: تَقِفُ إذا ارتفعت مُنتَصِبَةً تتوجَّسُ^(٦):

- (١) في التهذيب: اهتَصَرَ النُّخْلَةَ اهْتِصَاراً، إِذَا ذَلَّلَ عُذُوقَهَا وَسَوَّاهَا.
- (٢) السَّبِيبُ: السَّيْبُ مِنَ الْفَرَسِ: شَعْرُ الذَّنْبِ، وَالْعُرْفُ، وَالنَّاصِيَّةُ؛ وَفِي الصَّحَاحِ: السَّبِيبُ شَعْرُ النَّاصِيَّةِ، وَالْعُرْفُ، وَالذَّنْبُ؛ وَلَمْ يَذْكُرِ الْفَرَسُ. وَقَالَ الرِّيشِيُّ: هُوَ شَعْرُ الذَّنْبِ.
- (٣) ورد الصدر في بعض المصادر على الشكل التالي: «هَلْ يَنْطِقُ الرَّبْعُ بِالْعَلِيَاءِ غَيْرَهُ».
- (٤) استن المطر: انصب المطر صباً.
- (٥) الطَّنْبُ: حَبْلُ الْخَبَاءِ وَالسُّرَادِقِ وَنَحْوَهُمَا، وَأَطْنَابُ الشَّجَرِ: عُرُوقُهَا، وَأَطْنَابُ الْجَسَدِ: عَصَبُ يَصِلُ الْمَفَاصِلَ وَالْعِظَامَ وَيَشُدُّهَا. وَالْإِطْنَابُ: الْبَلَاغَةُ فِي الْمَنْطِقِ فِي مَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ.
- (٦) الْوَجَسُ: فَزَعَةُ الْقَلْبِ، يُقَالُ: أَوْجَسَ الْقَلْبُ فَرَعَاً. وَتَوَجَّسَ الْأُذُنُ إِذَا سَمِعَتْ فَرَعَاً. وَالْوَجَسُ: الْفَرْعُ يَقَعُ فِي الْقَلْبِ، أَوْ فِي السَّمْعِ مِنْ صَوْتٍ وَغَيْرِهِ. وَالْوَجَسُ: الصَّوْتُ الْخَفِيُّ.

تَحْنُو لِأَكْحَلِ الْقَتْنَةِ بِمَضْيَعَةٍ فَقَلْبُهَا شَفَقاً مِنْ حَوْلِهِ يَجِبُ^(١)

[البسيط]

يقول فيها:

يَا أَطِيبَ النَّاسِ رِيقاً بَعْدَ هَجَعَتِهَا^(٢) وَأَمْلَحَ النَّاسِ عَيْناً حِينَ تَنْتَقِبُ
لَيْسَتْ تَجُودُ بِنَيْلٍ حِينَ أَسَأَلَهَا وَلَسْتُ عِنْدَ خَلَاءِ اللَّهِوَ أَعْتَصِبُ
فِي مِرْفَقَيْهَا إِذَا مَا عُونِقْتَ جَمَمٌ^(٣) عَلَى الضَّجِيعِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَنْبٌ^(٤)
وَلَيْلَةٌ ذَاتِ أَهْوَالٍ كَوَاكِبُهَا مِثْلُ الْقَنَادِيلِ فِيهَا الزَّيْتُ وَالْعُطْبُ^(٥)
قَدْ جُبْتُهَا جَوْبَ ذِي الْمِقْرَاضِ^(٦) مُمِطْرَةٌ^(٧) إِذَا أَسْتَوَى مُغْفَلَاتُ الْبَيْدِ وَالْحَدَبُ^(٨)
بِعَنْتَرَيْسٍ^(٩) كَأَنَّ الدَّبَرَ^(١٠) يَلْسَعُهَا إِذَا تَرَنَّمْ حَادٍ خَلْفَهَا طَرِبُ
إِلَى الْوَلِيدِ أَبِي الْعَبَّاسِ^(١١) مَا عَجَلَتْ وَدُونَهُ الْمُعْطُ^(١٢) مِنْ لُبْنَانٍ وَالْكُثْبُ

[البسيط]

وبعد هذا البيت قوله:

أَعْطَيْتَنِي مَائَةً صُفْراً مَدَامُعُهَا... إلخ
لَمَّا أَتَيْتُكَ مِنْ نَجْدٍ وَسَاكِنِهِ نَفَحَتْ لِي نَفْحَةً طَارَتْ بِهَا الْعَرَبُ

(١) يجب: يخفق وتضطرب.

(٢) هجع: نام.

(٣) جَمَّ المالُ وغيره، إذا كَثُر. والجَمُّ: الكثير. قال تعالى: ﴿وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبَّ جَمٍّ﴾. والجَمُّ: ما اجتمع من ماء البئر. ويقال: جمم: كثرة اللحم.

(٤) ثغر أشنب، وفيه شنب وهو رفته وصفائوه وبرده. ورمانة شنباء: إمليسية. وشنب يومنا: برد، ويوم شنب وشانب: بارد.

(٥) العُطْبَةُ: قطعة منه. يقال: أجد ريح عُطْبَةٍ، أي ريح قطنة، أو خِرْقَةٍ محترقة.

(٦) المقرض: المقص.

(٧) الممطرة: ثوب من صوف يلبس في المطر يتقى به منه.

(٨) حدب ظهره واحدودب، وفي ظهره حدبة. ومن المجاز: نزلوا في حدب من الأرض، وحدبة وهو النشز وما أشرف منها.

(٩) العَنْتَرَيْس: الناقة الوثيقة، وقد يوصف به الفرس.

(١٠) الدبر: الزنابير: وقيل: النحل.

(١١) الوليد أبي العباس: كنية الوليد بن يزيد.

(١٢) المعط: الأرض الجرداء التي لا نبات بها.

إِنِّي أَمْرُؤُا أَعْتَفِي^(١) الْحَاجَاتِ أَطْلُبُهَا كَمَا أَعْتَفَى سَنِقُ^(٢) يُلْقَى لَهُ الْعُشْبُ

[البسيط]

السنق: الذي قد شبع حتى بشم، يقول: أطلب الحاجة بغير حرص ولا كلب، كما يعتفي هذا البعير البشم من غير شره ولا شدة طلب:

وَلَا أَلِجُ عَلَى الْخُلَانِ أَسْأَلُهُمْ كَمَا يُلِجُ بِعَظَمِ الْغَارِبِ^(٣) الْقَتَبُ^(٤)
وَلَا أَخَادِعُ نَدْمَانِي^(٥) لِأَخْدَعَهُ عَنْ مَالِهِ حِينَ يَسْتَرْخِي بِهِ اللَّبَبُ^(٦)
وَأَنْتَ وَابْنَاكَ لَمْ يَوْجَدْ لَكُمْ مَثَلُ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ بِالتَّاجِ مُعْتَصِبُ
الطَّيِّبُونَ إِذَا طَابَتْ نَفْسُهُمْ شَوْسُ^(٧) الْحَوَاجِبِ وَالْأَبْصَارِ إِنْ غَضِبُوا
قِسْنِي إِلَى شُعْرَاءِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَادْعُ الرِّوَاةَ إِذَا مَا عَبَّ^(٨) مَا اجْتَلَبُوا^(٩)
إِنِّي وَإِنْ قَالَ أَقْوَامٌ مَدِيحُهُمْ فَأَحْسَنُوهُ وَمَا حَابُوا وَمَا كَذَبُوا
أَجْرِي أَمَامَهُمْ جَرِي امْرِي فَلَجْ^(١٠) عِنَانُهُ حِينَ يَجْرِي لَيْسَ يَضْطَرُّ
[البسيط]

[سبب الهجاء بينه وبين شقران]

أخبرني يحيى بن علي قال: أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: أخبرني أبو الحسن - أظنه المدائني - قال: أخبرني أبو صالح الفزاري قال: أقبل شقران مولى بني

(١) استعفاه: طلب ذلك منه.

(٢) سَنِقَ الحمار وكل دابة سَنَقًا إِذَا أَكَلَ مِنَ الرُّطْبَةِ حَتَّى يَكَادُ يَصِيْبُهُ كَالْبِشْمِ، وَهُوَ الْأَجْمُ بَعِيْنُهُ إِلَّا أَنْ الْأَجْمُ يَسْتَعْمَلُ فِي النَّاسِ. وَسَنِقَ الْفَصِيلُ أَيِ كَادَ يَمُوتُ مِنْ كَثْرَةِ اللَّبَنِ، فَإِذَا مَرَضَ قِيلَ: بِشْمٌ وَدَفِي.

(٣) غارب كل شيء: أعلاه. والغارب الكاهل أو ما بين الظهر أو السنام والعنق.

(٤) الْقَتَبُ: قَتَبَ الْبَعِيرُ، وَالْجَمْعُ أَقْتَابُ، إِذَا كَانَ مِمَّا يَحْمِلُ عَلَيْهِ، فَإِذَا كَانَ مِنْ آلَةِ السَّانِيَةِ فَهُوَ قَتَبٌ.

(٥) النَّدْمَانُ: نَدِيمُ الرَّجُلِ: شَرِيْبُهُ وَنَدْمَانُهُ، وَجَمْعُهُ النَّدْمَاءُ وَالنَّدَامَى.

(٦) اللَّبَبُ: الْبَالُ.

(٧) الشَّوْسُ بِالْتَحْرِيكِ: النَّظَرُ بِمَوْخَرِ الْعَيْنِ تَكْبِيرًا أَوْ تَغَيُّظًا. وَالرَّجُلُ أَشَوْسٌ مِنْ قَوْمِ شَوْسٍ.

(٨) عَبَّ: فَسَدَ.

(٩) اجْتَلَبَ: اسْتَمَدَ وَأَخَذَ مِنْ غَيْرِهِ.

(١٠) الْفَلَجُ: الْمَاءُ الْجَارِي مِنَ الْعَيْنِ وَنَحْوِهِ. وَهُوَ فِي الْأَسْنَانِ: تَبَاعُدُ مَا بَيْنَ الثَّنَائِيَا وَالرَّبَاعِيَّاتِ، وَصَاحِبُهُ أَفْلَجٌ، فَإِنْ تَكَلَّفَ ذَلِكَ فَهُوَ التَّفْلُجُ. وَهُوَ فِي الرَّجْلَيْنِ: تَبَاعُدُ الْقَدَمَيْنِ أَخْرًا، وَتَفَلَّجَتْ قَدَمُهُ: أَيِ تَشَقَّقَتْ. وَهِيَ الْفُلُوجُ، الْوَاحِدُ فُلْجٌ وَفِلْجٌ. وَالْفُلْجُ: الظَّفَرُ بِمَنْ تُخَاصِمُهُ، فَلَجَتْ حُجَّتُكَ، وَأَفْلَجَهَا اللَّهُ.

سَلَامَانُ بْنُ سَعْدٍ هُذَيْمٌ أَخِي عَذْرَةَ بْنِ سَعْدٍ هُذَيْمٍ، قَالَ: وَهُذَيْمٌ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَانَ حَضَنَ سَعْدًا فَغَلَبَ عَلَيْهِ، وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ بَنِي لَيْثٍ بَنِي سُودٍ بَنِي أَسْلَمَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ مِنَ الْيَمَامَةِ وَمَعَهُ تَمَرٌ قَدْ امْتَارَهُ - فَلَقِيَهُ ابْنُ مِيَادَةَ فَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا مَعَكَ؟ قَالَ: تَمَرٌ امْتَرْتُهُ لِأَهْلِي يَقَالُ لَهُ: زُبُّ رُبَّاحٍ^(١)، فَقَالَ لَهُ ابْنُ مِيَادَةَ يُمَارِحُهُ:

كَأَنَّكَ لَمْ تُقْفِلْ لِأَهْلِكَ تَمَرَةً إِذَا أَنْتَ لَمْ تُقْفِلْ بِزُبِّ رُبَّاحٍ
[الطويل]

فَقَالَ لَهُ شُقْرَانُ:

فَإِنْ كَانَ هَذَا زُبُّهُ فَانْطَلِقْ بِهِ إِلَى نِسْوَةِ سُودِ الْوُجُوهِ قُبَّاحٍ
[الطويل]

فَغَضِبَ ابْنُ مِيَادَةَ وَأَمْضَهُ^(٢) وَأَنْحَى عَلَيْهِ بِالسُّوْطِ فَضْرِبَهُ ضَرْبَاتٍ وَانْصَرَفَ مُغَضَّبًا؛ فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ الْهَجَاءِ بَيْنَهُمَا.

قَالَ حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ: وَحَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْكَلْبِيُّ قَالَ: اجْتَمَعَ ابْنُ مِيَادَةَ وَشُقْرَانُ مَوْلَى بَنِي سَلَامَانَ عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ، فَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَتَجْمَعُ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْعَبْدِ وَلَيْسَ بَمِثْلِي فِي حَسَبِي وَلَا نَسَبِي وَلَا لِسَانِي وَلَا مَنْصِبِي! فَقَالَ شُقْرَانُ:

لَعَمْرِي لَئِنْ كُنْتُ ابْنُ شَيْخِي عَشِيرَتِي هِرْقُلٌ وَكِسْرَى وَمَا أَرَانِي مُقْصِرًا
وَمَا أَتَمْنَى أَنْ أَكُونَ ابْنُ نَزْوَةٍ^(٣) نَزَاهَا ابْنُ أَرْضٍ لَمْ تَجِدْ مُتَمَهِّرًا
عَلَى حَائِلٍ^(٤) تَلْوِي الصَّرَارَ^(٥) بِكَفِّهَا فَجَاءَتْ بِخَوَّارٍ^(٦) إِذَا غُضَّ جَرْجَرًا^(٧)
[الطويل]

(١) زُبُّ رُبَّاحٍ: نوع من تمر البصرة. (٢) أمضه: ألمه وأوجعه من الضرب.

(٣) نَزَأَ بَيْنَهُمْ كَمَنْعَ يَنْزَأُ نَزَاءً وَنَزَوَاءً: حَرَّشَ وَأَفْسَدَ بَيْنَهُمْ، وَكَذَلِكَ نَزَعَ بَيْنَهُمْ، وَنَزَأَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ: أَلْقَى الشَّرَّ. وَالتَّزُّؤُ: الْإِغْرَاءُ، وَالتَّزْيِؤُ مِثَالُ فَعِيلٍ: فَاعِلٌ ذَلِكَ، وَنَزَأَ عَلَيْهِ: حَمَلَ، يُقَالُ: مَا نَزَأَكَ عَلَى هَذَا؟ أَيْ مَا حَمَلَكَ عَلَيْهِ؟ حَكَاهُ الْجَوْهَرِيُّ عَنِ الْكَسَائِيِّ. وَنَزَأَ فُلَانًا عَلَيْهِ أَيْ صَاحِبِهِ: حَمَلَهُ عَلَيْهِ، وَنَزَأَهُ عَنْ كَذَا أَيْ قَوْلَهُ أَوْ فِعْلَهُ: رَدَّهُ وَكَفَّهُ عَنْهُ.

(٤) حَالٌ عَلَيْهِ الْحَوْلُ. وَحَالَتِ الدَّارُ وَأَحَالَتْ، وَرَسَمَ حَوْلِي وَمَحِيلٌ وَمَحُولٌ وَحَائِلٌ. وَحَالَتِ النَّاقَةُ، وَهِيَ حَائِلٌ: غَيْرُ حَامِلٍ. وَهَذِهِ امْرَأَةٌ لَا تَضَعُ إِلَّا تَحَاوِيلَ، وَلَا تَلِدُ إِلَّا تَحَاوِيلَ، أَيْ تَلِدُ سَنَةً وَسَنَةً لَا، وَمِنْهُ تَحَاوِيلُ الْأَرْضِ وَتَحْوِيلَاتُهَا، أَيْ تَزْرَعُ سَنَةً وَسَنَةً لَا، لِلتَّقْوِيَةِ.

(٥) خَرَقَةٌ تَشَدُّ عَلَى أَطْبَاءِ النَّاقَةِ لَثَلًا يَرْضَعُهَا الْفَصِيلُ.

(٦) خَارَ الثَّوْرُ يَخْوَرُ خَوَّارًا، إِذَا صَاحَ. وَخَارَ الرَّجُلُ يَخْوَرُ خَوَّارًا وَخَوَّورًا، إِذَا صَارَ خَوَّارًا ضَعِيفًا، فَهُوَ خَوَّارٌ بَيْنَ الْخَوَرِ، وَكَذَلِكَ عَوْدُ خَوَّارٍ بَيْنَ الْخَوَرِ.

(٧) الْجَرْجَرَةُ: صَوْتُ يُرَدُّهُ الْبَعِيرُ فِي حَنْجَرَتِهِ، فَهُوَ بَعِيرٌ جَرْجَارٌ، كَمَا تَقُولُ: ثَرَثَ الرَّجُلُ فَهُوَ ثَرَثَارٌ.

أخبرني الحرَمي قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ وَأَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْمَدِينِيِّ، عَنْ زُبَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي جَلَالُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَلَّادٍ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: اسْتَأْذَنَ ابْنُ مِيَادَةَ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ وَعِنْدَهُ شُقْرَانُ مَوْلَى قُضَاعَةَ فَأَدْخَلَهُ فِي صُنْدُوقٍ وَأَذَنَ لَابْنَ مِيَادَةَ؛ فَلَمَّا دَخَلَ أَجْلَسَهُ عَلَى الصُّنْدُوقِ وَاسْتَنْشَدَهُ هِجَاءَ شُقْرَانٍ فَجَعَلَ يُنْشِدُهُ، ثُمَّ أَمَرَ بِفَتْحِ الصُّنْدُوقِ فَخَرَجَ عَلَيْهِ شُقْرَانُ وَجَعَلَ يَهْدِرُ كَمَا يَهْدِرُ الْفَحْلُ وَيَقُولُ:

سَأَكْعُمُ^(١) عَنْ قُضَاعَةَ كَلْبَ قَيْسٍ عَلَى حَجَرٍ فَيُنْصِتُ لِلْكَعَامِ
أَسِيرُ أَمَامَ قَيْسٍ كُلَّ يَوْمٍ وَمَا قَيْسٌ بِسَائِرَةِ أَمَامِي
[الوافر]
وقال أيضاً وهو يَسْمَعُ:

إِنِّي إِذَا الشَّعْرَاءُ لَأَقَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِبَلْقَعَةٍ يَرِيدُ نِضَالَهَا
وَقَفُوا لِمُرْتَجِزٍ^(٢) الْهَدِيرِ^(٣) إِذَا دَنَتْ مِنْهُ الْبِكَارَةُ^(٤) قَطَّعَتْ أَبْوَالَهَا
فَتَرَكْتُهُمْ زُمَرًا تَرَمَّزُ^(٥) بِاللَّحَى مِنْهَا عَنَافِقُ^(٦) قَدْ حَلَقْتُ سِبَالَهَا^(٧)
[الكامل]

فقال له ابنُ مِيَادَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اكْفُفْ عَنِي هَذَا الَّذِي لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فَأَحْفِرُهُ، وَلَا فِرْعَ فَأَهْصِرُهُ؛ فقال الوليد: أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ جَرَجَرْتَ كَمَا قَالَ شُقْرَانُ:

فَجَاءَتْ بِخَوَّارٍ إِذَا عُضَّ جَرَجَرَا

[تفاخره مع عقال بالشعر]

قال يحيى في خبره: واجتمع ابن مِيَادَةَ وَعِقالُ بْنُ هَاشِمٍ بَبَابِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ،

(١) بعير مكعوم، وقد كعمته بالكعام والكعامه وهي ما يمنعه من الأكل والعَضُّ من حبل يشد به أو غيره.

(٢) رجز الشاعر يرجز، وهو راجز ورجاز ورجّازة، وارتجز بكذا فهو مرتجز، وراجز صاحبه وتراجزا: تنازعا الرجز بينهما. وهذه أرجوزة العجاج وأراجيزه. وكشف الله عنكم الرجز.

(٣) الهدير: ترديد البعير صوته في حنجرته.

(٤) البِكَارَةُ، بالكسر: جمع البَكْر، بالفتح؛ يريد أن السَّمَنَ الذي قد علا بِكَارَةَ الْإِبِلِ بما رعت من هذا الشجر قد سقط عنها فسماه باسم المرعى إذ كان سبباً به.

(٥) ترمز: تتحرك.

(٦) الْعَنْقَقَةُ: بَيْنَ الشَّفَةِ السُّفْلَى وَبَيْنَ الذَّقْنِ. وهي الشَّعِيرَاتُ بَيْنَهُمَا، سَأَلَتْ مِنْ مُقَدِّمَةِ الشَّفَةِ السُّفْلَى، تقول للرَّجُلِ: بَادِيَ الْعَنْقَقَةِ إِذَا عَرِيَ جَانِبَاهُ مِنَ الشَّعْرِ.

(٧) السَّبَلَةُ: مَا عَلَى الشَّفَةِ الْعُلْيَا مِنَ الشَّعْرِ تَجْمَعُ الشَّارِئِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا.

وكان عقلاً شديداً الرأي في اليمن، فغمز^(١) عقلاً ابن ميادة واعتلاه؛ فقال ابن ميادة:
فَجَرْنَا يَنَابِيعَ الْكَلَامِ وَبَحَرَهُ
وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا شِعْرُ قَيْسٍ وَخِنْدَفٍ
فَأَصْبَحَ فِيهِ ذُو الرِّوَايَةِ يَسْبَحُ
وَقَوْلُ سِوَاهُمْ كُفْلَةٌ وَتَمْلُحُ^(٢)
[الطويل]

فقال عقلاً يُجِيبُهُ:

أَلَا أَبْلَغَ الرَّمَّاحِ نَقْضَ مَقَالَةٍ
لَئِنْ كَانَ فِي قَيْسٍ وَخِنْدَفٍ السُّنْ
لَقَدْ خَرَقَ الْحَيُّ الْيَمَانُونَ قَبْلَهُمْ
وَهُمْ عَلَّمُوا مَنْ بَعْدَهُمْ فَتَعَلَّمُوا
فَلِلْسَابِقِينَ الْفَضْلُ لَا يُجْحَدُونَهُ
بَهَا خَطِلَ الرَّمَّاحُ أَوْ كَانَ يَمْزُحُ
طَوَالَ وَشِعْرٌ سَائِرٌ لَيْسَ يُقْدَحُ^(٣)
بِحَوَرِ الْكَلَامِ تُسْتَقَى وَهِيَ تَطْفَحُ
وَهُمْ أَعْرَبُوا هَذَا الْكَلَامَ وَأَوْضَحُوا
وَلَيْسَ لِمَخْلُوقٍ عَلَيْهِمْ تَبَجُّحُ^(٤)
[الطويل]

[شعره في حنينه إلى وطنه وحواره مع الوليد]

أخبرني الحرمي قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ: حَدَّثَنَا جَلَالُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ أَبِيهِ
قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ مِيَادَةَ قَالَ: قُلْتُ وَأَنَا عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ بِأَبَايْنٍ - وَهُوَ مَوْضِعٌ كَانَ
الْوَلِيدُ يَنْزِلُهُ فِي الرَّبِيعِ - :

لَعَمْرُكَ إِنِّي نَازِلٌ بِأَبَايْنٍ
أَبَيْتُ كَأَنِّي أَرَمَدُ الْعَيْنِ سَاهِرٌ
لِصَوِّءٍ مُشْتَاقٌ وَإِنْ كُنْتُ مُكْرَمًا
إِذَا بَاتَ أَصْحَابِي مِنَ اللَّيْلِ نَوْمًا
[الطويل]

قال: فَقَالَ لِي الْوَلِيدُ: يَا ابْنَ مِيَادَةَ كَأَنَّكَ غَرَضْتُ^(٥) مِنْ قُرْبِنَا، فَقُلْتُ: مَا مِثْلُكَ يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُغَرِّضُ مِنْ قُرْبِهِ، وَلَكِنْ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً
بِحَرَّةٍ^(٦) لَيْلَى حَيْثُ رَبَّتَنِي أَهْلِي

(١) غمزته: عابه وصغر من شأنه.

(٢) تملح: تكلف الملاححة.

(٣) يقدح: يعاب.

(٤) تبجح: الافتخار وتعظيم الذات.

(٥) الغرض: الضجر، ويقال: إذا فاته الغرض، فته الغرض؛ وهو الضجر، ومنه: غرضت إلى لقائك.

(٦) حرة ليلى: هي في ديار بني مرة بن عوف بن غطفان، يطؤها الحاج في طريقه إلى المدينة، وهي تمتاز بحجارتها السود.

وَهَلْ أَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ أَصْوَاتَ هَجْمَةٍ^(١) تَطَالَعُ مِنْ هَجَلٍ^(٢) خَصِيبٍ إِلَى هَجَلٍ
بِلَادٍ بِهَا نِيطَتْ عَلَيَّ تَمَائِمِي وَقُطِّعَنْ عَنِّي حِينَ أَدْرَكَنِي عَقْلِي
فَإِنْ كُنْتَ عَنْ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ حَابِسِي فَأَيَسِرْ عَلَيَّ الرِّزْقَ وَأَجْمَعْ إِذَا شَمَلِي
[الطويل]

فقال: كم الهجمة؟ قلت: مائة ناقة؛ فقال: قد صَدَرَتْ بِهَا كُلُّهَا عُسْرَاءُ^(٣).

قال ابن ميادة: فَذَكَرْتُ وَلِدَانًا لِي بَنَجِدٍ إِذَا اسْتَطَعَمُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَطْعَمَهُمْ وَأَنَا،
وَإِذَا اسْتَسْقَوْهُ سَقَاهُمْ اللَّهُ وَأَنَا، وَإِذَا اسْتَكْسَوْهُ كَسَاهُمْ اللَّهُ وَأَنَا، فقال: يابن ميادة، وكم
وَلِدَانُكَ؟ فَقُلْتُ: سَبْعَةُ عَشَرَ، مِنْهُمْ عَشْرَةٌ نَفَرٌ وَسَبْعُ نِسْوَةٍ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَأَخَذَ
بِقَلْبِي؛ فَقَالَ: يَابن مَيَّادَةَ، قَدْ أَطْعَمَهُمُ اللَّهُ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَقَاهُمُ اللَّهُ وَأَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ، وَكَسَاهُمُ اللَّهُ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَمَّا النِّسَاءُ فَأَرْبَعُ حُلُلٍ مُخْتَلِفَاتُ الْأَلْوَانِ، وَأَمَّا
الرِّجَالُ فَثَلَاثُ حُلُلٍ مُخْتَلِفَاتُ الْأَلْوَانِ، وَأَمَّا السَّقِيُّ فَلَا أَرَى مِائَةَ لِفْحَةٍ إِلَّا سَتُرَوِّبُهُمْ، فَإِنْ
لَمْ تُرَوِّبُهُمْ زِدْتُهُمْ عَيْنَيْنِ مِنَ الْحِجَازِ؛ قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَسْنَا بِأَصْحَابِ عَيُونٍ يَأْكُلُنَا
بِهَا الْبَعُوضُ، وَتَأْخُذُنَا بِهَا الْحُمِيَّاتُ؛ قَالَ: فَقَدْ أَخْلَفَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ؛ كُلُّ عَامٍ لَكَ فِيهِ مِثْلُ
مَا أَعْطَيْتَكَ الْعَامَ: مِائَةُ لِفْحَةٍ وَفَحْلُهَا وَجَارِيَةٌ بِكَرٍ وَفَرَسٌ عَتِيقٌ.

[عارض ابن القتال وانتحل بيتاً له]

وأخبرني يحيى بن عليّ قال: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: حَدَّثَنِي
شَدَّادُ بْنُ عُقْبَةَ عَنْ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ الْقِتَالِ قَالَ: عَارِضَنِي ابْنُ مَيَّادَةَ فَقَالَ: أَنْشِدْنِي يَابْنَ
الْقِتَالِ، فَأَنْشَدْتُهُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً بِصَحْرَاءَ مَا بَيْنَ التَّنُوفَةِ^(٤) وَالرَّمْلِ

(١) الهجمة من الإبل: ما يَبْنُ التَّسْعِينَ إِلَى الْمِائَةِ، وَجَمْعُهَا هَجَمَاتٌ وَهَجَامٌ.

(٢) هو أهوج هوجل: ثقيل بطيء. قال أبو كبير:

سَهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهُوْجَلِ

وتقول: إِنَّ الْهُوْجَلَ، لَا يَقْطَعُ الْهُوْجَلَ؛ أَيِ الْمَفَازَةِ الْبَعِيدَةِ. مِنَ الْمَجَازِ: أَرَسَى السَّفِينَةَ بِالْهُوْجَلِ
وَهُوَ الْأَنْجَرُ الثَّقِيلُ.

(٣) العُشْرَاءُ: نَاقَةُ عُشْرَاءَ، أَيِ: أَقْرَبَتْ، وَسُمِّيَتْ بِهِ لِتَمَامِ عَشْرَةِ أَشْهُرٍ لِحَمْلِهَا. عَشَّرْتُ تَعَشِيرًا، فِيهِ
عَدُّ ذَلِكَ عُشْرَاءَ حَتَّى تَضَعَ، وَالْعِدْدُ: عُشْرَاوَاتٌ، وَالْجَمْعُ: الْعُشَارُ، وَيُقَالُ: بَلَّ سُمِّيَتْ عُشْرَاءَ
لَأَنَّهَا حَدِيثَةُ الْعَهْدِ بِالتَّعَشِيرِ، وَالتَّعَشِيرُ: حَمْلُ الْوَلَدِ فِي الْبَطْنِ، يُقَالُ: عُشْرَاءُ بَيْنَةَ التَّعَشِيرِ. وَيُقَالُ:
بَلَّ الْعُشَارُ اسْمَ النَّوْقِ الَّتِي قَدْ نُبِّجَ بَعْضُهَا وَبَعْضُهَا قَدْ أَقْرَبَ يَنْتَظِرُ نَتَاجِهَا.

(٤) التَّنُوفَةُ: الْمَفَازَةُ. وَكَذَلِكَ التَّنُوفِيَّةُ، كَمَا قَالُوا دَوٌّ وَدَوِيَّةٌ لِأَنَّهَا أَرْضٌ مِثْلُهَا فَسُيِّبَ إِلَيْهَا.

وهل أَرْجُرَنَّ العِيسَ شاكِيَةَ الوجى^(١) كما عَسَلَ^(٢) السَّرْحَانُ^(٣) بالبلد المَحَل
 وهل أَسْمَعَنَّ الدهرَ صوتَ حمامةٍ تُغْنِي حماماتٍ على فَنَنِ^(٤) جَثَلٍ^(٥)
 وهل أَشْرَبَنَّ الدهرَ مُزْنَ^(٦) سحابةٍ على ثَمَدٍ^(٧) الأفعاة^(٨) حاضِرُهُ أهلي
 بلادٌ بها نِيطَتْ عليَّ تمائمي وقُطِعَنَّ عَنِّي حين أدركني عقلي
 قال: فأتاني الرّواة بهذا البيت، وقد اضطرفه^(٩) ابن ميادة وحده. [الطويل]

[عندما أجازه الوليد]

أخبرني حبيب بن نصر المَهْلَبِيّ قال: حَدَّثَنَا عُمَرُ بن شَبَّةَ قال: حَدَّثَنِي
 إِسْحَاقُ بن إبراهيم قال: حَدَّثَنِي رجل من كلب، وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى
 عن حمّاد عن أبيه عن أبي علي الكَلْبِيّ قال: أَمَرَ الوليدُ بن يزيد لابن مِيَادَةَ بمائة من
 الإبل من صَدَقَاتِ بني كلب، فلَمَّا أَتَى الحول أرادوا أن يبتاعوها له من الطرائد، وهي
 الغرائب، وأن يمسكوا التَّلَادَ^(١٠)؛ فقال ابن مِيَادَةَ:

أَلَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّ الْحَيَّ كَلْباً أَرَادُوا فِي عَظِيَّتِكَ أَرْتَدَاداً
 وَقَالُوا إِنَّهَا صُهْبٌ^(١١) وَوُرُقٌ^(١٢) وَقَدْ أَعْطَيْتَهَا دُهِمًا^(١٣) جِعَادًا^(١٤)

[الوافر]

- (١) الوجى: الحفا، وقيل: شدته.
- (٢) يقال: عَسَلَ الذئبُ يَعْسِلُ عَسَلًا وَعَسَلَانًا، إذا أعنق وأسرع؛ وكذلك الإنسان. والذئبُ عاسِلٌ، والجمع العُسلُ والعَواسِلُ. وعَسَلَ الرمحُ عَسَلَانًا: اهتز واضطرب.
- (٣) السرحان: الذئب.
- (٤) الفنن: الغصن.
- (٥) الجثل: نبات جثل، وشجرة جثلة الأفنان. واجثأل النبات: طال والتف.
- (٦) المَزْنَةُ: السحابة البيضاء، والجمع مُزْنٌ. والبرْدُ: حبُّ المَزْنِ.
- (٧) لو كنتم ماء لكنتم ثمدًا أي قليلًا. وقال الأصمعي: هو ماء المطر يبقى محقونًا تحت رمل، فإذا كشف عنه أدته الأرض.
- (٨) الأفعاة: ماء في ناحية هضب الوراق لبني الطماح من بني أسد.
- (٩) اضطرفه: عدّه طريقًا.
- (١٠) التَّلَادُ: كُلُّ ما تَرْتُهُ عن أبيك وغيره فهو تالِدٌ وتَلِيدٌ ومُتَلِدٌ. والتلید من الجوّاري هي التي تولد في ملك قوم وعندهم أبواها.
- (١١) الصُّهْبَةُ: الشُّقْرَةُ في شعر الرأس، وهي الصُّهْبُوه. والرجل أصهْبٌ. والصهباء: الخمر، سمّيت بذلك للونها. والأصهب من الإبل: الذي يخالط بياضه حمرة، وهو أن يحمرّ أعلى الوبر وتبيض أجوافه. وجملٌ صهابيٌّ، أي أصهب اللون.
- (١٢) الوُرُقَةُ: سواد في غبرة كلون الرماد، وحمامة ورّقاء، وأثنية ورّقاء.
- (١٣) الدهم: السواد.
- (١٤) جعاد: الجعد من الشعر: خلاف السبط، وقيل: هو القصير؛ عن كراع.

فعلموا أَنَّ الشعر سيلغ الوليدَ فيُعْضِبُهُ؛ فقالوا له: انطلق فخذها صُفْراً جِعاداً.

[شعره في رثاء الوليد]

وقال يحيى بن عليّ في روايته: لَمَّا قُتِلَ الوليد بن يزيد قال ابن ميادة يرثيه:

أَلَا يالْهَفْتِي عَلَى وَلِيدٍ غَدَاةً أَصَابَهُ الْقَدْرُ الْمُتَاحُ^(١)
أَلَا أَبْكِي الْوَلِيدَ فَتَى قُرَيْشٍ وَأَسْمَحَهَا إِذَا عُدَّ السَّمَاخُ
وَأَجْبَرَهَا لِذِي عَظَمٍ مَهِيضٍ^(٢) إِذَا ضَئَّتْ بِدَرَّتِهَا اللَّقَاخُ
لَقَدْ فَعَلْتُ بَنُو مَرَوَانَ فِعْلاً وَأَمراً مَا يَسُوعُ بِهِ الْقَرَاخُ^(٣)
[الوافر]

قال يحيى: وَغَثَى فِيهِ عَمْرُ الْوَادِي وَلَمْ يَذْكُرْ طَرِيقَةَ غِنَائِهِ.

[وغيث قریش حيث كان سمين]

أخبرنا الحرميّ قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَهِيرٍ بْنُ مُضَرَّسٍ الْفَزَارِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَخَصَبَ جَنَابُ الْحِجَازِ الشَّامِيُّ فَمَالَتْ لَذَلِكَ الْخِصْبِ بَنُو فَزَارَةَ وَبَنُو مَرَّةَ، فَتَحَالُّوا^(٤) جَمِيعاً بِهِ. قَالَ: فَبَيْنَا ذَاتَ يَوْمٍ أَنَا وَابْنُ مِيَادَةَ جَالِسَانِ عَلَى قَارَعَةِ الطَّرِيقِ عِشَاءً إِذَا رَاكِبَانِ يُوجِفَانِ^(٥) رَاكِتَيْنِ حَتَّى وَقَفَا عَلَيْنَا، فَإِذَا أَحَدُهُمَا بَحْرُ الرِّيحِ وَهُوَ عَثْمَانُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ مَعَهُ مَوْلَى لَهُ، فَنَسَبْنَا^(٦) وَانْتَسَبَ لَنَا، وَقَدْ كَانَ ابْنُ مِيَادَةَ يُعَلِّلُنِي^(٧) بِشَعْرِهِ، فَلَمَّا انْقَضَى كَلَامُنَا مَعَ الْقَرَشِيِّ وَمَوْلَاهُ اسْتَعَدْتُ ابْنَ مِيَادَةَ مَا كُنَّا فِيهِ، فَأَنْشَدَنِي فَخَرّاً لَهُ يَقُولُ فِيهِ:

وَعَلَى الْمُلَيْحَةِ^(٨) مِنْ جَذِيمَةٍ فَنِيَّةٍ يَتَمَارِضُونَ^(٩) تَمَارِضَ الْأَسَدِ

(١) المتاح: المقدّر.

(٢) عظم مهيض ومنهاض: كسر بعد الجبر، وهاض عظمه. ومن المجاز: هاضه الكرى، وبه هيضة الكرى: تكسيه وتفتيره.

(٣) شربت قريحة البئر: أول ما استنبط منها، وقريحة السحاب وقريحه: أول ما صاب منها. وماء قراح: لا يشوبه شيء من سويق ولا غيره. وأرض قراح: ما فيها نبات سبخ.

(٤) تحالوا: حلوا متجاورين. (٥) يوجفان: يحثان.

(٦) نسبنا: سألنا أن تنتسب.

(٧) يعللني: يشغلني ويلهيني.

(٨) المليحة: موضع في بلاد بني تميم.

(٩) يتمارضون: يتظاهرون بالمرض.

وَتَرَى الْمُلُوكَ الْعُرَّ تَحْتَ قَبَابِهِمْ يَمْشُونَ فِي الْحَلَقَاتِ وَالْقِدِّ^(١)

[الكامل]

قال: فقال له القُرَشِيُّ: كذبت؛ قال ابن ميادة: أفي هذا وحده! أنا والله في غيره أكذب؛ فقال له القُرَشِيُّ: إِنْ كُنْتَ تَرِيدُ فِي مَدِيحِكَ قَرِيشاً فَقَدْ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ ودفعت قوله، ثم قرأ عليه: ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٌ﴾ حتى أتى على آخرها، ونهض هو ومولاه وركبا راحلتيهما؛ فلما فاتا أبصارنا قال ابن ميادة:

سَمِينُ قُرَيْشٍ مَانِعٌ مِنْكَ نَفْسَهُ وَعَثُّ قُرَيْشٍ حَيْثُ كَانَ سَمِينُ

[الطويل]

[ابن ميادة وسنان بن جابر]

أخبرنا يحيى بن عليّ عن حمّاد عن أبيه عن أبي الحارث المُرِّيّ قال: كان ابن ميادة قد هاجى سنان بن جابر أحد بني حميس بن عامر بن جُهَيْنَةَ بن زيد بن لَيْث بن سُود بن أسلم؛ فقال ابن ميادة له فيما قال من هجائه:

لَقَدْ طَالَمَا عَلَلْتُ حُجْرًا وَأَهْلَهُ بِأَعْرَاضِ قَيْسٍ يَا سَنَانُ بْنَ جَابِرٍ
أَهْجَوْ قُرَيْشاً ثُمَّ تَكَرَّهُ رَيْبَتِي وَيَسْرِقُنِي عِرْضِي حُمَيْسُ بْنُ عَامِرٍ

[الطويل]

قال: وقال فيهم أيضاً:

قِصَارُ الْخُطَى فُرْقُ^(٢) الْخُصَى زُمُرُ اللَّحَى كَأَنَّهُمْ ظُرْبِي^(٣) أَهْتَرَشَنَ^(٤) عَلَى لَحْمٍ
ذَكَرْتُ حَمَامَ الْقَيْظِ لَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُمْشُونَ حَوْلِي فِي ثِيَابِهِمُ الدُّسْمُ^(٥)
وَتُبْدِي الْحُمَيْسِيَّاتُ فِي كُلِّ زِينَةٍ فُرُوجاً كَأَنَارِ الصَّغَارِ مِنَ الْبَهْمِ

[الطويل]

قال: ثم إن ابن ميادة خرج يبغى إبلاً له حتى ورد جُبَاراً^(٦) - وهو ماء لحميس بن عامر - فأتى بيتاً فَوَجَدَ فِيهِ عَجُوزاً قَدْ أُسْنَتَ، فنشدها إبلاً فذكرتها له

(١) الأصمعي: ما أحسن ما أسر قَتَبَهُ، أي ما أحسن ما شدّه بالقِدِّ؛ والقِدُّ الذي يُوسَّرُ به القَتَبُ يسمى الإِسَارَ، وجمعه أُسْرٌ؛ وَقَتَبَ مَأْسُورٌ وَأَقْتَابَ مَأْسِيرٌ.

(٢) شاة فُرْقَاء: بعيدة ما بين الطبيين، والأفْرُقُ من ذكورها: بعيد ما بين الخصيتين.

(٣) الظَّرْبَانُ والظَّرَائِي: شيءٌ أعْظَمُ من الجُرْذِ على خِلْقَةِ الْكَلْبِ مُثْنِ الرِّيحِ.

(٤) اهترشن: تواتن وتقاتلن.

(٥) الدسم: دسم ثيابه، فتدسمت، وهو أدسم الثياب: وسخها، وقوم دسم الثياب.

(٦) جبار: ماء لبني حميس بن عامر بن ثعلبة بين المدينة وفيد.

وقالت: ممن أنت؟ قال: رَجُلٌ من سُلَيم بن منصور؛ فأذنت له وقالت: ادخل حتى نَقْرِيكَ وقد عَرَفْتُهُ وهو لا يدري؛ فلَمَّا قَرَنَهُ قال ابن ميادة: وَجَدْتُ رِيحَ الطَّيْبِ قد نَفَحَ عَلَيَّ من البيت، فإذا بِنْتُ لها قد هَتَكَتِ السُّتْرَ، ثم استقبلتني وعليها إزارٌ أحمرٌ وهي مؤترزةٌ به، فأطلقته وقالت: انظر يا بن ميادة الزانية! أهذا كما نَعَت! فلم أر امرأةً أضخم قُبلاً منها؛ فقالت: أهذا كما قلت:

وَتُبْدِي الحُمَيْسِيَّاتُ فِي كُلِّ زِينَةٍ فُروجا كَأَثَارِ الصَّغَارِ مِنَ البَهَمِ
[الطويل]

قال: قُلْتُ: لا والله يا سيدي، ما هكذا قُلْتُ، ولكن قُلْتُ:

وَتُبْدِي الحُمَيْسِيَّاتُ فِي كُلِّ زِينَةٍ فُروجا كَأَثَارِ المُقَيَّسِرَةِ^(١) الدُّهَمِ
[الطويل]

وانصرف يتشَبَّبُ بها، فذلك حين يقول:

نَظَرْنَا فَهَاجَتْنَا عَلَى الشَّوْقِ وَالْهَوَى لِزَيْنَبَ نَارًا أَوْقَدَتْ بِجُبَارِ
كَأَنَّ سَنَاها لَاحَ لِي مِنْ خِصَاصَةٍ عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ وَالْمَطِيِّ سَوَارِي
حُمَيْسِيَّةٌ بِالرَّمَلَتَيْنِ مَحَلُّهَا تَمُدُّ بِحِلْفٍ بَيْنَنَا وَجَوَارِ
[الطويل]

قال أبو داود: وكانت بنو حُمَيْس حلفاء لبني سَهْم بن مُرَّة، ثم للحُصَيْن بن الحُمَام. وتمدَّ وتمَّت واحد.

رجع إلى الشعر:

تَجَاوَرُ مِنْ سَهْمِ بْنِ مُرَّةٍ نِسْوَةٌ بِمُجْتَمَعِ النَّقَبَيْنِ غَيْرِ عَوَارِي
نَوَاعِمَ أَبْكَارًا كَأَنَّ عُيُونَهَا عُيُونُ ظِبَاءٍ أَوْ عُيُونُ صَوَارِ^(٢)
كَأَنَّا نَرَاهَا وَهِيَ مِنَّا قَرِيبَةٌ عَلَى مَتْنِ عَصْمَاءِ^(٣) الْيَدَيْنِ نَوَارِ^(٤)
تَتَبَّعُ مِنْ حَجَرٍ^(٥) ذُرًّا مُتَمَنِّعٍ لَهَا مَعْقِلٌ فِي رَأْسِ كُلِّ طَمَارٍ^(٦)

(١) القَسَاوِرُ: جَمْعُ قَسَوْرٍ، وهو من الإبل الشَّديدُ المَسْنِ، وقَسَوَرَ الرَّجُلُ: هَرِمَ وَأَسَنَّ.

(٢) الصَّوَار: القَطِيع من البقر، ويقال أيضاً على وعاء المسك.

(٣) وَعُلُّ أَعْصَمُ والأنثى عَصْمَاءُ، إذا كان في إحدى يديه بياض، وكذلك الفرس، والاسم العُصْمَةُ، والوعول أكثرها عُصَم.

(٤) نوار: نفور.

(٥) حجر: اسم موضع في بلاد غطفان.

(٦) يقال: انْصَبَ عليه من طَمَارٍ: أي من مكانٍ مُرتَفِع، وقيل: طَمَارٌ - بالنصب - . والمَطَامِيرُ: الأماكنُ المُرْتَفَعَةُ، واجدها مِطْمَار. وابنُ طَمَارٍ: جَبَلَانِ مَعْرُوفَانِ.

يَدُورُ بِهَا ذُو أَسْهُمٍ لَا يَنَالُهَا
كَأَنَّ عَلَى الْمَتْنِينَ مِنْهَا وَدِيَّةٌ^(٢)
يَظُلُّ سَحِيقُ الْمِسْكِ يَقْطُرُ حَوْلَهَا
وَمَا رَوْضَةٌ خَضِرَاءُ يَضْرِبُهَا النَّدى
بِأَطْيَبَ مِنْ رِيحِ الْقُرْنَفْلِ سَاطِعاً
وَمَا طَبِيبَةٌ سَاقَتْ لَهَا الرِّيحُ نَعْمَةً
بِأَحْسَنَ مِنْهَا يَوْمَ قَامَتْ فَأَتَلَعَتْ^(٩)
فَلَيْتَكَ يَا حَسَنَاءُ يَا بَنَّةَ مَالِكٍ
وَذُو كَلْبَاتٍ كَالْقِسِيِّ ضَوَارِي^(١)
سَقَتْهَا السَّوَاكِي مِنْ وَدْيٍ دَوَارٍ
إِذَا الْمَاشِطَاتُ^(٣) أَحْتَفَنَهُ^(٤) بِمَدَارِي
بِهَا قُنَّةٌ^(٥) مِنْ حَنَوَةٍ^(٦) وَعَرَارٍ^(٧)
بِمَا أَلْتَفَّ مِنْ دِرْعٍ لَهَا وَخِمَارٍ
عَلَى غَفَلَةٍ فَاسْتَمْتَعَتْ لِخُورٍ^(٨)
عَلَى شَرَكٍ^(١٠) مِنْ رَوْعَةٍ وَنِفَارٍ
يَبِيعُ لَنَا مِنْكَ الْمَوَدَّةَ شَارِي^(١١)
[الطويل]

[ابن ميادة وزينب بنت مالك]

وأخبرني بهذا الخبر الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثني أبو حزملة
منظور بن أبي عديّ الفزاريّ ثم المنظوريّ عن أبيه قال: حدثني رماح بن أبرد قال:
خَرَجْتُ قَافِلاً مِنَ السَّلْعِ^(١٢) إِلَى نَجْدٍ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بَبْعِضِ أَهْضَامِ الْحَرَّةِ [هَكَذَا فِي
نَسْخَتِي، وَأَطْنَه هَضَابُ الْحَرَّةِ] رَفَعَ لِي بَيْتٌ كَالطَّرَافِ^(١٣) الْعَظِيمِ، وَإِذَا بَفَنَائِهِ غَنَمٌ لَمْ
تَسْرُحْ، فَقُلْتُ: بَيْتٌ مِنْ بِيُوتِ بَنِي مُرَّةٍ وَبِي مِنَ الْعَيْمَةِ^(١٤) إِلَى اللَّيْنِ مَا لَيْسَ بِأَحَدٍ،

(١) الضواري: وصف للكلبات المتعودة على الصيد.

(٢) الودّي: صغار الفسيل، الواحدة وديّة، وهي هنا كناية عن الضفيرة من الشعر.

(٣) المُشْطُ والمُشْطُ، لغتان، والمشطة: ضرب من المشط، والمشطة: واحدة. والماشطة: الجارية التي تُحسِّن المشاطة.

(٤) احتفنه: أخذه.

(٥) قنة: جبل صغير.

(٦) الحنو: نبات سهلي طيب الريح.

(٧) عرار: بهار بري.

(٨) الخُورُ بالضمّ: مِنْ صَوْتِ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالطَّبَّاءِ وَالسَّهَامِ، وَقَدْ خَارَ يَخُورُ خُوراً: صَاحَ، قَالَهُ ابْنُ سَيِّدِهِ. وَقَالَ اللَّيْثُ: الْخُورُ: صَوْتُ الثَّوْرِ، وَمَا اسْتَدَّ مِنْ صَوْتِ الْبَقَرَةِ وَالْعَجَلِ.

(٩) أتلت: الأتلع من كل شيء: الطويل العُنْتِي. والأنثى: تلعاء. والتلغ والتلغ هو الأتلع، لأن الفعل يدخل على الأفعل.

(١٠) الشراك: حباله الصائد.

(١١) شاري: باع.

(١٢) السلع: جبل بقرب المدينة.

(١٣) الطراف: بيت من آدم ليس له كفاء.

(١٤) العيمة: شهوة اللبن. وقد عام الرجل يعيم ويعام عيمة، فهو عيمان، وامرأة عيمي. وأعامه الله: تركه بغير لبن. قال ابن السكيت: إذا انتهى الرجل اللبن قيل: قد انتهى فلان اللبن، فإذا أفرطت شهوته جداً قيل: قد عام إلى اللبن. والعيمة بالكسر: خيار المال. واعتام الرجل: إذا أخذ العيمة. ورجل عيمان أيمان: ذهب إليه وماتت امرأته.

فقلت: آتيهم فأسلم عليهم وأشرب من لبنهم، فلما كنت غير بعيد سلّمت فردّت علي امرأة برزة بفناء البيت، وحيث ورحبت واستنزلتني فنزلت، فدعت بلبن ولباً ورسل من رسل تلك الغنم، ثم قالت: هيا فلانة البسي شقاً واخرجي، فخرجت علي جارية كأنها شمعة ما رأيت في الخلق لها نظيراً قبل ولا بعد، فإذا شفها ذاك ليس يوارى منها شيئاً وقد نبا عن ركبتها ما وقع عليه من الثوب فكأنه قعبٌ مكفأ، ثم قالت: يابن ميادة الخبيثة، أنت القائل:

وَتُبْدِي الحُمَيْسِيَّاتُ فِي كُلِّ زِينَةٍ فُرُوجاً كَأَثَارِ الصَّغَارِ مِنَ الْبَهَمِ
[الطويل]
فقلت: لا والله - جعلني الله فداك يا سيّدي - ما قلتُ هذا قطّ، وإنّما قلت:

وَتُبْدِي الحُمَيْسِيَّاتُ فِي كُلِّ زِينَةٍ فُرُوجاً كَأَثَارِ الْمُقْيَسِرَةِ الدُّهْمِ
[الطويل]
قال: وكان يقال للجارية الحُمَيْسِيَّة: زينب بنت مالك، وفيها قال ابن ميادة قصيدته:

أَلَمَّا فَرُوزُوا الْيَوْمَ خَيْرَ مَزَارٍ

[أعطاه الوليد جارية فقال فيها شعراً]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبَيْرُ بن بَكَار قال: حدّثني موهوب ابن رشيد الكلابيّ قال:

أعطى الوليدُ بن يزيد ابنَ مِيَادَةَ جَارِيَةً طَبْرِيَّةً^(١) أعجمية لا تفصح، حسناء جميلة كاملة لولا العُجْمَةُ، فَعَشِقَهَا وقال فيها:

جَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً مِنْ أَمِيرٍ فَقَدْ أَعْطَيْتَ مِبْرَاداً سَخُونَا
بِأَهْلِي مَا أَلْذَكَ عِنْدَ نَفْسِي لَوْ أَنَّكَ بِالْكَلامِ تُعَرِّبِينَا
كَأَنَّكَ ظَبْيَةٌ مَضَعَتْ أَرَاكاً^(٢) بِوَادِي الْجِرْعِ حِينَ تُبَغِّمِينَا^(٣)
[الوافر]

(١) هنا طبريّة نسبة إلى طبرستان من بلاد فارس، وهي بلاد واسعة في آسيا.

(٢) أراك: القصب.

(٣) بغم للظبية والناقة بغام، وهو أرخم صوتها، وهي تبغم ولدها فهي باغمة وهو مبغوم، وظباء بواغم وتبغمت. ومررت بروضة يتباغم فيها الظباء. ومررت بغزلان يتباغمن.

[ملاحاته مع رجل من بني جعفر]

أخبرني الحرمي قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ: وَرَدْتُ عَلَى بَنِي فَزَارَةَ سَاعِيًا^(١)، فَأَتَانِي ابْنُ مِيَادَةَ مُسَلِّمًا عَلَيَّ، وَجَاءَنِي بَنُو فَزَارَةَ وَمَعَهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ كَانَ لَهُمْ جَارًا وَكَانَ مُخَطَّطًا^(٢) مُوسُومًا بِجَمَالٍ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَعْجَبَنِي، فَأَقْبَلْتُ عَلَى بَنِي فَزَارَةَ وَقُلْتُ لَهُمْ: أَيُّ أَحْوَالِي هَذَا؟ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَيُسْرُنِي أَنْ أَرَى فِيكُمْ مِثْلَهُ؛ فَقَالُوا: هَذَا - أَمَتَعَ اللَّهُ بِكَ - رَجُلٌ مِنْ بَنِي جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ وَهُوَ لَنَا جَارٌ. قَالَ: فَأَصْغَى إِلَيَّ ابْنُ مِيَادَةَ، وَكَانَ قَرِيبًا مِنِّي، وَقَالَ: لَا يَغُرُّكَ - بِأَبِي أَنْتَ - مَا تَرَى مِنْ جِسْمِهِ فَإِنَّهُ أَجُوفٌ لَا عَقْلَ لَهُ؛ فَسَمِعَهُ الْجَعْفَرِيُّ فَقَالَ: أَفَيَّ تَقَعُ يَا بَنُ مِيَادَةَ وَأَنْتَ لَا تَقْرِي ضَيْفَكَ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ مِيَادَةَ: إِنْ لَمْ أَقْرِهِ قَرَاهُ ابْنُ عَمِي وَأَنْتَ لَا تَقْرِي وَلَا ابْنُ عَمِكَ. قَالَ ابْنُ عَمِرَانَ: فَضَحِكْتُ مِمَّا شَهِدَ بِهِ ابْنُ مِيَادَةَ عَلَى نَفْسِهِ.

[كَانَ بَخِيلًا لَا يُكْرِمُ أَضْيَافَهُ]

أخبرني الحرمي قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْجَعْفَرِيُّ عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ نُوحٍ الْفَزَارِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي خَالٌ لِي كَانَ شَرِيفًا مِنْ سَادَاتِ بَنِي فَزَارَةَ قَالَ: ضِيفْتُ ابْنَ مِيَادَةَ فَأَكْرَمَنِي وَتَحَقَّى^(٣) بِي وَفَرَّغَ لِي بَيْتًا فَكُنْتُ فِيهِ لَيْسَ مَعِيَ أَحَدٌ، ثُمَّ جَاءَنِي بِقَدَحٍ ضَخْمٍ مِنْ لَبَنٍ إِبْلَهَ فَشَرِبْتُهُ ثُمَّ وَلَّى، فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ جَاءَنِي بِآخِرِ فِتْنَاوَلْتُ مِنْهُ شَيْئًا سِيرًا، فَمَا لَبِثْتُ حَتَّى عَادَ بِآخِرِ فَقُلْتُ: حَسْبُكَ يَا رَمَّاحَ فَلَا حَاجَةَ لِي بِشَيْءٍ؛ فَقَالَ: اشْرَبْ بِأَبِي أَنْتَ، فَوَاللَّهِ لِرُبَّمَا بَاتَ الضَّيْفُ عِنْدَنَا مَدْحُورًا^(٤).

أخبرني الحرمي قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِي مُضْعَبٌ عَنْ جَدِّي عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ مُضْعَبٍ قَالَ: أَتَيْنَا ابْنَ مِيَادَةَ نَتَلَقَّى مِنْهُ الشَّعْرَ؛ فَقَالَ لَنَا: هَلْ لَكُمْ فِي فَضْلِ شَنَّةٍ^(٥)؟ فَظَنَّنَاهَا تَمَرًا، فَقُلْنَا لَهُ: هَاتِ، لِنَبْسِطَهُ بِذَلِكَ، فَإِذَا شَنَّةٌ فِيهَا فَضْلَةٌ مِنْ خَمْرٍ قَدْ شُرِبَ بَعْضُهَا وَبَقِيَ بَعْضٌ، فَلَمَّا رَأَيْنَاهَا قَمْنَا وَتَرَكْنَاهُ.

(١) السَّاعِيَةُ: أَخَذَ الصَّدَقَاتِ. وَأَسْعَى عَلَى صَدَقَاتِهِمْ: اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ سَاعِيًا. وَمَا يُسْتَسْعَى فِيهِ الْعَبْدُ مِنْ ثَمَنِ رَقَبَتِهِ إِذَا أُعْتِقَ بَعْضُهُ يُقَالُ لَهُ: السَّاعِيَةُ أَيْضًا. وَالْمَسَاعَةُ: فِي الْكَرَمِ وَالْجُودِ، وَالْجَمِيعُ: الْمَسَاعِي.

(٢) الْمُخَطَّطُ كَمُعْظَمٍ: الْغُلَامُ الْجَمِيلُ.

(٣) تحقَّى: الْعِنَايَةُ فِي سُؤَالِهِ إِيَّاهُ.

(٤) الدُّحُورُ: الطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ. وَقَدْ دَحَرَهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُورًا﴾، أَيُّ مُقْصَى.

(٥) الشَّنَّةُ، وَالشَّنَّةُ: الْخَلْقُ مِنْ كُلِّ آتِيَةٍ صَنَعَتْ مِنْ جِلْدٍ وَجَمَعَهَا: شَيْنَانٌ.

[يرفضُ وليمة ضُربَ الناسُ فيها بالسياط]

أخبرنا الحرمي قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكَثِيرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي نَعْمَةُ الْغِفَارِيِّ قَالَ: قَدِمَ ابْنُ مِيَادَةَ الْمَدِينَةَ فَدُعِيَ فِي وَلِيمَةٍ فَجَاءَ فَوَجَدَ عَلَى بَابِ الدَّارِ الَّتِي فِيهَا الْوَلِيمَةُ حُرَّاسًا يَضْرِبُونَ الزَّلَّالِينَ^(١) بِالسَّيَاطِ يَمْنَعُونَهُمْ مِنَ الدَّخُولِ، فَرَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْأَصْبَحِيَّةَ^(٢) قَنَعْتُ^(٣) مَفَارِقَ شَمِطٍ حَيْثُ تُلَوَّى الْعَمَائِمُ
تَرَكْتُ دِفَاعَ الْبَابِ عَمَّا وَرَاءَهُ وَقُلْتُ صَحِيحٌ مَنْ نَجَا وَهُوَ سَالِمٌ
[الطويل]

[وسأله الوليدُ مَنْ تَرَكْتَ عند نساءك]

أخبرني يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق قال: قال الوليدُ بن يزيد لابن ميادة في بعض وفاداته عليه: مَنْ تَرَكْتَ عند نساءك؟ قال: رَقِيبِينَ لَا يُخَالِفَانِي طَرْفَةَ عَيْنٍ: الْجُوعُ وَالْعَرِي. وهذا القولُ والجوابُ يُرْوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَعَقِيلَ بْنَ عُلْفَةَ تَرَاجَعَاهُمَا، وَقَدْ ذُكِرَا فِي أَخْبَارِ عَقِيلٍ.

[مدحه لأبي جعفر المنصور]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِي مُصْعَبٌ وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَزِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الزُّبَيْرِ، وَأَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ عَنْ مُصْعَبٍ: أَنَّ ابْنَ مِيَادَةَ مَدَحَ أَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْصُورَ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

طَلَعَتْ عَلَيْنَا الْعَيْسُ بِالرَّمَّاحِ^(٤)

[الكامل]

ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ يُرِيدُهُ، فَمَرَّ عَلَى إِبْلِهِ فَحُلِبَتْ لَهُ نَاقَةٌ مِنْ إِبْلِهِ، وَرَاحَ عَلَيْهِ رَاغِيهِ بَلْبِنِهَا فَشَرِبَهُ ثُمَّ مَسَحَ عَلَى بَطْنِهِ ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! إِنَّ هَذَا لَهُوَ الشَّرُّ! يَكْفِينِي لَبَنُ بَكْرَةٍ وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ، ثُمَّ أَخْرَجَ وَاعْتَرَبَ فِي طَلَبِ الْمَالِ! ثُمَّ رَجَعَ فَلَمْ يَخْرُجْ. هَذِهِ

(١) الزَّلَّالُونَ: الطِفْلِيُّونَ.

(٢) يُقَالُ: صَبَتْ عَلَيْهِ الْأَصْبَحِيَّةُ وَهِيَ سَيَاطٌ تَنْسَبُ إِلَى قَبْلِ يُقَالُ لَهُ: ذُو أَصْبَحٍ.

(٣) قَنَعْتُ رَأْسَهُ بِالْعَصَا أَوْ بِالسَّوْطِ: أَيَّ عَلَوْتُهُ ضَرْبًا.

(٤) الْبَيْتُ عَلَى الشَّكْلِ التَّالِي:

يَا لَيْتَنَا فِي غَيْرِ أَمْرِ فَادِحٍ طَلَعَتْ عَلَيْنَا الْعَيْسُ بِالرَّمَّاحِ

القصيدة من جيد شعر ابن ميادة، أولها:

وَكَوَاعِبٍ قَدْ قُلْنَ يَوْمَ تَوَاعُدِ
يَا لَيْتَنَا فِي غَيْرِ أَمْرِ فَادِحِ
بَيْنَا كَذَاكَ رَأَيْنَنِي مُتَعَصِّباً
فِيهِنَّ صَفَرَاءُ الْمَعَاصِمِ طِفْلَةً^(٣)
فَنَظَرْنَ مِنْ خَلَلِ الْحِجَالِ بِأَعْيُنِ
وَارْتَشَنَ^(٥) حِينَ أَرَدْنَ أَنْ يَرْمِيَنِي
قَوْلَ الْمُجِدِّ وَهَنَّ كَالْمُزَاحِ
طَلَعَتْ عَلَيْنَا الْعَيْسُ بِالرَّمَّاحِ
بِالْحَزِّ فَوْقَ جُلَالَةٍ^(١) سِرْدَاحِ^(٢)
بَيْضَاءُ مِثْلُ غَرِيضَةٍ^(٤) التُّفَّاحِ
مَرَضَى مُخَالِطُهَا السَّقَامُ صِحَاحِ
نُبْلًا بِلَا رِيَشٍ وَلَا بِقِدَاحِ
[الكامل]

يقول فيها في مدح المنصور وبنو هاشم:

فَلَنْ بَقِيَتْ لِأَلْحَقَنَّ بِأَبْحَرِ
وَلَا تَيْنَ بَنِي عَلِيٍّ^(٨) إِنَّهُمْ
قَوْمٌ إِذَا جُلِبَ الثَّنَاءُ إِلَيْهِمْ
وَلَا جَلِسَنَّ إِلَى الْخَلِيفَةِ إِنَّهُ
يَنْمِينَ لَا قُطْعَ^(٦) وَلَا أَنْزَاحَ^(٧)
مَنْ يَأْتِيهِمْ يُتَلَقَّ بِالْإِفْلَاحِ
بِيعَ الثَّنَاءِ هُنَاكَ بِالْأَرْبَاحِ
رَحْبُ الْفَنَاءِ بِوَاسِعِ بَحْبَاحِ
[الكامل]

وهي قصيدة طويلة.

[قوله فيما أصاب الحاج من المطر]

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا إسحاق بن أيوب بن سلمة قال:

- (١) الجلالة: الناقة العظيمة.
- (٢) السرداح: جماعة الطلح، واحدتها: سرذاحة. والسرداح: الناقة الطويلة وجمعها السرداح. وناقة سرذاح سرذاح، أي: كريمة.
- (٣) قالوا جارية طفلة: إذا كانت صغيرة. وجارية طفلة: إذا كانت رقيقة البشرة ناعمة.
- (٤) غريضة: الطرية.
- (٥) ارتشن: اتخذن لها ريشاً.
- (٦) انقطع ماؤه.
- (٧) نَزَحَ البئر يَنْزَحُها وَيَنْزَحُها نَزْحاً، وَأَنْزَحَها: إذا استقى ما فيها حتى ينفد، وقيل: حتى يفل ماؤها. وَنَزَحَتِ البئر تَنْزَحُ نَزْحاً وَتَنْزُوحاً فَهِيَ نَازِحٌ وَتَنْزَحُ وَتَنْزُوحُ: نفذ ماؤها. وَجَمَعَ التَّنْزَحَ أَنْزَاحٌ. وَجَمَعَ التَّنْزُوحَ تَنْزُوحٌ. وَمَاءٌ لَا يَنْزَحُ وَلَا يَنْزُوحُ، أَي لَا يَنْفَدُ، وَأَنْزَحَ الْقَوْمُ: نَزَحَتْ مِيَاهُ آبَارِهِمْ.
- (٨) أوردت إحدى النسخ يعني علي بن عبد الله بن العباس، وهو أصغر أولاد عبد الله بن عباس، ولكنه تقدمهم لظرفه ونبله، وقد أنزله عبد الملك بن مروان الحميمة ببلاد الشام، فلبث فيها حتى مات.

اعْتَمَرْتُ فِي رَجَبِ سَنَةِ خَمْسٍ وَمِائَةٍ، فَصَادَفَنِي ابْنُ مِيَادَةَ بِمَكَّةَ وَقَدِمَهَا مُعْتَمِرًا، فَأَصَابَنَا مَطَرٌ شَدِيدٌ تَهَدَّمَتْ مِنْهُ الْبُيُوتُ وَتَوَالَتْ فِيهِ الصَّوَاعِقُ، فَجَلَسَ إِلَيَّ ابْنُ مِيَادَةَ الْعَدُوِّ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَجَعَلَ يَأْتِينِي قَوْمٌ مِنْ قَوْمِي وَغَيْرِهِمْ فَاسْتَخْبَرَهُمْ عَنْ ذَلِكَ الْغَيْثِ فَيَقُولُونَ: صَعِقَ فُلَانٌ وَانْهَدَمَ مَنْزِلُ فُلَانٍ؛ فَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ: هَذَا الْغَيْثُ^(١) لَا الْغَيْثُ؛ فَقُلْتُ: فَمَا الْغَيْثُ عِنْدَكَ؟ فَقَالَ:

صَحَائِبُ لَا مِنْ صَيْبٍ ذِي صَوَاعِقٍ وَلَا مُحْرِقَاتٍ مَاؤُهُنَّ حَمِيمٌ
إِذَا مَا هَبَطْنَ الْأَرْضَ قَدْ مَاتَ عَوْدُهَا
بَكَينَ بِهَا حَتَّى يَعْيشَ هَشِيمٌ
[الطويل]

[كَانَ يَنْشُدُ مِنْ شَعْرِهِ فَيَسْتَحْسِنُهُ النَّاسُ]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ زُهَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: جَلَسْتُ أَنَا وَعِيسَى بْنُ عُمَيْلَةَ وَابْنُ مِيَادَةَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَنْشَدَنَا ابْنُ مِيَادَةَ شَعْرَهُ مَلِيًّا، ثُمَّ أَنْشَدَنَا قَوْلَهُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً
بِلَادٍ بِهَا نَيْطَتْ عَلَيَّ تَمَائِمِي
وَهَلْ أَسْمَعَنَّ الدَّهْرَ أَصْوَاتَ هَجْمَةٍ^(٢)
صُهَيْبِيَّةٍ صَفَرَاءَ تُلْقِي رَبَاعَهَا
بِحَرَّةٍ لَيْلَى حَيْثُ رَبَّتَنِي أَهْلِي
وَقُطِّعَنَ عَنِّي حِينَ أَدْرَكَنِي عَقْلِي
تَطَالَعُ مِنْ هَجَلٍ خَصِيبٍ إِلَى هَجَلٍ
بِمُنْعَرَجِ الصَّمَانِ^(٣) وَالْجَرَعِ^(٤) السَّهْلِ
[الطويل]

تَلْقِي رَبَاعَهَا: تَطْرَحُ أَوْلَادُهَا. وَوَاحِدُ الرِّبَاعِ رُبْعٌ:

وَهَلْ أَجْمَعَنَّ الدَّهْرَ كَفَيَّ جَمْعَةً
مُحَلَّلَةً لِي لَا حَرَامًا أَتَيْتُهَا
بِمَهْضُومَةِ الْكَشْحَيْنِ ذَاتِ شِوَى^(٥) عَبْلٍ^(٦)
مِنَ الطَّيِّبَاتِ حِينَ تَرَكُضُ فِي الْحَجَلِ^(٧)

(١) عاث الذئب في الغنم وهاث إذا أفسد. وفلان عاث عيَّاث. وقولهم: «يا ضبعاً تعيث في جراد» مثل في مفسد المال. وعيث في الكناية: أدار يده فيها لطلب السهم.

(٢) الهجمة من الإبل: ما بين التسعين إلى المائة، فإذا بلغت مائة فهي: هُئيدة.

(٣) الصمان: أرض غليظة دون الجبل، وهو جبل بين البصرة ومكة.

(٤) الجرْع: التواء في قوة من قوى الجبل ظاهرة على سائر القوى.

(٥) قوله تعالى ﴿نَزَاعَ لَلشَّوَى﴾، هي النار التي تنتزع الأيدي والأرجل. وتبقى الأنفس في الأغلال، لا حية، ولا ميتة. . والشوي: جماعة شاة. وفي لغة شيه، قال الضرير: شياه فلان ولا أعرف شيه فلان.

(٦) العبل: الضخم. يقال: عبل عباله وعبل عبالاً؛ فهو عبل: أي أبيض غليظ. وجبل عبل.

(٧) الحجل: القيد. والحجل: الخلخال.

تَمِيلُ إِذَا مَالَ الضَّجِيعُ بِعَظْفِهَا كَمَا مَالَ دِعْصُ^(١) مِنْ ذُرَا عَقْدِ^(٢) الرَّمْلِ

[الطويل]

فَقَالَ لَهُ عَيْسَى بْنُ عُمَيْلَةَ: فَأَيْنَ قَوْلِكَ يَا أَبَا الشَّرْحِيلِ:

لَقَدْ حَرَمْتُ أُمِّي عَلَيَّ عَدِمْتُهَا كَرَائِمَ قَوْمِي ثُمَّ قَلَّةَ مَالِيَا

[الطويل]

فَقُلْتُ لَهُ: فَاعْطِفْ إِذْنِي إِلَى أُمِّ بَنِي سُهَيْلٍ فِيهِ أَعْنَدُ وَأَنْكَدُ، وَقَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ مِيَادَةَ قَدْ ضَرَبْتَ جَأْشَكَ^(٣) عَلَى الْيَأْسِ مِنَ الْحَرَائِرِ، وَأَنَا أَدَاعِبُهُ وَأُضَاحِكُهُ؛ فَضَحِكَ وَقَالَ:

أَلَمْ تَرَ قَوْمًا يَنْكَحُونَ بِمَالِهِمْ وَلَوْ خَطَبْتُ أَنْسَابَهُمْ لَمْ تُزَوِّجْ

[الطويل]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبٌ وَغَيْرُهُ: أَنَّ حُسَيْنَةَ الْيَسَارِيَّةَ كَانَتْ جَمِيلَةً - وَأَلَّ يَسَارٌ مِنْ مَوَالِي عُثْمَانَ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ يَسْكُنُونَ تِيَمَاءَ، وَلَهُمْ هُنَاكَ عَدَدٌ وَجَلَدٌ، وَقَدْ انْتَسَبُوا فِي كَلْبٍ إِلَى يَسَارِ بْنِ أَبِي هَنْدٍ فَقَبِلَهُمْ بَنُو كَلْبٍ - قَالَ: وَكَانَتْ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهَا يُقَالُ لَهُ: عَيْسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَسَارٍ، وَكَانَ ابْنُ مِيَادَةَ يَزُورُهَا؛ وَفِيهَا يَقُولُ:

سَتَاتِينَا حُسَيْنَةُ حَيْثُ شِئْنَا وَإِنْ رَغِمَتْ أَنْوَفُ بَنِي يَسَارِ

[الوافر]

قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهَا زَوْجُهَا يَوْمًا فَوَجَدَ ابْنَ مِيَادَةَ عِنْدَهَا، فَهَمَّ بِهِ هُوَ وَأَهْلُهَا؛ فَقَاتَلَهُمْ وَعَاوَنَتْهُ عَلَيْهِمْ حُسَيْنَةُ حَتَّى أَفْلَتَ ابْنُ مِيَادَةَ؛ فَقَالَ فِي ذَلِكَ:

لَقَدْ ظَلَلْتُ تُعَاوِنُنِي عَلَيْهِمْ صَمُوتُ الْحِجْلِ كَاطِمَةُ^(٤) السَّوَارِ^(٥)

(١) لها كفل كدعص النقا، ونزلوا بالأدعاص وهي قيران من الرمل مجتمعة.

(٢) العقد: المتراكم من الرمل.

(٣) الجأش: النفس، وقيل: القلب، وقيل: رباطه وشدته عند الشيء تسمعه لا تدري ما هو. وفلان قَوِيَّ الجأش أي القلب. والجاش: جأش القلب وهو رَوَاعُهُ. الليث: جأش النفس رَوَاعِ القلب إذا اضطرب عند الفزع. يقال: إنه لَوَاهِي الجأش؛ فإذا ثبت قيل: إنه لِرَابِطِ الجأش. ورجل رَابِطُ الجأش: يربط نفسه عن الفرار يَكْفِيهَا لِحْزَانَهُ وَشَجَاعَتَهُ، وقيل: يَرِبُطُ نَفْسَهُ عَنِ الْفِرَارِ لَشَنَاعَتِهِ. وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَنَّكَ النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ﴾، هي التي أيقنت أن الله ربها وضربت لذلك جأشاً. قال الأزهرى: معناه قَرِئَتْ يَقِينًا وَاطْمَأَنَّتْ كَمَا يَضْرِبُ الْبَعِيرُ بِصَدْرِهِ الْأَرْضَ إِذَا بَرَكَ وَسَكَنَ. ابن السكيت: رَبِطْتُ لَذَلِكَ الْأَمْرَ جَأْشًا لَا غَيْرَ.

(٤) الكَطْمُ: مخرج النفس. يقال: قد غمه وأخذ بكظمه فما يقدر أن يتنفس، أي: كربه، وهو مكظوم كظيم، أي: مكروب.

(٥) أراد الشاعر القول أن خلخالها وسوارها لا يسمع لهما صوت لامتلائهما بمعصمها وساقها.

وَقَدْ غَادَرْتُ عَيْسَى وَهُوَ كَلْبٌ يَقْطَعُ سَلَحَهُ خَلْفَ الْجِدَارِ
[الوافر]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدِ بْنِ شَاهِينَ قَالَ:
حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدِ بْنِ دُفَيْفٍ التَّغْلِبِيُّ عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نُمَيْرَةَ
الْعَدَوِيِّ عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ وَثَّابٍ قَالَ:

[ابن ميادة وعبد الواحد بن سليمان]

قَدِمَ ابْنُ مِيَادَةَ الْمَدِينَةَ زَائِرًا لِعَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ أَمِيرُهَا
وَكَانَ يَسْمُرُ عِنْدَهُ فِي اللَّيْلِ، فَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ لِأَصْحَابِهِ: إِنِّي أَهْمُّ أَنْ أَتَزَوَّجَ، فَاغْوِنِي
أَيَّمَا؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ مِيَادَةَ: أَنَا أَذْلُكَ، أَصْلَحَكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ؛ قَالَ: عَلَى مَنْ يَا أَبَا
الشُّرْحَبِيلَ؟ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ فَدَخَلْتُ مَسْجِدَكُمْ فَإِذَا أَشْبَهَ شَيْءٌ بِهِ وَبِمَنْ
فِيهِ الْجَنَّةُ وَأَهْلُهَا، فَوَاللَّهِ لَبِيتُنَا أَنَا أَمْشِي فِيهِ إِذْ قَادَتْنِي رَائِحَةُ عِطْرِ رَجُلٍ حَتَّى وَقَفْتُ بِي
عَلَيْهِ، فَلَمَّا وَقَعَ بَصَرِي عَلَيْهِ اسْتَلْهَانِي حُسْنُهُ فَمَا أَقْلَعْتُ عَنْهُ حَتَّى تَكَلَّمْتُ، فَخَلَّتْهُ لَمَّا
تَكَلَّمْتُ يَتَلَوُّ زَبُورًا وَيُدْرُسُ إِنْجِيلًا أَوْ يَقْرَأُ قُرْآنًا حَتَّى سَكَتَ، فَلَوْلَا مَعْرِفَتِي بِالْأَمِيرِ
لَشَكَّكْتُ أَنَّهُ هُوَ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ مُصَلَّاهُ إِلَى دَارِهِ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هُوَ؟ فَأَخْبَرْتُ أَنَّهُ لِلْحَيَّيْنِ
وَبَيْنَ الْخَلِيفَتَيْنِ، وَأَنْ قَدْ نَالَتْهُ وَلَادَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهَا «نُورٌ» سَاطِعٌ مِنْ غُرَّتِهِ
وَذَوَابَتِهِ، فَنَعِمَ الْمُتَنَكِّحُ وَنَعِمَ حَشْوُ الرَّحْلِ وَابْنُ الْعَشِيرَةِ، فَإِنْ اجْتَمَعْتَ أَنْتَ وَهُوَ عَلَى
وَلَدٍ سَادَ الْعِبَادُ وَجَابَ ذِكْرُهُ الْبِلَادَ. فَلَمَّا قَضَى ابْنُ مِيَادَةَ كَلَامَهُ قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ وَمَنْ
حَضَرَهُ: ذَاكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ، وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ، فَقَالَ
ابْنُ مِيَادَةَ:

لَهُمْ نَبَوَةٌ^(١) لَمْ يُعْطِهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ وَكُلُّ قَضَاءِ اللَّهِ فَهُوَ مُقَسَّمٌ
[الطويل]

قال يحيى بن علي: ومما مدح به عبد الواحد لما قَدِمَ عليه قوله:

مَنْ كَانَ أَخْطَاءُ الرَّبِّيعِ فَإِنَّهُ نُصِرَ^(٢) الْحِجَارُ بِغَيْثِ عَبْدِ الْوَاحِدِ
إِنَّ الْمَدِينَةَ أَصْبَحَتْ مَعْمُورَةً بِمُتَوَجِّحِ حُلُوِّ الشَّمَائِلِ مَا جَدِ

(١) النَّبَوَةُ وَالنَّبَاوَةُ وَالنَّبِيُّ: مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ. وَفِي الْحَدِيثِ: فَأُتِيَ بِثَلَاثَةِ قِرْصَةٍ فَوُضِعَتْ عَلَى نَبِيِّ
أَيُّ عَلَى شَيْءٍ مَرْتَفَعٍ مِنَ الْأَرْضِ، مِنَ النَّبَاوَةِ وَالنَّبَوَةِ الشَّرَفِ الْمُرْتَفِعِ مِنَ الْأَرْضِ؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ:
لَا تُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ أَيُّ عَلَى الْأَرْضِ الْمَرْتَفَعَةِ الْمُحْدَوْدِيَةِ.

(٢) نُصِرَ الْغَيْثُ الْبِلَادُ: أُرْوَاهَا.

وَلَقَدْ بَلَغْتَ بَغِيرِ أَمْرِ تَكْلُفٍ أَعْلَى الْحُظُوظِ بِرَغَمِ أَنْفِ الْحَاسِدِ
وَمَلَكَتْ مَا بَيْنَ الْعِرَاقِ وَيَثْرِبِ مُلْكاً أَجَارَ لِمُسْلِمٍ وَمُعَاهِدِ
مَالِيهِمَا وَدَمِيهِمَا مِنْ بَعْدِ مَا عَشَى الضَّعِيفِ شُعَاعِ سَيْفِ الْمَارِدِ
[الكامل]

[التقاؤه جماعة يرتجزون بشعره]

أخبرني الحرمي قال: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ السُّلَمِيِّ قَالَ: إِنَّا لَنُزُولُ أَنَا وَأَصْحَابُ لِي قَبْلَ الْفِطْرِ بَثْلَاثَ لَيَالٍ عَلَى مَاءٍ لَنَا، فَإِذَا رَاكِبٌ يَسِيرُ عَلَى جَمَلٍ مُلْتَفٍّ بِثُوبٍ وَالسَّمَاءُ تَغْسِلُهُ حَتَّى أَنَاخَ^(١) إِلَى أَجَمٍ^(٢) عَرَفْتَهُ، فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ لَثَقًا^(٣) قُمْنَا إِلَيْهِ فَوَضَعْنَا رَحْلَهُ وَقَيَّدْنَا جَمْلَهُ، فَلَمَّا أَقْلَعَتِ السَّمَاءُ عَنَّا وَهُوَ مَعَنَا قَاعِدٌ قَامَ غَلَمَةٌ مَنَّا يَرْتَجِزُونَ وَالرَّجُلُ لَمْ يَنْتَسِبْ لَنَا وَلَا عَرَفْنَاهُ، فَارْتَجَزَ أَحَدُهُمْ فَقَالَ:

أَنَا ابْنُ مَيَّادَةَ لَبَّاسُ الْحُلَلِ أَمْرٌ مِنْ مُرٍّ وَأَحْلَى مِنْ عَسَلِ
[الرجز]

حتى قال له الرجل: يا ابن أخي، أتدري من قال هذا الشعر؟ قال: نعم، ابن ميادة، قال: فأنا «هو» ابن ميادة الرَّمَّاحِ بْنِ أَبْرَدَ، وَبَاتَ يُعَلِّلُنَا مِنْ شَعْرِهِ، وَيَقْطَعُ عَنَّا اللَّيْلَ بِنَشِيدِهِ، وَسَرَيْنَا رَا حَلِينَ فَصَبَّحْنَا مَكَّةَ فَقَضَيْنَا نُسُكَنَا، وَلَقِيَهُ رَجُلَانِ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي مَرَّةٍ فَعَرَفَهُمَا وَعَرَفَاهُ، وَأَفْطَرْنَا بِمَكَّةَ، فَلَمَّا انْصَرَفْنَا مِنَ الْمَسْجِدِ يَوْمَ الْفِطْرِ إِذَا نَحْنُ بِفَارَسَيْنِ مُسَوَّدَيْنِ وَرَا جَلَيْنِ مَعَ الْمَرِّيِّينَ يَقُولُونَ: أَيْنَ ابْنُ مَيَّادَةَ؟ فَقُلْنَا: هَا هُوَ وَقَدْ بَرَزْنَا مِنْ خِيَمَةٍ كُنَّا فِيهَا، فَقُلْنَا لِابْنِ مَيَّادَةَ: ابْرُزْ؛ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْمَرِّيِّينَ قَالَ:

إِحْدَى عَشِيَّاتِكَ يَا شَمِيرَجَ

- قال: وهذا رجزٌ لبعض بني سليمٍ يقوله لفرسه:

أَقُولُ وَالرَّكْبَةَ فَوْقَ الْمِنْسَجِ^(٤) إِحْدَى عَشِيَّاتِكَ يَا شَمِيرَجَ
[الرجز]

(١) تَنَوَّخَ الْجَمَلُ النَّاقَةَ: أَبْرَكَهَا لِلْسَّفَادِ وَالضَّرَابِ، كَأَنَّاخَهَا لِيَرْكَبَهَا، فَاسْتَنَاحَتْ: بَرَكَتْ، وَتَوَّخَهَا فَتَنَوَّخْتُ، وَاسْتَنَاحَ الْفَحْلُ النَّاقَةَ وَتَوَّخَهَا: أَبْرَكَهَا ثُمَّ ضَرَبَهَا.

(٢) الْأَجَمَةُ: الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمَلْتَفُّ.

(٣) اللَّثَقُ: الْمَبْتَل.

(٤) الْمِنْسَجُ: مَنْسَجُ الدَّابَّةِ: مَا بَيْنَ الْعُرْفِ وَمَوْضِعِ اللَّبْدِ. وَقِيلَ: الْمِنْسَجُ: الْفَرَسُ بِمَنْزِلَةِ الْكَاهِلِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَارَكِ مِنَ الْبَعِيرِ.

ويروى: مشمرج .

[ما أكثر الماصين]

فقال لابن ميادة: أجب الأمير عبد الصمد بن علي، وخُذْ معك من أصحابك من أحببت؛ فخرج وخرج معه منّا أربعة نفر أنا أحدهم حتى وقفنا على باب دار الندوة^(١)، فدخل أحد المسودين^(٢)، ثم خرج فقال: ادخل يا أبا شجرة، فدخلت على عبد الصمد بن علي فوجدته جالساً متوشحاً بملحفة ماردة^(٣)؛ فقال لي: مَنْ أنت؟ قلت: رجل من بني سليم؛ فقال: ما لك تصاحب المري وقد قتلوا معاوية بن عمرو! وقالت الخنساء^(٤):

أَلَا مَا لِعَيْنِي أَلَا مَا لَهَا^(٥) لَقَدْ أَخْضَلَ^(٦) الدَّمْعُ سِرْبَالَهَا^(٧)
فَأَلَيْتُ آسَى^(٨) عَلَى هَالِكٍ وَأَسْأَلُ نَائِحَةً^(٩) مَالَهَا
أَبْعَدَ ابْنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِيرِ دَحَلَتْ^(١٠) بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
فَإِنْ تَكُ مُرَّةً أَوْدَتْ بِهِ فَقَدْ كَانَ يُكْثِرُ تَقْتَالَهَا

[المقارب]

(١) دار الندوة، وهي الدار التي أحدثها قصي بن كلاب بن مرة لما تملك مكة، وكانت قريش تجتمع فيها عند النواصب في حرب أو غيرها، ولم يكن يدخلها إلا ابن أربعين أو ما زاد، فدخلها أبو جهل وهو ابن ثلاثين لجودة رأيه.

(٢) المسودين: الذي يسوده غيره.

(٣) ماردة: لونها كالورد.

(٤) تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحية السلمية من بني سليم من قيس عيلان من مضر. أشهر شواعر العرب وأشعرهن على الإطلاق، من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت. ووفدت على رسول الله ﷺ مع قومها بني سليم. فكان رسول الله يستنشد بها ويعجبه شعرها، فكانت تشد وهو يقول: هيه يا خنساء. أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها صخر ومعاوية وكانا قد قتلوا في الجاهلية. لها ديوان شعر فيه ما بقي محفوظاً من شعرها. وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية فجعلت تحرضهم على الثبات حتى استشهدوا جميعاً، فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، توفيت سنة ٢٤هـ.

(٥) ورد الصدر في الديوان على الشكل التالي: أَلَا مَا لِعَيْنِكَ أُمَ مَا لَهَا

(٦) خضل بمعنى بلل، عن أبي زيد: اخضَلَّ الثوب اخضالاً - إذا ابتل.

(٧) سربالها: قميصها.

(٨) تريد الشاعرة لا آسى ولا أسأل.

(٩) ورد في الديوان «باكية» بدل «نائحة».

(١٠) حلت: زينت.

أترويهما؟ قُلْتُ: نعم أصلَحَ اللهُ الأميرَ، وما زال من المعركة حتى قتل به خُفافُ بن عمرو المعروف بابن نُذبة كَبَشَ القومَ مالكُ بن حِمَارِ الفزاريِّ ثم الشُّمخي، أما سَمِعَ الأميرُ قولَ خُفافِ بن نُذبة^(١) في ذلك:

فَإِنْ تَكُ خَيْلِي قَدْ أَصِيبَ صَمِيمُهَا فَعَمْدًا عَلَى عَيْنٍ تَيَمَّمْتُ مَالِكا
تَيَمَّمْتُ كَبَشَ^(٢) الْقَوْمِ حَتَّى رَأَيْتُهُ وَجَانِبْتُ شَبَانَ الرَّجَالِ الصَّعَالِكا
أَقُولُ لَهُ وَالرُّمْحُ يَاطِرُ^(٣) مَتْنَهُ تَأْمَلُ خُفَافًا إِنَّنِي أَنَا ذَلِكا

[الطويل]

وقد توسَّط معاوية بن عمرو خيلهم فأكثر فيهم القتلَ، وقتلَ كَبَشَ القوم الذي أُصِيبَ بأيديهم؛ فقال: لله درك! إذا ولدتِ النساءُ فَلْيَلِدْنَ مثلك! وأمر لي بألف درهم، فذِفَعْتُ إِلَيَّ وخلع عليَّ. وأدْخَلَ ابن مِيَّادة فسَلَّمَ عليه بالإمرة؛ فقال له: لا سَلَّمَ اللهُ عليك يا ماصَّ كذا^(٤) من أمِّه؛ فقال ابن مِيَّادة: ما أكثر الماصِّين! فَضَحَكَ عبد الصمد، ودعا بدفتر فيه قصيدة ابن مِيَّادة التي يقول فيها:

لَنَا الْمُلْكُ إِلَّا أَنْ شَيْئًا تَعُدُّهُ قَرِيشٌ وَلَوْ شِئْنَا لَدَاخَتْ^(٥) رِقَابُهَا

[الطويل]

ثم قال لابن مِيَّادة: أُعْتِقُ ما أملكُ إِنْ غادرتَ منها شيئاً إِنْ لَمْ أَبْلُغْ غِيظَكَ، فقال ابن مِيَّادة: أُعْتِقُ ما أملكُ إِنْ أَنْكَرْتُ منها بيتاً فُلْتُهُ أو أَفَرَرْتُ بَيِّنَتْ لَمْ أَفْلُهُ؛ فقرأها عبد الصمد ثم قال له: أَنْتَ قُلْتَ هذا؟ قال: نعم؛ قال: أَفَكُنْتَ أَمِنْتَ يابن مِيَّادة أَنْ يَنْقُضَ عَلَيْكَ بَازٍ مِنْ قَرِيشٍ فيضربَ رأسك! فقال: ما أكثر البازين! أَفَكَانَ ذَلِكَ الْبَازِي آمِنًا أَنْ يَلْقَاهُ بَازٍ مِنْ قَيْسٍ وَهُوَ يَسِيرُ فِيرْمِيهِ فَتَشُولُ^(٦) رِجَالَهُ! فَضَحَكَ عبد الصمد ثم دعا بكسوة فكساهم.

(١) خفاف بن نذبة بن عمير بن الحارث بن عمرو (الشريد) بن قيس بن عيلان السلمي. اشتهر بالنسبة إلى أمه نذبة بنت شيطان، وكانت سوداء، سبها الحارث بن الشريد حين أغار على بني الحارث بن كعب، فوهبها لابنه عمير فولدت له خفافاً، وهو من فرسان العرب المعدودين، يُكنى أبا خُرَاشَةَ، أدرك الإسلام فأسلم، وشهد فتح مكة وغزوة حنين والطائف، وهو ابن عم الخنساء الشاعرة، توفي سنة ٢٠هـ.

(٢) كبش القوم: رئيسهم وسيدهم.

(٣) أطر العود، أطر القوس إذا عطفه، ورأيت في يده مأطورة أي قوساً. وتأطر القنا في ظهورهم واناظر: انثنى.

(٤) تقول العرب في السب: يا ماص بظر أمه.

(٥) داخ لنا فلان: ذل وخضع، ودوَّخناهم فداخوا.

(٦) تشول: ترتفع، وهو كناية عن الموت.

[تمثل بعض ولد الحسن بشعره]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال: حدّثنا عبد الصمد بن شبيب قال: قال أبو حذافة السهميّ:

سَبَّ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةٍ بَعْضَ وَلَدِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَأَغْلَظَ لَهُ وَهُوَ سَاكِتٌ، وَالنَّاسُ يَعْجَبُونَ مِنْ صَبْرِهِ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَطَالَ أَقْبَلَ الْحَسَنِيَّ عَلَيْهِ مُتَمَثِّلًا بِقَوْلِ ابْنِ مِيَادَةَ:

أَظَنَّتْ سَفَاهَا مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهَا أَنْ أَهْجُوهَا لَمَّا هَجَتْنِي مُحَارِبُ
فَلَا وَأَبِيهَا إِنَّنِّي بَعْشِيرَتِي^(١) وَنَفْسِي عَنْ ذَاكَ الْمَقَامِ لَرَاغِبُ
[الطويل]

فَقَامَ الْقُرَشِيُّ خَجَلًا وَمَا رَدَّ عَلَيْهِ جَوَابًا.

[مدحه لجعفر بن سليمان أمير المدينة]

أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام قال: مدح ابن ميادة جعفر بن سليمان وهو على المدينة، فأخبرني مسمع بن عبد الملك أنّه قام له بحاجته عند جعفر وأوصلها إليه. قال: فقال له: جزاك الله خيراً! ممن أنت رَحِمَكَ اللهُ؟ قُلْتُ: أحد بني مسمع؛ قال: ممن؟ قُلْتُ: من قيس بن ثعلبة؛ قال: ممن؟ عافاك الله! قُلْتُ: من بكر بن وائل؛ قال: والله لو كُنْتُ سَمِعْتُ ببكر بن وائل قط أو عَرَفْتُهم لمدحتك، ولكنني ما سَمِعْتُ ببكر قط ولا عَرَفْتُهم، ثم مدح جعفرًا فقال:

لَعَمْرُكَ مَا سُيُوفُ بَنِي عَلِيٍّ بِنَابِيَةِ الظُّبَاةِ^(٢) وَلَا كِلَالِ^(٣)
هُمُ الْقَوْمُ الْأَلَى وَرَثُوا أَبَاهُمْ تُرَاثَ مُحَمَّدٍ غَيْرَ أَنْتِ حَالِ
وَهُمْ تَرَكَوا الْمَقَالَ لَنَا رَفِيعًا وَمَا تَرَكَوا عَلَيْهِمْ مِنْ مَقَالِ
حَذَوْتُمْ قَوْمَكُمْ مَا قَدْ حَذَوْتُمْ كَمَا يُحْذِي الْمِثَالُ عَلَى الْمِثَالِ
فَرُدُّوا فِي جِرَاحِكُمْ أَسَاكُمُ^(٤) فَقَدْ أَبْلَغْتُمْ مَرَّ النَّكَالِ
[الوافر]

(١) ورد الصدر على الشكل التالي: مَعَادَ إِلَهِي إِنَّنِّي بَعْشِيرَتِي.

(٢) الظُّبَةُ: حَدُّ السَّيْفِ فِي طَرَفِهِ، وَالْخَنْجَرُ وَشِبْهُهُ، وَالْجَمْعُ الظُّبَاةُ وَالطُّبِيُّ وَالطُّبُونُ.

(٣) كِلَالَةٌ، أَيْ لَمْ يَرِثْهُ عَنْ عُرْضٍ، بَلْ عَنْ قُرْبٍ وَاسْتِحْقَاقٍ.

(٤) الْأَسَى: الْمَدَاوَاةُ وَالْعِلَاجُ.

يُشِيرُ عَلَيْهِ بِالْعَفْوِ عَنْ بَنِي أُمَيَّةٍ وَيُذَكِّرُهُ بِأَرْحَامِهِمْ .

أخبرنا بهذا الخبر يحيى بن علي عن سليمان المديني عن محمد بن سلام، قال يحيى: قال أبو الحارث المُرِّي فيما ذكره إسحاق من أخباره: قال جعفر بن سليمان لابن ميادة: أُنحِبُّ أَنْ أُعْطِيكَ مِثْلَ مَا أُعْطَاكَ ابْنُ عَمِّكَ رِيَّاحُ بْنُ عَثْمَانَ؟ فقال: لا، أيُّهَا الأمير، ولكن أعطني كما أعطاني ابْنُ عَمِّكَ الوليد بن يزيد.

قال يحيى: وأخبرنا حماد عن أبيه عن أبي الحارث قال: قال جعفر بن سليمان لابن ميادة: أأنت الذي تقول:

بَنِي أَسَدٍ إِنْ تَغَضَّبُوا ثُمَّ تَغَضَّبُوا وَتَغَضَّبَ قُرَيْشٌ تَحْمِ قَيْسًا غَضَابُهَا
[الطويل]

قال: لا والله! ما هكذا قلت؛ قال: فكيف قلت؟ قال: قلت:

بَنِي أَسَدٍ إِنْ تَغَضَّبُوا ثُمَّ تَغَضَّبُوا وَتَعَدِلُ قُرَيْشٌ تَحْمِ قَيْسًا غَضَابُهَا
[الطويل]

[هجا بني أسد وبني تميم]

قال: صدقت هكذا قلت. وهذه القصيدة يَهْجُو بها ابْنُ مِيَادَةَ بني أسد وبني تميم، وفيها يقول بعد هذا البيت الذي ذكره له جعفر بن سيمان:

وَأَحْقَرُ مَحْقُورٍ تَمِيمٌ أَخَوُكُمْ وَإِنْ غَضِبْتَ يَرْبُوعُهَا^(١) وَرَبَابُهَا^(٢)
أَلَا مَا أَبَالِي أَنْ تُخْنِدَفَ^(٣) خَنْدِفٌ وَلَسْتُ أَبَالِي أَنْ يَطْنَ دُبَابُهَا
وَلَوْ أَنَّ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ أَقْسَمَتْ عَلَى الشَّمْسِ لَمْ يَطْلَعْ عَلَيْكَ حِجَابُهَا
فَلَوْ حَارَبَتْنَا الْجَنْ لَمْ نَرْفَعْ الْقَنَا عَنِ الْجَنْ حَتَّى لَا تَهْرَ كِلَابُهَا
لَنَا الْمُلْكُ إِلَّا أَنَّ شَيْئًا تَعُدُّهُ قُرَيْشٌ وَلَوْ شِئْنَا لَذَلَّتْ رِقَابُهَا
وَإِنْ غَضِبْتَ مِنْ ذَا قُرَيْشٍ فَقُلْ لَهَا مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ أَكُونَ أَهَابُهَا

(١) يربوع بن حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم أبو حي من تميم منهم متمم بن نويرة اليربوعي الصحابي. ويربوع بن غيظ بن مرة أبو بطن من مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، منهم الحارث ابن ظالم المُرِّي اليربوعي.

(٢) الرباب قبائل عربية، سُميت كذلك لأنهم جاءوا برب فأكلوا منه وغمسوا فيه أيديهم وتحالفوا عليه وهم تيم وعدي وعكل. وقيل: أطلقت عليهم هذه التسمية - وأضيف إليهم ضبة وثور - لأنهم تربوا أي تجمعوا.

(٣) الخَنْدَفَةُ: مِشِيَّةٌ كَالْهَرُولَةِ. وَقَدْ خَنْدَفَ الرَّجُلُ، إِذَا مَشَى مُفَاجَأًا يَقْلِبُ قَدَمَيْهِ كَأَنَّهُ يَغْتَرِفُ بِهِمَا.

وَإِنِّي لَقَوَّالُ الْجَوَابِ وَإِنِّي
إِذَا غَضِبْتُ قَيْسٌ عَلَيْكَ تَقَاصَرَتْ
لَمُفْتَجِرٍ^(١) أَشْيَاءُ يُعَيِّي جَوَابُهَا
يَدَاكَ وَفَاتِ الرَّجُلَ مِنْكَ رِكَابُهَا
[الطويل]

[ابن ميادة وسماعة بن أشول]

قال إسحاق في خبره: فحدثني جبر بن رباط بن عامر بن نصر قال: فقال
سماعة بن أشول النعماني يعارض ابن ميادة:

لَعَلَّ ابْنَ أَشْبَانِيَّةٍ عَارِضَتْ بِهِ
يُسَامِي فِرْعَوًى مِنْ خُزَيْمَةَ أَحْرَزَتْ
رِعَاءَ الشَّوِيِّ مِنْ مَرِيحٍ وَعَازَبَ
عَلَيْهِ ثَنَايَا الْمَجْدِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ: مَنْ هَذَا؟ لَقَدْ أَغْلَقَ عَلَيَّ أَغْلَقَ اللَّهِ عَلَيْهِ! قَالُوا: سَمَاعَةُ بْنُ أَشُولَ؛
فَقَالَ: سَمَاعَةُ يُسَمِّعُ بِي، وَأَشُولُ يَشُولُ^(٢) بِي، وَاللَّهُ لَا أَهَاجِيهِ أَبَدًا، وَسَكَتَ عَنْهُ.

[هجاه عبد الرحمن بن جهيم الأسدي]

وقال عبد الرحمن بن جهيم الأسدي أحد بني الحارث بن سعد بن ثعلبة بن
دودان بن أسد يرد على ابن ميادة، وهي قصيدة طويلة ذكرت منها أبياتاً:

لَقَدْ كَذَبَ الْعَبْدُ ابْنَ مِيَادَةَ الَّذِي
شَرَنْبَثَةُ^(٣) الْأَطْرَافِ لَمْ يَقْنِ^(٤) كَفَّهَا
رَبَا وَهِيَ وَسَطُ الشَّوْلِ تَدْمِي كِعَابُهَا
خِضَابٌ وَلَمْ تَشْرِقْ بِعَطْرِ ثِيَابُهَا
يَهْجُ لَكَ حَرْباً قَضُبُهَا وَاعْتِيَابُهَا
أَرْمَاحُ إِنْ تَغَضَّبَ صَنَادِيدُ خِنْدِفِ
[الطويل]

ويروى «اغتيابها» من الغيبة. و«اعتيابها» من العيب:

وَلَوْ أَغْضَبْتَ قَيْسٌ قُرَيْشاً لَجَدَعْتُ
لَقَدْ جَرَّ رَمَاحُ ابْنِ وَاهِصَةِ^(٥) الْخُصَى
مَسَامِعَ قَيْسٍ وَهِيَ خُضْعُ رِقَابِهَا
عَلَى قَوْمِهِ حَرْباً عَظِيماً عَذَابُهَا

(١) افتجر الكلام: إذا اخترق من غير أن يسمع ويتعلم.

(٢) تشول: ترتفع، ويشول بي: يرفع من ذكري ويشهرني.

(٣) الشَّرَنْبَثُ والشَّرَابُثُ، بضم الشين: القبيح الشديد؛ وقيل: هو الغليظ الكفين، وفي الصحاح:
والرَّجُلَيْنِ، وفي المحكم: والقَدَمَيْنِ الخَشْنُهُمَا.

(٤) يقن: من قنأ: وقنأ الرجل لحيته بالخضاب تقنيته، وقد قنأت هي من الخضاب، تقنأ قنوءاً: اشتدت
حمرتها.

(٥) وَهْصُ الرَّجُلِ الْكَبِشُ، فهو مَوْهُوصٌ، وَوَهَيْصٌ: شَدَّ خُصْيَيْهِ ثُمَّ شَدَّحَهُمَا بَيْنَ حَجَرَيْنِ. ويقال ابن
واهصة إذا كانت أمه راعية.

وقد عَلِمَ المملوحُ بالشؤمِ رأسُهُ
ولم تحمِها أيامَ قَتْلِ ابنِ حازمٍ
ولا يومَ لاقينا نُميراً ففُتِلَتْ
وإنْ تدُعُ قَيْساً لا تُجِبْكَ وحولُها
ولو أنْ قَيْساً قَيْسَ عَيْلانِ أصحرت^(١)
ولو أنْ قرَنَ الشمسِ كان لمعشرٍ
ولكنَّها لله يَمْلِكُ أمرُها
لَعَمْرِي لئنْ شابتْ حَلِيلَةُ نَهْبَلٍ
ولم تدِرْ حَمراءَ العِجانِ^(٢) أنْهَبَلُ
فلإنْ يَكُ رَمَّاحُ ابنِ مِيَّادةٍ التي
جَرى جَرِي موهونِ القوى قَصَرَتْ به
فلن تَسْبِقَ المضمَارَ في كُلِّ مَوْطِنٍ
وواللهِ لولا أنْ قَيْساً أَذْلَلَهُ
لألحقَتْها بالزَّنجِ ثم رَمَيْتُها

قُتِيْبَةُ أنْ لم تحمِ قَيْساً غَضابُها
وأيامَ قَتلى كان خِزياً مُصابُها
نَمِيرٌ وفَرَّتْ كَعْبُها وكَلابُها
خُيولُ تَمِيمٍ سَعْدُها وربابُها
لأنواءِ غَنَمٍ غَرَقَتْها شِعَابُها
لكان لَنَا إِشْرافُها واحتجابُها
بِقُدْرَتِهِ إصْعادُها وانصبابُها
لَيْسَ شَبابُ المَرءِ كان شَبابُها
أَبُوهُ أُمُ المُرَيِّ تَبَّ تَبابُها
يُصَنُّ^(٣) إذا باتَتْ بأَرْضِ تَرابُها
لئِمْةُ أَعْرَاقٍ إِلَيْهِ انتسابُها
من الخيلِ عِنْدَ الجَدِّ إِلَّا عِرَابُها
لئامُ فلا يُرْضى لِحُرِّ سَبابُها
بشِئْءٍ يُغَيِّي القائلينَ جَوابُها
[الطويل]

[ابن ميادة وأبان بن سعيد]

أخبرني يحيى بن علي عن حماد عن أبيه قال: وجدتُ في كتاب أبي عمرو
الشَّيباني، فعرضتُهُ على أبي داود فعرفه أو عامتُهُ، قال: إنا لجلوسُ على الهَجْمِ^(٤) في
ظِلِّ القصرِ عَشِيَّةً، إذ أقبل إلينا ثلاثة نَفَرٍ يَعودون ناقةً حتى جلسوا إلى أبان بن
سعيد بن عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ وهو في جماعة من بني عُيَيْنَةَ، قال: فرأيتُ أَجَلَةً ثلاثةً ما
رأيتهم قَطُّ، فقلنا: من القوم؟ فقال أحدهم: أنا ابن مِيَّادة وهذان من عَشيرتي؛ فقال
أبان لأحدِ بَنِيهِ: اذهب بهذه الناقة فأطلق عنها عند بيت أَمِّكَ؛ فقال له ابنُ مِيَّادة: هذه
يا أبا جعفر السُّعْلَة، أفلا أنْشِدُكَ ما قُلْتُ فيها؟ قال: بلى فهات؛ فقال:

(١) أصحرت: برزت إلى الصحراء لا يوارىها شيء.

(٢) حمراء العِجان: سبَّ كان يجري على ألسنة العرب، خاصة بحق الأعاجم.

(٣) الصَّنُّ: بول الوَرَبِ، وهو مُشْتَنٌّ جَدًّا.

(٤) الهَجْم: ماء لبني فزارة، يقال: إنَّه من حفر عاد.

قَعَدْتُ عَلَى السَّعْلَةِ تَنْفُضُ مِسْحَهَا^(١)
 تُيَمِّمُ خَيْرَ النَّاسِ مَاءً وَحَاضِرًا^(٢)
 فَإِنِّي عَلَى رَغَمِ الْأَعَادِي لَقَائِلُ
 لَهُمْ حَاضِرٌ بِالْهَجْمِ لَمْ أَرِ مِثْلَهُمْ
 وَخَيْرٌ مَعَدٌ مَجْلِسًا مَجْلِسٌ لَهُمْ
 أَخْصُ بِهَا رَوْقِي عُيَيْنَةً إِنَّهُ
 فَأَنْتُمْ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ تَتَخَيَّرُوا الـ
 وَتُجَذَّبُ مِثْلَ الْأَيْمِ^(٣) فِي بُرَّةٍ^(٤) الصُّفْرِ
 وَتَحْمِلُ حَاجَاتِ تَضَمَّنَهَا صَدْرِي
 وَجَدْتُ خِيَارَ النَّاسِ حَيَّ بَنِي بَدْرِ
 مِنَ النَّاسِ حَيًّا أَهْلَ بَدْوٍ وَلَا حَضَرٍ
 يَفِيءُ عَلَيْهِ الظِّلُّ مِنْ جَانِبِ الْقَصْرِ
 كَذَلِكَ ضَحَّاحُ^(٥) الْمَاءِ يَأْوِي إِلَى الْعَمْرِ^(٦)
 مِيَاهَ وَأَنْ تَرَعُوا ذُرَى الْبَلَدِ الْقَفْرِ
 [الطويل]

قال: فكان أول قائم من القوم ركضه بن علي بن عيينة، وهو ابن عم أبان
 وعبد بن أبان، وكانت إبله في العطن^(٧) وهي أكرم نعم بني عيينة وأكثره، فقال: ما
 سمعت كالיום مديح قوم «قط»، حكمتك ماض في هذه الإبل؛ ثم قام آخر فقال مثل
 ذلك، وقام آخر وآخر؛ فقال ابن ميادة: يا بني عيينة، إني لم أتكم لتتبارى لي
 شياطينكم في أموالكم، إنما كان علي دين فأردت أن تعطوني أبكراً أبيها في ديني.
 فأقام عند أبان بن سعيد خمسة عشر يوماً، ثم راح بتسع عشرة ناقة، فيها ناقة لابن
 أبان عشاء أو رباعية. قال يحيى في خبره: وقال يعقوب بن جعفر بن أبان بن
 سعيد بن عيينة: إني على الهجم يوماً إذ أقبل رجل فجعل يصرف راحلته^(٨) في
 الحياض فيرده الرجل بعد الرجل، فدعوته فقلت: اشرع^(٩) في هذا الحوض؛ فلما

(١) المسايح: ما ترك من الشعر فلم يعالج بشيء.

(٢) الأيم من الحيات: الأبيض اللطيف.

(٣) البرة: الحلقة التي توضع في أنف البعير.

(٤) الحاضرة والحاضر: الحي إذا حضروا الدار التي فيها مجتمعهم.

(٥) الضح، وهي الشمس. وأحسب أن قولهم جاء بالضح والريح من هذا، إذا جاء بالشيء الكثير.

والعامة يقولون: «جاء بالضح والريح»، وهذا ما لا يعرف.

(٦) العمر: الماء الكثير المغرق.

(٧) العطن للإبل: كالوطن للناس. وقد غلب على مبركها حول الحوض. والجمع أعطان. وعطنت

الإبل تعطن وتعطن عطواناً، فهي عواطن وعطون. ولا يقال إبل عطان. وأعطنتها: حبسها عند

الماء فبركت بعد الورد.

(٨) يصرف راحلته: يصرف ويرد الإبل من حوض إلى آخر.

(٩) شرع الوارد الماء شروعا وشرعا فهو شارع، والماء مشروع فيه إذا تناوله بفيه. والشرعية

والمشركة: موضع على شاطئ البحر أو في البحر يهيا لشرب الدواب، والجميع: الشرائع،

والمشارع.

شَرَعَ فسقى قال: من هذا الفتى؟ فقيل: هذا جعفر بن أبان بن سعيد بن عيينة؛ فقال:
 بنو الصالحين الصالحون ومن يكن
 لآباء سوء يلقَهُم حيث سيرا
 فما العود إلا نابت في أرومة^(١) أبى شجر العيدان أن يتغيرا
 [الطويل]

قال إسحاق: سألت أبا داود عن قوله:

كذاك ضحاح الماء يجري إلى الغمر
 فقال: أراد أن الأمر كله والسودد يصير إليه، كما يصير الماء إلى الغمرة حيث
 كانت.

[ابن ميادة وأيوب بن سلمة]

أخبرنا يحيى بن علي قال: حدثنا أبو أيوب المديني قال: أخبرني مُصعبُ بن
 الزبير قال: ضاف ابن ميادة أيوب بن سلمة فلم يقره، وابن ميادة من أخوال أيوب بن
 سلمة، فقال فيه:

ظللنا وقوفاً عند باب ابن أختنا وظلّ عن المعروف والمجد في شغل
 صفّاً صلداً^(٢) عند الندى ونعاماً إذا الحرب أبدت عن نواجذها العُصل^(٣)
 [الطويل]

[ابن ميادة ورياح بن عثمان]

قال أبو أيوب: وأخبرني مُصعبُ قال: قدم ابن ميادة على رياح بن عثمان، وقد
 ولي المدينة وهو جاد في طلب محمد بن عبد الله بن حسن وإبراهيم أخيه، فقال له:
 اتخذ حرساً وجنداً من غطفان واترك هؤلاء العبيد الذين تُعطيهم دراهمك، وحذار من
 قریش؛ فاستخفّ بقوله ولم يقبل رأيه؛ فلما قُتل رياح قال ابن ميادة:
 أمرتُك يا رياحُ بأمرٍ حزمٍ فقلتُ هَشِيمَةً^(٤) من أهل نجد

(١) الأرومة: الأصل.

(٢) الصلدا: حَجَرٌ صُلْدٌ: أي صُلْبٌ أَمْلَسٌ. وَأَرْضٌ صُلْدَةٌ وَجَبِينٌ صُلْدٌ. وَصَلَدَ الزُّنْدُ يَصْلُدُ بالكسر
 صُلُوداً: إذا صَوَّتَ ولم يُخْرِجْ ناراً. وَأَصْلَدَ الرَّجُلُ: أي صَلَدَ زُنْدُهُ. وَالْأَصْلَدُ: البخيل. وَالصَّلُودُ:
 الْقِدْرُ البطيئة الغلي، والفرس الذي لا يعرق. وناقَةٌ صُلُودٌ ومضلاذ، أي بكيتة.

(٣) الْعَصَلُ: التواء في عسيب ذنب الفرس، حتى يصيب كاذته وفائله. وَعَصَلَ السهم: التوى في
 الرمي.

(٤) الْهَشِيمُ: كسر الشيء اليابس. يقال: هَشَمَ الثريد. والهَشِيمُ من النبات: اليابس المتكسر، والشجرة =

وَقُلْتُ لَهُ تَحَفَّظْ مِنْ قُرَيْشٍ وَرَقَّعْ كُلَّ حَاشِيَةٍ وَبُرْدِ
فَوَجَدَا مَا وَجَدْتُ عَلَى رِيَّاحٍ وَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئاً غَيْرَ وَجْدِي
[الوافر]

[تشبيهه بالنساء]

أخبرني عمي قال: حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدَّثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال: حدَّثني أكثم بن صيفي المُرِّي ثم الصاردي عن أبيه قال: كان ابن ميادة رأى امرأة من بني جُشم بن معاوية ثم من بني حرام يُقال لها: أم الوليد، وكانوا ساروا عليه، فأعجب بها وقال فيها:

أَلَا حَبَّذَا أُمُّ الْوَلِيدِ وَمَرْبَعٌ لَنَا وَلَهَا نَشْتَوِيهِ وَنَصِيفُ
[الطويل]

ويروى:

أَلَا حَبَّذَا أُمُّ الْوَلِيدِ وَمَرْبَعٌ^(١) لَنَا وَلَهَا بِالْمَشْتَوِي وَمَصِيفُ
حَرَامِيَّةٌ أُمَّا مَلَاثُ إِزَارِهَا فَوَعْتُ وَأَمَّا خَصَرُهَا فَلَطِيفُ
كَأَنَّ الْقُرُونَ السَّودَ فَوْقَ مَقْدَهَا^(٢) إِذَا زَالَ عَنْهَا بُرْقُعٌ وَنَصِيفُ^(٣)
بِهَا زَرْجُونَاتُ^(٤) بِقَفْرِ تَنْسَمْتُ لَهَا الرِّيحُ حَتَّى بَيْنَهُنَّ رَفِيفُ^(٥)
[الطويل]

قال: فلما سَمِعَ زَوْجُهَا هَذِهِ الْآيَاتِ أَتَاهَا فَحَلَفَ بِطَلَاقِهَا: لئن وَجَدَ ابن ميادة عندها لَيَدُقَنَّ فَحِذَّهَا، ثم أَعْرَضَ عَنْهَا وَاغْتَرَّهَا^(٦)، حتى وَجَدَهُ يَوْمًا عِنْدَ بَيْتِهَا فَدَقَّ

= البالية يأخذها الحاطب كيف يشاء. ومنه قولهم: ما فلان إلا هَشِيمَةٌ كَرَم، إذا كان سمحاً. ورجل هَشِيمٌ: ضعيف البدن. وَتَهَشَّمَ عَلَيْهِ فَلَانٌ، إِذَا تَعَطَّفَ. وَاهْتَشَّمَ مَا فِي ضَرْعِ الناقة، إِذَا احْتَلَبَهُ.

(١) أَرْبَعُوا، أَي دَخَلُوا فِي الرَّبِيعِ. وَأَرْبَعُوا، أَي أَقَامُوا فِي الْمَرْبَعِ عَنِ الْإِرْتِيَادِ وَالتَّجْعَةِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: غَيْثٌ مُرْبِعٌ مُرْبِعٌ. وَالْمَرْبَعُ: الَّذِي يُنْبِتُ مَا تَزْتَعُ فِيهِ الْإِبِلُ. وَأَرْبَعْتُ عَلَيْهِ الْحُمَى: لَغَيْتُ فِي رَبْعَتِهِ.

(٢) قِيلَ: الْمَقْدُ: مَغْرَزُ الرَّأْسِ فِي الْعُنُقِ، وَحَقِيقَةُ الْمَقْدِ: الْمَقْطَعُ، فَمَا أَنَّ يَكُونُ مُنْتَهَى شَعْرِ الرَّأْسِ عِنْدَ الْقَفَا أَوْ مُنْتَهَى الرَّأْسِ وَهُوَ الْمَغْرَزُ.

(٣) النَصِيفُ: الْخَمَارُ.

(٤) الزَّرْجُونُ: الْكَرْمُ، الْوَاحِدَةُ زَرْجُونَةٌ. وَقِيلَ: الْخَمْرُ.

(٥) رَفَّ النَّبَاتُ يَرْفُ، وَلَهُ وَرِفٌ وَرَفِيفٌ وَهُوَ أَنْ يَهْتَزَّ نَضَارَةً وَتَلَالُؤًا. وَرَوْضَةٌ رَقَافَةٌ، وَشَجَرٌ أَحْوَى الظِّلِّ رَقَافٌ الْوَرَقُ. وَرَأَيْتُ الْأَقْحَوَانَ يَرْفُ رَفِيفًا وَيَرْتَفُ ارْتِفَافًا. وَثُوبٌ رَفِيفٌ بَيْنَ الرَّفِّ: رَقِيقٌ. وَرَفْرَفَ

الطائر: حَرَكَ جَنَاحِيهِ وَهُوَ لَا يَبْرَحُ مَكَانَهُ. وَضَرَبَتْ الرِّيحُ رَفْرَفَ الْفُسْطَاطِ وَهُوَ أَسْفَلُهُ وَذِيْلُهُ وَرَفَارْفُهُ.

(٦) اغْتَرَّهَا: رَاقِبَهَا وَطَلَبَ غَرَّتَهَا.

فخذها، واحتمل فرحل ورحل بها معه؛ فقال ابن ميادة:

أَتَانَا عَامَ سَارَ بَنُو كِلَابٍ حَرَامِيَّوْنَ لَيْسَ لَهُمْ حَرَامٌ
كَأَنَّ بُيُوتَهُمْ شَجَرٌ صِغَارٌ بِقِيعَانٍ تَقِيلُ بِهَا النَّعَامُ
حَرَامِيَّوْنَ لَا يَقْرُونَ ضَيْفًا وَلَا يَدْرُونَ مَا خُلِقَ الْكِرَامُ^(١)

[الوافر]

قال: ثم سارت عليهم بعد ذلك بنو جعفر بن كلاب، فأعجب بامرأة منهم يُقال لها أم البخترى، وكان يتحدث إليها مدةً مقامهم، ثم ارتحلوا فقال فيها:

أَرَقْتُ لِبَرْقٍ لَا يُفْتَرُ لَامِعُهُ بِشَهَبِ الرُّبَى وَاللَّيْلِ قَدْ نَامَ هَاجِعُهُ
أَرَقْتُ لَهُ مِنْ بَعْدِ مَا نَامَ صُحْبَتِي وَأَعْجَبَنِي إِيْمَاضُهُ وَتَتَابُعُهُ
يُضِيءُ صَبِيرًا^(٢) مِنْ سَحَابٍ كَأَنَّهُ هِجَانٌ أَرَّتْ لِلْحَنِينِ نَوَازِعُهُ
هَنِيئًا لِأَمِّ الْبَخْتَرِيِّ الرَّوَّى^(٣) بِهِ وَإِنْ أَنَهَجَ الْحَبْلُ الَّذِي النَّأْيُ قَاطِعُهُ
لَقَدْ جَعَلَ الْمُسْتَبْضِعُ الْغُشَّ بَيْنَنَا لِيَصْرِمَ حَبْلِينَا تَجُوزُ بِضَائِعُهُ
فَمَا سَرَحَةٌ تَجْرِي الْجَدَاوِلُ تَحْتَهَا بِمُطَرِدٍ^(٤) الْقِيعَانِ عَذْبٍ يَنَابِعُهُ
بِأَحْسَنَ مِنْهَا يَوْمَ قَالَتْ بِذِي الْغَضَا أَتَرَعَى جَدِيدَ الْحَبْلِ أَمْ أَنْتَ قَاطِعُهُ

[الطويل]

[خطب امرأة فلم يزوجه فقال]

أخبرني عمي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدّثني أحمد بن إبراهيم قال: وذكر أبو الأشعث أنّ ابن ميادة خطب امرأة من بني سلمى بن مالك بن جعفر ثم من بني البهثة - وهم بطن يقال لهم البهشاء - فأبوا أن يزوجه وقالوا: أنت هجين^(٥) ونحن أشرف منك؛ فقال:

- (١) في هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروي بالكسر والضم مع ما قبله.
- (٢) الصَّبِيرُ: السحابة البيضاء، أو الكثيفة التي فوق السحابة، أو هو السحاب الأبيض الذي يصير بعضه فوق بعض.
- (٣) الروى: روي من الماء، بالكسر، ومن اللبن يزوى ريًا، وروي أيضاً مثل رضاء وتروى وارتوى كله بمعنى، والاسم الرئي أيضاً، وقد أرواني. ويقال للناقة الغزيرة: هي تروي الصبي لأنه ينام أول الليل، فأراد أنّ درّتها تعجل قبل نومه.
- (٤) المطرد: الماء المتتابع السيلان.
- (٥) الهجين: ابن العربي من الأمة الزراعية التي لا تُحصن، فإذا حصنت فليس ولدها بهجين، والجميع: الهجناء.

فَلَوْ طَاوَعْتَنِي آلُ سَلَمَى بْنِ مَالِكٍ
وَسِرِبٍ كَسِرِبِ الْعَيْنِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ
إِذَا مَا هَبَطْنَ النَّيْلَ^(١) أَوْ كُنَّ دُونَهُ
لَأَعْطَيْتُ مَهْرًا مِنْ مَسَرَّةٍ غَالِيَا
يُغَادِينَ بِالكُحْلِ الْعُيُونَ السَّوَاغِيَا
بِسُرُورٍ^(٢) الْحِمَى الْقَيْنَ ثُمَّ الْمَرَاثِيَا
[الطويل]

[مات في صدر خلافة المنصور]

قال أحمد بن إبراهيم: مات ابن ميادة في صدر من خلافة المنصور، وقد كان مدحه ثم لم يَفِدْ إليه ولا مدحه، لما بلغه من قلة رغبته في مدائح الشعراء وقلة ثوابه لهم.

(١) هو بليدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد يخرقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير، حفره الحجاج بن يوسف، وسماه بنيل مصر.

(٢) سَرُّو الأرض: ما انحدر من حُرُونَةِ الجبل.

أخبار حنين الحيري

نسبه :

حنين بن بَلَوَع الحِيرِيّ مختلف في نسبه، فقليل : إنَّه من العبادِيَّين من تَمِيم، وقيل : إنَّه من بني الحارث بن كعب، وقيل : إنَّه من قوم بَقُوا من جَدِيس وطَسَم فنزلوا في بني الحارث بن كعب فعُدُّوا فيهم، ويكنى أبا كعب، وكان شاعراً مُعَنِّياً فَحَلاً من فحول المُعَنِّين، وله صنعة فاضلة متقدِّمة، وكان يسكنُ الحيرة ويُكرِّي الجمال إلى الشام وغيرها، وكان نصرانياً. وهو القائلُ يَصِفُ الحيرة ومنزله بها :

صوت

أنا حُنَيْنٌ وَمَنْزِلِي النَّجَفُ^(١) وما نَدِيمي إلا الفتى القَصِيفُ^(٢)
أَفْرَعُ بِالكَاسِ نَعْرَ باطِيةِ^(٣) مُتْرَعَةٍ، تارةً وأغترفُ
من قهوة باكر التَّجارُ بها بيتَ يهودٍ قرارها الخَرْفُ
والعيشُ غَضٌّ وَمَنْزِلِي خَصْبٌ لم تَغْذِنِي شِقْوَةٌ ولا عُنْفُ
[المنسرح]

الغناء والشعر لِحُنَيْن، ولحنه خفيف رَمَل بالبنصر. وفيه لابن المكيّ خفيف ثقيل قديم. وَلِعَرِيبَ فيه خفيف ثقيل آخر عن الهشاميّ.

[غنى هشام بن عبد الملك في الحج]

أخبرنا وَكِيع قال : قال حمَّاد : حدَّثني أبي عن أبي الخطَّاب قال : وحدَّثني ابن كُناسة عن سليمان بن داود : مولى ليحيى، وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرُويه عن قَعْبَب بن المحرز الباهليّ عن المدائنيّ قالوا جميعاً : حجَّ هشام بن

(١) النجف موقع في ظهر الكوفة، وهي من المناطق القريبة إلى الحيرة موطن الشاعر.

(٢) القَصِيف : حليف اللّهُو واللعب.

(٣) الباطية : من الرّجاج عظيمة تُملأ من الشراب وتوضع بين الشُّرْب يَعْرِفُون منها ويشربون، إذا وُضِعَ فيها القَدَحُ سَحَّتْ به ورَقَصَتْ من عَظَمِها وكثرة ما فيها من الشُّراب.

عبد الملك وعديله^(١) الأبرش الكلبّي، فوقف له حنين بظهر الكوفة ومعه عُودُه وزامر^(٢) له، وعليه قُلنسية^(٣) طويلة، فلما مرَّ هشامُ عَرَضَ لَهُ، فقال: مَنْ هذا؟ فقليل: حنين، فأمر به فَحْمِلَ في مَحْمَلٍ على جملٍ وعديله زامرُهُ، وسيرَ به أمامه وهو يتغنى:

صوت

أَمِنْ سَلَمَى بِظَهْرِ الْكَو فَةِ الْآيَاتِ وَالطَّلَلُ
يَلُوحُ كَمَا تَلُوحُ عَلَى جَفُونِ الصَّيْقِلِ^(٤) الْخِلَلُ^(٥)

[مجزوء الوافر]

- الصنعة في هذا الصوت لحنين ثاني ثقیل بالبنصر عن عمرو. وفيه خفيفٌ ثقیل ينسب إلى حنين أيضاً وإلى غيره - قال: فأمر له هشام بمائتي دينار، وللزامر بمائة. وذكر إسحاق في خبره عن أبي الخطّاب أنه غنّى هشاماً:

صوت

صَاحَ هَلْ أَبْصَرْتَ بِالْخُبْ تَيْنَ مِنْ أَسْمَاءَ نَارَا
مَوْهِنَاً^(٦) شَبَّتْ لَعِينَا يَكْ وَلَمْ تُوقَدْ نَهَارَا
كَتَالِي الْبَرْقِ فِي الْمُرْ نَ إِذَا الْبَرْقُ اسْتَطَارَا
أَذْكَرْتَنِي الْوَصْلَ مِنْ سُعْ دِي وَأَيَّاماً قِصَّارَا^(٧)

[مجزوء الرمل]

- الشعر للأحوص، والغناء لابن سُرّيج ثاني ثقیل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. ونسبه ابن المكيّ إلى الغريض. وقال يونس: فيه لحنان لمالك ولم يُجَنِّسْهُمَا. وقال الهشاميّ: فيه لمالك خفيف رمل - قال: فلم يَزَلْ هشام يستعيده حتى نَزَلَ من النجف، فأمر له بمائتي دينار.

(١) العديل: الذي يعادل في المحمل.

(٢) الزامر: عازف الزمار، ويقال زمار.

(٣) القُلْسُوة والقُلْسَاة والقُلْسُوة والقُلْنِسَاة والقُلْنِسَاة: من ملابس الرؤوس.

(٤) الصيقل: شَحَاذُ السُّيُوفِ وَجَلَاؤُهَا، ج: صَيَاقِلٌ وَصَيَاقِلَةٌ.

(٥) الخلل: الْخَلْلُ: مُنْفَرَجٌ مَا بَيْنَ كُلِّ شَيْئَيْنِ. وَخَلَّلَ السَّحَابُ: ثُقُبَهُ، وَهِيَ مَخَارِجُ مَصَبِّ الْقَطْرِ، وَهِيَ بَطَانَةٌ يَغْشَى بِهَا جَفَنُ السَّيْفِ يَنْقُشُ بِالذَّهَبِ وَغَيْرِهِ.

(٦) الوهن: ساعة تمضي من الليل.

(٧) تنسب هذه الأبيات للأحوص الأنصاري.

[كان يُغلي بغناؤه الثمن]

وقال إسحاق: قيل لِحُئَيْن: أنت تُغني منذ خمسين سنة ما تَرَكَتْ لكَرِيم مَالاً ولا داراً ولا عقاراً إلا أُتيتَ عليه! فقال: بأبي أُنتم، إنَّما هي أنفاسي أقسَمها بين الناس، أَفتلومونني أن أُغلي بها الثمن!

[غَنَى في ظل بيت أبي موسى الأشعري]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزِيد قالوا: حَدَّثَنَا حَمَاد بن إِسْحاق عن أبيه ومُضْعَب بن الزُّبَيْر عن بعض المَكِّيِّين، وأخبرني به الحرَمِيُّ بن أبي العلاء وحبیب بن نصر قالوا: حَدَّثَنَا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال: حَدَّثَنِي عَمِي مُضْعَبُ قال: حَدَّثَنِي شَيْخٌ من المَكِّيِّين يقال له شَرِيس قال: إِنَّا لَبالْأَبْطَح أيامَ المَوسِم نَشْتري وَنَبِيع إِذ أَقْبَل شَيْخٌ أبيضُ الرأسِ واللحية على بَغْلَةٍ شهباء ما نَدري أَهو أَشدُّ بياضاً أم بَغْلَتُهُ أم ثِيابُهُ؛ فقال: أين بيت أبي موسى؟ فَأَشْرنا له إلى الحائط؛ فَمَضَى حتى انتهى إلى الظلِّ من بيت أبي موسى، ثم استقبلنا ببَغْلَتِهِ ووجهه ثم اندفع يُغْنِي:

صوت

أَسْعِدِينِي بِدَمْعَةٍ أَشْرَابٍ^(١)
 إِنَّ أَهْلَ الْحِصَابِ^(٢) قَدْ تَرَكُونِي
 فَارْقُونِي وَقَدْ عَلِمْتُ يَقِيناً
 سَكُنُوا الْجِرْعَ جِرْعَ بَيْتِ أَبِي مُو
 كَم بِذَاكَ الْحَاجُونَ مِنْ حَيٍّ صَدَقِ
 أَهْلُ بَيْتٍ تَتَايَعُوا^(٤) لِلْمَنَايَا
 فَلِي الْوَيْلُ بَعْدَهُمْ وَعَلَيْهِمْ

[الخفيف]

- الشعر لكثير بن كثير بن المطَّلَب بن أبي وداعة السهمي. والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى. وفيه لابن أبي دُبَاكِل الخزاعي ثاني ثقيل بالوسطى

(١) سرب: السين والراء والباء أصل مطرد، وهو يدل على الاتساع والذهاب في الأرض، لذلك وصف به الماء السائل.

(٢) الحصاب: يقال لموضع الجمار بمنى. (٣) صفي السباب: موضع في مكة المكرمة.

(٤) تتايع: رُكُوب الأمر على خلاف الناس، والتَّهافتُ، والإسراع في الشرِّ، واللَّجاجة.

عن ابن خُرَدَّادْبَه - قال: ثم صَرَفَ الرجلُ بَغْلَتَهُ وذَهَبَ، فَتَبِعَنَاهُ حَتَّى أَدْرَكْنَاهُ، فَسَأَلْنَاهُ مَنْ هُوَ، فَقَالَ: أَنَا حُنَيْنُ بْنُ بَلَوَعٍ وَأَنَا رَجُلٌ جَمَّالٌ أَكْرِي الْإِبِلَ، ثُمَّ مَضَى.

[خاف أن يفوقه ابن محرز بالعراق فردّه عنه]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حمّاد: قرأت على أبي عن المدائني، قال: كان حُنَيْنٌ غُلَامًا يَحْمِلُ الْفَاكِهَةَ بِالْحِيرَةِ، وَكَانَ لَطِيفًا فِي عَمَلِ التَّحِيَّاتِ، فَكَانَ إِذَا حَمَلَ الرِّاحِيْنَ إِلَى بَيْوتِ الْفَتَيَانِ وَمِيَّاسِيرِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَأَصْحَابِ الْقِيَانِ وَالْمُتَطَرِّبِينَ إِلَى الْحِيرَةِ وَرَأَوْا رِشَاقَتَهُ وَحُسْنَ قَدِّهِ وَحِلَاوَتَهُ وَخِفَةَ رُوحِهِ اسْتَحْلَوْهُ، وَأَقَامَ عِنْدَهُمْ وَخَفَّ لَهُمْ، فَكَانَ يَسْمَعُ الْغِنَاءَ وَيَشْتَهِيهِ وَيُصْغِي إِلَيْهِ وَيَسْتَمِعُهُ وَيَطِيلُ الْإِصْغَاءَ إِلَيْهِ، فَلَا يَكَادُ يُتَنَفَّعُ بِهِ فِي شَيْءٍ إِذَا سَمِعَهُ، حَتَّى شَدَا مِنْهُ أَصْوَاتًا فَاسْمَعَهَا النَّاسُ - وَكَانَ مَطْبُوعًا حَسَنَ الصَّوْتِ - وَاشْتَهَوْا غِنَاءَهُ وَالِاسْتِمَاعَ مِنْهُ وَعِشْرَتَهُ، وَشَهَرَ بِالْغِنَاءِ وَمَهَرَ فِيهِ، وَبَلَغَ مِنْهُ مَبْلَغًا كَبِيرًا، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى عُمَرَ بْنِ دَاوُدَ الْوَادِيِّ وَإِلَى حَكَمِ الْوَادِيِّ، وَأَخَذَ مِنْهُمَا وَغَنَّى لِنَفْسِهِ فِي أَشْعَارِ النَّاسِ، فَأَجَادَ الصَّنْعَةَ وَأَحْكَمَهَا، وَلَمْ يَكُنْ بِالْعِرَاقِ غَيْرَهُ فَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ فِي عَصَرِهِ. وَقَدِمَ ابْنُ مُحْرَزٍ حِينَئِذٍ إِلَى الْكُوفَةِ فَبَلَغَ خَبْرَهُ حُنَيْنًا، وَقَدْ كَانَ يَعْرِفُهُ، فَخَشِيَ أَنْ يَعْرِفَهُ النَّاسُ فَيَسْتَحْلَوْهُ وَيَسْتَوْلِيَ عَلَى الْبَلَدِ فَيَسْقُطُ هُوَ، فَقَالَ لَهُ: كَمْ مَتَّكَ نَفْسُكَ مِنَ الْعِرَاقِ؟ قَالَ: أَلْفَ دِينَارٍ، قَالَ: فَهَذِهِ خَمْسَمِائَةُ دِينَارٍ عَاجِلَةٌ فَخُذْهَا وَانصَرَفَ وَاحْلَفَ لِي أَنْكَ لَا تَعُودُ إِلَى الْعِرَاقِ؛ فَأَخَذَهَا وَانصَرَفَ.

أخبرني عمي وعيسى بن الحسين قالا: حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْمَدَائِنِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: كَانَ ابْنُ مُحْرَزٍ قَدِمَ الْكُوفَةَ وَبِهَا بَشْرٌ بْنُ مَرْوَانَ، وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُ يَشْرَبُ الشَّرَابَ وَيَسْمَعُ الْغِنَاءَ، فَصَادَفَهُ وَقَدْ خَرَجَ إِلَى الْبَصْرَةِ؛ وَبَلَغَ خَبْرَهُ حُنَيْنٌ بْنُ بَلَوَعٍ فَتَلَطَّفَ لَهُ حَتَّى دَعَاهُ؛ فَغَنَّاهُ ابْنُ مُحْرَزٍ لِحَنِهِ - قَالَ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ مِنَ الثَّقِيلِ الثَّانِي مِنْ جَيِّدِ الْأَغَانِي:

صوت

وَحُرُّ الزَّبَرَجَدِ فِي نَظْمِهِ عَلَى وَاضِحِ اللَّيْتِ^(١) زَانَ الْعُقُودَا
يُفَصِّلُ يَاقُوتُهُ دُرَّهُ وَكَالْجَمْرِ أَبْصَرَتْ فِيهِ الْفَرِيدَا^(٢)

[المقارب]

(١) اللَّيْتُ: صفحة الغنق، والجمع: لَيْتَةٌ.

(٢) الْفَرِيدُ وَهُوَ الدَّرُّ الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَ الذَّهَبِ فِي الْقِلَادَةِ الْمَفْصَلَةِ، فَالدر فيها فريد والذهب مفرد، والواحدة فريدة، وقيل: الْفَرِيدُ: الشذر.

قال: فَسَمِعَ شَيْئاً هَالَهُ وَحَيْرَهُ، فَقَالَ لَهُ حُنَيْنٌ: كَمْ مَثْنُكَ نَفْسُكَ مِنَ الْعِرَاقِ؟
قال: أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: هَذِهِ خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ حَاصِلَةٌ عَاجِلَةٌ وَنَفَقَتُكَ فِي عَوْدَتِكَ
وَبَدَأَتِكَ، وَدَعِ الْعِرَاقَ لِي وَامْضِ مُصَاحِباً حَيْثُ شِئْتَ - قَالَ: وَكَانَ ابْنُ مُحَرِّزٍ صَغِيرَ
الْهَمَّةِ لَا يَحِبُّ عَشْرَةَ الْمُلُوكِ وَلَا يُؤَثِّرُ عَلَى الْخُلُوةِ شَيْئاً - فَأَخَذَهَا وَانْصَرَفَ.

[خَرَجَ إِلَى حَمَصٍ وَغَنَّى بِهَا فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَهْلُهَا غِنَاءَهُ]

وَقَالَ حَمَّادٌ فِي خَبَرِهِ: قَالَ أَبِي: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْغِنَاءِ عَنْ حُنَيْنٍ قَالَ:
خَرَجْتُ إِلَى حَمَصِ الْتَمَسُ الْكَسْبَ بِهَا وَأَرْتَادُ مِنْ أَسْتَفِيدَ مِنْهُ شَيْئاً، فَسَأَلْتُ عَنْ
الْفَتَيَانِ^(١) بِهَا وَأَيْنَ يَجْتَمِعُونَ، فَقِيلَ لِي: عَلَيْكَ بِالْحَمَّامَاتِ فَإِنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ بِهَا إِذَا
أَصْبَحُوا فَجِئْتُ إِلَى أَحَدِهَا فَدَخَلْتُهُ، فَإِذَا فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ، فَأَنَسْتُ وَانْبَسَطْتُ،
وَأَخْبَرْتُهُمْ أَنِّي غَرِيبٌ، ثُمَّ خَرَجُوا وَخَرَجْتُ مَعَهُمْ، فَذَهَبُوا بِي إِلَى مَنْزِلِ أَحَدِهِمْ، فَلَمَّا
قَعَدْنَا أَتَيْنَا بِالطَّعَامِ فَأَكَلْنَا وَأَتَيْنَا بِالشَّرَابِ فَشَرَبْنَا، فَقُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَكُمْ فِي مُعْنٍ يُغْنِيكُمْ؟
قَالُوا: وَمَنْ لَنَا بِذَلِكَ؟ قُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، هَاتُوا عَوْداً فَأَتَيْتُ بِهِ، فَابْتَدَأْتُ فِي هُنَيَّاتٍ^(٢)
أَبِي عَبَّادٍ مَعْبُدٍ، فَكَأَنَّمَا غَنَيْتُ لِلْحَيْطَانِ لَا فَكَّهُوا لَغَنَائِي وَلَا سُرُّوا بِهِ، فَقُلْتُ: ثَقُلَ
عَلَيْهِمْ غِنَاءُ مَعْبُدٍ لِكثْرَةِ عَمَلِهِ وَشِدَّتِهِ وَصُعُوبَةِ مَذْهَبِهِ، فَأَخَذْتُ فِي غِنَاءِ الْغَرِيضِ فَإِذَا هُوَ
عِنْدَهُمْ كَلَا شَيْءٍ، وَغَنَيْتُ حَفَائِفَ ابْنِ سُرَيْجٍ، وَأَهْزَاجَ حَكَمٍ، وَالْأَغَانِي الَّتِي لِي،
وَاجْتَهَدْتُ فِي أَنْ يَفْهَمُوا، فَلَمْ يَتَحَرَّكَ مِنْ الْقَوْمِ أَحَدٌ، وَجَعَلُوا يَقُولُونَ: لَيْتَ أَبَا مُنَبِّهٍ
قَدْ جَاءَنَا، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: أَرَى أَنِّي سَأَفْتَضِحُ الْيَوْمَ بِأَبِي مُنَبِّهٍ فَضِيحَةً لَمْ يَفْتَضِحْ أَحَدٌ
قَطُّ مِثْلَهَا. فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ أَبُو مُنَبِّهٍ، وَإِذَا هُوَ شَيْخٌ عَلَيْهِ خَفَّانٌ أَحْمَرَانِ كَأَنَّهُ
جَمَّالٌ، فَوَثَبُوا جَمِيعاً إِلَيْهِ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا: يَا أَبَا مُنَبِّهٍ أَبْطَأْتَ عَلَيْنَا، وَقَدَّمُوا لَهُ
الطَّعَامَ وَسَقَوْهُ أَقْدَاحاً، وَخَنَسْتُ^(٣) أَنَا حَتَّى صِرْتُ كَلَا شَيْءٍ خَوْفاً مِنْهُ، فَأَخَذَ الْعَوْدَ ثُمَّ
انْدَفَعَ يَغْنِي:

طَرَبَ الْبَحْرَ فاعْبُرِي يَا سَفِينَهُ لَا تَشْقِي عَلَى رِجَالِ الْمَدِينَةِ
[الخفيف]

فَأَقْبَلَ الْقَوْمَ يُصَفِّقُونَ وَيَطْرَبُونَ وَيَشْرَبُونَ، ثُمَّ أَخَذَ فِي نَحْوِ هَذَا مِنَ الْغِنَاءِ؛ فَقُلْتُ

(١) الفتيان: جمع الفتوة، وقد ذكرت الفتوة عند سفيان رحمه الله، فقال: ليست بالفسق ولا الفجور،
ولكن الفتوة كما قال جعفر بن محمد: طعام موضوع، وحجاب مرفوع، ونائل مبذول، وبشر
مقبول، وعفاف معروف، وأذى مكفوف.

(٢) هُنَيَّات: أراجيز.

(٣) خَنَسَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ خَنُوساً إِذَا تَأَخَّرَ وَاخْتَفَى، وَخَنَسَتْهُ أَنَا وَأَخْنَسَتْهُ.

في نفسي: أنتم ها هنا! لئن أصبحت سالماً لا أَمْسَيْتُ في هذه البلدة. فلَمَّا أَصْبَحْتُ شَدَدْتُ رحلي على ناقتي واحتَقَبْتُ^(١) ركوة^(٢) من شراب ورحلت متوجّهاً إلى الحيرة، وقلْتُ:

لَيْتَ شعري متى تَحَبَّ بي النا قه بين السَّديرِ والصَّنَّينِ
مُحَقِّباً رَكْوَةً وَخُبْزَ رُقَاقٍ وبُقُولاً وقطعةً من نون^(٣)
لَسْتُ أبغي زاداً سواها من الشا م وحسبي عُلالةٌ تكفيني
فإذا أُبْتُ^(٤) سَالِماً قُلْتُ سَحَقاً وبعاداً لمعشرٍ فارقوني
[الخفيف]

[غنى خالد القسري عندما حرم الغناء]

أخبرني محمد بن مَزَيْدٍ والحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، وأخبرنا به وكيعٌ في عقب أخبار رواها عن حمَّاد بن إسحاق عن أبيه فقال: وقال لي إسحاق، فلا أدري أَدْرَجَ الإسنادَ وهو سماعه أم ذكره مُرْسَلاً، قال إسحاق وذكر ابن كُنَاسة: أن خالد بن عبد الله القسريَّ حَرَّمَ الغناء بالعراق في أيامه، ثم أذن للناس يوماً في الدخول عليه [عامّة]، فدخل إليه حُنينٌ ومعه عودٌ تحت ثيابه، فقال: أصلح الله الأمير، كانت لي صناعةٌ أعودُ بها على عيالي فحرَّمها الأميرُ فأضُرَّ ذلك بي وبهم، فقال: وما صناعتك؟ فكشف عن عوده وقال: هذا؛ فقال له خالد: غَنِّ، فحرَّكَ أوتاره وغنى:

صوت

أَيُّهَا الشَامِتُ الْمُعَيَّرُ بِالْده رَأَ أَنْتَ الْمُبَرَّأُ الْمَوْفُورُ
أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْإِي يَامَ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ
مَنْ رَأَيْتَ الْمَنُونَ خَلَدْنَ أَمْ مَنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ^(٥)
[الخفيف]

(١) أي شيء شد في مؤخر رجل أو قتب فقد احتقب.

(٢) الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.

(٣) النون: الحوت.

(٤) أبت: رجعت، وفلان أواه أبواب تواب أي رجاع إلى التوبة.

(٥) هذه الأبيات تنسب لعدي بن زيد.

قال: فبكى خالد وقال: قد أذنتُ لك وحدك خاصّةً فلا تجالسَنَّ سفيهاً ولا مُعَرِّباً. فكان إذا دُعِيَ قال: أفيكم سفيهٌ أو مُعَرِّبٌ؟ فإذا قيل له: لا، دخل.

شعر هذا الصوت المذكور لعديّ بن زيد، والغناء لحنين رمل بالوسطى عن عمرو. وقوله: المبرأ، يعني المبرأ من المصائب. والموفور: الذي لم يذهب من ماله ولا من حاله شيء، يقال: وُفِرَ الرجل يوفِر. ولديك بمعنى عندك ها هنا.

[غنى بشر بن مروان بحضور الشعبي]

أخبرني أبو صالح محمد بن عبد الواحد الصَّحَّاف الكوفيّ قال: حدَّثنا قَعْنَب بن المُحرز الباهليّ قال: أخبرنا الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيَّاش وعن مُجالد عن الشعبي جميعاً، وأخبرني محمد بن مَزِيد وحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيَّاش عن الشعبيّ قال: لما وليّ بِشْرُ بن مروان الكوفة كُنْتُ على مظالمه، فأتيتُه عشيّةً وحاجبُه أَعِين (صاحب حمَّام أَعِين) جالس، فقلْتُ له: استأذن لي على الأمير! فقال لي: يا أبا عمرو، هو على حالٍ ما أظنُّك تصل إليه معها؛ فقلْتُ: أعلمُه - وخلاك دَمٌ - فقد حدث أمر لا بدَّ لي من إنهائه إليه - وكان لا يجلس بالعشيّ - فقال: لا، ولكن اكتب حاجتك في رُقعة حتى أوصلها إليه؛ فكتبْتُ رُقعةً، فما لبثُ أن خرج التوقيع على ظهرها: ليس الشعبيّ ممن يُحتَسَمُ منه فأذنْ له، فأذن لي فقال: ادخل، فدخلت فإذا بِشْرُ بن مروان عليه غلالة^(١) رقيقة صفراء وملاءة تقوم قياماً من شدة الصقال، وعلى رأسه إكليل من ريحان، وعلى يمينه عكرمة بن ربعي، وعلى يساره خالد بن عتَّاب بن وَرْقاء، وإذا بين يديه حُنين بن بلّوع معه عودُه، فسَلَّمْتُ فردَّ عليّ السلام ورَحَّبَ وقَرَّبَ، ثم قال: يا أبا عمرو، لو كان غيرك لم آذنْ له على هذه الحال، فقلْتُ: أصلح الله الأمير، عندي لك السترُ لكلِّ ما أرى منك والدخولُ معك فيما لا يَجْمَلُ، والشكرُ على ما تُولِينِي؛ فقال: كذلك الظنُّ بك، ثم التفتُ إلى حُنين وعودُه في حَجَرِه وعليه قباء خُشك شوي^(٢) - وقال إسحاق: خشكون^(٣) - ومُسْتَقَّة^(٤) حمراء وخُفَّان مُكعَّبان^(٥)، فسَلَّم عليّ؛ فقلْتُ له: كيف أنت أبا كعب؟

(١) برزن في غلائل وهي شعار يلبس تحت الثوب للبدن خاصّة.

(٢) خشك شوي: القميص الخشن.

(٣) خشكون: خوش بمعنى زاهي، وكون بمعنى: اللون، والكلمة فارسية بمعنى زاهي اللون.

(٤) المَسَائِقُ: فراءٌ طوال الأكماء، واحدها مُسْتَقَّة بفتح التاء.

(٥) مُكعَّبان: موشيان.

فقال: بخير أبا عمرو؛ فقلت: اخزق^(١) الزير^(٢) وأرخ البم^(٣) ففعل؛ وضرب فأجاده؛ فقال بشر لأصحابه: تلوموني على أن آذن له في كل حال! ثم أقبل عليّ فقال: أبا عمرو، من أين وقع لك خزق الزير؟ فقلت: ظننت أن الأمر هناك، فقال: فإن الأمر كما ظننت هناك كله. ثم قال: فمن أين تعرف حنيناً؟ فقلت: هذا بطة أعراسنا فكيف لا أعرفه! فضحك، وغنى حنين فأجاد فطرب وأمر له بجائزة، ثم ودعته وقمت بعد أن ذكرت له ما جئت فيه، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب، فقامت مع الخادم حتى قبضت ذلك منه وانصرفت. وقد وجدت هذا الخبر بخط أبي سعيد السكري يأثره^(٤) عن محمد بن عثمان المخزومي عن أبيه عن جده: أنه كان عند بشر بن مروان يوم دخل عليه الشعبي هذا المدخل وأن حنين بن بلوع غناه:

هُم كَتَمُونِي سِرَّهُمْ حِينَ أَزْمَعُوا وَقَالُوا اتَّعَدْنَا لِلرَّوَّاحِ وَبَكَّرُوا^(٥)
[الطويل]

وهذا القول خطأ قبيح، لأن هذا الشعر للعباس بن الأحنف، والغناء لعلويه رمل بالوسطى، وغنى للمأمون فيه فقال: سخروا من أبي الفضل أعزه الله.

[شيء من أوصاف الحيرة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد بن إسحاق: قرأت على أبي، وقال أبو عبيد الله الكاتب: حدثني سليمان بن بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان قال: وكان بعض ولاة الكوفة يدوم الحيرة في أيام بني أمية، فقال له رجل من أهلها - وكان عاقلاً ظريفاً - : أتعب بلدة يضرب بها المثل في الجاهلية والإسلام! قال: وبماذا تمدح؟ قال: بصحة هوائها، وطيب مائها، ونزهة ظاهرها، تصلح للخف والظلف، سهل وجبل، وبادية وبستان، وبر وبحر، محل الملوك ومزارعهم، ومسكنهم ومثواهم،

(١) خزقته بالجبل أخزقه خزقاً: شددته. والمتخزق: البخل المتشدد.

(٢) الزير: أرفع أوتار العود، وكانت أربعة في ذلك العهد.

(٣) البم: أغلظ أوتار العود.

(٤) يأثره: يرويه.

(٥) هذان البيتان للعباس بن الأحنف بن الأسود، الحنفي (نسبة إلى بني حنيفة)، اليمامي، أبو الفضل. شاعر غزل رقيق، قال فيه البحتري: أغزل الناس، أصله من اليمامة بنجد، وكان أهله في البصرة، وبها مات أبوه، ونشأ ببغداد، وتوفي بها سنة ١٩٢ هـ، وقيل: بالبصرة. خالف الشعراء في طرقهم فلم يمدح ولم يهج، بل كان شعره كله غزلاً وتشبيهاً، وهو خال إبراهيم بن العباس الصولي، أصله من عرب خراسان ومنشأ ببغداد.

وقد قدمتها - أصلحك الله - مُخِفًّا فرجعت مُثْقَلًا ووردتها مقلًا فأصارتك مُكثَّرًا، قال: فكيف نَعْرِفُ ما وَصَفْتَهَا به من الفضل؟ قال: بأن تصير إليّ، ثم ادع ما شئت من لذات العيش، فوالله لا أجوز بك الحيرة فيه؛ قال: فاصنع لنا صنيعاً واخرج من قولك؛ قال: أفعل، فصنع لهم طَعَاماً وأطعمهم من خُبْزِها وسمكها وما صيد من وَحْشِها: من ظَبَاءٍ وَنَعَامٍ وَأَرَانَبٍ وَحُبَارَى^(١)، وسقاهم ماءها في قِلَالِها، وخمرها في آنيتها، وأجلسهم على رَقْمِها^(٢) - وكان يُتَّخَذُ بها من الفرش أشياءً ظريفة - ولم يستخدم لهم خُراً ولا عبداً إلا من مَوْلَدِها ومولّداتها من خَدَمٍ ووصائف^(٣) [ووصفاء] كأنهم اللؤلؤ لُغَتُهُم لُغَةُ أَهْلِها، ثم غَنَّاهُم حُنَيْنٌ وَأَصْحَابُهُ في شعر عَدِيّ بن زيد شاعرهم وأعشى همدان لم يتجاوزهما، وحَيَّاهُم برياحينها، ونَقَلَهُم^(٤) على خَمْرِها، وقد شَرَبُوا بفواكهها؛ ثم قال له: هل رأيتني استعنتُ على شيء مما رأيت وأكلت وشربت وافتَرشتَ وشَمَمْتَ وسمعتَ بغير ما في الحيرة؟ قال: لا والله، ولقد أحسنت صفةً بلذك ونُصِرْتَهُ فَأَحْسَنْتُ نُصِرَتَهُ والخروج مما تَضَمَّنْتَهُ، فبارك الله لكم في بلدكم.

[المغنون المشهورون بالحيرة غير حنين ونوع غنائهم]

قال إسحاق: ولم يكن بالحيرة مذكور في الغناء سوى حُنينٍ إلا نَفَرًا من السُّدَرِيِّين يقال لهم: عباديس، وزيد بن الطُّلَيْسِ، وزيد بن كعب، ومالك بن حُمَمة، وكانوا يغنون غناء الحيرة بين الهَزَجِ والنَّصْبِ^(٥)، وهو إلى النصب أقرب، ولم يدوّن منه شيء لسقوطه، وأنه ليس من أغاني الفحول. وما سمعنا نحن لأحد من هؤلاء خبراً إلا لمالك بن حُمَمة، أخبرني به عمي عن عبد الله بن أبي سعد.

[عمره ونسبه]

وقال وكيع في خبره عن إسحاق: حدّثني أبو بشر الفَزَارِيُّ قال: حدّثني بشر بن الحسين بن سليمان بن سمرة بن جُنْدَب قال: عاش حُنين بن بُلُوع مائة سنة وسبع

(١) قال ابن سيده: الحُبَارَى طائر، والجمع حُبَارِيَات.

(٢) الرَّقْمُ: حَزْ مَوْشَى. يقال: حَزَّ رَقْمٌ كما يقال بُرِّدَ وَشْيٌ.

(٣) غلام وَصِيف: شاب، والأنثى وَصِيفَة. وفي حديث أم أيمن: أنها كانت وصيفة لعبد المطلب أي أمة، وقد أَوْصَفَ وَوَصَّفَ وَصَافَة. ابن الأعرابي: أَوْصَفَ الْوَصِيفُ إِذَا تَمَّ قَدُّهُ، وَأَوْصَفَتِ الْجَارِيَة، وَوَصِيفٌ وَوَصَفَاء وَوَصِيفَة وَوَصَائِفُ. وأما أبو عبيد فقال: وَصِيفٌ بَيْنَ الْوَصَافَةِ، وَأَمَّا ثعلب فقال: بَيْنَ الْإِيصَافِ، وَأَدْخَلَهُ فِي الْمَصَادِرِ الَّتِي لَا أفعال لها.

(٤) نقلهم: أطعمهم النقل، والنقل: ما ينتقل به على الشراب من فستق وتفتح ونحوهما.

(٥) النَّصْب: غناء يشبه الحداء إلا أنه أرق.

سنيين، وكان يقال إنه من جدیس؛ قال: وقيل أيضاً: إنه من لَحْم، وكان هو يزعم أنه عبادي وأخواله من بني الحارث بن كعب

[جده المغني]

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيدلاني قال: حدَّثنا يوسف بن إبراهيم قال: حدَّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال: كُنْتُ مع الرشيد في السنة التي نَزَلَ فيها على عَوْنِ العبادي، فأتاني عَوْنُ بَابِنِ ابْنِ حُنَيْنِ بن بَلَوَع، وهو شيخ، فغَنَّاني عدَّةَ أصوات لجدِّه، فما استحسنتها، لأنَّ الشيخ كان مشوَّه الخلق، طَنَّ^(١) الغناء، قليلَ الحلاوة، إلا أنه كان لا يفارق عمود الصوت أبداً حتى يُفْرَغ منه، فغَنَّاني صوت ابن سُرَيْج:

فَتَرَكْتُه جَزَرَ^(٢) السَّبَاعِ يَنْشَنُه^(٣) ما بين قُلَّةِ رَأْسِهِ وَالْمِعَصَمِ^(٤)

[الكامل]

فما أذكر أني سمعته من أحد قط أحسن مما سمعته منه، فَقُلْتُ له: لقد أحسنت في هذا الصوت، وما هو من أغاني جدِّك، ولا من أغاني بلدك، وإنني لأعجب من ذلك! فقال لي الشيخ: والصليب والقربان ما صُنِعَ هذا الصوت إلا في منزلنا وفي سرداب لجدِّي، ولقد كاد أن يأتي على نفس عمتي؛ فسألته عن الخبر في ذلك فقال: حدَّثني أبي أنَّ عُبَيْدَ بن سُرَيْجَ قَدِمَ الحيرةَ ومعه ثلاثمائة دينار. فأتى بها منزلنا في ولاية بشر بن مروان الكوفة، وقال: أنا رجل من أهل الحجاز من أهل مكة، بلغني طيب الحيرة وجودة حمرها وحسن غنائك في هذا الشعر:

حَنَنْتَنِي حَانِيَاَتِ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ يَدْنُو لِصَيْدٍ
قَرِيبُ الْخَطْوِ يَحْسَبُ مَنْ رَأَى وَلَسْتُ مُقَيِّداً أَنِّي بِقَيِّدٍ^(٥)

[الوافر]

(١) الطَّنْطَنَة: صوت الطَّنْبُور وضرب العود ذي الأوتار، وقد تستعمل في الذباب وغيره.
(٢) الْجَزْرُ: كل شيء مباح للدُّبْح، الواحد جَزْرَةٌ، فإذا قلت: أعطيت فلاناً جَزْرَةً فهي شاةٌ ذكراً كان أو أنثى لأن الشاة ليست إلا للدُّبْح خاصَّةً، ولا تقع الجَزْرَةُ على الناقةِ والجمل لأنهما لسائر العمل. ويقال: الجَزْرَةُ السَّمِينَةُ من الغنم.

(٣) ينشئه: يتناوله.

(٤) ينسب هذا البيت إلى عنتره مع بعض التعديل، وأصله:

فَتَرَكْتُه جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشَنُه يَقْضِمَنْ حَسَنَ بَنَانِهِ وَالْمِعَصَمِ

(٥) هذان البيتان لحنظلة بن شرقي، أحد بني القين، من قضاة. شاعر، فارس، معمر، مخضرم، عاش في الجاهلية، وكان فيها من عشراء الزبير بن عبد المطلب، وهو ترب له، أدرك الإسلام وأسلم ولم ير النبي ﷺ. وقيل في اسمه ونسبه: ربيعة بن عوف بن غنم بن كنانة بن القين بن جسر.

فخرجتُ بهذه الدنانير لأنفقها معك وعندك ونتعاشر حتى تنفد وأنصرف إلى منزلي . فسأله جدِّي عن اسمه ونسبه فغيرهما وانتمى إلى بني مخزوم ، فأخذ جدِّي المال منه وقال : موقرٌ مالك عليك ولك عندنا كل ما يحتاج إليه مثلك ما نشطت للمقام عندنا ، فإذا دعتك نفسك إلى بلدك جهزناك إليه ورددنا عليك مالك وأخلفنا ما أنفقته عليك [إلى] أن جئتنا ، وأسكنه داراً كان ينفرد فيها ، فمكث عندنا شهرين لا يعلم جدِّي ولا أحدٌ من أهلنا أنه يُعني ، حتى انصرف جدِّي من دار بشر بن مروان في يوم صائفٍ مع قيام الظهيرة ، فصار إلى باب الدار التي كان أنزل ابن سريج فيها فوجده مغلقاً فارتاب بذلك ، ودق الباب فلم يفتح له ولم يُجبه أحدٌ ، فصار إلى منازل الحرم فلم يجد فيها ابنته ولا جواريه ، ورأى ما بين الدار التي فيها الحرم ودار ابن سريج مفتوحاً ، فانتضى سيفه ودخل الدار ليقول ابنته ؛ فلما دخلها رأى ابنته وجواريه وقوفاً على باب السرداب ، وهنَّ يومئذٍ إليه بالسكوت وتخفيف الوطاء ، فلم يلتفت إلى إشارتهنَّ لما تداخله ، إلى أن سمع ترنم ابن سريج بهذا الصوت ، فألقى السيف من يده وصاح به - وقد عرفه من غير أن يكون رآه ، ولكن بالنعته والحدق - : أبا يحيى ، جعلتُ فداءك ، أتيتنا بثلاثمائة دينار لتنفقها عندنا في حيرتنا ! فوحق المسيح لا خرجت منها إلا ومعك ثلاثمائة دينار وثلاثمائة دينار وثلاثمائة دينار سوى ما جئت به معك ، ثم دخل إليه فعانقه ورحب به ولقيته بخلاف ما كان يلقاه به ، وسأله عن هذا الصوت ، فأخبره أنه صاغه في ذلك الوقت . فصار معه إلى بشر بن مروان فوصله بعشرة آلاف درهم أول مرة ، ثم وصله بعد ذلك بمثلها ؛ فلما أراد الخروج ردَّ عليه جدِّي ماله وجهزه ووصله بمقدار نفقته التي أنفقها من مكة إلى الحيرة ، ورجع ابن سريج إلى أهله وقد أخذ جميع من كان في دارنا منه هذا الصوت .

[غنى فازدحم الناس فسقط عليه السطح فمات]

أخبرني عمي قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني حسان بن محمد الحارثي قال : حدَّثنا عبد الله قال : حدَّثنا عبيد بن حنين الحيري قال : كان المغنُّون في عصر جدِّي أربعة نفر ثلاثة بالحجاز وهو وحده بالعراق ، والذين بالحجاز : ابن سريج والغريض ومعبد ، فكان يبلغهم أن جدِّي حيناً قد غنى في هذا الشعر :

هَلَّا بَكَيتَ عَلَى الشَّبَابِ الذَاهِبِ	وَكَفَفْتَ عَنْ دَمِّ الْمَشْيِبِ الْآبِ
هَذَا وَرَبُّ مُسَوِّفِينَ سَقِيَّتُهُمْ	مِنْ خَمْرٍ بَابِلَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِ
بَكَرُوا عَلَيَّ بِسُحْرَةٍ فَصَبَحْتُهُمْ	مِنْ ذَاتِ كُوبٍ مِثْلَ قَعْبِ الْحَالِبِ

بزجاجة ملء اليدين كأنها قنديلُ فصَح في كنيسة راهبٍ
[الكامل]

قال: فاجتمعوا فتذاكروا أمر جدِّي وقالوا: ما في الدنيا أهلُ صناعةٍ شرَّ منَّا،
لنا أخٌ بالعراق ونحن بالحجاز، لا نَزوره ولا نستزيره. فكتبوا إليه ووجهوا إليه
نفقةً وكتبوا يقولون: نحنُ ثلاثةٌ وأنتِ وحدك فأنتِ أولى بزيارتنا، فشخص إليهم،
فلما كان على مرحلةٍ من المدينة بلغهم خبره فخرجوا يتلقَّونه، فلم يرَ يومٌ كان
أكثرَ حشراً ولا جمعاً من يومئذٍ، ودخلوا، فلما صاروا في بعض الطريق قال لهم
معبدٌ: صيروا إليَّ؛ فقال له ابنُ سُريج: إن كان لك من الشرف والمروءة مثلُ ما
لمولاتي سَكينة بنت الحسين عطفنا إليك؛ فقال: ما لي من ذلك شيء، وعدلوا
إلى منزل سَكينة. فلما دخلوا إليها أذنت للناس إذناً فعصت الدار بهم وصعدوا
فوق السطح، وأمرت لهم بالأطعمة فأكلوا منها، ثم إنهم سألوا جدي حُنيئاً أن
يغنيهم صوته الذي أوَّلَه:

هَلَّا بَكَيْتَ عَلَى الشَّبَابِ الذَّاهِبِ

فغَنَّاهم إيَّاه بعد أن قال لهم: ابدأوا أنتم؛ فقالوا: ما كنا لنتقدَّمَك ولا
نُعَنِّي قبلك حتى نسمع هذا الصوت؛ فغَنَّاهم إيَّاه، وكان من أحسن الناس
صوتاً، فازدَحَم الناس على السطح وكثروا ليسمعوه، فسقط الرُّواق على من
تحتَه فسلموا جميعاً وأُخْرِجُوا أَصِحَّاء، ومات حُنيئٌ تحت الهدم؛ فقالت
سَكينة: لقد كدَّرَ علينا حُنيئٌ سرورنا، انتظرناه مُدَّة طويلاً وكأنا واللَّه كُنَّا نُسوقُه
إلى مَنِيَّتِهِ.

الغناء في الأصوات المتقدمة:

نسبة ما في الخبر الأول من الغناء

صوت

فَتَرَكَتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشُنُهُ مَا بَيْنَ قُلَّةِ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ
إِنْ تُغْدِفِي دُونِي الْقِنَاعَ فَلِإِنِّي طَبُّ بِأَخَذِ الْفَارِسِ الْمُسْتَلِمِ
[الكامل]

الشعر لعنترة بن شدَّاد العبسي، والغناء فيه لحنين ثاني ثقيل.

ومنها:

صوت

حَنَنْتَنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ يَدْنُو لِصَيْدٍ
قَرِيبُ الْخَطْوِ يَحْسَبُ مَنْ رَأَنِي وَلَسْتُ مُقَيِّدًا أَنِّي بِقَيِّدٍ^(١)
[الوافر]

الغناء لحنين الحيريّ ثقیل أول: وفيه لإبراهيم الموصليّ مآخوريّ جميعاً عن ابن المكيّ، ووافقه عمرو بن بانه في لحن إبراهيم الموصلي. ونسبة الشعر الذي غنّاه حنين في منزل سَكِينَة يُقَالُ: إِنَّهُ لَعَدِيّ بن زَيْد، وقيل: إِنَّ بَعْضَهُ لَهُ وقد أَضَافَهُ الْمَغْنُونُ إِلَيْهِ. وَلَحْنُهُ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاق.

صوت

من المائة المختارة

رَاعَ^(٢) الْفُؤَادَ تَفَرَّقُ الْأَحْبَابِ يَوْمَ الرَّحِيلِ فَهَاجَ لِي أَطْرَابِي^(٣)
فَظَلَلْتُ مُكْتَتِبًا أَكْفِكُفْ عِبْرَةً سَحًّا تَفِيضُ كَوَاشِلِ^(٤) الْأَسْرَابِ^(٥)

(١) البيتان ينسبان للشاعر أبي الطمحان القماني، وهو حنظلة بن شرقي، أحد بني القين، من قضاة. شاعر، فارس، معمر، مخضرم، عاش في الجاهلية، وكان فيها من عشراء الزبير بن عبد المطلب، وهو ترب له، أدرك الإسلام وأسلم ولم ير النبي ﷺ. وقيل في اسمه ونسبه: ربيعة بن عوف بن غنم بن كنانة بن القين بن جسر. يروى أنه جاور بني جديلة (من طيء) ف وقعت حرب بينهم وبين بني الغوث عرفت (بحرب الفساد) فأسر فيها أبو الطمحان فمدح في شعره بجير بن أوس بن حارثة فاشتراه وأعتقه. ارتكب جنابة فطلبه الحاكم ففر ثم لجأ إلى مالك بن سعد أحد بني شميخ من فزارة فأجاره وآواه وأكرمه إلى أن مات. والبيت الثاني في القصيدة على الشكل التالي:

قَصِيرُ الْخَطْوِ يَحْسَبُ مَنْ رَأَنِي وَلَسْتُ مُقَيِّدًا أَمْشِي بِقَيِّدٍ
(٢) راع: أفرع.

(٣) الطَّرَبُ: الشَّوْقُ. وَالطَّرَبُ: ذَهَابُ الْحُزْنِ، وَحُلُولُ الْفَرَحِ، طَرَبٌ يَطْرَبُ طَرَبًا فَهُوَ طَرِبٌ. وَطَرَبٌ فِي غِنَائِهِ تَطْرِبًا، إِذَا رَجَعَ صَوْتُهُ، وَأَطْرَبَنِي هَذَا الشَّيْءُ. وَالْأَطْرَابُ: نُقَاوَةُ الرِّيَاحِينَ، وَأَذْكَأُهَا.

(٤) كواشل: الكاف للتشبيه، والوشل بالتحريك: الماء القليل. وفي المثل: «وَهْل بِالرَّمْلِ أَوْشَالٌ». وَوَشَلَّ الْمَاءُ وَشَلَانًا، أَيْ قَطَرَ. وَجَبَلٌ وَاشِلٌ: يَقْطُرُ مِنْهُ الْمَاءُ. وَجَاءَ الْقَوْمُ أَوْشَالًا، أَيْ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

(٥) الأسراب جمع سرب (بالتحريك): وهو الماء السائل من المزايدة.

لَمَّا تَنَادَا لِالرَّحِيلِ وَقَرَّبُوا بُزْلَ^(١) الْجِمَالِ لِطِيَّةٍ^(٢) وَذَهَابِ
كَادَ الْأَسَى يَقْضِي عَلَيْكَ صَبَابَةً وَالْوَجْهُ مِنْكَ لِبَيْنِ الْفِكَ كَابِي
[الكامل]

عروضه من الكامل. والشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء للغريض، ولحنه
المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. [وقال حبش:
وفيه لأبي كامل ثاني ثقيل بالوسطى]^(٣). وذكر حبش: أن للغريض أيضاً فيه خفيف
ثقيل بالوسطى. ولمالك ثقيل أول بالوسطى. وهذه الأبيات قالها عمر بن أبي ربيعة
في بنت لعبد الملك بن مروان كانت حجت في خلافته.

[ابن أبي ربيعة مع بنت عبد الملك]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: أخبرني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم
عن الزُّبيري والمدائني ومحمد بن سلام والمُسَيَّبِي: أن بنتاً لعبد الملك بن مروان
حجّت، فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ يَتَوَعَّدُهُ إِنْ ذَكَرَهَا فِي شَعْرِهِ بِكُلِّ
مَكْرُوهِ؛ وَكَانَتْ تَحِبُّ أَنْ يَقُولَ فِيهَا شَيْئاً وَتَتَعَرَّضَ لَذَلِكَ، فَلَمْ يَفْعَلْ خَوْفاً مِنْ
الْحَجَّاجِ. فَلَمَّا قَضَتْ حَجَّهَا خَرَجَتْ فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ فَقَالَتْ لَهُ: مَنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قَالَ: مَنْ
أَهْلُ مَكَّةَ؟ قَالَتْ: عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَلَدِكَ لَعْنَةُ اللَّهِ! قَالَ: وَلِمَ ذَاكَ؟ قَالَتْ: حَجَّجْتُ
فَدَخَلْتُ مَكَّةَ وَمَعِيَ مِنَ الْجَوَارِي مَا لَمْ تَرَ الْأَعْيُنُ مِثْلَهُنَّ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْفَاسِقُ ابْنُ أَبِي
رَبِيعَةَ أَنْ يُزَوِّدَنَا مِنْ شَعْرِهِ أَبْيَاتاً نَلْهُو بِهَا فِي الطَّرِيقِ فِي سَفَرِنَا! قَالَ: فَإِنِّي لَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ
فَعَلَ؛ قَالَتْ: فَأَتَيْنَا بِشَيْءٍ إِنْ كَانَ قَالَهُ وَلَكَ بِكُلِّ بَيْتٍ عَشْرَةُ دَنَانِيرَ؛ فَمَضَى إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ؛
فَقَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ، وَلَكِنْ أَحَبُّ أَنْ تَكْتُمَ عَلَيَّ؛ قَالَ: أَفْعَلْ؛ فَأَنْشَدَهُ:

رَاعَ الْفُؤَادَ تَفَرَّقُ الْأَحْبَابِ يَوْمَ الرَّحِيلِ فَهَاجَ لِي أَطْرَابِي
وهي طويلة. وأنشده:

هَاجَ قَلْبِي تَذْكَرُ الْأَحْبَابِ وَاعْتَرَتْنِي نَوَائِبُ الْأَطْرَابِ^(٤)
[الخفيف]

(١) بَزَلُ الْبَعِيرِ يَبْزُلُ بَزُولاً: فَطَرَ نَابَهُ، أَيْ انشَقَّ، فَهُوَ بَازِلٌ، ذَكَراً كَانَ أَوْ أُنْثَى، وَالْجَمْعُ بُزْلٌ وَبُزْلٌ وَبَوَازِلٌ. وَالْبَازِلُ أَيْضاً: اسْمٌ لِلْسِّنِّ الَّتِي طَلَعَتْ. وَبَزَلْتُ الشَّرَابَ. وَشَجَّةٌ بَازِلَةٌ: سَالَتْ دُمُهَا.

(٢) الطِّيَّةُ النِّيَّةُ. قَالَ الْخَلِيلُ: الطِّيَّةُ تَكُونُ مَنْزَلاً وَتَكُونُ مَتْنَأً. تَقُولُ مِنْهُ: مَضَى لَطِيَّتِهِ، أَيْ لَنِيَّتِهِ الَّتِي
انْتَوَاهَا. وَبَعُدَتْ عَنَا طِيَّتُهُ، وَهُوَ الْمَنْزَلُ الَّذِي انْتَوَاهُ. وَمَضَى لَطِيَّتِهِ. وَطِيَّةٌ بَعِيدَةٌ، أَيْ شَاسِعَةٌ.
وَالطَّوِيَّةُ: الضَّمِيرُ. وَالطَّوِيُّ: الْبَثْرُ الْمَطْوِيُّ.

(٣) هذه العبارة لم ترد في جميع النسخ. (٤) الأطراب: الأحزان.

وهي طويلة أيضاً، يقول فيها:

أَقْتُلِينِي قَتْلًا سَرِيعًا مُرِيحًا لَا تَكُونِي عَلَيَّ سَوْطَ عَذَابٍ
شَفَّ عَنْهَا مُحَقَّقُ جَنْدِيٍّ فَهِيَ كَالشَّمْسِ مِنْ خِلَالِ سَحَابٍ
[الخفيف]

- ذكر حبش: أَنَّ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْأَبْيَاتِ لِلْهُذَلِيِّ ثَانِي ثَقِيلٍ بِالْبَنْصَرِ - قَالَ: فَعَادَ
إِلَيْهَا الرَّجُلَ فَأَنْشَدَهَا هَاتَيْنِ الْقَصِيدَتَيْنِ فَدَفَعَتْ إِلَيْهِ مَا وَعَدَتْهُ بِهِ.

ذكر الغريض وأخباره

[اسمه وكنيته وسبب لقبه]

الغريض لُقِبَ لُقْبَ بِهِ، لَأَنَّهُ كَانَ طَرِيَّ الْوَجْهِ نَضِيراً غَضَّ الشَّبَابَ حَسَنَ الْمَنْظَرِ، فَلُقِبَ بِذَلِكَ. والغريض: الطَّرِيُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وقال ابن الكلبي: شُبِّهَ بِالْإِغْرِیضِ وَهُوَ الْجَمَّارُ فَسُمِّيَ بِهِ، وَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَى الْأَلْسِنَةِ فَحَذَفَتِ الْأَلْفَ مِنْهُ، فَقِيلَ لَهُ: الْغَرِیضُ. واسمه: عبد الملك، وكنيته: أبو زيد.

وأخبرنا إسماعيل بن يونس الشَّيْعِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ شَبَّةَ عَنْ أَبِي غَسَّانَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَكِّيِّينَ: أَنَّهُ كَانَ يَكْنَى أبا مَرْوَانَ. وَهُوَ مَوْلَى الْعَبَلَاتِ، وَكَانَ مُوَلِّدًا مِنْ مُوَلِّدِي الْبَرْبَرِ. وَوَلَاؤُهُ وَوَلَاءُ يُحْيَى قَيْلٍ وَسُمِّيَّةَ لِلثَّرِيَّا (صاحبة عُمر بن أبي ربيعة) وَأَخَوَاتِهَا: الرُّضَيَّا وَفُرَيْبَةَ وَأُمَّ عَثْمَانَ بَنَاتِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أُمَيَّةَ الْأَصْغَرِ، وَقَدْ مَضَتْ أَخْبَارُهُنَّ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ.

[الأستاذ يحسد تلميذه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الضُّبَعِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ أَبِي مَعَاوِيَةَ الْعَلَابِيُّ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ وَعَنْ أَبِي مَسْكِينٍ، وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، وَأَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الزُّبَيْرِيِّ وَالْمَدَائِنِيِّ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، وَقَدْ جَمَعْتَ رَوَايَاتِهِمْ فِي قِصَّةِ الْغَرِیضِ، قَالُوا: كَانَ الْغَرِیضُ يَضْرِبُ بِالْعُودِ وَيَنْقُرُ بِالْدَفِّ وَيُوقِعُ بِالْقَضِيبِ، وَكَانَ جَمِلاً وَضِيئاً، وَكَانَ يُصْنَعُ^(١) نَفْسُهُ وَيُبْرِقُهَا^(٢). وَكَانَ قَبْلَ أَنْ يُعْتَى خِيَاطاً. وَأَخَذَ الْغَنَاءَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ عَنْ ابْنِ سُرَيْجٍ، لَأَنَّهُ كَانَ يَخْدُمُهُ. فَلَمَّا رَأَى ابْنُ سُرَيْجٍ طَبْعَهُ وَظَرْفَهُ وَحَلَاوَةَ مَنْطِقِهِ حَسَبِي أَنْ يَأْخُذَ غَنَاءَهُ فَيَغْلِبُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ النَّاسِ وَيَفُوقَهُ بِحَسَنِ وَجْهِهِ وَجَسَدِهِ؛ فَاعْتَلَّ عَلَيْهِ، وَشَكَاهُ إِلَى مَوْلِيَاتِهِ، وَهُنَّ كُنَّ دَفَعْنَهُ إِلَيْهِ

(١) يصنع نفسه: يهذبها ويقوم على تحسينها وتزيينها.

(٢) يبرقها: يزينها ويحسنها.

ليعلمه الغناء، وجعل يتجنّى عليه ثم طرده؛ فشكا ذلك إلى مَوْلِيَّاتِهِ وعرفهنَّ غرض ابن سريج في تنحيته إيَّاه عن نفسه، وأنَّه حسده على تقدّمه.

[تعلم النوح وكان ينوح في المآتم]

فَقُلْنَ له: هل لك في أن تَسْمَعَ نَوْحَنَا على قَتْلَانَا فتأخُذْهُ وتُغْنِيَّ عليه؟ قال: نعم فافعلن، فأسمعنه المراثي فاحتذاها وخَرَجَ غناءً عليها كالمراثي، وكان ينوح مع ذلك فيدخل المآتم وتَضَرَّبَ دونه الحُجُبُ ثم ينوح فيفتن كلَّ من سمعه. ولَمَّا كَثُرَ غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا إليه لما كان فيه من الشجاء^(١). فكان ابن سريج لا يُغْنِيَّ صوتاً إلَّا عارضه^(٢) الغريض فيه لحناً آخر. فلما رأى ابن سريج موقع الغريض اشتدَّ عليه وحسده، فغنى الأرمال والأهزاج فاشتهاها الناس؛ فقال له الغريض: يا أبا يحيى، قَصَّرَتِ الغناء وحذفتُه؛ قال: نعم يا مُحَنَّتْ حين جعلتَ تنوح على أمِّك وأبيك.

قال إسحاق: وحَدَّثني أبو عبيدة قال: لَمَّا غَضِبَ ابن سُرَيْج على الغريض فأقصاه وهجره لحق بحوراء وبَعُومَ - جَارِيتَيْنِ نائحتَيْنِ كانتا في شِعب ابن عامر بمكة، ولم يكن قبلهما ولا بعدهما مثلهما - فرأته يوماً يعصر عينيه ويبكي؛ فقالتا له: ما لك تبكي؟ فذكر لهما ما صنع به ابن سريج؛ فقالتا له: لا أَرْقَأُ الله دمعك! ألز^(٣) رأسك بين ما أخذته عنه وبين ما تأخذه منّا، فإن ضِغَّتْ بعدها فأبعدك الله.

[عداده في الأربعة المشهورين بالغناء]

قال إسحاق: وحَدَّثني أبو عبد الله الزُّبيري قال: رأيتُ جَرِيرًا في مجلس من مجالس قريش فَسَمِعْتُهُ يقول: كان المغنُّون بمكة أربعة، فسيد مبرِّز وتابع مسدّد؛ فسألناه عن ذلك، فقال: كان السيّد أبو يحيى بن سُرَيْج والتابع أبو يزيد الغريض. وكان هناك رجل عالم بالصناعة فقال: كان الغريضُ أَحَدَقَ أهل زمانه بمكة بالغناء بعد ابن سُرَيْج، [كان الناس لا يفرقون بينه وبين ابن سُرَيْج]^(٤)، وما زال أصحابنا لا يُفَرِّقون بينهما لمقاربتهما في الغناء. قال الزُّبيري: وقال بعضُ أهلي: لو حُكِّمْتُ بين أبي يحيى وأبي يزيد لما فَرَّقْتُ بينهما، وإنما تفضيلي أبا يحيى بالسبق، فأما غير ذلك

(١) الشجاء: الحزن.

(٢) عارضه: ناقضه وباراه فيه بلحن آخر يغنيه.

(٣) لَزَّ الشيء بالشيء، إذا قرن به لَزًّا. ومنه قولهم: قد لَزَزْتُ بي يا فلان، إذا سَدَّكَ به لا يفارقه. وكل شيء دانيت بينه وقرنته فقد لَزَزَتْه.

(٤) لم ترد هذه العبارة في جميع النسخ.

فلا، لأنَّ أبا يزيد عنه أخذ ومن بحره اغترف وفي ميدانه جرى، فكان كأنَّه هو؛ ولذلك قالت سُكَيْنَةُ لما غَنَّى الغريض وابن سُرَيْج:

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ^(١)

واللَّه ما أَفَرَّقَ بَيْنَكُمَا، وما مَثَلُكُمَا عِنْدِي إِلَّا كَمَثَلِ اللَّوْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ فِي أَعْنَاقِ الْجَوَارِي الْحَسَنِ لَا يُدْرِي أَيُّ ذَلِكَ أَحْسَنُ.

[قيل: كان أشجى غناء من ابن سريج]

قال إسحاق: وَسَمِعْتُ جَمَاعَةً مِنَ الْبُصْرَاءِ عِنْدَ أَبِي يَتَذَكَّرُونَهُمَا، فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْغَرِيضَ أَشَجَى غَنَاءً، وَأَنَّ ابْنَ سُرَيْجٍ أَحْكَمَ صِنْعَةً.

[غنى الناس بجمع فحسبوه من الجن]

قال إسحاق: وَحَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِي قَالَ: حَجَجْنَا فَلَمَّا كُنَّا بِجَمْعٍ^(٢) سَمِعْنَا صَوْتًا لَمْ نَسْمَعْ أَحْسَنَ مِنْهُ وَلَا أَشَجَى، فَأَصْغَى النَّاسُ كُلُّهُمْ إِلَيْهِ تَعْجُبًا مِنْ حُسْنِهِ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا الرَّجُلُ؟ فَقِيلَ لِي: الْغَرِيضُ، فَتَتَابَعَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَقَالُوا: مَا نَعْرِفُ الْيَوْمَ أَحْسَنَ غَنَاءً مِنَ الْغَرِيضِ، وَيَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَعْتَرِضُ بِصَوْتِهِ الْحَاجَّ وَهُمْ فِي حَجِّهِمْ فَيُصْغُونَ إِلَيْهِ. فَسَأَلُوا الْغَرِيضَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُغَنِّيَهُمْ فَأَجَابَهُمْ، وَخَرَجَ فَوْقَ حَيْثُ لَا يُرَى وَيُسْمَعُ صَوْتُهُ فَتَرْتَّمُ وَرَجَّعَ صَوْتَهُ وَغَنَّى فِي شَعْرِ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ:

أَيُّهَا الرَّائِحُ الْمُجِدُّ أَبْتَكَارًا قَدْ قَضَى مِنْ تَهَامَةِ الْأَوْطَارِ [الخفيف]

فَمَا سَمِعَ السَّامِعُونَ شَيْئًا كَانَ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ الصَّوْتِ، وَتَكَلَّمَ النَّاسُ فَقَالُوا: طَائِفَةٌ مِنَ الْجِنِّ حُجَّاجٌ.

نسبة هذا الصوت

صوت

أَيُّهَا الرَّائِحُ الْمُجِدُّ أَبْتَكَارًا قَدْ قَضَى مِنْ تَهَامَةِ الْأَوْطَارِ

(١) ينسب هذا البيت للعرجي، وهو على الشكل التالي:

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ إِنَّكَ إِنْ لَا تَفْعَلِي تَحْرُجِي

(٢) جمع: المزدلفة وهو مبيت الحاج ومجمع الصلاة إذا صدروا من عرفات وهو المشعر الحرام.

مَنْ يَكُنْ قَلْبُهُ الْغَدَاةَ خَلِيًّا^(١) فَمُؤَادِي بِالْخَيْفِ أَمْسَى مُعَارَا
لَيْتَ ذَا الْحَجِّ كَانَ حَتَمًا عَلَيْنَا كُلَّ شَهْرَيْنِ حَجَّةً^(٢) وَأَعْتِمَارَا
[الخفيف]

عروضه من الخفيف. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن مُحَرَّز، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثقيل الثاني بالخنصر في مجرى الوسطى. وفيه لحن للغريض من رواية حمَّاد عن أبيه.

[نفي الغريض وابن سريج ومعبدا]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس قالا: حدثنا عمر بن شَبَّة قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم قال: بلغني أَنَّ مَعْبَدًا وابن سريج والغريض اجتمعوا بمكة ذات ليلة فقالوا: هَلُمَّ نَبْكُ أَهْلَ مَكَّة، ووجدتُ هذا الخبر بغير إسناد مَرْوِيًّا عن يونس الكاتب: أَنَّ أَمِيرًا من أمراء مكة أَمَرَ بِإِخْرَاجِ الْمُغَنِّينَ مِنَ الْحَرَمِ، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي عَزَمَ بِهِمْ عَلَى النَّفْيِ فِي غَدَاهَا اجتمعوا على أَبِي قُبَيْسٍ - وَكَانَ مَعْبَدٌ قَدْ زَارَهُمْ - فَبَدَأَ مَعْبَدٌ فَعَنَّى - كَذَا رُوِيَ عَنْ يونس، ولم يذكره الباقون.

صوت

أَتَرَبِّيَّ مِنْ أَعْلَى مَعَدِّ هُدَيْثُمَا أَجِدَا الْبُكَاءَ إِنْ التَّفَرُّقُ بَاكِرُ
فَمَا مَكُنَّا دَامَ الْجَمِيلُ عَلَيْكُمَا بِثَهْلَانِ^(٣) إِلَّا أَنْ تُزَمَّ الْأَبَاعِرُ
[الطويل]

- عروضه من الطويل. هكذا ذكره ولم ينسبه ولا جنسه - قال: فتأوّه أهل مكة وأثوا وتمخّطوا^(٤). واندفع الغريض يُعَنِّي:

أَيُّهَا الرَّائِحُ الْمُجِدُّ أَبْتَكَارَا قَدْ قَضَى مِنْ تِهَامَةٍ الْأَوْطَارَا^(٥)
[الخفيف]

(١) الصدر في الديوان على الشكل التالي:

مَنْ يَكُنْ قَلْبُهُ سَلِيمًا صَحِيحًا

(٢) الحجة: المرة من الحج وهو شاذ لأن قياس المرة على فعلة بفتح الفاء.

(٣) ثهلان: اسم جبل في نجد.

(٤) تَمَخَّطَ الرَّجُلُ: اضْطَرَبَ فِي مَشْيِهِ، فَصَارَ يَسْقُطُ مَرَّةً، وَيَتَحَامَلُ أُخْرَى.

(٥) البيت لعمر بن أبي ربيعة.

فارتفع البكاء والنحيبُ . واندفع ابن سريج يغني :

جَدَّدي الوصلَ يا قُرَيْبُ وجُودي لِمُحِبِّ فِرَاقِهِ قَدْ أَلَمَا
ليس بين الحياة والموت إلا أن يَرُدُّوا جِمالَهُمْ فَتُزَمَّا
[الخفيف]

فارتفع الصراخ من الدُّورِ بالوَيْلِ والحَرْبِ^(١) . قال يونس في خبره : واجتمع
الناسُ إلى الأمير فاستغفوه من نفيهم فأغفاهم . وذكر الباقر أن الغريض ابتداءً بلحنه :

أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُجَدِّ ابْتِكارًا

وتلاه ابن سريج في «جَدَّدي الوصل» . قال : وارتفع الصراخ فلم يُسمِعْ من معبد
شيء ولم يقدِرْ على أن يُعَنِّي .

[غنت شطباء المغنية علي بن جعفر فطرب]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبيرُ بن بَكَّار قال : أخبرني عبد
الرحمن بن محمد السعدي قال : حَضَرْتُ شَطْبَاءَ الْمُعَنِّيَةِ جاريةَ علي بن جعفر ذات
يوم تُعَنِّي :

لَيْسَ بَيْنَ الرَّحِيلِ وَالْبَيْنِ إِلَّا أن يَرُدُّوا جِمالَهُمْ فَتُزَمَّا^(٢)
[الخفيف]

فطرب علي بن جعفر وصاح : سبحان الله العظيم ! ألا يوكون^(٣) قُرْبَةً ! ألا
يشدون محملاً ! ألا يُعَلِّقُونَ سُفْرَةَ^(٤) ! ألا يُسَلِّمُونَ على جارٍ ! هذه والله العجلة .

[لما ماتت الثريا ناح عليها الغريض]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا : حدَّثنا عمر بن شَبَّة
قال : حدَّثنا محمد بن يحيى قال : زعم عُبيدُ بن يَعْلَى قال : قال لي كثيرُ بن كثير

(١) أي قيل : واحرباه .

(٢) البيت لعمر بن أبي ربيعة ، وهو في الديوان على الشكل التالي :

لَيْسَ دُونَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ إِلَّا أن يَرُدُّوا جِمالَهُمْ فَتُزَمَّا

(٣) يوكون : أوكى السقاء : شدّه بالوكاء وهو الرِّباط . وفي مثل «يداك أوكتا وفوك نفخ» ويقال : أوك
على ما في سقائك .

(٤) السُّفْرَةُ بِالضَّم : طَعَامُ الْمُسَافِرِ الْمُعَدُّ لِلسَّفَرِ ، هَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِيهِ ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى وَعَائِهِ ، وَمَا يُوضَعُ
فِيهِ مِنَ الْأَدِيمِ ، ثُمَّ شَاعَ الْآنَ فِيمَا يُؤْكَلُ عَلَيْهِ . وَفِي التَّهْذِيبِ : السُّفْرَةُ : الَّتِي يُؤْكَلُ عَلَيْهَا ، وَسُمِّيَتْ
لأنها تُبْسَطُ إِذَا أُكِلَ عَلَيْهَا .

السهمي: لَمَّا مَاتَ الثُّرَيَّا أَتَانِي الْغَرِيضُ فَقَالَ لِي: قُلْ لِي شِعْراً أَبْكُ بِهِ عَلَيْهَا؛ فَقُلْتُ:

صوت

أَلَا يَا عَيْنُ مَا لَكَ تَذَمَّعِينَا أَمِنْ رَمَدٍ بَكَيْتِ فَتُكْحَلِينَا
أَمْ أَنْتِ مَرِيضَةٌ تَبْكِينَ شَجْوَاً فَشَجْوَكَ مِثْلُهُ أَبْكِي الْعَيُونَا
[الوافر]

فَنَاحَ بِهِ عَلَيْهَا. قَالَ: وَأَخْبَرَنِي مَنْ رَأَاهُ بَيْنَ عَمُودَيْ سَرِيرِهَا يَنْوَحُ بِهِ. الْغَنَاءُ لِلْغَرِيضِ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوُسْطَى عَنْ ابْنِ الْمَكِيِّ. وَفِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ مَجْهُولٍ.

[سُكِينَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ تَسَاوِي بَيْنَ الْمَغْنِينِ]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ وَأَخْبَرَنَا وَكِيعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ عَنْ جَرِيرٍ، وَرَوَاهُ حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ سَلَامٍ عَنْ جَرِيرٍ أَيْضاً: أَنَّ سُكِينَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ حَجَّتْ فَدَخَلَ إِلَيْهَا ابْنُ سُرَيْجٍ وَالْغَرِيضُ وَقَدْ اسْتَعَارَ ابْنُ سُرَيْجٍ حُلَّةً لَامِرَةً مِنْ قَرِيشٍ فَلَبِسَهَا؛ فَقَالَ لَهَا ابْنُ سُرَيْجٍ: يَا سَيِّدَتِي، إِنِّي كُنْتُ صَنَعْتُ صَوْتاً وَحَسَنَتْهُ وَتَنَوَّقْتُ^(١) فِيهِ، وَخَبَّأَتْهُ لَكَ فِي حَرِيرَةٍ فِي دُرْجٍ مَمْلُوءٍ مِسْكَاً فَنَازَعَنِيهِ هَذَا الْفَاسِقُ - يَعْنِي الْغَرِيضُ - فَأَرَدْنَا أَنْ نَتَحَاكَمَ إِلَيْكَ فِيهِ. فَأَيْنَا قَدَمْتِهِ فِيهِ تَقَدَّمَ؟ قَالَتْ: هَاتِيهِ، فَعَنَّاها:

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلِي تَخْرَجِي^(٢)
[السريع]

فَقَالَتْ: هَاتِيهِ أَنْتِ يَا غَرِيضُ؛ فَعَنَّاها إِيَّاهَا؛ فَقَالَتْ لَابْنِ سُرَيْجٍ: أَعِدْهُ، فَأَعَادَهُ، وَقَالَتْ: يَا غَرِيضُ، أَعِدْهُ، فَأَعَادَهُ؛ فَقَالَتْ: مَا أَشْبَهُكُمَا إِلَّا بِالْجَدْيَيْنِ: الْحَارَّ وَالْبَارِدَ لَا يُدْرَى أَيُّهُمَا أَطِيبٌ. وَقَالَ إِسْحَاقُ فِي خَبَرِهِ: مَا أَشْبَهُكُمَا إِلَّا بِاللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ فِي أَعْنَاقِ الْجَوَارِي الْحَسَانِ لَا يُدْرَى أَيُّهُمَا أَحْسَنُ.

نسبة هذا الصوت

صوت

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلِي تَخْرَجِي

(١) تنوق فلان في مطعمه وملبسه وأموره إذا تجود وبالع، وتَنَيَّقَ لغة.

(٢) تخرجي: تأثمي.

إِنِّي أَتِيحَت لِي يَمَانِيَّةٌ إِحْدَى بَنِي الْحَارِثِ مِنْ مَذْحِجٍ
نَلَبْتُ حَوْلًا كَامِلًا كُلَّهُ لَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنْهَجٍ
فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مِنِّي وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُجْ
أَيْسَرُ مَا نَالَ مُحِبٌ لَدَى بَيْنَ حَبِيبٍ قَوْلُهُ عَرَجٍ
[السريع]

عروضه من السريع . والشعر للعرجي . والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيه للغريض ثقيل أول بالوسطى عن حبش . ولاسحاق في الأول والثالث ثقيل أول بالبنصر عن عمرو . ولالأبجر فيه ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن ابن المكي . ولعلوياً خفيف ثقيل عن الهشامي . ولحكم خفيف رمل عنه أيضاً .

[غنى عطاء بشعر العرجي فرده عليه]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا عبد الله بن عمرو بن بشر قال : حدثني إبراهيم بن المُنذر قال : حدثني حمزة بن عتبة اللّهي عن عبد الوهاب بن مجاهد أو غيره قال : كُتُّ مع عطاء بن أبي رباح فجاءه رجلٌ فأنشده قول العرجي :

إِنِّي أَتِيحَت لِي يَمَانِيَّةٌ

وذكر الأبيات وختمها بقوله :

فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مِنِّي وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُجْ
[السريع]

قال : فقال عطاء : بمئى والله وأهله خيرٌ كثيرٌ إذ غيَّبها الله وإياه عن مشاعره .

[قصة الأوقص المخزومي مع سكران يغني]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني إسحاق قال : وَلِي قِضَاءَ مَكَّةَ الْأَوْقَصُ الْمَخْزُومِيُّ ، فَمَا رَأَى النَّاسَ مِثْلَهُ فِي عَفَافِهِ وَتُبْلِهِ ، فَإِنَّهُ لَنَائِمٌ لَيْلَةً فِي جَنَاحٍ ^(١) لَهُ إِذْ مَرَّ بِهِ سَكَرَانٌ يَتَغَنَّى :

عُوجِي عَلَيْنَا رِبَّةَ الْهَوْدَجِ

فأشرف عليه فقال : يا هذا شربت حراماً ! وأيقظت نياماً ! وغنيت خطأ ! خذه عني ! فأصلحه له وانصرف .

(١) جناح : أي مكان مخصص له في البيت .

[عطاء بن رباح والأبجر المغني]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ
حَمْزَةَ بْنِ عُثْبَةَ اللَّهَبِيِّ قَالَ: مَرَّ الْأَبْجَرُ بِعَطَاءٍ وَهُوَ سَكْرَانٌ فَعَذَّلَهُ وَقَالَ: شَهَّرْتَ نَفْسَكَ
بِالْغِنَاءِ وَأَطْرَحْتَهَا وَأَنْتَ ذُو مُرُوءَةٍ، فَقَالَ: امْرَأَتُهُ طَالِقٌ ثَلَاثًا إِنْ بَرَحْتَ أَوْ أُغْنِيكَ صَوْتًا،
فَإِنْ قُلْتَ لِي: هُوَ قَبِيحٌ تَرَكْتُهُ؛ فَقَالَ لَهُ عَطَاءٌ: هَاتِ وَيْحَكَ! فَقَدْ أَضْرَرْتَ بِي، فَعَنَاهُ:

فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتَ وَمَاذَا مِئْنَى وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُجْ
[السريع]

فَقَالَ لَهُ عَطَاءٌ: الْخَيْرُ وَاللَّهُ كُلُّهُ هُنَاكَ حَجَّتَ أَوْ لَمْ تَحْجِجْ، فَاهْذَبِ الْآنَ رَاشِدًا فَقَدْ
بَرَّتَ يَمِينَكَ.

[ابن أبي عتيق والغريص]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ قَالَ:
حَدَّثَنِي الْمُغِيرَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي هَارُونَ بْنُ مُوسَى الْفَرَوِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ
الْمَدَنِيِّينَ قَالَ: خَرَجَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ عَلَى نَجِيبٍ لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَدْ أَوْقَرَهُ^(١) مِنْ طُرْفِ
الْمَدِينَةِ الْمَشَارِبِ^(٢) وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَلَقِيَ فَتًى مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ مُقْبِلًا مِنْ بَعْضِ ضِيَاعِهِ،
فَقَالَ: يَا بْنَ أَخِي، أَتَصْحَبُنِي؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَ الْمَخْزُومِيُّ: فَمَضَيْنَا حَتَّى إِذَا قَرُبْنَا مِنْ
مَكَّةَ جَبَبْنَا عَنْهَا حَتَّى جُزْنَاهَا فَصَرْنَا إِلَى قَصْرِ، فَاسْتَأْذَنَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ فَأُذِنَ لَهُ، فَدَخَلْنَا
فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ كَأَنَّهُ عَجُوزٌ بَرَبْرِيَّةٌ مُخْتَضِبَةٌ، لَا أَشْكُ فِي ذَلِكَ، وَإِذَا هُوَ الْغَرِيصُ وَقَدْ
كَبُرَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ: تَشَوَّفُنَا إِلَيْكَ، وَأَهْدَى لَهُ مَا كَانَ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: نُحِبُّ
أَنْ نَسْمَعَ؛ قَالَ: ادْعُ فُلَانَةَ - جَارِيَةً لَهُ - فَجَاءَتْ فَغَنَّتْ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، ثُمَّ
حَلَّ خَضَابَهُ وَغَنَّى:

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهَوْدَجِ

فَمَا سَمِعْتُ أَحْسَنَ مِنْهُ قَطُّ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ أَيَّامًا كَثِيرَةً وَخَبَّارُهُ قَائِمٌ وَطَعَامُهُ كَثِيرٌ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ: إِنِّي أُرِيدُ الشُّخُوصَ، فَلَمْ يَبْقَ بِمَكَّةَ تَحْفَةً عَدَنِي وَلَا
يَمَانٍ وَلَا عُودًا إِلَّا أَوْقَرَ بِهِ رَاحِلَتَهُ. فَلَمَّا ارْتَحَلْنَا وَبَرَزْنَا صَاحَ بِهِ الْغَرِيصُ: هِيََا هِيََا،
فَرَجَعْنَا إِلَيْهِ؛ فَقَالَ: أَلَمْ تَرَوْا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يُخْشَرُ مِنْ بَقِيعِنَا هَذَا سَبْعُونَ أَلْفًا

(١) أَوْقَرَهُ: حَمَلَهُ.

(٢) الْمَشَارِبُ: جَمْعُ مَشْرَبَةٍ (بِالْكَسْرِ) وَهِيَ إِنَاءٌ يَشْرَبُ بِهِ.

على صورة القمر ليلة البدر! فقال له ابن أبي عتيق: بلى، فقال: هذه سنٌ لي انتزعت فأجِب أن تدفنها بالبقيع، فخرجنا والله أخسر اثنين لم نَعْتَمِر ولم ندخل مكة، حاملين سنَّ الغريض حتى دفناها بالبقيع.

[غنى بعض أهل المدينة فطربوا لغنائه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن بعض أهل المدينة قال: خرج الغريض مع قوم فغنَّاهم هذا الصوت:

جَرى ناصحٌ بالودِّ بيني وبَيْنَها فَقَرَّبَنِي يَوْمَ الحِصَابِ إلى قَتْلِي
[الطويل]

فاشدد سرورُ القوم، وكان معهم غلام أعجبه، فطلب إليهم أن يكلموا الغلام في الخلوة معه ساعةً ففعلوا، فانطلق مع الغلام حتى توارى بصخرة، فلما قضى حاجته أقبل الغلام إلى القوم، وأقبل الغريض يتناول حجراً حجراً يقرعُ به الصخرة، ففعل ذلك مِراراً، فقالوا له: ما هذا يا غريض؟ قال: كأنِّي بها قد جاءت يومَ القيامة رافعةً ذيلها تشهدُ علينا بما كان منَّا إلى جانبها، فأردتُ أن أجرحَ شهادتها عليَّ ذلك اليوم.

نسبة هذا الصوت

صوت

جَرى ناصحٌ بالودِّ بيني وبَيْنَها فَقَرَّبَنِي يَوْمَ الحِصَابِ إلى قَتْلِي
فَقَالَتْ وَأَرَحْتَ جَانِبَ السَّتْرِ إِنَّمَا مَعِيَ فَتَحَدَّثَ غَيْرَ ذِي رِقَبَةٍ أَهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِي لَهُمْ مِنْ تَرْقُبٍ وَلَكِنْ سَرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي
[الطويل]

عَرُوضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سُرَيْجَ رَمَلٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق في الثلاثة الأبيات. وذكر يونس أنَّ فيه لحناً لمالك، وفيه للغريض خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالوسطى عن حبش والهشامي وعلي بن يحيى وحماد بن إسحاق. ولمعبد فيه ثقيلٌ أولٌ بالبنصر عن حبش. ولابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى عنه.

[كان عمر وجميل يتعارضان في الشعر]

حدَّثني علي بن صالح بن الهيثم قال: حدَّثني أبو هَفَّان عن إسحاق بن إبراهيم

عن المُسَيَّبِيِّ والمدائني وابن سلام: أنَّ عمر بن أبي ربيعة كان يُعارضُ جَمِيلاً، إذا قال هذا قصيدة قال هذا مثلها، فيقال: إِنَّ عَمَرَ في الرائية والعينية أشعرُ من جميل، وإنَّ جميلاً أشعرُ منه في اللَّامِيَّة. وقال الزُّبَيْرُ فيما أخبرني به الحرَميُّ بن أبي العلاء عنه: من الناس من يُفَضِّلُ قصيدة جميل اللَّامِيَّة على قصيدة عمر، وأنا لا أقول هذا، لأنَّ قصيدة جميل مختلفة غير مؤتلفة، فيها طوابع النَّجْد وحوالد المَهْد، وقصيدة عمر بن أبي ربيعة ملساء المتون، مُستوية الأبيات، آخذ بعضها بأذنان بعض، ولو أنَّ جميلاً خاطب في قصيدته مخاطبة عمر لأُرْتِجَ عليه وعثر كلامه به.

أخبرني الحرَميُّ قال: حدَّثنا الزُّبَيْرُ قال: حدَّثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال: حدَّثني شيخٌ من أهلي عن أبي الحارث بن نابتة مَوْلَى هشام بن الوليد المخزومي وهو الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة:

يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ فاستمعَ قولَ رَشيدٍ مُؤتَمَن^(١)
[الرمل]

قال: شَهِدْتُ عمر بن أبي ربيعة وجميلاً^(٢) بالأبطح، فأنشدَ جميلُ قصيدته التي يقول فيها:

لَقَدْ فَرِحَ الواشونَ أَنْ صَرَمَتِ حَبْلِي بُشَيْنَةً أَوْ أَبَدَتِ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ
[الطويل]

ثم قال: يا أبا الخطَّاب، هل قُلْتَ في هذا الوزن شيئاً؟ قال: نعم؛ فأنشده قوله:

جَرَى ناصِحٌ بِالوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
فقال جميلٌ: هيهات يا أبا الخطَّاب، واللَّه لا أقول مثلَ هذا سَجِيس^(٣) الليالي،
واللَّه ما خاطب النساء مخاطبتك أحداً! وقام مُشَمِّراً.
أخبرني الحرَميُّ بن أبي العلاء قال: حدَّثنا الزُّبَيْرُ بن بكار قال: رأيتُ علماءنا جميعاً لا يشكُّون في أنَّ أحسن ما يروى في تعظيم السرِّ قولُ عمر:
وَلَكِنَّ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي

(١) ورد هذا البيت في الديوان على الشكل التالي:

يا أبا الحارثِ قلبي هائمٌ فَأَتَمَّرَ أَمَرَ رَشيدٍ مُؤتَمَن

(٢) المقصود جميل بشينة.

(٣) لا آتيك سَجِيس الدهر وسَجِيس الليالي وسَجِيس الأوجس أي طوال الدهر.

قال الزُّبَيْرُ: وحَدَّثني محمد بن إسماعيل قال: حَدَّثني ابن أبي الرُّنَاد قال: إِنَّمَا اجتمع عمر بن أبي ربيعة وجميل بالجناب^(١).

[سمع الفرزدق شعر ابن أبي ربيعة فمدحه]

أخبرني محمد بن أحمد الطَّلَّاس قال: أخبرنا أحمد بن الحارث الخَزَّاز عن المدائني: أَنَّ الفرزدق سَمِعَ عمر بن أبي ربيعة يُشَدُّ هذه القصيدة، فلمَّا بلغ إلى قوله: فَقُومَنَ وَقَدْ أَفْهَمَنَ ذَا اللَّبِّ أَنَّمَا فَعَلَنَ الَّذِي يَفْعَلَنَ فِي ذَاكَ مِن أَجْلِي [الطويل]

صاحَ الفرزدقُ وقال: هذا والله الشعرُ الذي أرادتَه الشعراء فأخطأته وبَكَتَ الديار.

نسبة ما في قصيدة عمر وسائر هذه الأخبار من الأغاني

سوى قصيدة جميل فَإِنَّ لها أخباراً تُذكر مع أخباره

فمن ذلك قصيدة عمر التي أولها:

جَرَى ناصِحٌ بِالوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

صوت

قَفِي البغلة الشهباء بالله سَلَمِي عَزِيْزَةَ ذَاتِ الدَّلِّ وَالْخُلُقِ الْجَزَلِ
فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الَّذِي بِهَا كَمَثَلِ الَّذِي بِي حَدْوَكِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ
فَقُلْنَا لَهَا هَذَا عِشَاءً وَأَهْلُنَا قَرِيبُ الْمَا تَسَامِي مَرْكَبِ الْبَغْلِ [الطويل]

عروضه من الطويل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لمعبد في الأول والثاني ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانة وعلي بن يحيى، وقيل: إِنَّهُ لِمَالِك. ولابن مُحَرِّز في الثاني والثالث خفيف ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي. ولابن سُرَيْج في الأول ثقيل والثاني خفيف آخر بالوسطى وهو الذي فيه استهلال. ولمالك في الثاني والثالث ثاني ثقيل بالبنصر. ولإبراهيم فيهما خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن ابن المكي.

(١) الجناب: موضع بعراض خبير وسلاح ووادي القرى، وقيل: هو من منازل بني فزارة، وقال نصر: الجناب من ديار بني فزارة بين المدينة وفيد.

صوت

ومنها:

يَا أَبَا الْحَارِثِ قَلْبِي طَائِرٌ فَاسْتَمِعْ قَوْلَ رَشِيدِ مُؤْتَمَنٍ
لَيْسَ حُبٌّ فَوْقَ مَا أَحْبَبْتُكُمْ غَيْرَ أَنْ أَقْتُلَ نَفْسِي أَوْ أُجَنِّ
حَسَنُ الْوَجْهِ نَقِيٌّ لَوْنُهُ طَيِّبُ النَّشْرِ لَذِيذُ الْمُحْتَضَنِ
[الرَّمْل]

عروضه من الرَّمْل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سُرَيْج ثاني ثقیل بالوسطى عن عمرو، وقيل: إِنَّه لابن عائشة: وذكر ابن المكي أَنه للغريض في الثاني والثالث، وفيهما رَمْلٌ يُقَالُ إِنَّه لأهل مكة، ويقال: إِنَّه لعبد الله بن يونس صاحب أَيْلَةٍ^(١). وفيه ثقیلٌ أَوَّلُ ذَكَرَ حَبَشٌ أَنه لابن سُرَيْج، وذكر غيره أَنه لمحمد ابن السَّنْدِيّ المكي، وَأَنه غَنَّا بحضرة إسحاق فأخذه عنه.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: كَانَ ابْنُ عَائِشَةَ يُغَنِّي الْهَزَجَ وَالْخَفِيفَ؛ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَنِّيَ غَنَاءً شَجِيئاً ثَقِيلاً؛ فغَنَّى:

يَا أَبَا الْحَارِثِ قَلْبِي طَائِرٌ
رجع الحديث إلى أخبار الغريض

[قيل: إِنَّه كَانَ يَتَلَقَّى غَنَاءَهُ عَنِ الْجَنِّ]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن أيُّوب بن عَبَّادٍ عن مَوْلى لآل الغريض قال: حَدَّثَنِي بَعْضُ مَوْليَاتِي وَقَدْ ذَكَرَنَ الْغَرِيضَ فَتَرَحَّمَنَ عَلَيْهِ وَقُلْنَ: جَاءَنَا يَوْمًا يَحْدُثُنَا بِحَدِيثٍ أَنْكَرْنَاهُ عَلَيْهِ ثُمَّ عَرَفْنَا بَعْدَ ذَلِكَ حَقِيقَتَهُ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا صَغِيرًا وَكَبِيرًا، وَكُنَّا نَلْقَى مِنَ النَّاسِ عَنَتًا بِسَبَبِهِ، وَكَانَ ابْنُ سُرَيْجٍ فِي جَوَارِنَا فَدَفَعْنَاهُ إِلَيْهِ فَلَقِنَا^(٢) الْغَنَاءَ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا فَفَتَنَ أَهْلَ مَكَّةَ بِحَسَنِ وَجْهِهِ

(١) أَيْلَة: فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، حَاطَهَا اللَّهُ، مِنْ مِصْرَ، وَهِيَ أَوَّلُ حَدِّ الْحِجَازِ، وَهِيَ مَدِينَةُ جَلِيلَةَ الْقَدَرِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْمَلْحِ، بِهَا يَجْتَمِعُ حَاجُ مِصْرَ وَالْمَغْرِبِ، وَبِهَا التِّجَارَةُ الْكَثِيرَةُ وَأَهْلُهَا أَخْلَاطٌ مِنَ النَّاسِ. وَاسْمُهَا بِأَيْلَة بِنْتُ مَدِينِ، قَالُوا: وَهِيَ الْقَرْيَةُ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْقُرْآنِ.

(٢) اللَّقْنُ: مُصْدَرُ لَقْنِ الشَّيْءِ يَلْقَنُهُ لَقْنًا، وَكَذَلِكَ الْكَلَامُ، وَتَلَقَّنَهُ: فَهَمَهُ. وَلَقَّنَهُ إِيَّاهُ: فَهَمَهُ. وَتَلَقَّنَتْهُ: أَخَذَتْهُ لِقَانِيَةً. وَقَدْ لَقَّنَنِي فَلَانٌ كَلَامًا تَلَقَّنَا أَيْ فَهَمَّنِي مِنْهُ مَا لَمْ أَفْهَمْ.

مع حُسن صوته، فلمَّا رأى ذلك ابن سُريج نَحَّاه عنه، وكانت بعضُ مَوَلِيَّاته تُعَلِّمُهُ
النَّيَّاحَةَ فَبَرَزَ فيها، فجاءني يوماً فقال: نَهَنُني الجنُّ أَنْ أنوحَ وأسمعتني صوتاً عجيباً،
فقد ابتنيت عليه لحناً فاسمعيه مني، واندفع فغَنَّى بصوتٍ عجيبٍ في شعر المَرَّار
الأَسديّ:

حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ مَا بَيْنَ ذِي الْغُضَا وَهَضَبِ الْقَنَانِ^(١) مِنْ عَوَانٍ وَلَا بَكْرِ
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكَ دَلًّا وَمَا نَرَى بِهِ عِنْدَ لَيْلَى مِنْ ثَوَابٍ وَلَا أَجْرِ
[الطويل]

فكذَّبناه وقلنا: شيء فكَرَّ فيه وأخرجه على هذا اللحن، فكان في كلِّ يوم
يأتينا فيقول: سمعتُ البارحة صوتاً من الجنِّ بترجيعٍ وتقطيعٍ قد بَنَيْتُ عليه صوت
كذا وكذا بشعر فلان، فلم يَزَلْ على ذلك ونحن نُنْكِرُ عليه؛ فإنَّا لكذلك ليلةً وقد
اجتمع جماعةٌ من نساء مكة في جمع لنا سَهْرنا فيه ليلتنا والغريض يُغَنِّينا بشعر
عمر بن أبي ربيعة:

أَمِنْ آلِ زَيْنَبَ جَدَّ الْبُكُورُ نَعَمْ فَلَايِي هَوَاهَا تَصِيرُ
[المقارب]

إذ سمعنا في بعض الليل عَزِيفاً^(٢) عجيباً وأصواتاً مختلفةً دَعَرْتَنَا وأفَرَعْتَنَا، فقال
لنا الغريضُ: إِنَّ في هذه الأصوات صوتاً إذا نِمْتُ سمعْتُهُ، وأصبح فأبني عليه غِنائي،
فأصغينا إليه فإذا نَعَمْتُهُ نَغْمَةُ الغريض بعينها فصدَّقناه تلك الليلة.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

حلفت لها..... البيتان

عروضه من الطويل. غَنَّاه الغريضُ ولحنه من الثقيل الأوَّل بالوسطى عن حَبَشٍ.
قال: وَلِعَلَّوَيْهَ فيه ثَقِيلٌ أَوَّلٌ آخِرٌ بِالْبَنْصَرِ. ومنها:

(١) القنان: جبل لبني أسد فيه ماء يدعى العسيلة.

(٢) العزيفُ: صوت الرَّمال إذا هَبَّتْ بها الرِّيح. وعَزَفُ الرِّيح: أصواتها. وأَعَزَفَ: سمع عَزِيفَ
الرِّيح والرَّمال. وعَزِيفُ الرِّيح: ما يسمع من دَوِيِّها. والعَزَفُ والعَزِيفُ: صوت في الرمل لا
يُدْرَى ما هو، وقيل: هو وَقُوعُ بَعْضِهِ على بعض. ورمل عازِفٌ وعَزَافٌ: مُصَوِّت.

صوت

أَمِنْ آلِ زَيْنَبَ جَدَّ الْبُكُورُ نَعَمْ فَلَايِي هَوَاهَا تَصِيرُ
أَبَالِغُورٍ أَمْ أَنْجَدَتْ^(١) دَارُهَا وَكَانَتْ قَدِيمًا بَعْهَدِي تَغُورُ
نَظَرْتُ بِخَفِيفٍ مِنِّي نَظْرَةً إِلَيْهَا فَكَادَ فُؤَادِي يَطِيرُ
هِيَ الشَّمْسُ تَسْرِي بِهَا بَغْلَةً وَمَا خِلْتُ شَمْسًا بِلِيلٍ تَسِيرُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّكَ مُسْتَشْرِفٌ وَأَنَّ عَدُوَّكَ حَوْلِي حُضُورُ

[المتقارب]

عروضه من المتقارب . الشعر للتُمَيْرِيّ ، وقيل : إنه ليزيد بن معاوية . والغناء لسياط خفيف ثَقِيلٍ أَوَّلٍ بالوسطى عن عمرو . ولابن سُرَيْجٍ فيه خفيفٌ ثَقِيلٌ بالوسطى ، أوله :

هِيَ الشَّمْسُ تَسْرِي بِهَا بَغْلَةً

وفيه للغريض ثاني ثَقِيلٍ بِالْبِنْصَرِ عن الهشاميِّ وحمّاد ، وذكر غيرهما أنه لابن جامع . وذكر حَبَشٌ أن فيها لابن مُحَرِّزٍ ثَقِيلًا أَوَّلٍ بِالْبِنْصَرِ .

[سكينة والغريض وعمر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قال : أبو عبد الله مُصْعَبُ الزُّبَيْرِيِّ : اجتمع نِسْوَةٌ فَذَكَرَنَ عمر بن أبي ربيعة وشِعْرَهُ وَظَرْفَهُ وَحُسْنَ مَجْلِسِهِ وَحَدِيثَهُ وَتَشَوُّقَنَ إِلَيْهِ وَتَمَنِّيَنَهُ ؛ فَقَالَتْ سُكَيْنَةُ : أَنَا لَكُنَّ بِهِ ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ رَسُولًا وَوَعَدَتْهُ الصُّورَيْنِ^(٢) لَلَّيْلَةِ سَمَّتَهَا ، فَوَافَاها عَلَى رَوَاحِلِهِ وَمَعَهُ الْغَرِيضُ ، فَحَدَّثَهُنَّ حَتَّى وَافَى الْفَجْرُ وَحَانَ انْصِرَافُهُنَّ ، فَقَالَ لَهُنَّ : إِنِّي وَاللَّهِ لَمَشْتَاقٌ إِلَى زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِهِ ، وَلَكِنْ لَا أَخْلِطُ بِزِيَارَتِكُنَّ شَيْئًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى مَكَّةَ وَقَالَ :

أَلِمِمْ بِزَيْنَبَ إِنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا^(٣) قَلَّ الثَّوَاءُ لَئِنْ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا

[البسيط]

(١) النَّجْدُ ، وهو الطريق في الجبل . والنَّجْدُ : ما خالف الغُورَ ، والجمع نجود . ونَجْدٌ : من بلاد العرب ما كان فوق العالية والعالية ، ما كان فوق نَجْدٍ إِلَى أَرْضِ تِهَامَةٍ إِلَى مَا وَرَاءَ مَكَّةَ ، فَمَا كَانَ دُونَ ذَلِكَ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ ، فَهُوَ نَجْدُ .

(٢) الصُّوران : موضع بالمدينة بالبقيع .

(٣) يقال : أَفْدَ الْأَمْرَ يَأْفِدُ أَفْدًا إِذَا دَنَا وَأَسْرَعَ ، وَالْأَفْدُ الْعَجَلَةُ ، وَقَدْ أَفْدَ تَرَحُّلُنَا وَاسْتَأْفَدَ أَيُّ دَنَا وَعَجَلَ . وَقَالَ النَّضْرُ : أَسْرَعُوا فَقَدْ أَفْدَتُمْ أَيُّ أَبْطَأْتُمْ . وَالْأَفْدَةُ : التَّأْخِيرُ . ابْنُ السَّكَيْتِ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ : امْرَأَةٌ أَفْدَةٌ أَيُّ عَجَلَةٌ .

قال: وانصرف عمر بالغريض معه، فلما كان بمكة قال عمر: يا غريض، إنني أريد أن أخبرك بشيء يتعجل لك نفعه ويبقي لك ذكره، فهل لك فيه؟ قال: افعل من ذلك ما شئت وما أنت أهله، قال: إنني قد قلت في هذه الليلة التي كُنَّا فيها شعراً فامض به إلى النسوة فأنشدن ذلك وأخبرنني أنني وجهت بك فيه قاصداً^(١)؛ قال: نعم، فحمل الغريض الشعر ورجع إلى المدينة فقصد سكينه وقال لها: جعلت فداك يا سيدي ومولاتي، إن أبا الخطاب - أبقاه الله - وجهني إليك قاصداً، فقالت: أو ليس في خير وسرور تركته؟ قال: نعم؛ قالت: وفيم وجهك أبو الخطاب حفظه الله؟ قال: جعلت فداك، إن ابن أبي ربيعة حملني شعراً وأمرني أن أنشدك إياه؛ قالت: فهاته، قال: فأنشدها:

أَلِمَ بِزَيْنَبَ إِنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا قَلَّ الثَّوَاءُ لَئِنْ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا
[البسيط]

الشعر كله، قالت: فيا ويحه! فما كان عليه ألا يرحل في غده! فوجهت إلى النسوة فجمعتهن وأنشدتهن الشعر، وقالت للغريض: هل عملت فيه شيئاً؟ قال: قد غنيت ابن أبي ربيعة؛ قالت: فهاته، فغننا الغريض؛ فقالت سكينه: أحسنت والله وأحسن ابن أبي ربيعة، لولا أنك سبقت غنيتي عمر قبلنا لأحسننا جائزتك، يا بنانة، أعطيه بكل بيت ألف درهم، فأخرجت إليه بنانة أربعة آلاف درهم فدفعتها إليه؛ وقالت سكينه: لو زادنا عمر لزدناك.

نسبة هذا الغناء

صوت

أَلِمَ بِزَيْنَبَ إِنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا قَلَّ الثَّوَاءُ لَئِنْ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا
قَدْ حَلَقْتُ لَيْلَةَ الصُّورَيْنِ جَاهِدَةً وَمَا عَلَى الْحُرِّ إِلَّا الصَّبْرُ مُجْتَهِدَا
لِأَخْتِهَا وَلَا أُخْرَى مِنْ مَنَاصِفِهَا^(٢) لَقَدْ وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي وَجَدَا
لَعَمْرُهَا مَا أَرَانِي إِنْ نَوَى^(٣) نَزَحْتُ^(٤) وَهَكَذَا الْحُبُّ إِلَّا مَيِّتًا كَمَدَا
[البسيط]

(١) قاصداً: عامداً.

(٢) المُنَصَّفُ، كَمَقْعَدٍ وَمُنْبَرٍ كِلَاهُمَا عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ: الْخَادِمُ، وَوَأَفَقَهُ الْأَصْمَعِيُّ عَلَى الْكَسْرِ.

(٣) النوى: الدار.

(٤) نزحت: بعدت.

عروضه من البسيط. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج، وله فيه لحنان: أحدهما رَمَلٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، والآخر خفيف رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لحنٌ للغريض خفيفٌ ثقيل بالبنصر عن الهشامي وحمّاد، وذكر عمرو: أنه لمالك، أوله الرابع ثم الأول، ومن الناس من ينسب هذا إلى معبد، وأوله:

يَا أُمَّ طَلْحَةَ إِنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا
وذلك خطأ، اللحن الذي عمله معبد غير هذا هو:

صوت

يَا أُمَّ طَلْحَةَ إِنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا قَلَّ الثَّوَاءُ لئن كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا
أَمْسَى الْعِرَاقِيُّ لَا يَدْرِي إِذَا بَرَزَتْ مَنْ ذَا تَطَوَّفَ بِالْأَرْكَانِ أَوْ سَجَدَا
[البسيط]

عروضه من البسيط. الشعر للأخوص، ويقال: إنه لعمر أيضاً. والغناء لمعبد، ولحنه من الثقيل الأول بالبنصر عن عمرو والهشامي.

[غنى عائشة بنت طلحة فأجزلت صلتها]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلام قال: حجّت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله فجاءتها الثريا وأخواتها ونساء أهل مكة القرشيات وغيرهن، وكان الغريض فيمن جاء، فدخل النسوة عليها فأمرت لهنّ بكسوة والطف كانت قد أعدتها لمن يجيئها، فجعلت تخرج كلّ واحدة ومعها جاريئها ومعها ما أمرت لها به عائشة والغريض بالباب حتى خرج موليّاتها مع جواريهنّ الخلع والألطف؛ فقال الغريض: فأين نصيبي من عائشة؟ فقلن له: أغفلناك وذهبت عن قلوبنا؛ فقال: ما أنا ببارح من بابها أو آخذ بحظي منها فإنها كريمة بنت كرام، واندفع يُعَنِّي بشعر جميل:

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى فَالْفُؤَادُ عَمِيدٌ^(١) وَشَطَطَتْ نَوَاهَا فَالْمَزَارُ بَعِيدٌ
[الطويل]

فقالت: ويلكم! هذا مولى العَبَلات بالباب يُذَكِّرُ بنفسه هاتوه، فدخل، فلمّا رآته ضَحِكَتْ وقالت: لم أعلم بمكانك، ثم دعت له بأشياء أمرت له بها، ثم قالت له: إن

(١) العميد: المعمود الذي لا يستطيع الجلوس من مرضه حتى يُعَمَدَ بالوسائد. ومنه اشتق القلب العميد وهو المعمود المشغوف الذي قد هدّه العشق وكسره فصار كشيء عُمدَ بشيء.

أَنْتَ عَنَيْتَنِي صَوْتًا فِي نَفْسِي فَلَمْ يَكُنْ كَذَا وَكَذَا (شَيْءٌ سَمَّيْتَهُ لَهُ ذَهَبٌ عَنْ ابْنِ سَلَامٍ) قَالَ :
فَعَنَّاها فِي شَعْرٍ كَثِيرٍ :

وَمَا زِلْتُ مِنْ لَيْلَى لَدُنْ طَرٍّ^(١) شَارِبِي إِلَى الْيَوْمِ أَخْفِي حُبَّهَا وَأَدَاغِنُ^(٢)
وَأَحْمِلُ فِي لَيْلَى لِقَوْمٍ ضَغِينَةً وَتُحْمَلُ فِي لَيْلَى عَلَى الضَّغَائِنِ
[الطويل]

فَقَالَتْ لَهُ : مَا عَدَوْتُ مَا فِي نَفْسِي ، وَوَصَلَّتْهُ فَأَجْزَلَتْ . قَالَ إِسْحَاقُ : فَقُلْتُ
لَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ : وَهَلْ عَلِمْتَ حَدِيثَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ؟ وَلَمْ سَأَلْتَ الْغَرِيصَ ذَلِكَ ؟ قَالَ :
نَعَمْ .

[الشعبي عند مصعب وزوجه عائشة]

حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : قَالَ الشَّعْبِيُّ : دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا أَنَا بِمُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى
سَرِيرٍ جَالِسٍ وَالنَّاسُ عِنْدَهُ ، فَسَلَّمْتُ ثُمَّ ذَهَبْتُ لِأَنْصَرِفَ ، فَقَالَ لِي : ادْنُ ، فَدَنَوْتُ حَتَّى
وَضَعْتُ يَدِي عَلَى مِرْفَاقِهِ^(٣) ، ثُمَّ قَالَ : إِذَا قُمْتُ فَاتَّبِعْنِي ، فَجَلَسَ قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضَ فَتَوَجَّهَ
نَحْوَ دَارِ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ فَتَبِعْتُهُ ، فَلَمَّا طَعَنَ^(٤) فِي الدَّارِ التَّفْتُ إِلَى فَقَالَ : ادْخُلْ ،
فَدَخَلْتُ مَعَهُ وَمَضَى نَحْوَ حُجْرَتِهِ وَتَبِعْتُهُ ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ : ادْخُلْ ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ ، فَإِذَا
حَجَلَةٌ^(٥) ، وَإِنَّهَا لِأَوَّلِ حَجَلَةٍ رَأَيْتُهَا لِأَمِيرٍ ، فَقُمْتُ وَدَخَلْتُ الْحَجَلَةَ فَسَمِعْتُ حَرَكَةً ،
فَكَرِهْتُ الْجُلُوسَ وَلَمْ يَأْمُرْنِي بِالْأَنْصَرَفِ ، فَإِذَا جَارِيَةٌ قَدْ خَرَجَتْ فَقَالَتْ : يَا شَعْبِيُّ ،
إِنَّ الْأَمِيرَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْلِسَ ، فَجَلَسْتُ عَلَى وَسَادَةٍ وَرُفِعَ سَجْفٌ^(٦) الْحَجَلَةَ ، فَإِذَا أَنَا
بِمُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَرُفِعَ السَّجْفُ الْآخِرُ فَإِذَا أَنَا بِعَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ ، قَالَ : فَلَمْ أَرِ
زَوْجًا قَطُّ كَانَ أَجْمَلَ مِنْهُمَا : مُصْعَبٌ وَعَائِشَةُ ، فَقَالَ مُصْعَبُ : يَا شَعْبِيُّ ، هَلْ تَعْرِفُ

(١) طَرٌّ : نَبْتُ وَطْلَع .

(٢) الدَّجْنُ : ظِلُّ الْغَيْمِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ . ابْنُ سَيِّدِهِ : الدَّجْنُ : الْبَاسُ الْغَيْمِ الْأَرْضَ ، وَقِيلَ : هُوَ الْبَاسُ
أَقْطَارَ السَّمَاءِ ، وَالْجَمْعُ أَذْجَانُ وَدُجُونُ وَدِجَانُ .

(٣) الْمِرْفَقُ : الْمُتَكِّأُ وَالْمِخْدَةُ . وَقَدْ تَرَفَّقَ عَلَيْهِ وَارْتَفَقَ : تَوَكَّأَ ، وَقَدْ تَمَرَّفَقَ إِذَا أَخَذَ مِرْفَقَةً . وَبَاتَ فُلَانٌ
مُرْتَفِقًا أَيَّ مُتَكِّئًا عَلَى مِرْفَقِ يَدِهِ .

(٤) طَعَنَ فِي الدَّارِ : ذَهَبَ وَسَارَ .

(٥) الْحَجَلَةُ : مُحَرَّكَةٌ : كَالْقُبَّةِ كَمَا فِي الْمُحْكَمِ . وَمَوْضِعٌ يُزَيْنُ بِالْثِّيَابِ وَالسُّتُورِ وَالْأَسِرَّةِ لِلْعُرُوسِ ، ج :
حَجَلٌ بِحَذْفِ الْهَاءِ .

(٦) السَّجْفَانِ : سِتْرَانِ بَابِ الْحَجَلَةِ ، وَكُلُّ بَالٍ يَسْتُرُهُ سِتْرَانِ مَسْقُوقٌ بَيْنَهُمَا ، فَكُلُّ شَيْءٍ سَجْفٌ ، وَكَذَلِكَ
سَجْفَا الْخَبَاءِ ، وَشَمِّيْ خَلْفَ الْبَابِ سَجْفًا ، وَالسَّجْفُ وَالتَّسْجِيفُ : إِرخَاءُ السَّجْفَيْنِ .

هذه؟ فقلت: نعم أصلح الله الأمير، قال: ومن هي؟ قلت: سيدة نساء المسلمين عائشة بنت طلحة؛ قال: لا، ولكن هذه ليلي التي يقول فيها الشاعر:

وَمَا زِلْتُ مِنْ لَيْلَى لَدُنْ طَرٍّ شَارِبِي

وذكر البيتين. ثم قال: إذا شئت فقم، فقمْتُ. فلما كان العشي رُحْتُ وإذا هو جالس على سريريه في المسجد فسلمْتُ، فلما رآني قال لي: اذنُ، فدنوت حتى وضعتُ يدي على مرافقه، فأصغى^(١) إليّ فقال: هل رأيت مثل ذلك لإنسانٍ قط؟ قلت: لا والله؛ قال: أفتدري لم أدخلناك؟ قلتُ: لا، قال: لتحدث بما رأيت. ثم التفت إلى عبد الله بن أبي فروة فقال: أعطه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوباً، فما انصرف يومئذٍ أحدٌ بمثل ما انصرفْتُ به، بعشرة آلاف درهم وبمثل كارة^(٢) القصار ثياباً وبنظرة من عائشة بنت طلحة.

[عائشة بنت طلحة وأزواجها]

قال: وكانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وكان أبا عذرتها^(٣) ثم هلك، فتزوجها مصعب فقُتِلَ عنها، ثم تزوجها عمر بن عبيد الله بن معمر فبنى بها بالحيرة، ومهدت له يوم عرسه فرش لم ير مثلاً: سبُعُ أذرع في عرض أربع، فانصرف تلك الليلة عن سبع مرات؛ فلقيته مولاة لها حين أصبح فقالت: يا أبا حفص، كملت في كل شيء حتى في هذا. فلما مات ناحته عليه وهي قائمة، ولم تنح على أحد منهم قائمة - وكانت العرب إذا ناحت المرأة قائمة على زوجها علم أنها لا تريد أن تتزوج بعده - ف قيل لها: يا عائشة، ما صنعتِ هذا بأحد من أزواجك! قالت: إنه كان فيه خلال ثلاث لم تكن في أحد منهم: كان سيّد بني تميم، وكان أقرب القوم بي قرابة، وأردت ألا أتزوج بعده.

وأخبرني بخبر مصعب والشعبي وعائشة أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: أخبرنا محمد بن الحكم عن عوانة قال: خرج

(١) صغوت إلى فلان، وصغا فؤادي إليه. وصغوي معه، وصغت النجوم: مالت للغروب، وهن صواغ. وأصغى الإناء للهرة: أماله. وأصغت الخيل جحافلها للشرب. وأصغى برأسه: أمال رأسه.

(٢) كَوَّرَ المَتَاعَ تكويراً: جمعه وشده، وقيل: ألقى بعضه على بعض، ومنه الكارة، عِكم الثياب، وكذا كارة القصّار، لكونه يُكَوِّرُ ثيابه في ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها على بعض. كَوَّرَ الرَّجُلُ تكويراً: طعنه فألقاه مُجْتَمِعاً.

(٣) العذرة: البكارة، ويقصد الكاتب أنه أول من دخل عليها.

مصعب بن الزُّبَيْر من دار الإمارة يريد دارَ موسى بن طلحة، فمرَّ بالمسجد فأخذ بيد الشَّعْبِيَّ. ثم ذكر باقيَ الحديث مثله، ولم يذكر شيئاً من حديث المُعَنِّين. قال ابن عمَّار: وأخبرني به داود بن جميل بن محمد بن جميل الكاتب عن ابن الأعرابي: قال ابن عمَّار: وأخبرني به أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني أنَّ الشَّعْبِيَّ قال: دَخَلْتُ المسجدَ وفيه مصعب بن الزُّبَيْر فاستدنانني فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه، فأصغى إليَّ وقال: إذا قُمْتُ فاتبعني. ثم ذكر باقيَ الحديث أيضاً مثل الذي تقدّمه.

نسبة هذا الصوت

صوت

وَمَا زِلْتُ مِنْ لَيْلَى لَدُن طَرِّ شَارِبِي إِلَى الْيَوْمِ أَخْفَى حُبَّهَا وَأُدَاجُنُ
وَأَحْمِلُ فِي لَيْلَى ضَغَائِنَ مَعْشَرٍ وَتُحْمَلُ فِي لَيْلَى عَلَيَّ الضَّغَائِنُ
[الطويل]

عروضه من الطويل. والشعر لكثير بن عبد الرحمن. والغناء لمعبد ثقل أول بالبنصر عن حبش. وفيه لحن للغريص.

[كان إذا غنى بشعر لكثير قال: أنا سريجي]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: كان الغريص إذا غنى بيتين لكثير قال: أنا السُّرَيْجِي حقاً، ولم يكن يقول ذلك في شيء من غنائه وكان من جيد غنائه.

[قدم يزيد مكة فغناه الغريص]

وقدّم يزيد بن عبد الملك مكة فبعث إلى الغريص سرّاً فاتاه فغناه بهذا اللحن [وهو فيهما]^(١):

وَإِنِّي لَأَرَعَى قَوْمَهَا مِنْ جَلَالِهَا وَإِنْ أَظْهَرُوا غِشًّا نَصَحْتُ لَهُمْ جَهْدِي
وَلَوْ حَارَبُوا قَوْمِي لَكُنْتُ لِقَوْمِهَا صَدِيقًا وَلَمْ أَحْمِلْ عَلَى قَوْمِهَا حَقْدِي
[الطويل]

فأشير إلى الغريص أن اسكُت؛ وفطن يزيد فقال: دعوا أبا يزيد حتى يُعَنِّيَ بما

(١) لم ترد هذه العبارة في جميع النسخ.

يُريدُ، فأعاد عليه الصوتَ مراراً، ثم قال: زِدْنِي مِمَّا عِنْدَكَ فَعَنَّاهُ بِشَعْرِ عَمْرُو بْنِ شَأْسِ الْأَسَدِيِّ^(١):

فَوَانَدَمِي عَلَى الشَّبَابِ وَوَنَدَمَ نَدِمْتُ وَبَانَ الْيَوْمَ مِنِّي بِغَيْرِ دَمٍ
أَرَادَتْ عِرَاراً بِالْهَوَانِ وَمَنْ يُرِدْ عِرَاراً لَعَمْرِي بِالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمَ
[الطويل]

قال: فَطَرَبَ يَزِيدُ وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ. قَالَ إِسْحَاقُ: فَحَدَّثْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ هَذَا الْحَدِيثَ. وَقَدْ أَخَذْنَا فِي أَحَادِيثِ الْخُلَفَاءِ وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ يَسْمَعُ الْغَنَاءَ أَيْضاً، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: كَانَ قَدُومُ يَزِيدٍ مَكَّةَ وَبَعَثْتُهُ إِلَى الْغَرِيضِ سِرّاً قَبْلَ أَنْ يُسْتَخْلَفَ، فَقُلْتُ لَهُ: فَلِمَ أَشِيرَ إِلَى الْغَرِيضِ أَنْ يَسْكُتَ حِينَ غَنَّاهُ بِشَعْرِ كَثِيرٍ:

وَإِنِّي لَأَرَعَى قَوْمَهَا مِنْ جَلَالِهَا
وَمَا السَّبَبُ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: أَنَا أَحَدُكُمْ:

[عندما تتدخل المرأة في شؤون زوجها]

حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ حُبّاً لِعَاتِكَةِ امْرَأَتِهِ، وَهِيَ ابْنَةُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَأُمُّهَا أُمُّ كُلْثُومَ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ، وَهِيَ أُمُّ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَغَضِبَتْ مَرَّةً عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَانَ بَيْنَهُمَا بَابٌ فَحَجَبَتْهُ وَأَغْلَقَتْ ذَلِكَ الْبَابَ، فَشَقَّ غَضَبُهَا عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَشَكَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ خَاصَّتِهِ يَقَالُ لَهُ: عَمْرُ بْنُ بِلَالٍ الْأَسَدِيُّ، فَقَالَ لَهُ: مَا لِي عِنْدَكَ إِنْ رَضِيتَ؟ قَالَ: حُكْمُكَ. فَأَتَى عَمْرُ بَابَهَا وَجَعَلَ يَتَبَاكَى، وَأَرْسَلَ إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ حَاضِنَتُهَا وَمَوَالِيهَا وَجَوَارِيهَا، فَقُلْنَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: فَرِغْتُ إِلَى عَاتِكَةِ وَرَجَوْتُهَا، فَقَدْ عَلِمْتُ مَكَانِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَاوِيَةَ وَمِنْ أَبِيهَا بَعْدَهُ، قُلْنَ: وَمَا لَكَ؟ قَالَ: ابْنَايَ لَمْ يَكُنْ لِي غَيْرُهُمَا فَقَتَلَهُمَا أَحَدُهُمَا صَاحِبُهُ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: أَنَا قَاتِلُ الْآخِرِ بِهِ، فَقُلْتُ: أَنَا الْوَلِيُّ وَقَدْ عَفَوْتُ؛ قَالَ: لَا أَعُودُ النَّاسَ هَذِهِ الْعَادَةَ، فَرجوتُ أَنْ يُنَجِّيَ اللَّهُ ابْنِي هَذَا عَلَى يَدِهَا؛ فَدَخَلْنَ عَلَيْهَا فَذَكَرْنَ ذَلِكَ لَهَا؛ فَقَالَتْ: وَكَيْفَ أَصْنَعُ مَعَ غَضَبِي عَلَيْهِ وَمَا أَظْهَرْتُ لَهُ؟ قُلْنَ: إِذَا وَاللَّهِ يُقْتَلُ، فَلَمْ يَزَلْنَ حَتَّى دَعَتْ بَنِيهَا فَأَجْمَرَتْهُمَا^(٢) ثُمَّ خَرَجَتْ نَحْوَ الْبَابِ، فَأَقْبَلَ حَدِيحٌ

(١) عَمْرُو بْنُ شَأْسِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْأَسَدِيِّ، أَبُو عِرَارٍ. شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ مَخْضَرٌ، أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَأَسْلَمَ، عَدَّهُ الْجُمْحِيُّ فِي الطَّبَقَةِ الْعَاشِرَةِ مِنْ فُحُولِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَالَ: كَثِيرُ الشَّعْرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، أَكْثَرُ أَهْلِ طَبَقَتِهِ شَعْرًا، تَوَفِيَ سَنَةَ ٢٠ لِلْهِجْرَةِ.

(٢) أَجْمَرَتْهَا: بَخَرَتْهَا.

الْخَصِي، قال: يا أمير المؤمنين: هذه عاتكة قد أقبلت؛ قال: ويلك! ما تقول؟ قال: قد والله طلعت! فأقبلت وسلمت فلم يردها عليها، فقالت: أما والله لولا عمر ما جئت، إن أحد ابنيه تعدى على الآخر فقتله فأردت قتل الآخر وهو الولي وقد عفا؛ قال: إني أكره أن أعوذ الناس هذه العادة؛ قالت: أنشدك الله يا أمير المؤمنين، فقد عرفت مكانه من أمير المؤمنين معاوية ومن أمير المؤمنين يزيد، وهو ببابي؛ فلم تزل به حتى أخذت برجله فقبلتها؛ فقال: هو لك، ولم يبرحها حتى اصطلحها؛ ثم راح عمر بن بلال إلى عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، كيف رأيت؟ قال: رأينا أثرك، فهات حاجتك؛ قال: مزرعة بعدتها وما فيها، وألف دينار وفرائض لولدي وأهل بيتي وعيالي؛ قال: ذلك لك. ثم اندفع عبد الملك يتمثل بشعر كثير:

وإني لأرعى قومها من جلالها

البيتين؛ فعلمت عاتكة ما أراد. فلما غني يزيد بهذا الشعر كرهته مواليه إذ كان عبد الملك تمثل به في أمه، ولم يكرهه يزيد وقال: لو قيل هذا الشعر فيها ثم غني به لما كان عيباً، فكيف وإنما هو مثل تمثل به أمير المؤمنين في أجمل العالمين!

[رأس ابن الأشعث وعبد الملك]

قال أبو عبد الملك: وأما خبره لما غنى بشعر عمرو بن شأس، فإن ابن الأشعث لما قتل بعث الحجاج إلى عبد الملك برأسه مع عرار بن عمرو بن شأس، فلما ورد به وأوصل كتاب الحجاج جعل عبد الملك يقرأه، فكلما شك في شيء سأل عراراً عنه فأخبره، فعجب عبد الملك من بيانه وفصاحته مع سواده، فقال متمثلاً:

وإن عراراً إن يكن غير واضح

[الطويل]

فضحك عرار من قوله ضحكاً غاظ عبد الملك؛ فقال له: مم ضحكت ويلك! قال: أتعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر؟ قال: لا؛ قال: فأنا والله هو؛ فضحك عبد الملك وقال: حظ وافق كلمة، ثم أحسن جائزته وسرّحه.

قال أبو عبد الله: وإنما أراد الغريص أن يغني يزيد بتمثلات عبد الملك في الأمور العظام، فلما تبين كراهة مواليه غناه فيما تمثل به في عاتكة أراد أن يعقبه ما تمثل به في فتح عظيم كان لعبد الملك، فغنّاه بشعر عمرو بن شأس في عرار.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

وَإِنِّي لَأَرَعَى قَوْمَهَا مِنْ جَلَالِهَا وَإِنْ أَظْهَرُوا غِشًّا نَصَحْتُ لَهُمْ جَهْدِي
وَلَوْ حَارَبُوا قَوْمِي لَكُنْتُ لِقَوْمِهَا صَدِيقًا وَلَمْ أَحْمِلْ عَلَى قَوْمِهَا حِقْدِي
[الطويل]

عروضه من الطويل. الشعر لكثير. والغناء للغريض ثاني ثقیل بالسبابة في مجرى
البنصر عن إسحاق. وذكر حبش أن فيه لقفا النجار ثاني ثقیل بالوسطى، وفيه لعلوئه
ثقیل أول.

[خرج إليه معبد بمكة وسمع غناءه]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: حدثني إبراهيم عن يونس
الكاتب قال: حدثني معبد قال: خرجت إلى مكة في طلب لقاء الغريض وقد بلغني
حسن غنائه في لحنه:

وَمَا أُنَسِّمُ الْأَشْيَاءَ لَا أُنَسِّ شَادِنًا بِمَكَّةَ مَكْحُولًا أَسِيلًا مَدَامِعُهُ^(١)
[الطويل]

وقد كان بلغني أنه أول لحن صنعه وأن الجن نهته أن يغنيه لأنه فتن طائفة منهم،
فانتقلوا عن مكة من أجل حسنه، فلما قدمت مكة سألت عنه فدللت على منزله، فأتيته
فقرعت الباب فما كلمني أحد، فسألت بعض الجيران فقلت: هل في الدار أحد؟ قالوا
لي: نعم، فيها الغريض، فقلت: إني قد أكثرت دق الباب، فما أجابني أحد! قالوا:
إن الغريض هناك، فرجعت فدققت الباب فلم يجبني أحد، فقلت: إن نفعتي غنائتي
يوماً نفعتي اليوم، فاندفعت فغئت لحن في شعر جميل:

عَلِقْتُ الْهَوَى مِنْهَا وَلَيْدًا فَلَمْ يَزَلْ إِلَى الْيَوْمِ يَنُمِي حُبُّهَا وَيَزِيدُ
[الطويل]

(١) ينسب هذا البيت للنميري، وهو محمد بن عبد الله بن نمير بن خرشة الثقفي النميري. شاعر
غزل، من شعراء العصر الأموي، مولده ومنشؤه ووفاته في الطائف. كان كثير التشبيب بزينب
أخت الحجاج، الذي تهدده فلم يأبه له النميري، الأمر الذي دفعه إلى ملاحقته ففر إلى اليمن وأقام
بعدن مدة. ثم قصد عبد الملك بن مروان مستجيراً به، فأجاره. وعفا عنه الحجاج على ألا يعود
إلى ما كان عليه.

فوالله ما سمعتُ حركةَ الباب، فقلْتُ: بطل سحري^(١) وضاع سفري وجئتُ
أطلبُ ما هو عسيرٌ عليّ، واحتقرتُ نفسي وقلْتُ: لم يتوهَّمَنِي^(٢) لِضَعْفِ غِنَائِي عنده،
فما شَعَرْتُ إلا بصائحٍ يصيحُ: يا معبد المغني، افهم وتلقَّ عني شعر جميل الذي تُعَنِّي
فيه يا شقيَّ البخت، وُغِنِي:

للغريض ولم تذكر طريقته

صوت

وَمَا أَنَسَ مِ الْأَشْيَاءِ لَا أَنَسَ قَوْلَهَا وَقَدْ قَرَبْتُ نَضْوِي^(٣) أَمِصْرُ تُرِيدُ
وَلَا قَوْلَهَا لَوْلَا الْعُيُونُ الَّتِي تَرَى أَتَيْتُكَ فَأَعْذُرْنِي فَدَتَكَ جُدُودُ
خَلِيلِي مَا أَخْفَى مِنَ الْوَجْدِ بَاطِنُ وَدَمَعِي بِمَا قَلْتُ الْعَدَاةَ شَهِيدُ
يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بَغْزَوَةَ وَأَيَّ جِهَادٍ غَيْرُهُنَّ أُرِيدُ
لِكُلِّ حَدِيثٍ عِنْدَهُنَّ بَشَاشَةٌ وَكُلِّ فَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدُ

[الطويل]

عروضه من الطويل. قال: فَلَقَدْ سَمِعْتُ شَيْئاً لَمْ أَسْمَعْ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَقَصَّرَ^(٤) إِلَيَّ
نَفْسِي، وَعَلِمْتُ فَضِيلَتَهُ عَلَيَّ بِمَا أَحْسَنَ مِنْ نَفْسِهِ، وَقُلْتُ: إِنَّهُ لَحَرِيٌّ بِالِاسْتِتَارِ مِنَ
النَّاسِ تَنْزِيهَاً لِنَفْسِهِ وَتَعْظِيماً لِقُدْرِهِ، وَإِنَّ مِثْلَهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْإِبْتِدَالَ، وَلَا أَنْ تَتَدَاوَلَهُ
الرِّجَالُ، فَأَرَدْتُ الْإِنْصِرَافَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَاجِعاً، فَلَمَّا كُنْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ إِذَا بِصَائِحٍ يَصِيحُ
بِي: يَا مَعْبَد، أَنْتَظِرْ أَكْلَمَكَ، فَرَجِعْتُ، فَقَالَ لِي: إِنَّ الْغَرِيضَ يَدْعُوكَ؛ فَأَسْرَعْتُ فَرِحاً
فَدَنَوْتُ مِنَ الْبَابِ؛ فَقَالَ لِي: أَتَحِبُّ الدَّخُولَ؟ فَقُلْتُ: وَهَلْ إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ؟ فَقَرَعَ
الْبَابَ فَفَتَحَ، فَقَالَ لِي: ادْخُلْ وَلَا تُطِلِ الْجُلُوسَ؛ فَدَخَلْتُ فَإِذَا شَمْسٌ طَالِعَةٌ فِي بَيْتٍ،
فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: اجْلِسْ فَجَلَسْتُ، فَإِذَا أَنْبَلُ النَّاسِ وَأَحْسَنُهُمْ وَجْهاً وَخُلُقاً
وَخُلُقاً، فَقَالَ: يَا مَعْبَد، كَيْفَ طَرَأَتْ^(٥) إِلَى مَكَّةَ؟ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! وَكَيْفَ
عَرَفْتَنِي؟ فَقَالَ: بِصَوْتِكَ؛ فَقُلْتُ: وَكَيْفَ وَأَنْتَ لَمْ تَسْمَعْهُ قَطُّ! قَالَ: لَمَّا غَنَيْتَ عَرَفْتُكَ
بِهِ وَقُلْتُ: إِنَّ كَانَ مَعْبَدٌ فِي الدُّنْيَا فَهَذَا؛ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَكَيْفَ أَجَبْتَنِي بِقَوْلِكَ:

(١) بطل سحري: يئس وضاعت حيلتي وخاب مكري.

(٢) لم يعرفني.

(٣) تقول العرب عن الضاوي من الهزال: ضَوِيَ يَضْوِي ضَوًى، وهو الذي خرج ضعيفاً.

(٤) قصر: أي صغرها في عيني.

(٥) طراً علينا فلان: جاء من بلد بعيد فجأة، وهو طارئ، وهو من الطراء، لا من التناء.

وَمَا أَنَسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا أَنَسَ قَوْلَهَا وَقَدْ قَرَّبْتُ نَضْوِي أَمِصْرَ تُرِيدُ
[الطويل]

فقال: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ أُسْمِعَكَ صَوْتِي:

وَمَا أَنَسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا أَنَسَ شَادِنًا^(١) بِمَكَّةَ مَكْحُولًا أَسِيلًا مَدَامِعُهُ
[الطويل]

ولم يكن إلى ذلك سبيلٌ لأنَّه صوتٌ قد نُهِيتُ أَنْ أَغْنِيَهُ فغَنِّيْتُكَ هذا الصوتُ جواباً لما سألتُ وَغَنِّيْتُ، فَقُلْتُ: واللَّهِ ما عدوتُ ما أَرَدْتُ، فهل لك حاجة؟ فقال لي: يا أبا عَبَاد، لولا مَلَالَةُ الْحَدِيثِ وَثَقُلُ إطالة الجلوس لاستكثرت منك، فاعذر؛ فخرَجْتُ من عنده، وإنه لأَجَلَ النَّاسِ عِنْدِي، وَرَجَعْتُ إلى المدينة فتحدَّثْتُ بِحَدِيثِهِ وَعَجِبْتُ من فطنته وقيافته^(٢)، فما رَأَيْتُ إنساناً إلا وهو أَجَلَ منه في عيني.

[خبر جميل وبشينة]

وَذَكَرْتُ جَمِيلًا وَبُشِينَةً فَقُلْتُ: لِيَتَنِي عَرَفْتُ إنساناً يُحَدِّثُنِي بِقِصَّةِ جَمِيلٍ وَخَبَرِ الشَّعْرِ، فَأَكُونُ قَدْ أَخَذْتُ بِفَضِيلَةِ الْأَمْرِ كُلِّهِ فِي الْغِنَاءِ وَالشَّعْرِ. فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ فَإِذَا الْحَدِيثُ مَشْهُورٌ، وَقِيلَ لِي: إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُخَبِّرَ بِمُشَاهَدَتِهِ فَأَتِ بَنِي حَنْظَلَةَ، فَإِنَّ فِيهِمْ شَيْخاً مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ فُلَانٌ يُخَبِّرُكَ الْخَبَرَ؛ فَأَتَيْتُ الشَّيْخَ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: نَعَمْ، بَيْنَا أَنَا فِي إِبِلِي فِي الرَّبِيعِ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ مُنْطَوٍ عَلَى رَحْلِهِ كَأَنَّهُ جَانٌّ فَسَلَّمْتُ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟ فَقُلْتُ: أَحَدُ بَنِي حَنْظَلَةَ؛ قَالَ: فَاَنْتَسِبْ، فَاَنْتَسَبْتُ حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى فَخْذِي الَّذِي أَنَا مِنْهُ؛ ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْ بَنِي عُذْرَةَ أَيْنَ نَزَلُوا؟ فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ تَرَى ذَلِكَ السَّفْحَ؟ فَإِنَّهُمْ نَزَلُوا مِنْ وَرَائِهِ؛ قَالَ: يَا أَخَا بَنِي حَنْظَلَةَ، هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ تَصْطَنَعُهُ إِلَيَّ؟ فَوَاللَّهِ لَوْ أَعْطَيْتَنِي مَا أَصْبَحْتَ تَسْوِقُ مِنْ هَذِهِ الْإِبِلِ مَا كُنْتُ بِأَشْكُرَ مِنِّي لَكَ عَلَيْهِ؛ فَقُلْتُ: نَعَمْ، وَمَنْ أَنْتَ أَوَّلًا؟ قَالَ: لَا تَسْأَلَنِي مِنْ أَنَا وَلَا أَخْبِرْكَ غَيْرَ أَنِّي رَجُلٌ بَيْنِي وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَا يَكُونُ بَيْنَ بَنِي الْعَمِ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ فَإِنَّكَ تَجِدُ الْقَوْمَ فِي مَجْلِسِهِمْ فَتُنْشِدُهُمْ^(٣) بَكْرَةً^(٤) أَدْمَاءَ^(٥) تَجَرَّ خُفْيُهَا عُفْلًا مِنَ السُّمَّةِ، فَإِنْ ذَكَرُوا لَكَ شَيْئاً فَذَكَ،

(١) شَدَنُ الصَّبِيِّ وَالْخَشْفُ يَشْدُنُ شُدُونًا، إِذَا صَلَحَ جِسْمُهُ وَتَرَعَرَ. وَيُقَالُ لِلْمَهْرِ: قَدْ شَدَنَ، فَإِذَا أَفْرَدَتِ الشَّادِنُ فَهُوَ وَلَدُ الطَّبِيَّةِ، وَطَبِيبَةُ مُشْدَنٍ يَتَّبِعُهَا شَادِنٌ. وَنَاقَةُ شَدْنِيَّةٌ إِلَى مَوْضِعٍ بِالْيَمَنِ.

(٢) قَافِ الْأَثَرِ قِيفَةً، وَاقْتِافَهُ، وَتَقَوُّفَهُ: تَتَّبَعَهُ.

(٣) تَنْشِدُهُمْ: تَسْأَلُهُمْ وَتَنَادِيهِمْ.

(٤) الْبَكْرَةُ: الْفَتِيَّةُ مِنَ الْإِبِلِ.

(٥) بِالضَّمِّ: السُّمْرَةُ. وَالْأَدْمَةُ أَيْضًا: الْوَسِيلَةُ إِلَى الشَّيْءِ. وَالْأَدَمُ مِنَ النَّاسِ: الْأَسْمَرُ، وَالْجَمْعُ أَدْمَانٌ.

وإلا استأذنتهم في البيوت وقُلْتُ: إِنَّ المرأةَ والصبيَّ قد يريان ما لا يرى الرجالُ، فتَنشدهم ولا تدع أحداً تصيبه عينك ولا بيتاً من بيوتهم إلا نشدتها فيه؛ فَأَتَيْتُ القومَ فإذا هم على جَزُورٍ^(١) يقتسمونها، فَسَلَّمْتُ وانتسبتُ لهم ونَشَدتهم ضالَّتِي، فلم يذكروا لي شيئاً؛ فاستأذنتهم في البيوت وقُلْتُ: إِنَّ الصبيَّ والمرأةَ يريان ما لا ترى الرجالُ، فَأَتَيْتُ أقصاها بيتاً ثم استقريتها بيتاً بيتاً أَنشدُهم فلا يذكرون شيئاً، حتى إذا انتصف النهارُ وآذاني حَرُّ الشمسِ وعَطِشْتُ وَفَرَعْتُ من البيوت وذهبتُ لأنصرف حائِثُ مني التفاتةً فإذا بثلاثةَ أبيات، فقلت: ما عند هؤلاء إلا ما عند غيرهم، ثم قُلْتُ لنفسي: سوءة! وَثَقَّ بي رجلٌ وزعم أن حاجته تعدل مالي ثم آتته فأقول: عَجِزْتُ عن ثلاثة أبيات! فانصرفتُ عامداً إلى أعظمها بيتاً، فإذا هو قد أرخى مُؤَخَّرَه ومقدَّمه، فَسَلَّمْتُ فردَّ عليَّ السلام، وذكرْتُ ضالَّتِي، فقالت جاريةٌ منهم: يا عبد الله، قد أصبت ضالَّتكَ وما أظنك إلا قد اشتد عليك الحرُّ واشتهيتَ الشراب، قُلْتُ: أَجَلْ، قالت: ادخل، فَدَخَلْتُ فَأَتَنِي بصحفة^(٢) فيها تمرٌ من تمرِ هجر، وَقَدَحَ فيه لبنٌ، والصحفةُ مصريَّةٌ مَقْضُضَةٌ والقَدَحُ مَقْضُضٌ لم أرَ إناءً قَطُّ أحسن منه، فقالت: دونك، فَتَجَمَّعْتُ وشَرِبْتُ من اللبن حتى رَوَيْتُ، ثم قُلْتُ: يا أمة الله، والله ما أَتَيْتُ اليومَ أكرم منك ولا أحقَّ بالفضل، فهل ذكرتِ من ضالَّتِي شيئاً؟ فقالت: هل ترى هذه الشجرة فوق الشرف^(٣)؟ قُلْتُ: نعم؛ قالت: فَإِنَّ الشمسَ غَرَبَتْ أمس وهي تُطِيفُ حولها ثم حال الليل بيني وبينها؛ فَقُمْتُ وجزيتها الخيرَ وقلت: والله لقد تغدَّيتُ ورويتُ! فخرجتُ حتى أَتَيْتُ الشجرةَ فأطَفْتُ بها، فوالله ما رأيتُ من أثر، فَأَتَيْتُ صاحبي فإذا هو مُتَشَبِّحٌ في الإبل بكسائه ورافعٌ عقيرته^(٤) يُعْنِي، قلت: السلام عليك؛ قال: وعليك السلام ما وراءك؟ قُلْتُ: ما ورائي من شيء؛ قال: لا عليك! فأخبرني بما فعلت، فاقْتَصَصْتُ عليه القصة حتى انتهيتُ إلى ذكر المرأة وأخبرته بالذي صنعتُ؛ فقال: قد أصَبْتَ طَلَبَتَكَ؛ فعجبتُ من قوله وأنا لم أجد شيئاً، ثم سألني عن صفة الإناءين: الصَّحْفَةُ والقَدَحُ فوصفتُهما له، فتنفس الصُّعداء وقال: قد أصَبْتَ

وآدمُ عليه السلام: أبو البشر. قال الأصمعي: والأدُمُ من الأطباء بيضُ تعلوهن جُدَدٌ، فيهن غُبَرَةٌ، تسكن الجبال.

(١) رجل جَزُورٌ أي سمين، وكلُّ ما كان ثقیلاً فهو جَزُورٌ، وفي النص ما يجزر من النوق والغنم.

(٢) الصَّحْفَةُ كالقصة، والجمع صحافٌ.

(٣) علا شرفاً من الأرض، وعلوا أشرافاً وهو المكان المشرف، وحلّوا مشارف الأرض: أعاليها، ومنه: شارف الشام.

(٤) رفع عقيرته إذا صَوَّت.

طَلَبْتُكَ وَبِحَاكِ! ثم ذَكَرْتُ لَهُ الشَّجَرَةَ وَأَنَّهَا رَأَتْهَا تُطِيفُ بِهَا؛ فَقَالَ: حَسْبُكَ! فَمَكَثْتُ حَتَّى إِذَا أَوْتُ إِبْلِي إِلَى مَبَارِكِهَا دَعَوْتُهُ إِلَى الْعِشَاءِ فَلَمْ يَدْنُ مِنْهُ، وَجَلَسَ مَنِّي بِمَرْجَرِ الْكَلْبِ^(١)، فَلَمَّا ظَنَّ أَنِّي قَدْ نِمْتُ رَمَقْتُهُ فَقَامَ إِلَى عَيْبَةٍ^(٢) لَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا بُرْدَيْنِ فَأَتَزَرَ بِأَحَدِهِمَا وَتَرَدَّى بِالْآخِرِ، ثُمَّ انْطَلَقَ عَامِداً نَحْوَ الشَّجَرَةِ. وَاسْتَبَطَنْتُ الْوَادِي فَجَعَلْتُ أُخْفِي نَفْسِي حَتَّى إِذَا خَفْتُ أَنْ يَرَانِي انْبَطَحْتُ، فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى سَبَقْتُهُ إِلَى شَجَرَاتٍ قَرِيبٍ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ بِحَيْثُ أَسْمَعُ كَلَامَهُمَا فَاسْتَتَرْتُ بِهِنَ، وَإِذَا صَاحَبَتَهُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَأَقْبَلَ حَتَّى كَانَ مِنْهَا غَيْرَ بَعِيدٍ، فَقَالَتْ: اجْلِسْ، فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّهُ لَصِقَ بِالْأَرْضِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا أَكْرَمَ سُؤَالَ سَمِعْتُ بِهِ قَطٌّ وَأَبْعَدَهُ مِنْ كُلِّ رِيْبَةٍ، وَسَأَلْتُهُ مِثْلَ مَسْأَلَتِهِ، ثُمَّ أَمَرْتُ جَارِيَةً مَعَهَا فَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ طَعَاماً، فَلَمَّا أَكَلَ وَفَرَغَ، قَالَتْ أَنْشِدْنِي مَا قُلْتَ، فَأَنْشَدَهَا:

عَلِقْتُ الْهَوَى مِنْهَا وَلَيْدَا وَلَمْ يَزَلْ إِلَى الْيَوْمِ يَنْمِي حُبُّهَا وَيَزِيدُ
[الطويل]

فَلَمْ يَزَالَا يَتَحَدَّثَانِ، مَا يَقُولَانِ فُحْشاً وَلَا هُجْراً، حَتَّى التَفَتَتْ التَّفَاتَةُ فَنَظَرَتْ إِلَى الصَّبْحِ، فَوَدَّعَ كُلٌّ وَاحِدَ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ أَحْسَنَ وَدَاعٍ مَا سَمِعْتُ بِهِ قَطٌّ، ثُمَّ انْصَرَفَا، فَقُمْتُ فَمَضَيْتُ إِلَى إِبْلِي فَاضْطَجَعْتُ وَكُلَّ وَاحِدَ مِنْهُمَا يَمْشِي خُطْوَةً ثُمَّ يَلْتَفِتُ إِلَى صَاحِبِهِ، فَجَاءَ بَعْدَ مَا أَصْبَحْنَا فَرَفَعَ بُرْدِيهِ ثُمَّ قَالَ: يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ، حَتَّى مَتَى تَنَامُ! فَقُمْتُ وَتَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ وَحَلَبْتُ إِبْلِي وَأَعَانَنِي عَلَيْهَا وَهُوَ أَظْهَرَ النَّاسِ سُرُوراً، ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَى الْغَدَاءِ فَغَدَّيْ، ثُمَّ قَامَ إِلَى عَيْبَتِهِ فَافْتَتَحَهَا فِإِذَا فِيهَا سِلَاحٌ وَبُرْدَانٌ مِمَّا كَسْتَهُ الْمُلُوكُ، فَأَعْطَانِي أَحَدَهُمَا وَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَعِيَ شَيْءٌ مَا ذَخَرْتَهُ عَنكَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثَهُ وَانْتَسَبَ لِي، فِإِذَا هُوَ جَمِيلٌ بَنُ مَعْمَرٍ وَالْمَرْأَةُ بُثَيْنَةُ، وَقَالَ لِي: إِنِّي قَدْ قُلْتُ أَبْيَاتاً فِي مُنْصَرَفِي مِنْ عِنْدَهَا، فَهَلْ لَكَ إِنْ رَأَيْتَهَا أَنْ تُنْشِدَهَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ! فَأَنْشَدَنِي:

وَمَا أَنْسَمِ الْأَشْيَاءَ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا وَقَدْ قَرَّبْتُ نِضْوِي أَمِصْرُ تُرِيدُ
[الطويل]

الْأَبْيَاتِ، ثُمَّ وَدَّعَنِي وَانْصَرَفَ، فَمَكَثْتُ حَتَّى أَخَذَتِ الْإِبِلُ مَرَاتِعَهَا، ثُمَّ عَمَدَتْ

(١) الزَّجَرُ: النَّهْيُ وَالْإِنْتِهَارُ. وَزَجَرَ السَّبْعَ وَالْكَلْبَ، وَزَجَرَ بِهِ: نَهَنَهُ. قَالَ سِيبَوَيْهِ: وَقَالُوا: هُوَ مَنِ مَزَجَرَ الْكَلْبَ: أَيِ بَتَلَكَ الْمَنْزِلَةَ.

(٢) الْعَيْبَةُ: وَعَاءٌ مِنْ أَدَمَ يَكُونُ فِيهَا الْمَتَاعُ، وَالْجَمْعُ عِيَابٌ وَعَيْبٌ، فَأَمَّا عِيَابٌ فَعَلَى الْقِيَاسِ، وَأَمَّا عَيْبٌ فَكَأَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ عَلَى جَمْعِ عَيْبَةٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْيَاءَ مِمَّا سَبِيلُهُ أَنْ يَأْتِيَ تَابِعاً لِلْكَسْرِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا جَاءَ مِنْ فَعْلَةٍ مِمَّا عَيْنُهُ يَاءٌ عَلَى فَعْلٍ.

إلى دُهنٍ كان معي فدهنتُ به رأسي، ثم ارتديت بالبُرْدِ وأتيت المرأةَ فَقُلْتُ: السلامُ عليكم، إني جئتُ أُمسِ طالباً واليومَ زائراً، أفتأذنون؟ قالت: نعم، فسمعتُ جَوِيرِيَّةَ تقول لها: يا بُثينة، عليه والله بُرْدٌ جميل؛ فجعلتُ أثني على صَيفِي وأذكر فضله، وقلت: إنه ذَكَرُكَ فأحسن الذكر، فهل أنت بارزةٌ لي حتى أنظر إليك؟ قالت: نعم، فلبستُ ثيابها ثم بَرَزَتْ ودعت لي بطَرْفٍ ثم قالت: يا أخا بني تميم، والله ما ثوباك هذان بمُسْتَبْهَيْنِ، ودَعَتْ بَعِيبَتِها فأخرجت لي مِلْحَفَةً مَرَوِيَّةً^(١) مُشْبَعَةً من العُصْفَرِ^(٢)، ثم قالت: أقسمتُ عليك لتقومنَّ إلى كِسر البيت ولتخلعنَ مِدْرَعَتَكَ^(٣) ثم لتأتزرنَّ بهذه المِلْحَفَةِ فهي أشبه ببُرْدِكَ؛ ففعلتُ ذلك وأخذتُ مدرعتي بيدي فجعلتها إلى جانبي، وأنشدتها الأبيات فدمعتَ عيناها، وتحدثنا طويلاً من النهار، ثم انصرفتُ إلى إبلي بملحفة بُثينة وبُرْدٍ جميل ونظرةٍ من بُثينة. قال مَعْبُد: فجَزَيْتُ الشيخَ خيراً وانصرفتُ من عنده وأنا والله أحسنُ الناسِ حالاً بنظرةٍ من الغريص واستماعٍ لغنائه، وعِلِمَ بحديثٍ جميل وبُثينة فيما غَنَيْتُ أنا به وفيما غَنَى به الغريص على حقِّ ذلك وِصْدَقِهِ، فما رأيتُ ولا سمعتُ بزوجين قطَّ أحسنَ من جميل وبُثينة، ومن الغريص ومي.

نسبة هذه الأصوات التي ذكرت في هذا الخبر وهي كلها من قصيدة واحدة

منها:

صوت

عَلِقْتُ الْهَوَى مِنْهَا وَلَيْدًا فَلَمْ يَزَلْ
وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي فِي انْتِظَارِي نَوَالِهَا
فَلَا أَنَا مَرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا
وَمَا أَنَسَمُ الْأَشْيَاءِ لَا أَنَسَ قَوْلِهَا
وَلَا قَوْلِهَا لَوْلَا الْعُيُونُ الَّتِي تَرَى
إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بُثِينَةَ قَاتِلِي
إِلَى الْيَوْمِ يَنْمِي حُبُّهَا وَيَزِيدُ
وَأَفْنَيْتُ فِيهَا الدَّهْرَ وَهُوَ جَدِيدُ
وَلَا حُبُّهَا فِيمَا يَبِيدُ يَبِيدُ
وَقَدْ قَرَّبْتُ نِضْوِي أَمْصَرُ تَرِيدُ
لَزَرْتُكَ فَاعْذُرْنِي فَدَتَكَ جُدُودُ
مَنْ الْحُبِّ قَالَتْ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ

(١) نسبة إلى مرو ببلاد فارس. ورد في بعض النسخ «هروية» بدل «مروية».

(٢) المحكم: العُصْفَرُ: هذا الذي يُصَبَّغُ به، منه رِيْفِيٌّ، ومنه بَرِّيٌّ، وكِلَاهُمَا يَنْبُتُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ. وقد عَصَفَرَ ثَوْبُهُ: صَبَّغَهُ بِالْأَصْفَرِ.

(٣) المدرعة: ضرب من الثياب، ولا تكون إلا من الصوف.

وَأِنْ قُلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ تَوَلَّيْتُ وَقَالَتْ ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدٌ

[الطويل]

عروضه من الطويل . الشعر لجميل بن مَعْمَر . والغناء لمعبد في الأول والثاني والثالث والسادس والسابع . وَلَحْنُهُ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالسبابة في مَجْرَى الوسطى عن إسحاق وعمرو بن بَانَّة . وذكر عمرو والهشامي أَنَّ فِيهِ ثَقِيلًا أَوَّلٌ آخر للهُذَلِيِّ ، وَأَنَّ فِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ يُنسَبُ إِلَى مَعْبِدٍ وَإِلَى الْغَرِيضِ وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ ، أَوَّلُهُ : «وَمَا أَنْسَ مِ الْأَشْيَاءِ» . وفي الأربعة الأبيات الأول ثاني ثَقِيلٌ بالبنصر لابن أَبِي قَبَاحَةَ . ولِإِسْحَاقَ فِي الثَّالِثِ والسادس ثاني ثَقِيلٌ آخر بِالْوُسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ . وَأَوَّلُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِيهِ غِنَاءٌ أَيْضًا ، وَهُوَ مُوَصَّلٌ بِأَبْيَاتٍ أُخَرُ :

صوت

أَلَا لَيْتَ رِيْعَانُ^(١) الشَّبَابِ جَدِيدُ
فَتَغْنِي كَمَا كُنَّا نَكُونُ وَأَنْتُمْ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً
وَهَلْ أَلْقَيْنَ سَعْدِي مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً
فَقَدْ تَلْتَقِي الْأَهْوَاءُ بَعْدَ تَفَاوُتِ
وَدَهْرًا تَوَلَّى يَا بُثَيْنَ يَعُودُ
قَرِيبٌ وَمَا قَدْ تَبَذَّلِينَ زَهِيدُ
بِوَادِي الْقُرَى^(٢) إِنِّي إِذَا لَسَعِيدُ
وَمَا رَثَ مِنْ حَبْلِ الصَّفَاءِ جَدِيدُ
وَقَدْ تُطَلِّبُ الْحَاجَاتُ وَهِيَ بَعِيدُ^(٣)

[الطويل]

في البيتين الأولين خفيفٌ ثَقِيلٌ مطلق في مَجْرَى البنصر ، ذكر حبش أَنَّهُ لِإِسْحَاقَ ؛ وَلَيْسَ يُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ . وفي الثالث وما بعده لابن سُرَيْجَ ثاني ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ حَبَشٍ أَيْضًا .

[قريض عمر والغريض]

أخبرني إسماعيل بن يونس إجازةً قال : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانٍ قَالَ : حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ هِشَامٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَعْنٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ سَلَمَةَ الْمَخْزُومِيِّ

(١) ريعان : الريعان : أول الشباب ، ويقال : ذهب ريعان الشباب وهو مقتبله وأفضله استعير من ريع الطعام .

(٢) وادي القرى : موضع بين المدينة والشام .

(٣) البيت في الديوان على الشكل التالي :

وَقَدْ تَلْتَقِي الْأَشْتَاتُ بَعْدَ تَفَرُّقِ
وَقَدْ تُدْرِكُ الْحَاجَاتُ وَهِيَ بَعِيدُ

قال: خَرَجْتُ مع أعمامي وأنا على نجيب ومعنا شيخٌ، فلما أَسَحَرْنَا^(١) قال لي أعمامي: انزل عن نجيبك^(٢) واحمل عليه هذا الشيخَ واركب جملة، ففعلت؛ فإذا الشيخُ قد أخرج عُوداً له من غِلاف^(٣)، ثم ضرب به وغنى:

هَاجَ الْغَرِيضَ الذَّكْرُ لَمَّا غَدُوا فَاَنْشَمَرُوا^(٤)
[مجزوء الرجز]

فقلتُ لبعض أصحابنا: مَنْ هذا؟ قال: الغريض.

نسبة هذا الصوت

صوت

هَاجَ الْقَرِيضَ الذَّكْرُ لَمَّا غَدُوا فَاَنْشَمَرُوا
عَلَى بَغَالٍ شَحَّجٍ قَدْ ضَمَّهِنَّ السَّفَرُ
فِيهِنَّ هَنْدَلِيْتَنِي مَا عُمِّرْتُ أَعْمَرُ
حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهَا حَتَفٌ أَتَانِي الْقَدْرُ
[مجزوء الرجز]

عروضه من الرجز. الذي قال عمر:

هَاجَ الْقَرِيضَ الذَّكْرُ

بالقاف، فجعله الغريضُ لما غَنَّى فيه: «الغريض» يعني نفسه. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سُرَيْج. ذكر يونس أن له فيه لحنين. وذكر إسحاق أن أحدهما رَمَلٌ مطلق في مَجْرَى البنصر ولم يذكر الآخر، وذكر الهشامي أن الآخر خفيف رَمَل. وفيه للغريض ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالبنصر، وقيل: إنه لحن ابن سريج، وإن خفيف الرَّمَل للغريض. وأوَّل هذا الصوت في كتاب يونس:

هَاجَ فَوَّادِي مَحْضَرُ^(٥) بِذِي عُكَاظٍ مُقْفِرُ

(١) أَسَحَرْنَا: دخلنا في السحر.

(٢) النجيب من الإبل: القوي الخفيف السريع.

(٣) السلطان من تجرَّد لخلافه، جرَّد له السيف من غلافه. ورحل مغلوف: له غلاف.

(٤) انشمر: مرَّ مسرعاً.

(٥) التَّهْذِيب: المَحْضَرُ عند العرب: المَرْجِعُ إلى إَعْدَادِ المِيَاهِ. والمُنْتَجِعُ: المَذْهَبُ في طَلَبِ الكَلَامِ. وَكُلُّ مُنْتَجِعٍ مَبْدَى وَجَمْعُهُ مَبَادٍ. وَيُقَالُ لِلْمَنَاهِلِ: المَحَاضِرُ لِلْاجْتِمَاعِ والحُضُورِ عَلَيْهَا. المَحْضَرُ: =

حَتَّى إِذَا مَا وَازَنُوا — مَرُوءَةً حِينَ اثْتَمَرُوا
 قِيلَ انْزَلُوا فَعَرَّسُوا — مِنْ لَيْلِكُمْ وَانْشَمَرُوا
 وَقَوْلُهَا لِأَخْتِهَا — أُمْطَمَمٌ عَنْ عَمَرٍ
 [مجزوء الوافر]

[الوليد وابن أبي ربيعة والغريص]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: وذكر السَّعْدِيُّ: أنَّ الوليد بن عبد الملك قَدِمَ مكة، فأراد أن يأتي الطائفَ، فقال: هل من رجل عالم يُخبرني عنها؟ فقالوا: عُمَرُ بن أبي ربيعة؛ قال: لا حاجة لي به، ثم عاد فسأل، فذكروه فأباه، ثم عاد فذكروه فقال: هاتوه، وَرَكِبَ معه فجعل يُحَدِّثُهُ، ثم حول عمرُ رداءه لِيُضْلِحَهُ على نفسه، فرأى الوليدُ على ظهره أثراً، فقال: ما هذا الأثر؟ قال: كُنْتُ عند جارية لي إذ جاءني جارية برسالة من عند جارية أخرى وجعلت تُسَارِئُني بها، فغارت التي كُنْتُ عندها فَعَضَّتْ مَنْكَبِي، فما وجدتُ أَلَمَ عَضَّتْها من لَذَّةٍ ما كانت تلك تنفثُ في أذني حتى بَلَغْتُ ما ترى، والوليد يَضْحَكُ. فلما رجع عمرُ قيل له: ما الذي كنت تضحك به أمير المؤمنين؟ قال: ما زِلْنَا في حديث الزَّنا حتى رَجَعَ. وكان قد حَمَلَ الغريصَ معه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إِنَّ عِنْدِي أَجْمَلَ النَّاسِ وَجْهاً وأحسنهم حديثاً، فهل لك أن تسمعه؟ قال: هاتِهِ فدعا به فقال: أسمعُ أمير المؤمنين أحسنَ شيءٍ قُلْتُهُ، فاندفع يَغْنِي بشعر عمر - ومن الناس مَنْ يرويه لجميل -:

صوت

إِنِّي لَأَحْفَظُ سِرَّكُمْ وَبَسْرُنِي — لَوْ تَعْلَمِينَ بِصَالِحٍ أَنْ تُذَكِّرِي
 وَيَكُونُ يَوْمٌ لَا أَرَى لَكَ مُرْسَلًا — أَوْ نَلْتَقِي فِيهِ عَلَيَّ كَأَشْهُرِ
 يَا لَيْتَنِي أَلْقَى الْمَنِيَّةَ بَغْتَةً — إِنْ كَانَ يَوْمٌ لِقَائِكُمْ لَمْ يَقْدِرِ
 مَا كُنْتُ وَالْوَعْدَ الَّذِي تَعْدِينِي — إِلَّا كَبْرَقَ سَحَابَةٌ لَمْ تُمَطِّرِ
 تُقْضَى الدُّيُونُ وَلَيْسَ يُنْجِزُ عَاجِلًا — هَذَا الْغَرِيمُ لَنَا وَلَيْسَ بِمُعْسِرِ
 [الكامل]

= حَطُّ يَكْتَبُ فِي وَاقِعَةٍ خُطُوطِ الشُّهُودِ فِي آخِرِهِ بِصِحَّةٍ مَا تَضَمَّنَهُ صَدْرُهُ. قَالَ شَيْخُنَا: وَهُوَ اصطلاحُ حَدِثٍ لِلشُّهُودِ الَّذِينَ أَحْدَثَهُمُ الْقَضَاءُ فِي الزَّمَنِ الْآخِرِ، فَعَدَّهُ مِنَ اللَّغَةِ مِمَّا لَا مَعْنَى لَهُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ عَطْفَ السَّجَلِ بَعْدَهُ عَلَيْهِ، وَعَدَّهُ مِنْ مَعَانِي الْمَحْضَرِ، مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، فَتَأَمَّلْ.

- عروضه من الكامل . وذكر حبش أنَّ الغناء للغريض ، ولحنه ثقيل أول بالبنصر
- قال : فاشتدَّ سرورُ الوليد بذلك وقال له : يا عمر ، هذه رُقِيَّتُكَ ، ووصله وكساه
وقضى حوائجه .

[عمر وجميل وكثير في نظر نصيب]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال : حدَّثنا الحارث بن محمد عن المدائني
عن عوانة قال : حدَّثني رجل من أهل الكوفة قال : قَدِمَ نُصَيْبُ الكوفة ، فأرسلني أبي
إليه ، وكان له صديقاً ، فقال : أقرئه مني السلام وقل له : إن رأيت أن تُهديَ لنا شيئاً
مما قُلْتَ ! فأتيتهُ في يومِ جُمعة وهو يُصَلِّي ، فلَمَّا فرَغَ أقرأته السلام وقُلْتُ له ، فقال قد
عَلِمَ أبوك أنني لا أَشِدُّ في يوم الجمعة ولكن تلقاني في غيره فأبلغ ما تحب ، فلَمَّا
خرجتُ وانتهيْتُ إلى الباب رُدِدْتُ إليه ؛ فقال : أتروي شيئاً من الشعر؟ قُلْتُ نعم ؛
قال : فأنشدني ، فأنشدته قولَ جميل :

إِنِّي لَأَحْفَظُ غَيْبَكُمْ وَيَسُرُّنِي لَوْ تَعَلَّمِينَ بِصَالِحٍ أَنْ تُذَكِّرِي
[الكامل]

الآبيات المتقدمة ، فقال نُصَيْبُ : أَمْسِكْ ! أَمْسِكْ ! لِلَّهِ دَرُّهُ ! ما قاله أحدٌ إلا دون ما
قال ، ولقد نحت للناس مثلاً يحتذون عليه . ثم قال : أَمَّا أَصَدُّقُنَا في شعره فجميل ، وأما
أوصفنا لربَّات الحجال فكثير ، وأما أَكْذُبُنَا فَعُمُرُ بن أبي ربيعة ، وأما أنا فأقول ما أعرف .

[سمع أصوات رهبان فصنع لحناً عليها]

وقال هارون بن محمد الزيَّات : حدَّثني حمَّاد بن إسحاق عن أبيه : أنَّ الغريض
سمع أصوات رُهبان بالليل في دير لهم فاستحسنها ، فقال له بعض من معه : يا أبا
يزيد ، صُغ على مثل هذا الصوت لحناً ؛ فصاغ مثله في لحنه :

يَا أُمَّ بَكْرٍ حُبُّكَ الْبَادِي لَا تَضْرِمِينِي إِنَّنِي غَادِي
[الكامل]

فما سمع بأحسن منه .

نسبة هذا الصوت

صوت

يَا أُمَّ بَكْرٍ حُبُّكَ الْبَادِي لَا تَضْرِمِينِي إِنَّنِي غَادِي

جَدَّ الرَحِيلُ وَحَثَّنِي صَحْبِي وَأُرِيدُ إِمْتَاعاً مِّنَ الزَّادِ
[الكامل]

عروضه من مُزَاحَفِ الكامل. الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حَسَّان بن ثابت الأنصاري. والغناء للغريض خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوُسْطَى. وفيه لابن المكيّ ثاني ثَقِيلٍ بالوسطى عن حبش. وفيه لإبراهيم بن أبي الهيثم هَزَجٌ.

[إبراهيم بن أبي الهيثم والرجل الناسك]

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ عَبَايَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عُقْبَةَ - وَكَانَ يُعْرِفُ بَابِنَ الْمَاشِطَةِ - قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَأَصْحَابِي لِي فِيهِمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْهَيْثَمِ إِلَى الْعَقِيقِ، وَمَعَنَا رَجُلٌ نَاسِكٌ كُنَّا نَحْتَشِمُ مِنْهُ، وَكَانَ مَحْمُومًا نَائِمًا، وَأَحْبَبْنَا أَنْ نَسْمَعَ مَنْ مَعَنَا مِنَ الْمَغْنِينِ وَنَحْنُ نَهَابُهُ وَنَحْتَشِمُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ فِينَا رَجُلًا يُنْشِدُ الشَّعْرَ فَيُحْسِنُ، وَنَحْنُ نُحِبُّ أَنْ نَسْمَعَهُ، وَلَكِنَّا نَهَابُكَ؛ قَالَ: فَمَا عَلَيَّ مِنْكُمْ! أَنَا مَحْمُومٌ نَائِمٌ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ، فَانْدَفَعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ [أَبِي] الْهَيْثَمِ فَغَنَى:

يَا أُمَّ بَكْرٍ حُبُّكَ الْبَادِي لَا تَضْرِمِينِي إِنَّنِي غَادِي
جَدَّ الرَحِيلُ وَحَثَّنِي صَحْبِي وَأُرِيدُ إِمْتَاعاً مِّنَ الزَّادِ
[الكامل]

فأجاده وأحسنه. قال: فوثب الناسك فجعل يَرْقُصُ وَيَصِيحُ: أُرِيدُ إِمْتَاعاً مِّنَ الزَّادِ، وَاللَّهِ أُرِيدُ إِمْتَاعاً مِّنَ الزَّادِ، ثُمَّ كَشَفَ عَنْ أَيْرِهِ وَقَالَ: أَنَا أَنْيكَ أُمَّ الْحُمَى! قَالَ: يَقُولُ لِي ابْنُ الْمَاشِطَةِ: أَعْتَقْتُ مَا أَمْلِكُ إِنْ كَانَ نَاكَ أُمَّ الْحُمَى أَحَدٌ قَبْلَهُ.

أخبرني به الحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَيُّوبَ فَذَكَرَ الْخَبَرَ وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ كَشَفَ النَّاسِكَ عَنْ سَوْءَتِهِ وَمَا قَالَهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

[هروبه إلى اليمن خوفاً من ابن علقمة]

وكانت وفاة الغريض في أيام سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز لم يتجاوزها. والأشبه أنه مات في خلافة سليمان، لأنَّ الوليد كان وَلِيَّ نَافِعِ بْنِ عُلْقَمَةَ مَكَّةَ فَهَرَبَ مِنْهُ الْغَرِيضُ وَأَقَامَ بِالْيَمَنِ وَاسْتَوطنَهَا مَدَّةً ثُمَّ مَاتَ بِهَا. وأخبرني بخبره الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن المُسَيَّبِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي بَعْضُ الْمَخْزُومِيِّينَ أَيْضاً بِخَبْرِهِ.

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ:

أن نافع بن علقمة لمَّا وُلِّي مكة خافه الغريض - وكان كثيراً ما يطلبه فلم يجئه - فهرب منه واستخفى في بعض منازل إخوانه. قال: فحدَّثني رجلٌ من أهل مكة كان يَحْدُثُهُ: أنه دفع إليه يوماً ربعةً^(١) له وقال له: صِرْ بها إلى فلان العطار يملؤها لي طيباً، قال: فصرت بها إليه، فلقيني نافع بن علقمة فقال: هذه رُبْعَةُ الغريض واللَّهِ! فلم أقدر أن أكتُمُهُ، فقلت: نعم؛ قال: ما قصَّته؟ فأخبرته الخبر؛ فضحك وقال: سرَّ معي إلى المنزل ففعلت، فملأها طيباً وأعطاني دنانير، وقال: أعطه وقل له يَظْهَرُ فلا بأسَ عليه؛ فسرَّرتُ إليه مسروراً فأخبرته بذلك فَجَزِعَ وقال: الآن ينبغي أن أهرُب، إنَّما هذه حيلة احتالها عليّ لأقع في يده؛ ثم خرج من وقته إلى اليمَن فكان آخرَ العهد به.

قال إسحاق: فحدَّثني هذا المخزومي: أن الغريضَ لمَّا صار إلى اليمن وأقام به اجتزأ به في بعض أسفارنا؛ قال: فلما رأيته بكى؛ فقلت له: ما يُبكِيكَ؟ قال: بأبي أنت وأُمِّي! وكيف يَطيَّبُ لي أن أعيشَ بين قوم يَروُنِي أَحْمِلُ عُودي فيقولون لي: يا هَناه، أتبيع آخرَ الرِّحْلِ! فقلت له: فارجع إلى مكة ففيها أهلك، فقال: يابن أخي، إنَّما كُنْتُ أَسْتَلِدُّ مكة وأعيشُ بها مع أبيك ونحوه، وقد أوطنتُ^(٢) هذا المكان ولَسْتُ تاركهُ ما عشتُ؛ قلنا له: فغنَّنا بشيءٍ من غنائك فتأبَّى، ثم أقسمنا عليه فأجاب، وعمدنا إلى شاةٍ فذبَحناها وخرَطنا من مُصرانِها أوتاراً، فشدَّها على عُوده واندفع فغنَّي في شعر رُهير:

جَرَى دَمْعِي فَهَيَّجَ لِي شُجُونَا فَقَلْبِي يُسْتَجَنُّ بِهِ جُنُونَا

[الوافر]

فما سمعنا شيئاً أحسنَ منه؛ فَقُلْنَا له: ارجع إلى مكة، فكلَّ من بها يشتاَفُكَ. ولم نَزَلْ نُرَغِّبه في ذلك حتى أجاب إليه. ومَضَيْنَا لحاجتنا ثم عُدْنَا فوجدناه عليلاً، فَقُلْنَا: ما قصَّتْكَ؟ قال: جاءني منذ ليلٍ قومٌ، وقد كُنْتُ أَغْنِي في الليل، فقالوا: غَنَّا؛ فَأَنكَرْتُهُمْ وَخِفْتُهُمْ، فجعلتُ أَغْنِيَهُمْ، فقال لي بعضهم: عَنِّي:

لَقَدْ حَثُّوا الْجَمَالَ لِيَهْرُبُوا مِنَّا فَلَمْ يَئِيلُوا^(٣)

[مجزوء الوافر]

ففعلت، فقام إلي «هَنٌّ» منهم أَرَبٌ^(٤) فقال لي: أَحَسَنْتَ واللَّهِ! ودَقَّ رأسي، حتى سقطتُ لا أدري أين أنا، فأفَقْتُ بعد ثالثة وأنا عليل كما ترى، ولا أَرَانِي إِلَّا سَامُوت. قال: فأقمنا عنده بقيَّةَ يومنا ومات من غِدِّ فدَفَّنَاهُ وانصرفنا.

(١) الربعة: جونة العطر.

(٢) أوطنت: أخذته موطناً ومكاناً للإقامة.

(٣) ينسب هذا البيت للحكم بن عبدل العبسي. (٤) الأَرَب: الكثير الشعر.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ عَنْ أَبِي غَسَّانَ قَالَ: زَعَمَ الْمَكِّيُّونَ أَنَّ الْغَرِيضَ خَرَجَ إِلَى بِلَادِ عَكَّ^(١) فَغَتَّى لَيْلًا:

هُمْ رَكِبَ لُؤْلُؤًا رَكِبًا كَمَا قَدْ تَجَمَّعَ السُّبُلُ

[مجزوء الوافر]

فصاح به صائح: اكفُفْ يَا أَبَا مَرْوَانَ، فَقَدْ سَفَّهْتَ حُلَمَاءَنَا، وَأَصْبَبْتَ^(٢) سَفَهَاءَنَا، قَالَ: فَأَصْبَحَ مَيِّتًا.

[رواية أخرى في وفاته]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّةَ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ آلِ أَبِي قَبِيلٍ - يُقَالُ لَهُ مُحْرَزٌ - عَنْ أَبِي قَبِيلٍ قَالَ: رَأَيْتُ الْغَرِيضَ، وَقَالَ إِسْحَاقُ فِي خَبَرِهِ الْمَذْكُورِ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ عَنْ أَبِي قَبِيلٍ - وَهُوَ مَوْلَى لَالِ الْغَرِيضِ - قَالَ: شَهِدْتُ مَجْمَعًا لَالِ الْغَرِيضِ إِمَّا عُرْسًا أَوْ خِتَانًا، فَقِيلَ لَهُ: تَغَنَّ؟ فَقَالَ: هُوَ ابْنُ زَانِيَةٍ إِنْ فَعَلَ؛ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَوَالِيهِ: فَأَنْتَ وَاللَّهِ كَذَلِكَ! قَالَ: أَوْكَذَلِكَ أَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَ: أَنْتَ أَعْلَمُ بِي وَاللَّهِ! ثُمَّ أَخَذَ الدُّفَّ فَرَمَى بِهِ وَتَمَشَّى مِشْيَةً لَمْ أَرِ أَحْسَنَ مِنْهَا، ثُمَّ تَغَنَّ:

تَشَرَّبَ لَوْنَ الرَّازِقِيِّ^(٣) بِيَاضِهِ أَوْ الزَّعْفَرَانِ خَالِطَ الْمِسْكِ رَادِعُهُ

[الطويل]

فَجَعَلَ يُغَنِّيهِ مُقْبِلًا وَمُذْبِرًا حَتَّى التَوْتُ عَنْقُهُ وَخَرَّ صَرِيْعًا، وَمَا رَفَعْنَاهُ إِلَّا مَيِّتًا، وَظَنَّنَا أَنَّ فَالَجًا عَاجِلَهُ. قَالَ إِسْحَاقُ: وَحَدَّثَنِي ابْنُ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي مِسْكِينٍ قَالَ: إِنَّمَا نَهْتُهُ الْجُنَّ أَنْ يَتَغَنَّ بِهَذَا الصَّوْتِ، فَلَمَّا أَغْضَبَهُ مَوَالِيهِ تَغَنَّا فَقَتَلَتْهُ الْجُنُّ فِي ذَلِكَ.

نسبة هذه الأصوات

منها:

صوت

جَرَى دَمْعِي فَهَيَّجَ لِي شُجُونًا فِقَلْبِي يُسْتَجَنُّ بِهِ جُنُونًا
أَبْكِي لِلْفِرَاقِ وَكُلِّ حَيٍّ سِيَبْكِي حِينَ يَفْتَقِدُ الْقَرِينَا
فَإِنْ تُضْبِحُ طُلُوحَةً فَارْقَتَنِي بِبَيْنٍ فَالِرَزِيَّةِ أَنْ تَبِينَا

(١) عك: اسم لقبيلة عربية، كانت تقطن في مخلاف باليمن.

(٢) أصببت: دعوت إلى الصبا. (٣) الرازقي: يقال انه الكتان.

فقد بانَتْ بكَرْهِي يومِ بانَتْ مُفارقةً وَكُنْتُ بها ضَنيْنا
[الوافر]

الشعر لَزُهَيْر، والغناء للغريض عن حبش. وقيل: إنه لدَحمان. وفيه لأبي الورد
خفيف رَمَلٍ بالوُسطى «عن حبش والهشامي».
انقضت أخبار الغريض.
ومنها:

صوت

من المائة المختارة

[في رواية جحظة]

لقد حَثُوا الجِمالَ لِيَهْ رُبُوا مِنَّا فلم يَئِلُوا
على آثارهِنَّ مُقلُّ لص^(١) السَّربالِ مُعْتَمِلُ
وفيهمْ قلبُك المَتَبو لُ بالحسَناءِ مُختَبِلُ
مخفِّفةً بحملِ حما ثل الدَّيباجِ والحُلُلُ
أسائلُ عاصمًا في السَّر رِ أيْن تُراهُمُ نزلُوا
فقال هُم قَريبٌ مِن لك لو نفعوك إِذ رَحَلُوا
[مجزوء الوافر]

الشعر للحكم بن عبدل الأسدي. والغناء في اللحن المختار للغريض، ولحنه
خفيفٌ ثَقِيل [أول] بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى في الأول والثاني من الأبيات.
وذكر الهشامي أن فيهما لحنًا لمعبد من الثقيل الأول. وفي الثالث وما بعده من الأبيات
لابن سُرَيْج رَمَلٍ بالسَّبابَةِ في مَجْرى الوسطى عن إسحاق. وفيها لإبراهيم ثَقِيلٌ أولُ
بالوُسطى عن حبش. وذكر أحمد بن عُبَيْد أنَّ الذي صح فيه أربعة ألحان: منها لحنان
في خفيف الثقيل للغريض ومالك، ولحنان في الرمل لابن سُرَيْج ومُخارِق. وذكر ابن
الكلبي أنَّ فيها لعريب رَمَلًا ثالثًا، وذكر حبش أنَّ فيها لابن سُرَيْج خفيف رَمَلٍ
بالبنصر، ولابن مَسْجَح رَمَلًا بالبنصر، ولابن سُرَيْج ثاني ثَقِيل بالبنصر. هذه الألحان
كلها في: «لقد حَثُوا» والذي بعده.

(١) مقلص: مشمر.

أخبار الحكم بن عبدل ونسبه

نسبه ونشأته :

هو الْحَكَمُ بن عَبْدِال بن جَبَلَة بن عمرو بن ثَعْلَبَة بن عِقَال بن بِلَال بن سَعْد بن حِبَال بن نَصْر بن غَاضِرَة بن مَالِك بن ثَعْلَبَة بن دُودَان بن أَسَد بن خُزَيْمَة، شَاعِرٌ مُجِيدٌ مَقْدَمٌ فِي طَبَقَتِهِ، هَجَاءٌ خَبِيثٌ اللِّسَانِ، مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ؛ وَكَانَ أَعْرَجٌ أَحْدَبٌ. وَمَنْزَلُهُ وَمَنْشُؤُهُ الْكُوفَةُ.

[كان أعرج يكتب بحاجته على عصاه فلا ترد]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عَمَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بنُ إِسْرَائِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ إِدْرِيسَ الْقَيْسِيُّ بِوَاسِطٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعُتْبِيُّ قَالَ: كَانَ الْحَكَمُ بنُ عَبْدِالِ الْأَسَدِيِّ أَعْرَجَ لَا تُفَارِقُهُ الْعَصَا، فَتَرَكَ الْوُقُوفَ بِأَبْوَابِ الْمُلُوكِ، وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى عَصَاهُ حَاجَتَهُ وَيَبْعَثُ بِهَا مَعَ رُسُلِهِ، فَلَا يُحْبَسُ لَهُ رَسُولٌ وَلَا تُؤَخَّرُ لَهُ حَاجَةٌ؛ فَقَالَ فِي ذَلِكَ يَحْيَى بنُ نَوْفَلٍ:

عَصَا حَكَمٍ فِي الدَّارِ أَوَّلُ دَاخِلٍ وَنَحْنُ عَلَى الْأَبْوَابِ نُقْصَى وَنُحْجَبُ
وَكَانَتْ عَصَا مُوسَى لِفِرْعَوْنَ آيَةً وَهَذِي لَعَمْرُ اللَّهِ أَدَهَى وَأَعْجَبُ
تُطَاعُ فَلَا تُعْصَى وَيُحْذَرُ سُخْطُهَا وَيُرْغَبُ فِي الْمَرْضَاةِ مِنْهَا وَتُرْهَبُ

[الطويل]

قَالَ: فَشَاعَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي الْكُوفَةِ وَضَحِكَ النَّاسُ مِنْهَا؛ فَكَانَ ابْنُ عَبْدِالِ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ لِيَحْيَى: يَا بَنَ الزَّانِيَةِ! مَا أَرَدْتَ مِنْ عَصَايَ حَتَّى صِيرْتُهَا ضُحْكَةً^(١)؟ وَاجْتَنَبَ أَنْ يَكْتُبَ عَلَيْهَا كَمَا كَانَ يَفْعَلُ، وَكَاتَبَ النَّاسَ بِحَوَائِجِهِ فِي الرِّقَاعِ.

[أعاجيب الزمان]

أَخْبَرَنِي عَمِي قَالَ: حَدَّثَنَا الْكِرَانِيُّ، وَأَخْبَرَنِي ابْنُ عَمَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بنُ نُعَيْمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الْفُرَشِيُّ قَالَ: كَانَ لِلْحَكَمِ بنِ عَبْدِالِ صَدِيقٌ أَعْمَى يُقَالُ لَهُ

(١) الضُّحْكَةُ (بضم الضاد وسكون الحاء): مَنْ يَضْحَكُ النَّاسُ مِنْهُ.

أبو عُليّة، وكان ابن عبدل قد أقعد^(١)، فخرجا ليلةً من منزلهما إلى منزل بعض إخوانهما، والحكم يُحمَلُ وأبو عُليّة يُقاد، فلقِيهما صاحبُ العَسَسِ بالكوفة فأخذهما فحبسهما، فلما استقرّا في الحبس نظر الحكم إلى عصا أبي عُليّة موضوعةً إلى جانب عصاه، فَضَحِكَ وأنشأ يقول:

حَبْسِي وَحَبْسُ أَبِي عُليّ
أَعْمَى يُقَادُ وَمُقْعَدٌ
هَذَا بِلَا بَصَرٍ هُنَا
يَا مَنْ رَأَى ضَبَّ الْفَلَا
طَرَفِي وَطَرَفُ أَبِي عُليّ
مَنْ يَفْتَخِرُ بِجَوَادِهِ
طَرَفَانِ لَا عِلْفَاهُمَا
هَبْنِي وَإِيَّاهِ الْحَرِي
يَّةٌ مِنْ أَعَاجِيبِ الزَّمَانِ
لَا الرَّجُلُ مِنْهُ وَلَا الْيَدَانِ
لَوْ بِي يَخْبُ^(٢) الْحَامِلَانِ
قَرِيبَيْنِ حُوتٍ فِي مَكَانِ
يَّةٌ دَهْرَنَا مُتَوَافِقَانِ
فَجِيادُنَا عُكَازَتَانِ
يُشْرَى وَلَا يَتَصَاوِلَانِ
قَ أَكَانَ يَسْطَعُ بِالْذُخَانِ
[مجزوء الكامل]

قال: وكان اسم أبي عُليّة يحيى، فقال فيه الحكمُ أيضاً:

أَقُولُ لِيحْيَى لَيْلَةَ الْحَبْسِ سَادراً^(٣)
أَعْنِي عَلَى رَعِي النُّجُومِ وَلَحْظِهَا
فَفِي حَالَتَيْنَا عِبْرَةٌ وَتَفَكُّرٌ
كَلَانَا إِذَا الْعُكَازُ فَارَقَ كَفَّهُ
فَعُكَازَةٌ تَهْدِي إِلَى السُّبُلِ أَكْمَهَا^(٤)
وَنَوْمِي بِهِ نَوْمُ الْأَسِيرِ الْمُقَيَّدِ
أُعْنِكَ عَلَى تَحْبِيرِ شِعْرِ مُقَصَّدِ^(٥)
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ حَبْسُ أَعْمَى وَمُقْعَدِ
يُنِيخُ صَرِيحاً أَوْ عَلَى الْوَجْهِ يَسْجُدُ^(٦)
وَأُخْرَى مَقَامَ الرَّجُلِ قَامَتْ مَعَ الْيَدِ
[الطويل]

(١) أقعد الرجل: أصابه داءٌ فلم يستطع المشي.

(٢) الخبب: ضرب من العدو، تقول: جاءوا مُحْبَبِينَ تَخَبُّ بِهِمْ دَوَابَهُمْ.

(٣) سدر بصره واسمدر إذا تحير فلم يحسن الإدراك، وفي بصره سدر وسمادير، وعينه سدره. وإنه لسادر في الغي: تائه. وتكلم سادراً: غير متثبت في كلامه.

(٤) المُقَصَّد: الذي قد أعمل فيه الشاعرُ فِكْرَتَهُ ولم يَفْتَضِبْهُ اقْتِضَاباً، فجاء مطولاً كثيرة أبياته.

(٥) في هذا البيت إقواء، وهو اختلاف في حركة الروي بالرفع والكسر.

(٦) ولد فلان أكمه، وقد كمهت عيناه. ومن المجاز: هو في عمه وكمه: في ضلال وعمى، وخرج يتعمه ويتكمه، أي يذهب متحيراً ضالاً لا يدرى أين يتوجه.

[قوله وقد ولي الشرطة والإمارة أعرجان]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عليل قال: حدثني أحمد بن بكير الأسدي قال: حدثني محمد بن أنس السلمي الأسدي عن محمد بن سهل راوية الكميت قال: ولي الشرطة بالكوفة رجل أعرج، ثم ولي الإمارة آخر أعرج، وخرج ابن عبدل وكان أعرج، فلقي سائلاً أعرج وقد تعرض للأمير يسأله، فقال ابن عبدل للسائل:

ألقِ العصا ودع التخامع والتمس
عملاً فهذي دولة العرجان
لأميرنا وأمير شرطتنا معاً
يا قومنا لكليها رجلاً
فإذا يكون أميرنا ووزيرنا
وأنا فإن الرابع الشيطان^(١)

[الكامل]

فبلغت أبياته ذلك الأمير فبعث إليه بمائتي درهم وسأله أن يكف عنه. وحدثني الأخفش عن عبيد الله اليزيدي عن سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عوانة عن عمر بن عبد العزيز قال: ولي عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب الكوفة وضم إليه رجل من الأشعريين يقال له سهل، وكانا جميعاً أعرجين. ثم ذكر باقي الحديث مثل حديث يعقوب بن نعيم.

[ابن عبدل وعبد الملك بن بشر]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني يعقوب بن إسرائيل عن قعنب بن المحرز الباهلي عن الهيثم الأحمر قال: كانت لابن عبدل الأسدي حاجة إلى عبد الملك بن بشر بن مروان، فجعل يدخل عليه ولا يتهيأ له الكلام، حتى جاءه رجل فقال: إني رأيت لك رؤيا، فقال: هاتها، فقصّها عليه؛ فقال ابن عبدل: وأنا قد رأيت أيضاً؛ قال: هات ما رأيت؛ فقال:

أغفيت قبل الصبح نوم مسهد
فحبوتني فيما أرى بوليدة
وببدرة حملت إلي وبغلة
ليت المنابر يابن بشر أصبحت
في ساعة ما كنت قبل أنامها
مغنوجة حسن علي قيامها
شهباء ناجية^(٢) يصل لجامها
ترقى وأنت خطيبها وإمامها

[الكامل]

(١) في هذا البيت إقواء، وهو اختلاف في حركة الروي بالرفع والكسر.

(٢) نجا ينجو: أسرع.

فقال له ابن بشر: إذا رأيتَ هذا في اليَقْظَةِ أتعرفُهُ؟ قال: نعم، وإنما رأيتُهُ قُبَيْلَ الصبح؛ قال: يا غلام، ادْعُ فلاناً، فجاء بوكيله، فقال: هاتِ فلانة فجاءت، فقال: أين هذه مما رأيتَ؟ قال: هي هي؛ وإلا فعليه وعليه؛ ثم دعا له ببدرة، فقال مثل ذلك، وببغلة فركبها وخرج؛ فَلَقِيَهُ قَهْرْمَانُ^(١) عبد الملك، قال: أتبيعها؟ قال: نعم، قال: بِكُمْ؟ قال: بستمائة، قال: هي لك؛ فأعطاه ستمائة، فقال له: أما والله لو أبيتَ إلا ألفاً لأعطيتُكَ؛ قال: إِيَّاي تُنْديم! لو أبيتَ إلا سِتَّةَ لَبِعْتُكَ.

[هجاؤه ابن حسان وقد تزوج قيسية]

أخبرني [عمي] الحسن بن محمد قال: حَدَّثَنَا الْكَرَانِيُّ قال: حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عن الهيثم عن ابن عيَّاش عن لَقِيْط قال: تزَوَّجَ محمد بن حَسَّانَ التَّمِيمِيَّ امرأةً من ولد قَيْس بن عاصم وهي ابنة مُقاتِل بن طَلْبة بن قَيْس، زَوَّجَهَا إِيَّاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقالُ لَهُ زياد، فقال ابن عَبدل:

أَبَاعَ زِيَادٌ سَوْدَ اللَّهْ وَجَهَهُ عَقِيلَةَ قَوْمِ سَادَةٍ بِالدَّرَاهِمِ
وَمَا كَانَ حَسَّانُ بْنُ سَعْدٍ وَلَا ابْنُهُ أَبُو الْمَسْكِ مِنْ أَكْفَاءِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ
وَلَكِنَّهُ رَدَّ الزَّمانَ عَلَى اسْتِهِ وَضَيَّعَ أَمْرَ الْمُحْصَنَاتِ الْكَرَائِمِ
خُذِي دِيَّةً مِنْهُ تَكُنْ لَكَ عُدَّةٌ وَجِئْتُ إِلَى بَابِ الْأَمِيرِ فَخَاصِمِي
فَلَوْ كُنْتُ فِي رَوْحٍ^(٢) لَمَا قُلْتُ خَاصِمِي وَلَكِنَّمَا أَلْقَيْتُ فِي سَجْنِ عَارِمٍ^(٣)

[الطويل]

قال: فَلَمَّا بَلَغَ أَهْلُهَا شَعْرُهُ أَنْفَوْا مِنْ ذَلِكَ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ حَسَّانَ حَتَّى فَارَقَهَا. قال: وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ عَامِلاً عَلَى بَعْضِ كُورِ السَّوَادِ، فَسَأَلَهُ ابْنُ عَبدلَ حَاجَةً فَردَّهَ عَنْهَا، فَقَالَ فِيهِ هَذَا الشَّعْرَ وَغَيْرَهُ وَهَجَاهُ هَجَاءً كَثِيراً.

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصَّيرَفِيُّ قال: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيلٍ الْعَنْزِيُّ قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ بُكَيْرٍ الْأَسَدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَشْرِ السَّلَامِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ

(١) القهرمان: الوكيل أو أمين الدخل والخرج.

(٢) الروح يذكر ويؤنث، والجمع الأزواح، ويسمى القرآن رُوحاً، وكذلك جبريل وعيسى عليهما السلام. وزعم أبو الخطَّاب أنه سَمِعَ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ يَقُولُ فِي النِّسْبَةِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْجَنِّ رُوحَانِيٍّ، بِضَمِّ الرَّاءِ، وَالْجَمْعُ رُوحَانِيُّونَ. وَزَعَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّ الْعَرَبَ يَقُولُهُ لِكُلِّ شَيْءٍ فِيهِ رُوحٌ. وَمَكَانَ رُوحَانِيٍّ، بِالْفَتْحِ، أَيْ طَيِّبٌ.

(٣) سجن عارم: حبس فيه عبد الله بن الزبير محمد ابن الحنفية.

سهل راوية الكميت، فذكر نحواً مما ذكره عمي وزاد فيه قال: وكانت المرأة التي تزوجها مُعَاذَةُ بنت مُقاتل بن طَلْبَة، فلما سَمِعَتْ ما قال ابن عَبْدَل فيها نَشَرَتْ على زوجها وَهَرَبَتْ إلى أهلها، فتوسَّطوا ما بينهما وافْتَدَيْتْ منه بمال وفارقها.

[مسامرته امرأة تنشد شعره]

أخبرني عمي قال: حَدَّثَنِي الْكَرَانِيُّ عَنْ الْعُمَرِيِّ عَنْ عطاء عن يحيى بن نصر أبي زكريا قال: سمع ابنُ عَبْدَلِ الْأَسَدِيِّ امرأةً وهي تتمشَّى بالبلاط تتمثل بقوله:

وَأَعْسِرُ أَحْيَاناً فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي فَأَذْرِكُ مَيْسُورَ الْغِنَى وَمَعِي عِرْضِي
[الطويل]

فقال لها ابنُ عَبْدَل - وكان قريباً منها - : يا أُخِيَّةُ، أتعرفين قائلَ هذا الشعر؟ قالت: نعم، ابن عبدل الأسدي، قال: أَفْتُشِّبْتِيهِ مَعْرِفَةً؟ قالت: لا؛ قال: فأنا هو، وأنا الذي أقول:

وَأُنْعِظُ أَحْيَاناً فَيَنْقُذُ جِلْدُهُ وَأَعِذُّهُ جُهْدِي فَلَا يَنْفَعُ الْعَذْلُ
وَأَزْدَادُ نَعْظاً حِينَ أَبْصِرُ جَارَتِي فَأَوْثِقُهُ كَيْمَا يَثُوبَ لَهُ عَقْلُ
وَرُبَّمَا لَمْ أَذِرْ مَا حِيلَتِي لَهُ إِذَا هُوَ آذَانِي وَغَرَّبَهُ الْجَهْلُ
فَأَوَيْتُهُ فِي بطن جَارِي وَجَارَتِي مَكَابِرَةً قُدْماً^(١) وَإِنْ رَغِمَ الْبَعْلُ
[الطويل]

فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: بئس والله الجارُ لِلْمُغِيَّةِ^(٢) أَنْتَ، فقال: إي والله، وللتى معها زوجها وأبوها وابنها وأخوها.

[خبر وفوده على ابن هبيرة]

أخبرني محمد بن زكريا الصَّخَّافُ^(٣) قال: حَدَّثَنَا قَعْنَبُ بْنُ الْمُحَرِّزِ الْبَاهِلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ، وَأَخْبَرَنِي بِهِ حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو خَالِدٍ الْخُزَاعِيُّ الْأَسْلَمِيُّ عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ عَنْ ابْنِ عِيَّاشٍ قَالَ: قَدِمَ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشَّاعِرُ الْكُوفِيُّ وَاسْطاً^(٤) عَلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ وَكَانَ بِخِيلاً، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ:

(١) الْقُدْمُ: المضي أمام أمام، وتقول: يمضي قُدْماً أي لا ينشي.

(٢) الْمُغِيَّةُ: التي غاب عنها زوجها.

(٣) الصخاف: بائع الصحف أو صانعها.

(٤) واسط: بلد خطه الحجاج بين البصرة والكوفة.

أَتَيْتُكَ فِي أَمْرٍ مِنْ أَمْرِ عَشِيرَتِي وَأَعْيَا الْأُمُورِ الْمُفْظِعَاتِ جَسِيمُهَا
فَإِنْ قُلْتُ لِي فِي حَاجَتِي أَنَا فَاعِلٌ فَقَدْ ثَلَجَتْ نَفْسِي وَوَلَّتْ هَمُومُهَا

[الطويل]

قال: أنا فاعل إن اقتصدت، فما حاجتك؟ قال: غُرْمٌ لَزَمَنِي فِي حِمَالَةٍ^(١)؛ قال: وكم هي؟ قال: أربعة آلاف، قال: نحن مُنَاصِفُوكَهَا، قال: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، أَتَخَافُ عَلَيَّ التُّخْمَةَ إِنْ أَتَمَمْتُهَا؟ قال: أَكْرَهُ أَنْ أَعُوذَ النَّاسَ هَذِهِ الْعَادَةُ؛ قال: فَأَعْطَنِي جَمِيعَهَا سِرًّا وَامْنَعْنِي جَمِيعَهَا ظَاهِرًا حَتَّى تُعَوِّدَ النَّاسَ الْمَنْعَ، وَإِلَّا فَالضَّرَرُ عَلَيْكَ وَاقِعٌ إِنْ عَوَّدْتَهُمْ نَصَفَ مَا يَطْلُبُونَ؛ فَضَحَكَ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَقَالَ: مَا عِنْدَنَا غَيْرُ مَا بَذَلْنَاهُ لَكَ؛ فَجَثَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ: امْرَأَتُهُ طَالِقٌ لَا أَخَذْتُ أَقْلَ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ أَوْ أَنْصَرَفُ وَأَنَا غَضْبَانٌ؛ قَالَ: أَعْطَوْهُ إِيَّاهَا قَبْحَهُ اللَّهُ فَإِنَّهُ - مَا عَلِمْتُ - حَلَّافٌ مَهِينٌ^(٢)؛ فَأَخَذَهَا وَأَنْصَرَفَ.

[رثاؤه قوماً من بني غاضرة]

أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَنْزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الْأَسَدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي مَشَايخُنَا مِنْ بَنِي أَسَدٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَنَسٍ وَغَيْرُهُ قَالُوا: لَمَّا وَقَعَ الطَّاعُونَ بِالْكُوفَةِ أَفْنَى بَنِي غَاضِرَةَ وَمَاتَ فِيهِ بَنُو زُرٍّ بْنِ حُبَيْشٍ الْغَاضِرِيِّ صَاحِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانُوا ظُرَفَاءَ، وَبَنُو عَمٍّ لَهُمْ، فَقَالَ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْغَاضِرِيُّ يَرِثُهُمْ:

أَبْعَدَ بَنِي زُرٍّ وَبَعْدَ ابْنِ جَنْدَلٍ وَعَمَرُوا أَرْجِي لَذَّةَ الْعَيْشِ فِي خَفْضِ
مَضَوْا وَبَقِينَا نَأْمُلُ الْعَيْشَ بَعْدَهُمْ أَلَا إِنَّ مَنْ يَبْقَى عَلَى أَثَرٍ مَنْ يَمْضِي
فَقَدْ كَانَ حَوْلِي مِنْ جِيَادٍ وَسَالَمَ كُهُولٌ مَسَاعِيرُ^(٣) وَكُلُّ فَتَى بَضْ^(٤)
يَرَى الشُّخَّ عَارًا وَالسَّمَاحَةَ رِفْعَةً أَغْرُ كَعُودِ الْبَانَةِ النَّاعِمِ الْغَضُّ

[الطويل]

[هجاؤه ابن حسان لحاجة لم يقضها له]

قال أبو الفرج: ونسختُ من كتاب أبي مُحَلَّمٍ قَالَ: سَأَلَ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَخُو بَنِي نَصْرِ بْنِ قُعَيْنٍ مُحَمَّدَ بْنَ حَسَّانَ بْنِ سَعْدٍ حَاجَةً لِرَجُلٍ سَأَلَهُ مَسْأَلَتَهُ إِيَّاهَا؛ فَرَدَّهُ وَلَمْ يَقْضِهَا؛ فَقَالَ فِيهِ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ:

(١) الحِمَالَةُ: الكِفَالَةُ وَالضَّمَانُ. (٢) مَهِينٌ: فَاجِرٌ.

(٣) مَسَاعِيرُ مِنْ مَسْعَرٍ، وَيُقَالُ: مَسْعَرُ الْحَرْبِ: مُوقِدُهَا.

(٤) امْرَأَةٌ بَضَّةٌ تَارَةٌ، مُكْتَبِرَةُ اللَّحْمِ فِي نَصَاعَةِ لَوْنٍ.

رَأَيْتُ مُحَمَّدًا شَرِّهَا ظَلُومًا وَكُنْتُ أَرَاهُ ذَا وَرَعٍ وَقَصْدٍ
 يَقُولُ أَمَاتَنِي رَبِّي خِدَاعًا أَمَاتَ اللَّهُ حَسَّانَ بْنَ سَعْدٍ
 فَلَوْلَا كَسْبُهُ لَوُجِدْتُ فَسَلًا^(١) لَيْمَ الْكَسْبِ شَأْنُكَ شَأْنُ عَبْدِ
 رَكِبْتُ إِلَيْهِ فِي رَجُلٍ أَتَانِي كَرِيمٍ يَبْتَغِي الْمَعْرُوفَ عِنْدِي
 فَقُلْتُ لَهُ وَبَعْضُ الْقَوْلِ نُصَحٌ وَمِنْهُ مَا أَسْرُلُهُ وَأُبْدِي
 تَوَقَّ دِرَاهِمَ الْبَكْرِيِّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ عَاقِبَةَ التَّعْدِي
 أَقْرَبُ كُلِّ آصِرَةٍ^(٢) لِيَدْنُو فَمَا يَزِدَادُ مِنِّي غَيْرَ بُعْدٍ
 فَأَقْسِمُ غَيْرَ مُسْتَثْنٍ يَمِينًا أَبَا بَخْرٍ لَتَتَّخِمَنَّ رَدِّي
 [الوافر]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن غليل العنزي قال: حدثني أحمد بن بكير الأسدي قال: حدثني محمد بن أنس السلمي قال: حدثني محمد بن سهل الأسدي راوية الكُميت: أنَّ الحَكَمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيَّ أَتَى مُحَمَّدَ بْنَ حَسَّانَ بْنَ سَعْدِ التَّمِيمِيِّ وَكَانَ عَلَى خَرَجِ الْكُوفَةِ، فَكَلَّمَهُ فِي رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ أَنْ يَضَعَ عَنْهُ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا مِنْ خَرَجِهِ؛ فَقَالَ: أَمَاتَنِي اللَّهُ إِنْ كُنْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَضَعَ مِنْ خَرَجِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا؛ فَاَنْصَرَفَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ يَقُولُ:

دَعِ الثَّلَاثِينَ لَا تَعْرِضْ لِصَاحِبِهَا لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي تِلْكَ الثَّلَاثِينَ
 لِمَا عَلَا صَوْتُهُ فِي الدَّارِ مُبْتَكِرًا كَأَشْتَفَانِ يَرَى قَوْمًا يَدُوسُونَا
 أَحْسِنْ فَإِنَّكَ قَدْ أُعْطِيتَ مَمْلَكَةً إِمَارَةً صَرَتْ فِيهَا الْيَوْمَ مَفْتُونَا
 لَا يُعْطِيكَ اللَّهُ خَيْرًا مِثْلَهَا أَبَدًا أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ إِلَّا قُلْتُ آمِينَا
 [البسيط]

قال: فلم يضع له شيئاً مما على الرجل؛ فقال فيه:

رَأَيْتُ مُحَمَّدًا شَرِّهَا ظَلُومًا وَكُنْتُ أَرَاهُ ذَا وَرَعٍ وَقَصْدٍ
 يَقُولُ أَمَاتَنِي رَبِّي خِدَاعًا أَمَاتَ اللَّهُ حَسَّانَ بْنَ سَعْدٍ
 فَمَا صَادَفْتَ فِي قَحْطَانٍ مِثْلِي وَلَا صَادَفْتُ مِثْلَكَ فِي مَعَدٍّ

(١) الْفَسْلُ: الرَّذْلُ النَّذْلُ الَّذِي لَا مُرُوءَةَ لَهُ وَلَا جَلْدَ، وَفَسْلٌ فَسَالَةٌ. وَالْفَسِيلُ: صِغَارُ النَّحْلِ، وَالْوَحْدَةُ بِالْهَاءِ. وَفَسَالَةُ الْحَدِيدِ: مَا تَنَاقَرَتْ مِنْهُ عِنْدَ الضَّرْبِ إِذَا طُبِعَ.

(٢) الْآصِرَةُ: مَا عَطَفَكَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ رَجْمٍ أَوْ قَرَابَةٍ أَوْ صَهْرٍ أَوْ مَعْرُوفٍ؛ وَالْجَمْعُ الْأَوَاصِرُ. يُقَالُ: مَا تَأَصَّرَنِي عَلَى فَلَانٍ آصِرَةً، أَيْ مَا تَعَطَّفَنِي عَلَيْهِ قَرَابَةً وَلَا مَنَّةً.

أَقْلَّ بَرَاعَةً وَأَشَدَّ بُخْلًا
نَحَوْتُ مُحَمَّدًا وَدُخَانُ فِيهِ
فَأَقْسَمُ غَيْرَ مُسْتَثْنٍ يَمِينًا
فَلَوْ كُنْتَ الْمَهْدَبُ مِنْ تَمِيمٍ
نَكَّهْتَ عَلَيَّ نَكْهَةً أَخْدَرِيَّ
فَمَا يَدْنُو إِلَى فَمِهِ دُبَابُ
فَإِنْ أَهْدَيْتَ لِي مِنْ فَيْكِ حَتْفًا
وَالْأَمَّ عِنْدَ مَسْأَلَةٍ وَحَمْدِ
كَرِيحِ الْجَعْرِ^(١) فَوْقَ عَطِينِ^(٢) جِلْدِ
أَبَا بَخْرٍ لَلتَّخْمَنِ رَدِّي
لَخِفْتُ مَلَامَتِي وَرَجَوْتُ حَمْدِي
شَتِيمِ أَغْصَلِ الْأَنْيَابِ وَرَدِ
وَلَوْ طُلِيَتْ مَشَاغِرُهُ بِقُنْدِ^(٣)
فَإِنِّي كَالَّذِي أَهْدَيْتَ مُهْدِي
[الوافر]

قال محمد بن سهل: وما زال ابنُ عَبْدِلٍ يزيد في قصيدته هذه الدالية حتى مات وهي طويلة جداً. قال: واشتهرت حتى إن كان المُكَارِيَّ ليسوق بغله أو حماره فيقول: عَدَّ أَمَاتَ اللَّهِ حَسَّانَ بن سَعْدٍ، فإذا سمع ذلك أبوه قال: بل أَمَاتَ اللَّهُ ابني محمداً، فهو عَرَضَنِي لهذا البلاء في ثلاثين درهماً.

[ابن عبدل وأبو المهاجر]

أخبرني أحمد بن محمد زكرياً الصَّخَّاف قال: حَدَّثَنَا قَعْنَبُ بن مُحَرِّزٍ قال أخبرنا الهيثم بن عَدِيٍّ قال: دعا أبو المهاجر الحَكَمَ بن عَبْدِلٍ لِيَشْرَبَ عنده وله جارية تُعْنِي فَعَنَّتْ؛ فقال ابنُ عَبْدِلٍ:

يَا أَبَا الْمُهَاجِرِ قَدْ أَرَدْتُ كِرَامَتِي
عِنْدَ الَّتِي لَوْ مَسَّ جِلْدِي جِلْدُهَا
أَوْ كُنْتُ فِي أَحْمَى جَهَنَّمَ بِقَعَةٍ
فَأَهْنَتَنِي وَضَرَرَتَنِي لَوْ تَعَلَّمُ
يَوْمًا بَقِيْتُ مَخْلُودًا لَا أَهْرَمُ
فَرَأَيْتَهَا بَرَدَتْ عَلَيَّ جَهَنَّمَ
[الكامل]

قال: فجعل أبو المهاجر يَضْحَكُ ويقول له: وَيَحْكُ! وَاللَّهِ لَوْ كَانَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ لَوْهَبْتُهَا لَكَ، وَلَكِنْ لَهَا مِنِّي وَلَدٌ.

[ابن عبدل وعمر بن يزيد الأسدي]

أخبرنا الحسن بن عليٍّ قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بن الْحَارِثِ الْخَزَّازُ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ:

(١) الْجَعْرُ: نَجْوُ كُلِّ ذَاتِ مِخْلَبٍ مِنَ السَّبَاعِ.

(٢) رَجُلٌ عَطِينٌ: مَتْنٌ الْبَشْرَةِ. وَيُقَالُ: إِنَّمَا هُوَ عَطِينَةٌ: إِذَا ذَمَّ فِي أَمْرٍ، أَيْ إِنَّهُ مَتْنٌ كَالْإِهَابِ الْمَعْطُونِ.

(٣) الْقُنْدُ: عَسَلٌ قَصَبِ السَّكْرِ.

كان عمر بن يزيد الأسدي مُبَخَّلًا، ووجده أبوه مع أمة له فكان يُعَيَّر بذلك، وجاءه الحكم بن عبدل الأسدي ومعه جماعة من قومه يسألونه حاجةً، فدخلوا إليه وهو يأكلُ تمرًا فلم يدعُهم إليه، وذكروا له حاجتهم فلم يقضها؛ فقال فيه ابن عبدل:

جئنا وبين يديه التمر في طبقٍ فما دعانا أبو حفص ولا كادا
علا على جسمه ثوبان من دنسٍ لؤمٌ وجُبْنٌ ولولا أيّره ما سادا
[البسيط]

[ابن عبدل يقتضي ديون امرأة من الكوفة]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: أخبرنا محمد بن الحسن الأحول عن أبي نصر عن الأصمعيّ قال: كانت امرأةً موسرةً بالكوفة وكانت لها على الناس ديون بالسّود، فاستعانت بابن عبدل في دينها، وقالت: إني امرأة ليس لي زوج، وجعلت تُعرّض بأنها تزوجه نفسها؛ فقام ابن عبدل في دينها حتى اقتضاه؛ فلما طالبها بالوفاء كتبت إليه:

سيُخطئك الذي حاولت منّي فقطّع حبلَ وصلك من حبالي
كما أخطأك معروف ابن بشر وكنت تعدّ ذلك رأس مالٍ
[الوافر]

قال: وكان ابن عبدل أتى ابنَ بشر بالكوفة فسأله؛ فقال له: أخمسائة أحبّ إليك الآن عاجلة أم ألف في قابل؟ قال: ألف في قابل. فلما أتاه قال له: ألف أحبّ إليك أم ألفان في قابل؟ قال: ألفان؛ فلم يزل ذلك دأبه حتى مات ابن بشر وما أعطاه شيئاً.

[ابن عبدل وعبد الملك بن بشر]

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكِرانيّ قال: حدّثنا العُمريّ عن لقيطٍ قال: دَخَلَ ابنَ عَبْدِ عَلِيّ عبد الملك بن بشر، فقال له: ما أحدثت بعدي؟ قال: خطبتُ امرأةً من قومي فردّت عليّ جواب رسالتي بيّتي شعر؛ قال: وما هما؟ قال: قالت:

سيُخطئك الذي حاولت منّي فقطّع حبلَ وصلك من حبالي
كما أخطأك معروف ابن بشر وكنت تعدّ ذلك رأس مالٍ
[الوافر]

فَضَحِكَ عَبْدُ الْمَلِكِ، ثم قال: لجاد ما أذكّرت بنفسك! وأمر له بألفي درهم.

[ابن عبدل وبشر بن مروان]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ وحبيب بن نصر المُهَلَّبِيّ قالا: حَدَّثَنَا الحسن بن عَلِيل قال: حَدَّثَنَا محمد بن معاوية الأسديّ قال: حَدَّثَنِي مِنجَاب بن الحارث قال: حَدَّثَنِي عبد الملك بن عَفَّان قال: كَانَ الْحَكَمُ بن عَبْدِ اللَّهِ الأسديّ ثم الغاضريّ صديقاً لبشر بن مروان، فرأى منه جَفَاءً لشغل عَرَضَ له، فَغَبَرَ^(١) عنه شهراً، ثم التَقِيَ فقال: يا بن عبدل، ما لك تركتنا وقد كُنْتَ لَنَا زَوَّاراً؟ فقال ابنُ عَبْدِ اللَّهِ:

كُنْتُ أَثْنِي عَلَيْكَ خَيْرًا فَلَمَّا أَضْمَرَ الْقَلْبُ مِنْ نَوَالِكَ يَاسَا
كُنْتُ ذَا مَنْصِبٍ قَنِيتُ حَيَائِي لَمْ أَقُلْ غَيْرَ أَنْ هَجَرْتُكَ بَاسَا
لَمْ أَطِقْ مَا أَرَدْتُ بِي يَابْنَ مَرَوَا نَ سَتَلْقَى إِذَا أَرَدْتُ أَنْ يَاسَا
يَقْبَلُونَ الْخَسِيسَ مِنْكَ وَيُثْنُونَ نَ ثَنَاءً مُدْخَمَساً^(٢) دِخْمَاسَا

[الخفيف]

فقال له: لَا نَسُومُكَ الْخَسِيسَ وَلَا نَرِيدُ مِنْكَ ثَنَاءً مَدْخَمَساً، وَوَصَلَهُ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ.

[ابن عبدل وقد طلبه ابن هبيرة للغزو]

أخبرني الأسديّ قال: حَدَّثَنَا الحسنُ بن عَلِيل العنزيّ قال: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بن معاوية قال: حَدَّثَنِي مِنجَاب بن الحارث عن عبد الملك بن عَفَّان قال: أَرَادَ عَمْرُ بن هُبَيْرَةَ أَنْ يُغْزِيَ^(٣) الْحَكَمَ بن عَبْدِ اللَّهِ الغاضريّ، فاعْتَلَّ بِالزَّمَانَةِ^(٤) فَحُمِلَ وَالْقِيَّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَرَّدَهُ فَإِذَا هُوَ أَعْرَجٌ مفلوج، فَوَضَعَ عَنْهُ الْغَزْوَ وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَشَخَصَ بِهِ مَعَهُ إِلَى وَاسِطٍ؛ فَقَالَ الْحَكَمُ بن عَبْدِ اللَّهِ:

لَعَمْرِي لَقَدْ جَرَّدْتَنِي فَوَجَدْتَنِي كَثِيرَ الْعَيُوبِ سَيِّئَ الْمُتَجَرَّدِ^(٥)
فَأَعْفَيْتَنِي لَمَّا رَأَيْتَ زِمَانَتِي وَوُفِّقْتَ مِنِّي لِلْقَضَاءِ الْمُسَدَّدِ

[الطويل]

(١) غَبَرَ الشَّيْءُ يُغْبَرُ غُبُورًا كَقُعُودٍ: مَكَثَ وَبَقِيَ. وَغَبَرَ غُبُورًا: ذَهَبَ وَمَضَى. وَالْغَابِرُ: الْبَاقِي. وَالْغَابِرُ: الْمَاضِي، ضِدٌّ. وَفِي النَّصِّ ذَهَبَ عَنْهُ وَلَمْ يَرَهُ.

(٢) الدَّخْمَسَةُ: الْخُبُّ يُدْخَمَسُ عَلَيْكَ وَلَا يُبَيِّنُ لَكَ مَحَنَةً مَا يَرِيدُ. تَقُولُ: يُدْخَمَسُ عَلَيَّ.

(٣) يُغْزِي: أَرْسَلَهُ إِلَى الْعَدُوِّ غَازِيًا.

(٤) الزَّمَانَةُ: عِلَّةُ تَصِيبِ الْحَيَوَانَاتِ.

(٥) امْرَأَةٌ بَضَّةٌ الْمُتَجَرَّدُ أَيُّ رَخِصَةٍ نَاعِمَةٍ تَحْتَ ثِيَابِهَا.

فلما صار عمر إلى واسط شكا إليه الحكم بن عبدل الضبعة^(١)، فوهب له جارية من جواريه، فوآبها ليلة صارت إليه فنكحها تسعاً أو عشرة طلقاً، فلما أصبحت قالت له: جُعِلْتُ فداك من أي الناس أنت؟ قال: امرؤ من أهل الشام؛ فقالت: بهذا العمل نُصِرْتُمْ.

[أعفاء الحجاج من الغزو]

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصيرفي قال: حدّثنا الحسن بن عليل قال: حدّثنا أحمد بن بكير الأسدي عن محمد بن أنس السلمي عن محمد بن سهل راوية الكُمَيْت فقال فيه: ضرب الحجاج البعث^(٢) على الْمُحْتَلَمِينَ ومن أَنْبَتَ^(٣) من الصبيان، فكانت المرأة تجيء إلى ابنها وقد جُرّد فتَضَمَّه إليها وتقول له: «بأبي» جَزَعاً عليه، فَسَمِيَ ذلك الجيش «جيش بأبي»، وأُخْضِرَ ابنُ عَبْدِ فجرّد فوجِدَ أعرج فأعفني؛ فقال في ذلك:

لعمري لقد جردتني فوجدتني

البيتين، وزاد معهما ثالثاً وهو:

وَلَسْتُ بِذِي شَيْخِينَ يَلْتَزِمَانِهِ وَلَكِنْ يَتِيْمٌ سَاقِطُ الرَّجْلِ وَالْيَدِ
[الطويل]

[تزوج همدانية ولما كرهها قال فيها شعراً]

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدّثنا العنزي قال: حدّثنا محمد بن معاوية عن منجاب عن عبد الملك بن عقان قال: تزوّج ابن عبدل امرأة من همدان فقالوا له: على كم تزوّجت؟ فقال:

تَزَوَّجْتُ هَمْدَانِيَّةً ذَاتَ بَهْجَةٍ عَلَى نَمَطٍ^(٤) عَادِيَّةٍ وَوَسَائِدِ
لعمري لقد غاليْتُ بِالْمَهْرِ إِنَّهُ كَذَاكَ يُغَالِي بِالنِّسَاءِ الْمَوَاجِدِ^(٥)
[الطويل]

(١) ضَبِعَتِ النَّاقَةُ ضَبْعاً وَضَبَعَةً فِيهِ ضَبِيعَةٌ، وَأَضْبَعَتْ فِيهِ مُضْبِيعَةٌ إِذَا أَرَادَتْ الْفَحْلَ. الضَّبْعَةُ: شِدَّةُ شَهْوَةِ الْفَحْلِ.

(٢) البعث: بعث الجند إلى الغزو.

(٣) أنبت الغلام: راهق وبلغ مبلغ الرجال.

(٤) النَّمَطُ: ظَهَارَةُ الْفَرَّاشِ.

(٥) المواجد: جمع ماجدة، وهي المرأة السمحة الحسنة الخلق.

قال: فلما دَخَلَ بها كَرِهَها فقال:

أَعَذِلْتِي مِنْ لَوْمٍ دَعَانِي
فَأَنْتِي قَدْ دُلِلْتُ عَلَى عَجُوزِ
تَعْصَنُ^(١) جِلْدُهَا وَاخْضَرَّ إِلَّا
فَلَمَّا أَنْ دَخَلْتُ وَحَادَثْتَنِي
تُحَدِّثْنِي عَنِ الْأَزْمَانِ حَتَّى
فَقَالَتْ قَدْ نَكَحْتُ اثْنَيْنِ شَتَّى
وَأَرْبَعَةً نَكَحْتُهُمْ فَمَاتُوا
وَقَالَتْ مَا تِلَادُكَ^(٣) قُلْتُ مَالِي
وَبُورِي^(٥) وَأَرْبَعَةٌ^(٦) زُيُوفٌ
وَقِطْعَةٌ جُلَّةٌ^(٧) لَا تَمَرُ فِيهَا
فَقَالَتْ قَدْ رَضِيتُ فَسَمِّ الْفَأْ
وَمَالِكٍ عِنْدَنَا أَلْفٌ عَتِيدٌ
وَلَا سَبْعٌ وَلَا سِتٌّ وَلَكِنْ

أَقِلَّا اللَّوْمَ إِنْ لَمْ تَعْذِرَانِي
مُبَرَّقَعَةً مَخْضَبَةَ الْبَنَانِ
إِذَا مَا ضَرَجْتُ بِالزَّعْفَرَانِ
أَظَلَّتْنِي بِيَوْمِ أَرْوَنَانَ^(٢)
سَمِعْتُ نِدَاءَ حُرٍّ بِالْأَذَانِ
فَلَمَّا صَاحَبَانِي طَلَّقَانِي
فَلَيْتَ عَرِيفَ حَيٍّ قَدْ نَعَانِي
حِمَارِ ظَالِعٍ^(٤) وَمَزَادَتَانِ
وَتُوبَا مُفْلِسٍ مُتَخَرِّقَانِ
وَدَنَّا عَوْمَةً مُتَقَابِلَانِ
لِيَسْمَعَ مَا تَقُولُ الشَّاهِدَانِ
وَلَا تَسْعُ تُعَدُّ وَلَا تُمَانِ
لَكُمْ عِنْدِي الطَّوِيلُ مِنَ الْهَوَانِ
[الوافر]

[كان منقطعاً إلى بشر بن مروان فلما مات رثاه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قال: حَدَّثَنِي عَمِي عَنْ أَبِيهِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ قَالَ: كَانَ
الْحَكْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيُّ مُنْقَطِعاً إِلَى بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ، وَكَانَ يَأْنُسُ بِهِ وَيُحِبُّهُ وَيَسْتَطِيبُهُ،
وَأَخْرَجَهُ مَعَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ لَمَّا وَلِيَهَا، فَلَمَّا مَاتَ بَشْرٌ جَزَعَ عَلَيْهِ الْحَكْمُ وَقَالَ يَرِثِيهِ:

- (١) الْعَصْنُ: تَشْنِي الْعُودَ وَتَلْوِيهِ. وَعَصَنُ الْعَيْنُ: جِلْدَتُهَا الظَّاهِرَةُ. وَيُقَالُ لِلْمَجْدُورِ إِذَا أَلْبَسَ الْجُدْرِيَّ جِلْدَهُ: أَصْبَحَ جِلْدُهُ غَضَّةً وَاحِدَةً، وَقَدْ يُقَالُ بِالْبَاءِ.
- (٢) يَوْمِ أَرْوَنَانَ وَأَرْوَنَانِي: شَدِيدٍ.
- (٣) تَلَدَ الْمَالُ كَالْإِبِلِ وَالْغَنَمِ.
- (٤) الظَّلْعُ: الْعَمْرُ، كَأَنَّ بَرَجْلَهُ دَاءٌ فَهُوَ يَظْلَعُ.
- (٥) فِي الْحَدِيثِ: أَنَّهُ «كَانَ لَا يَرَى بَأْسًا بِالصَّلَاةِ عَلَى الْبُورِيِّ»، قَالُوا: هِيَ الْخَصِيرُ الْمَعْمُولُ بِالْقَصَبِ، وَيُقَالُ فِيهِ: بَارِيَّةٌ وَبُورِيَاءٌ.
- (٦) أَيْ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمٍ زَائِفَةٌ.
- (٧) الْجُلَّةُ: وَعَاءٌ يَتَّخَذُ مِنَ الْخُوصِ يَوْضَعُ فِيهِ التَّمَرُ.

أَصْبَحْتُ جَمَّ بِلَابِلٍ^(١) الصَّدْرِ
 مَا زِلْتُ أَطْلُبُ فِي الْبِلَادِ فَتًى
 وَيَكُونُ يُسْعِدُنِي وَأُسْعِدُهُ
 حَتَّى إِذَا ظَفِرْتُ يَدَايَ بِهِ
 إِنِّي لَفِي هَمٍّ يُبَاكِرُنِي
 فَلَا أَصْبِرَنَّ وَمَا رَأَيْتُ دَوًى
 وَاللَّهِ مَا اسْتَعْظَمْتُ فُرْقَتَهُ
 مُتَعَجِّباً لَتَصْرُفِ الدَّهْرِ
 لِيَكُونَ لِي ذُخْراً مِنَ الذُّخْرِ
 فِي كُلِّ نَائِبَةٍ مِنَ الْأَمْرِ
 جَاءَ الْقَضَاءُ بِحَيْنِهِ يَجْرِي
 مِنْهُ وَهُمْ طَارِقٍ يَسْئُرِي
 لِلْهَمِّ غَيْرَ عَزِيمَةِ الصَّبْرِ
 حَتَّى أَحَاطَ بِفَضْلِهِ خُبْرِي
 [الكامل]

[كان يسمر عند عبد الملك في الشام]

أخبرني ابن ذرير قال: حدّثني عمي عن أبيه عن ابن الكلبي قال: لما ظفر ابن الزبير بالعراق وأخرج عنها عمّال بني أمية خرج ابن عبدل معهم إلى الشام، وكان ممن يدخل إلى عبد الملك ويسمر عنده، فقال لعبد الملك ليلة:

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ رَبِّمَا نَفَعْتُ
 بِالذُّلِّ وَالْأَسْرِ وَالتَّشْرِيدِ إِنَّهُمْ
 أَمْ هَلْ أَرَاكَ بِأَكْنَفِ الْعِرَاقِ وَقَدْ
 هَلْ أَبْصِرَنَّ بَنِي الْعَوَامِ قَدْ شَمَلُوا
 عَلَى الْبَرِيَّةِ حَتْفٌ حَيْثَمَا نَزَلُوا
 ذَلَّتْ لِعَزْكِ أَقْوَامٍ وَقَدْ نَكَلُوا
 [البسيط]

فقال عبد الملك - ويروى أنه قائل هذا الشعر - :

إِنْ يُمَكِّنِ اللَّهُ مَنْ قَيْسٍ وَمَنْ جَدَسٍ^(٢)
 نَضْرِبُ جَمَاجِمَ أَقْوَامٍ عَلَى حَنْقٍ
 وَمَنْ جُذَامٍ^(٣) وَيُقْتَلُ صَاحِبُ الْحَرَمِ
 ضَرْباً يُنَكِّلُ عَنَّا سَائِرَ الْأُمَمِ
 [البسيط]

[يزيد بن عمر بن هبيرة وبنت ابن عبدل]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثني هارون بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه قال: حدّثني محمد بن عمر الجرجاني عن رجل من بني أسد قال: خرج يزيد بن عمر بن هبيرة يسير بالكوفة فانتهى إلى مسجد بني غاضرة، وقد أقيمت

(١) اللَّبْلَبْلَةُ: وَسْوَاسُ الْهُمُومِ فِي الصَّدْرِ، وَهُوَ اللَّبْلَبَالُ وَالْبَلَابِلُ.

(٢) بطن من كندة.

(٣) هو جُذَامُ بَنِ عَدِيٍّ بَنِ الْحَارِثِ بَنِ مُرَّةَ بَنِ أَدَدٍ. فَوَلَدَ جُذَامَ حَرَاماً وَحِشْماً، مِنْهُمَا تَفَرَّقَتْ جَذَامُ.

الصلاة، فنزل يُصَلِّي، واجتمع الناس لمكانه في الطريق وأشرف النساء من السطوح، فلما قضى صلاته قال: لمن هذا المسجد؟ قالوا: لبني غاضرة، فتمثل قول الشاعر:

وَمَا إِنْ تَرَكْنَ مِنَ الْعَوَاضِرِ مُعْصِرًا إِلَّا قَصَمْنَ بِسَاقِهَا خَلْخَالًا^(١)
[الكامل]

فقلت له امرأة من المُشْرِفات:

وَلَقَدْ عَطَفْنَ عَلَى فَزَارَةِ عَطْفَةً كَرَّ الْمَنِيعِ^(٢) وَجُلْنَ ثُمَّ مَجَالًا^(٣)
[الكامل]

فقال يزيد: مَنْ هذه؟ فقالوا: بنت الحكم بن عبدل؛ فقال: هل تلد الحيّة إلا حيّة! وقام خجلًا.

[ابن عبدل وصاحب العسس]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثني أحمد بن الهيثم قال: حدّثنا العُمريّ عن عطاء بن مُضْعَب عن عاصم بن الحَدَثان قال: كان ابنُ عبدل الأسديّ أعرجَ أحدب، وكان من أطيب الناس وأملحهم، فَلَقِيَهُ صاحبُ العسس ليلةً وهو سكرانٌ محمولٌ في محفّة^(٤)؛ فقال له: مَنْ أنت؟ فقال له: يا بغيض، أنت أعرفُ بي من أن تسألني مَنْ أنا، فاذهب إلى شغلِكَ، فإنَّك تعلمُ أن اللصوص لا يخرجون بالليل للسُرقةِ محمولين في محفّة؛ فَضَحِكَ الرجلُ وانصرف عنه.

[ابن عبدل يعرض بابن هبيرة في شعره]

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثنا العبّاس بن ميمون طائع قال: حدّثني أبو عدنان عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيَّاش قال: رأيتُ ابن عبدل الأسديّ وقد دخل على ابن هبيرة، فقال له: أنشدني شيئاً، فقال: أنشدك مَقُولَةً أيها الأمير؟ قال: هات؛ فأنشده هذه الأبيات - وهي قديمةٌ وقد تمثل بها ابن الأشعث حين خرج، ويروى أنها لأعشى همدان^(٥) - :

(١) ينسب هذا البيت للأخطل، وقد ورد في الديوان على الشكل التالي:

وَمَا تَرَكْنَ مِنَ الْعَوَاضِرِ مُعْصِرًا إِلَّا قَصَمْنَ بِسَاقِهَا خَلْخَالًا

(٢) المنيع: اسم فرس قيس بن مسعود الشيباني.

(٣) ينسب هذا البيت للأخطل.

(٤) المحفّة: مركب من مراكب النساء كالهودج.

(٥) عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جشم الهمداني. شاعر اليمانيين، بالكوفة =

نَجْمٌ وَلَا تُعْطَى وَتُعْطَى جُيُوشُهُمْ وَقَدْ مَلَأُوا مِنْ مَالِنَا ذَا الْأَكَارِ
وَقَدْ كَلَّفُونَا عُدَّةً وَرَوَائِعاً فَقَدْ وَأَبَى رُغْنَاكُمْ بِالرَّوَائِعِ
وَنَحْنُ جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَلْفِ فَرَسَخٍ إِلَيْكُمْ بِمُحَمَّرٍ مِنَ الْمَوْتِ نَاقِعِ
[الطويل]

قال: فغضب ابن هُبَيْرَة من تعريضه به، وقال له: واللَّه لولا أَنِّي قد أَمْنْتُكَ واستشدَّتْكَ لَضَرَبْتُ عُقْقَكَ.

[هل تلد الحية إلا حية؟]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبَان أبو عبد الله قال: حَدَّثَنَا القَاسِم بن عبد الرحمن قال: كانت للحكم بن عَبدَل جارية سوداء، وقد كان يميل إليها فولَدَتْ له ابناً أسوداً، فكان من أَعْرَم^(١) الصبيان، فقال فيه:

يَا رَبِّ خَالٍ لَكَ مُسَوِّدَ الْقَفَا لَا يَشْتَكِي مِنْ رَجُلِهِ مَسَّ الْحَفَا
كَأَنَّ عَيْنَيْهِ إِذَا تَشَوَّفَا عَيْنَا غُرَابٍ فَوْقَ نَيْقٍ^(٢) أَشْرَفَا
[الطويل]

[هجا عمر بن يزيد الأسدي لبخله]

أخبرنا محمد بن خلف بن المَرْزُبَان أبو عبد الله قال: حَدَّثَنَا عُبيد الله بن محمد قال: حَدَّثَنَا المدائني قال: كان عُمَرُ بن يزيد الأسدي بخيلاً على الطعام، فدخل عليه الحكم بن عَبدَل الشاعر وهو يأكل بطيخاً، فسَلَّمَ فلم يَرُدَّ عليه السلام ولم يدعُه إلى الطعام؛ فقال ابنُ عَبدَل يهجوه:

فِي عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ خَلَّتَا دَنَسٍ بُخْلٌ وَجُبْنٌ وَلَوْلَا أَيْرُهُ سَادَا
جِئْنَاهُ يَأْكُلُ بَطِيخاً عَلَى طَبَقٍ فَمَا دَعَانَا أَبُو حَفْصٍ وَلَا كَادَا
[البسيط]

= وفارسهم في عصره. ويعد من شعراء الدولة الأموية. كان أحد الفقهاء القراء، وقال الشعر فعرف به، وكان من الغزاة أيام الحجاج، غزا الديلم وله شعر كثير في وصف بلادهم ووقائع المسلمين معهم. ولما خرج عبد الرحمن بن الأشعث انحاز الأعشى إليه واستولى على سجستان معه وقاتل رجال الحجاج الثقفي. ثم جيء به إلى الحجاج أسيراً بعد مقتل الأشعث، فأمر به الحجاج فضربت عنقه سنة ٨٥ هـ.

(١) أعرم: أخبث.

(٢) النَّيْقَةُ: من التَّنَوُّق. والنَّيْقُ لُغَةٌ. والنَّيْقُ: حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الْجَبَل. والعَيْشُ الرِّخِيُّ، هم في نَيْقٍ مِنْ عَيْشِهِمْ. وَلَيْسَ لَهُمْ نَيْقَةٌ فِي الشَّيْءِ: أَي طَمَعٌ وَرَغْبَةٌ. والنَّيْقُ: الْحِصْنُ.

قال وكان عُمر على شُرطة الحَجَّاج وكان بخيلاً جداً، فأصابه قُولنج^(١) فحقَّنه الطبيبُ بدهن كثير، فانحلَّ ما في بطنه في الطَّسْت، فقال للغلام: ما تصنع به؟ قال: أصبُّه؛ قال: لا! لكن مَيِّز منه الدهن واستصبح به.

[ابن عبدل ومحمد بن عمير كاتب عبد الملك بن بشر]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدَّثنا أبو هِفَّان قال: كان لعبد الملك بن بشر بن مروان كاتبٌ يقال له محمد بن عُمير، وكان كلَّما مدحه ابن عبدل بشيء وأمر له بجائزة دافعه بها وعارضه فيها، فدخل يوماً إلى عبد الملك وكتبه هذا يُسارُهُ، فوقف وأنشأ يقول:

أَلَقَيْتَ نَفْسَكَ فِي عَرُوضٍ^(٢) مَشَقَّةٍ وَحَصَادُ أَنْفِكَ بِالْمَنَاجِلِ أَهْوَنُ
فَبِحَقِّ أُمِّكَ وَهِيَ غَيْرُ حَقِيقَةٍ بِاللَّيْنِ وَاللَّطْفِ الَّذِي لَا يُخَزَنُ
لَا تُدْنِ فَاكَ إِلَى الْأَمِيرِ وَنَحْهٍ حَتَّى يُدَاوِيَ نَتْنَهُ لَكَ أَهْوَنُ
إِنْ كَانَ لِلظَّرِبَانِ جُحْرٌ مُنْتِنٌ فَلَجُحْرُ أَنْفِكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتِنُ

[الكامل]

[خطب امرأة فابت]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرَفِيُّ قال: حدَّثنا العنزيُّ قال: حدَّثني أحمد بن بُكَيْرِ الأَسَدِيِّ عن محمد بن أنس السَّلامِيِّ عن محمد بن سَهْلٍ رَاوِيَةِ الْكُمَيْتِ قال: خَطَبَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ امْرَأَةً مِنْ هَمْدَانَ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ رِيَّاحٍ فَلَمْ تَتَزَوَّجْهُ، فَقَالَ: أُمَّا وَاللَّهِ لَا أَفْضَحُنَّكَ وَلَا أُعِيرَنَّكَ، فَقَالَ:

فَلَا خَيْرَ فِي الْفِتْيَانِ بَعْدَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَلَا فِي الزَّوَانِي بَعْدَ أُمِّ رِيَّاحٍ
فَأَيَّرِي بِحَمْدِ اللَّهِ مَاضٍ مُجَرَّبٌ وَأُمُّ رِيَّاحٍ عُرْضَةٌ لِنِكَاحِي

[الطويل]

[وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ سَمَاهُ بَشَرًا تَيْمَنًا بِبَشَرِ بْنِ مَرْوَانَ]

قال: فَتَحَامَاهَا النَّاسُ فَمَا تَزَوَّجَتْ حَتَّى أَسَنَّتْ. وبهذا الإسناد عن محمد بن سَهْلٍ قال: وُلِدَ لِلْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنٌ فَسَمَاهُ بَشَرًا، وَدَخَلَ عَلَى بَشَرِ بْنِ مَرْوَانَ فَأَنَشَدَهُ:

(١) الْقَوْلُنْجُ: «عَجَمِيَّة»، وَقَدْ تَكْسَرُ لَامُهُ، أَوْ هُوَ مَكْسُورُ اللَّامِ، وَيُفْتَحُ الْقَافُ وَيُضَمُّ: مَرَضٌ «مَشْهُورٌ» مَعُيٌّ «مَنْسُوبٌ إِلَى الْمَعَى» مُؤَلِّمٌ «جَدًّا» يَعْسُرُ مَعَهُ خُرُوجُ الثَّقَلِ وَالرَّيْحِ.

(٢) الْعَرُوضُ: الطَّرِيقُ فِي عَرْضِ الْجَبَلِ فِي مَضِيقٍ.

سَمَيْتُ بَشْرًا بِبَشْرِ النَّدَى فَلَا تَفْضَحْنِي بِتَضَادِقِهَا
 إِذَا مَا قُرَيْشٌ قُرَيْشُ الْبَطَا حَ عِنْدَ تَجْمُوعِ آفَاقِهَا
 تَسَامَتْ قُرُومُهُمْ لِلنَّدَى تُبَارِي الرِّيَّاحَ بِأُورَاقِهَا
 فَمَالُكَ أَنْفَعُ أَمْوَالِهَا وَخُلُقُكَ أَكْرَمُ أَخْلَاقِهَا
 [المقارب]

فَأَمَرَ لَهُ بِالْفِي دَرَاهِمَ، وَقَالَ: اسْتَغْنِ بِهَذِهِ عَلَى أَمْرِكَ.

[عبد الملك بن بشر يقضي دينه]

وبإسناده عن محمد بن سهل قال: اقترض ابن عبدل مالا من التجار وحلف لهم بالطلاق ثلاثاً أن يَفْضِيَهُمُ الْمَالَ عِنْدَ طُلُوعِ الْهَلَالِ، فَلَمَّا بَقِيَ مِنَ الشَّهْرِ يَوْمَانِ قَالَ:

قَدِ بَاتَ هَمِّي قِرْنًا أَكْبَادُهُ كَأَنَّمَا مَضَجَعِي عَلَى حَجَرٍ
 مِنْ رَهْبَةٍ أَنْ يُرَى هَلَالُ غَدٍ فَإِنْ رَأَوْهُ فَحَقَّ لِي حَذَرِي
 مِنْ فَقْدِ بِيضَاءِ غَادَةٍ كُمَلْتُ كَأَنَّهَا صُورَةٌ مِنَ الصُّورِ
 أَصْبَحْتُ مِنْ أَهْلِي الْغَدَاءِ وَمِنْ مَالِي عَلَى مِثْلِ لَيْلَةِ الصَّدْرِ
 [المنسرح]

فبلغ خبره عبد الملك بن بشر فأعطاهم ما لهم عليه وأضعفه له؛ فقال فيه:

لَمَّا أَتَاهُ الَّذِي أَصِيبْتُ بِهِ وَأَنْشَدُوهُ إِيَّاهُ فِي شِعْرِي
 جَادَ بِضِعْفِي مَا حَلَّ مِنْ غُرْمِي عَفَوًا فزالت حرارة الصَّدْرِ
 لَا شُكْرَ الَّذِي مَنَنْتُ بِهِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَطَالَ لِي عُمْرِي
 [المنسرح]

[فضله الحجاج في الجائزة على الشعراء]

وقال محمد بن سهل بهذا الإسناد: اجتمع الشعراء إلى الحجاج وفيهم ابن عبدل، فقالوا للحجاج: إننا شعرُ ابن عبدل كله هجاءً وشعرٌ سخيْفٌ؛ فقال له: قد سمعت قولهم فاستمع مني؛ قال: هات فأنشده قوله:

وَإِنِّي لَأَسْتَغْنِي فَمَا أَبْطَرُ^(١) الْغَنَى وَأَعْرِضْ مِيسُورِي لِمَنْ يَبْتَغِي قَرْضِي

(١) الْبَطْرُ، فِي مَعْنَى، كَالْحَيَرَةِ وَالذَّهْشِ، يُقَالُ: لَا يُبْطِرُنْ جَهْلُ فُلَانٍ حِلْمُكَ، أَيْ: لَا يُدْهِشُكَ. وَفِي مَعْنَى: كَالْأَشْرِ وَغَمَطِ النِّعْمَةِ، يُقَالُ: بَطَرَ فُلَانٌ نِعْمَةَ اللَّهِ، أَيْ: كَأَنَّهُ مَرِحَ حَتَّى جَاوَزَ الشُّكْرَ فَتَرَكَهُ وَرَاءَهُ.

وَأُعْسِرُ أَحْيَاناً فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي فَأُذِرُكَ مَيْسُورَ الْغِنَى وَمَعِي عِرْضِي
حتى انتهى إلى قوله : [الطويل]

وَلَسْتُ بِذِي وَجْهَيْنِ فِي مَنْ عَرَفْتَهُ وَلَا الْبُخْلُ فَأَعْلَمُ مَنْ سَمَائِي وَلَا أَرْضِي
[الطويل]

فقال له الحجاج : أَحَسَنْتَ ! وَفَضَّلَهُ فِي الْجَائِزَةِ عَلَيْهِمْ بِأَلْفِي دَرَاهِمٍ .

أحد الأصوات المائة المختارة :

صوت

من المائة المختارة

أَجْدٌ بِعَمْرَةٍ غُنْيَانُهَا فَتَهْجُرَ أَمَ شَأْنُنَا شَأْنُهَا
فَإِنْ تُمَسِّسَ شَطَطُ بِهَا دَارُهَا وَبَاحَ لَكَ الْيَوْمَ هِجْرَانُهَا
فَمَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْقَطَا^(١) كَأَنَّ الْمَصَابِيحَ حَوَازِيهَا^(٢)
بِأَحْسَنَ مِنْهَا وَلَا مُزْنَةً دَلُوحُ^(٣) تَكْشِفُ إِدْجَانُهَا
وَعَمْرَةٌ مِنْ سَرَوَاتِ النَّسَا ءِ تَنْفَحُ بِالْمِسْكِ أَرْدَانُهَا^(٤)

[المقارب]

أَجْدٌ : أَسْتَمِرُّ . وَغُنْيَانُهَا : اسْتِغْنَاؤُهَا . أَمَ شَأْنُنَا شَأْنُهَا : يَقُولُ أَمَ هِيَ عَلَى مَا
نَحْبُ . وَشَطَطٌ : بَعْدَتْ ، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : يَقَالُ : شَطَطْتُ وَشَطَنْتُ وَشَسَعْتُ وَتَشَسَعْتُ
وَبَعْدْتُ وَنَأْتُ وَتَزَحَّزَحْتُ وَشَطَرْتُ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :

لَا تَشْرُكْنِي فِيهِمْ شَطِيرًا^(٥)

(١) رَوْضٌ مِنْ رِيَاضِ الْيَمَامَةِ .

(٢) الْحَوَازِي : نَبْتُ يَرْتَفِعُ قَدْرُ الذَّرَاعِ لَهُ زَهْرَةٌ حُمْرَاءُ فِي أَصْلِهَا صَفْرَاءُ . وَوَرَقَتُهُ مَدَوْرَةٌ ، وَالْحَافِرُ يَسْمَنُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مِنْ نَبَاتِ السَّهْلِ ، حَلَوٌ طَيِّبُ الطَّعْمِ ، وَالْحَوَازِي : نَبَاتٌ مِثْلُ الْهِنْدَبَاءِ يَنْبْتُ مَتَسْطَحاً فِي جِلْدِ الْأَرْضِ وَلِبَانُهَا لِازِقاً بِهَا ، وَقَلَمًا يَنْبْتُ فِي السَّهْلِ ، وَلَهُ زَهْرَةٌ صَفْرَاءُ ، وَاحِدَتُهَا حَوَازِيَّةٌ .

(٣) دَلَحَ الرَّجُلُ ، إِذَا مَشَى بِجُمْلِهِ غَيْرَ مُنْبَسِطٍ الْخَطْوِ ، لِثِقَلِهِ عَلَيْهِ . وَسَحَابَةُ دَلُوحُ ، أَيُ كَثِيرَةُ الْمَاءِ ، وَسَحَابٌ دُلْحٌ . وَتَدَالَحَ الشَّيْءُ فِيمَا بَيْنَهُمَا ، إِذَا حَمَلَاهُ عَلَى عَوْدٍ .

(٤) تَنْسَبُ الْأَبْيَاتُ لِقَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ بْنِ عَدِيِّ الْأَوْسِيِّ ، أَبُو يَزِيدٍ . شَاعِرُ الْأَوْسِ وَأَحَدُ صَنَادِيدِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ . أَوَّلُ مَا اشتهر به تتبعه قاتلي أبيه وجده حتى قتلتهما ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ شِعْراً . وَلَهُ فِي وَقْعَةٍ بَعَاثَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ قَبْلَ الْهَجْرَةِ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ . أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَتَرِثُ فِي قَبُولِهِ ، فَقُتِلَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ .

(٥) شَطِيرٌ : بَعِيدٌ .

ومنه سمي الشاطر^(١). وباح: ظَهَرَ؛ ومنه باحة الدار وأنشد:

أَتَكْتُمُ حُبَّ سَلَمَى أَمْ تَبُوحُ

والرَّوْضَةُ: موضع فيه نَبْتُ وماء مستدير، وكذلك الحديقة. وقوله:

كَأَنَّ الْمَصَابِيحَ حَوْذَانُهَا

أراد كَأَنَّ حَوْذَانَهَا الْمَصَابِيحُ فَقَلَبَ، والعرب تفعل ذلك؛ قال الأعشى:

... كَأَنَّ الْجَمْرَ مِثْلُ تُرَابِهَا

أراد كَأَنَّ تَرَابَهَا مِثْلُ الْجَمْرِ. والمُزْنَةُ: السحابة. والدَّلُوحُ: الثقيلة، يقال: مرَّ يَدْلَحُ بحمله إذا مرَّ به مُثْقَلًا. والدَّجَنُ: إلباسُ الغيمِ السحابِ برشٍّ ونَدَى، يقال: أَدَجَنَتِ السَّمَاءُ؛ وقوله: تَكْشَفُ دَجَانُهَا، إذا انكشفَ السَّوَادُ عنها، وذلك أحسن لها، وأراد مُزْنَةً بِيضَاءٍ. والأردان: ما يلي الذراعين جميعاً والإبطَيْن من الكُمَيْنِ.

الشعر لقيس بن الخطيم، والغناء لِطَوَيْسٍ خفيف ثَقِيلٍ أَوَّلُ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى الْوُسْطَى.

(١) شَطَرَ فَلَانٌ عَلَى أَهْلِهِ، أَي: تَرَكَهُمْ مُخَالَفًا مُرَاعِمًا. وَرَجُلٌ شَاطِرٌ، وَقَدْ شَطَرَ شُطُورًا وَشَطَارًا، وَهُوَ الَّذِي أُعْيَا أَهْلُهُ وَمُؤَدَّبُهُ خِبثًا. وَشَطَرَ بَصْرَهُ يَشْطُرُ شُطُورًا وَشَطْرًا، وَهُوَ الَّذِي كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْكَ وَإِلَى آخِر.

فهرس المحتويات

٥	 أخبار مجنون بني عامر ونسبه
٥	 نسبه وتصحيح اسمه
٥	 اسمه الصحيح
٥	 قيل : كانت به لوثة ولم يكن مجنوناً
٦	 اختلاف الرواة في وجوده
٧	 المجنون فتى من أمية؟
٨	 لُقِّبَ بالمجنون كثيرٌ غيره
١٠	 المجنون اسن مستعار
١٠	 شعره مولد عليه
١١	 عشق ليلي صغير
١٤	 المجنون بخطب ليلي
١٥	 أبوه يروي قصة جنونه بليلى
١٥	 هيامه بليلى
١٥	 قصته مع عمر بن عبد الرحمن بن عوف
١٩	 حجه مع أبيه إلى مكة لسلوان ليلي
٢١	 سؤاله زوج ليلي عن عشرته معها
٢٢	 مروره بجبلي نعمان
٢٣	 ارتحال أهل ليلي وما قاله في ذلك
٢٤	 حديثه مع نسوة فيهن ليلي
٢٦	 اتصاله بليلى في صباه
٢٧	 الأصمعي وحديثه عن المجنون
٢٨	 بعض أوصافه
٣٠	 زيارة ليلي له وحديثه معها
٣٠	 سبب جنونه بيت شعر قاله

- ٣٠ سبب تسميته المجنون
- ٣٢ ليلي أم مالك
- ٣٣ الرائية
- ٣٤ جنونه ليلي وهيامه على وجهه
- ٣٦ حبه ليلي برواية رباح العامري
- ٣٨ شعره بعد زواجها
- ٣٩ قصيدته العينية
- ٤١ المجنون وهديل الحمام
- ٤١ جبل التوباد
- ٤٢ سبب ذهاب عقله
- ٤٣ شعره حين توهم هاتفاً باسم ليلي
- ٤٣ شعر له في منى
- ٤٤ خطبة ليلي وشعر المجنون
- ٤٥ خبر أبي الحسن البغاء
- ٤٧ رجع الخبر إلى سياقة أخبار المجنون
- ٤٧ مرور المجنون بأهل ليلي
- ٤٨ حديث ليلي جارة لها من عقيل
- ٤٩ خروج ليلي مع زوجها وشعره فيه
- ٤٩ وعظ وإنشاد
- ٥٠ لقاءه ليلي في توحُّشه
- ٥٢ خبر نوفل بن مساحق مع المجنون
- ٥٣ قصديته اليائية
- ٥٥ رثاؤه لأبيه
- ٥٥ موعظة
- ٥٦ شعره في حمام يتجاوب
- ٥٦ اختلاف المجنون إلى ليلي عند غياب زوجها
- ٥٧ عندما مرض المجنون
- ٥٧ ليلي والطبي
- ٥٨ شعره وقد بلغه أن زوج ليلي سبه

٥٩	عفا الله عن ليلى
٥٩	حمامة السرح
٦٠	في رمل يبرين
٦٠	اليمانيون الذين أهاجوا أشواقه
٦١	رحيل ليلى
٦٢	خبر نظره إلى أظعان ليلى
٦٣	من المائة المختارة
٦٤	خبر ظبية سأل صيادها أن يطلقها
٦٥	خبره مع نسوة عدلنه في ليلى
٦٦	أودع رجلاً شعراً ينشده ليلى
٦٧	أبوه يحتال أن يبلغه أن ليلى تشتمه
٦٨	وُصِفَ لليلى فبكت وقالت شعراً
٦٩	خبر شيخ من بني مرة لقي المجنون ميتاً
٧١	ندم أبي ليلى على عدم تزويجه بها
٧١	نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني
٧٢	بكاء أبي ليلى على المجنون
٧٣	يتداوى بالأعشاب
٧٣	التقاؤه بقيس بن ذريح
٧٤	رأى ليلى فبكى فرحاً
٧٥	من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى
٧٥	عظة عدي وتنصر النعمان
٧٧	ذكر عدي بن زيد ونسبه وقصته ومقتله
٧٧	نسبه
٧٧	العجاج ونقد الشعر
٧٧	نزول آل عدي بالحيرة
٧٨	مقتل زيد بن أيوب
٧٩	حماد بن زيد كاتب للنعمان الأكبر
٧٩	سبب اتصال زيد بن حماد بكسرى
٨٠	تمليك زيد بن حماد على الحيرة

- ٨٠ تعلم عدي بن زيد الفارسية
- ٨٠ اتصاله بكسرى وتولييه الكتابة له
- ٨١ عدي أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى
- ٨١ عديّ موفد كسرى إلى ملك الروم
- ٨٢ انقلاب في الحيرة
- ٨٣ قدوم عديّ للحيرة وخروج المنذر للقائه
- ٨٣ يؤثر الصيد على الملك
- ٨٤ تزوجه هنداً بنت النعمان
- ٨٤ جعل المنذر ابنه النعمان في حجر عدي
- ٨٤ عدي السياسي الماكر
- ٨٦ تواعد عدي بن مرينا لعدي بن زيد
- ٨٧ تدبير عدي بن مرينا المكيدة لعدي
- ٨٧ حبس النعمان لعدي
- ٩١ رواية المفضل الضبي في سبب ذلك
- ٩٤ رسالة إلى أخيه من السجن
- ٩٥ عندما قتل في السجن
- ٩٦ مدح النعمان زيد بن عدي لدى كسرى
- ٩٧ كسرى يطلب نساء من النعمان
- ٩٩ النعمان يرفض
- ٩٩ النعمان يسلم نفسه لكسرى
- ١٠١ وصول النعمان لكسرى وموته
- ١٠٢ عديّ بن زيد وهند بنت النعمان
- ١٠٢ قصة تزوجه بهند
- ١٠٤ هند تترهب بعد قتل عديّ
- ١٠٤ خطبها المغيرة بن شعبة فردته
- ١٠٥ حديث عشقها لزرقاء اليمامة
- ١٠٥ قيل إن النعمان أكرهه على طلاقها
- ١٠٥ سبب تنصر النعمان
- ١٠٧ رأي المؤلف أن النعمان هو الذي تنصر

- خالد بن صفوان يتذكر قصة النعمان وتنصره ١٠٧
- قصرا الحضرة والخورتق ١١٠
- رثاء النابعة الذبياني للنعمان ١١٤
- الغناء في شعر عدي بن زيد ١١٤
- من المائة المختارة ١٢١
- خبر الحطيئة ونسبه والسبب
- الذي من أجله هجا الزبرقان بن بدر ١٢٣
- نسبه ١٢٣
- إسلامه وارتداده ١٢٣
- سبب لقبه ١٢٣
- انتماؤه إلى بني ذهل بن ثعلبة ١٢٣
- تلونه وانتسابه إلى عدة قبائل ١٢٤
- الحطيئة ابن زنا ١٢٤
- خبره مع أخويه من أوس بن مالك ١٢٥
- سأل أمه عن أبيه ١٢٥
- خبره مع إخوته من بني الأفقم ١٢٦
- تزوجت أمه فهجاها ١٢٧
- كان هجاء فاسد الدين ١٢٨
- قدم المدينة فجمعت له العطايا خوفاً منه ١٢٩
- متانة شعره ١٢٩
- دنيء النفس ١٣٠
- أنشد عمر شعراً هجا به قومه ١٣١
- دخوله حفل سعيد بن العاص ١٣١
- خبره مع عتيبة بن النّهاس ١٣٢
- ليس في شعره مطعن ١٣٣
- أشعر الشعراء بعد زهير ١٣٤
- ابن ميادة والحطيئة ١٣٤
- شعره وقول الأصمعي ١٣٥
- سئل من أشعر الناس فأخرج لسانه يعني نفسه ١٣٥

- ١٣٥ قابل حسان متنكراً وسمع من شعره
- ١٣٥ كان بخيلاً يطرد الضيوف
- ١٣٦ كان يقول إنما أنا حسب موضوع
- ١٣٦ هجاؤه أضيافه
- ١٣٧ فَقَدَ ناقةً فقال شعراً
- ١٣٧ لا يذهب العرف بين الله والناس
- ١٣٨ كتب له الأصمعي أربعين قصيدة في ليلة
- ١٣٨ قوله لا يذهب العرف مكتوب في التوراة
- ١٣٩ أوصى ابن شداد ابنه محمداً بشعره
- ١٣٩ مدحه أبا موسى الأشعري
- ١٤٠ كذب الحطيئة
- ١٤٠ رقة قلب الحطيئة
- ١٤٠ رؤية صاحب الحطيئة الجتي
- ١٤١ ابن شبرمة وشعر الحطيئة
- ١٤١ نزوله على بني مقلد بن يربوع
- ١٤٢ خبره مع الزبرقان
- ١٤٧ دع المكارم لا ترحل لبغيتها
- ١٤٨ استعطف عمر بشعر فأطلقه
- ١٥٠ اشترى منه عمر أعراض المسلمين
- ١٥٠ شفاعه ابن عوف له عند عمر
- ١٥١ بنو قريع والحطيئة
- ١٥٢ سؤاله ابن عباس في هجاء الناس
- ١٥٤ الزبرقان وبنو أنف الناقة
- ١٥٥ وصيته عند موته بالشعراء والفقراء
- ١٥٨ الغناء في شعر الحطيئة
- ١٥٩ الحطيئة أشعر الناس
- ١٦٠ الحطيئة وعمر
- ١٦٢ أخبار ابن عائشة ونسبه
- ١٦٢ اسمه وكنيته ونسبه إلى أمه

- سأله الوليد عن نسبه لأمه فأجابه ١٦٢
- كان يفتن كل من سمعه ١٦٢
- كان جيد الغناء دون الضرب ١٦٣
- ابن أبي عتيق وانتصاره له ١٦٣
- لولا آخر غنائه لفاق ابن سريج ١٦٣
- نديم الخلفاء والملوك ١٦٤
- أخلاقه ١٦٤
- نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني ١٦٥
- غنى بالموسم فحسب الناس عن المسير ١٦٦
- نسبة هذا الصوت الذي غناه ابن عائشة ١٦٧
- غنى الوليد بحضرة معبد ومالك ١٦٧
- نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني ١٦٩
- طرب أبي جعفر الناسك لغان ابن عائشة ١٧٢
- نسبة هذا الصوت ١٧٣
- يوم البغيغة ١٧٤
- نسبة الغناء في الشعر الذي غنى به ابن عائشة ذلك اليوم ١٧٦
- غنى الوليد فطرب وقبل كل أعضائه ١٨١
- أمر لمحتاج بمال فأبى إلا سماعه ١٨٢
- سمع الشَّعبي غناءه فمدحه ١٨٣
- نسبة هذا الصوت ١٨٣
- حجَّ ولقيه جماعة من قريش ١٨٤
- نسبة هذا الغناء ١٨٥
- سبب موته ١٨٨
- كان يعشق شعر الحطيئة ١٨٨
- وفاة ابن عائشة ١٨٩
- روايات أخرى في سبب موته ١٨٩
- حكايات أخرى ١٨٩
- بكى عليه أشعب فأضحك الناس ١٩٠
- نسبة هذا الصوت الذي غناه ١٩٠

- ١٩١ كان مالك بن أنس يكره الغناء
 ١٩١ وما نيل المطالب بالتمني
 ١٩٢ غنى للوليد بن يزيد بمكة فأجازه
 ١٩٣ غناؤه في صوت من المائة الصوت المختارة
 ١٩٣ ومن المائة صوت المختارة من أغانيه
 ١٩٣ من رواية علي بن يحيى :
 ١٩٥ أخبار ابن أرمطة ونسبه
 ١٩٥ نسبه
 ١٩٦ كان حليفاً لبني أمية ومدحهم
 ١٩٦ أصابه خمار فداواه منه الوليد بن عثمان
 ١٩٨ كان من ندماء الوليد بن عثمان
 ١٩٩ حده مروان بالخمير ومنع منه معاوية
 ١٩٩ خبر الوليد ومروان
 ٢٠١ حُبّ معاوية له
 ٢٠١ إبطاله الحد عنه
 ٢٠٢ ضربه مروان الحد فأبطله معاوية
 ٢٠٣ كان مع سعيد بن عثمان حين قتله وهرب عنه ثم رثاه
 ٢٠٦ بنو مطيع وذمه لهم
 ٢٠٦ ما وقع له مع امرأته بسبب سكره
 ٢٠٧ حثه ابن عمه على شرب الخمر
 ٢٠٨ شعره في الوليد وقد حماه من أخواله
 ٢٠٩ خبره مع سعيد بن العاص
 ٢١٠ أحد الأصوات من المائة المختارة
 ٢١٠ من رواية علي بن يحيى
 ٢١٢ أخبار ابن ميادة ونسبه
 ٢١٢ نسبه
 ٢١٢ كان يزعم أن أمه فارسية
 ٢١٢ كذّبه موسى بن سيار أن أمه فارسية
 ٢١٣ رد عليه الحكم الخضري فخره بأمه وهجاه

- ٢١٣ كان يتعرض للهجاء ويساب للناس
 ٢١٤ ويقول لأُمِّه اصبري على الهجو
 ٢١٤ إنشاده شماطيط هجاء أمه
 ٢١٥ أُمُّه ميادة وقصة تزوجها أبرد
 ٢١٦ ابن حمراء العجان
 ٢١٦ هجا بني مازن فردَّ عليه رجلٌ منهم
 ٢١٧ سمع الفرزدق شيئاً من شعره فانتحلّه
 ٢١٨ كان له أخوان شاعران
 ٢١٨ مهاجاته لعقبة بن كعب بن زهير
 ٢١٩ أوصاف ابن ميادة
 ٢١٩ مقارنة بينه وبين النابغة
 ٢١٩ هو كثير السقط في شعره
 ٢١٩ كان زمن هشام وبقي إلى خلافة المنصور
 ٢٢٠ مدح بني أمية وبني هاشم
 ٢٢٠ كيف عرف أنه شاعر
 ٢٢٠ كان ينسب بأم جحدر وشعره فيها
 ٢٢١ زواج أم جحدر وما قاله في ذلك
 ٢٢٢ قصة عشقه لها
 ٢٢٤ رحل إلى الشام لرؤيتها فردته
 ٢٢٦ آخر عهده بها
 ٢٢٨ سيار يروي خبر جاريته
 ٢٣٠ ابن ميادة وصخر بن الجعد الخضري
 ٢٣١ ابن ميادة والحكم الخضري
 ٢٣٣ أم جحدر وهجاء الحكم وعملس لها
 ٢٣٧ الحكم ولقاء ابن ميادة وتهاجيهما
 ٢٣٩ عندما ضربه إبراهيم بن هشام
 ٢٤٠ ابن ميادة والحكم بعريجاء
 ٢٤٠ صلحهما
 ٢٤٢ طرده السلطان فرحل إلى الشام فمات هناك

- ٢٤٢ مناقضات حكم وابن ميادة
- ٢٤٦ الوليد بن يزيد يفضلهُ على الشعراء
- ٢٤٩ سبب الهجاء بينه وبين شقران
- ٢٥١ تفاخره مع عقال بالشعر
- ٢٥٢ شعره في حنينه إلى وطنه وحواره مع الوليد
- ٢٥٣ عارض ابن القتال وانتحل بيتاً له
- ٢٥٤ عندما أجازهُ الوليد
- ٢٥٥ شعره في رثاء الوليد
- ٢٥٥ وغث قریش حيث كان سمين
- ٢٥٦ ابن ميادة وسان بن جابر
- ٢٥٨ ابن ميادة وزينب بنت مالك
- ٢٥٩ أعطاه الوليد جارية فقال فيها شعراً
- ٢٦٠ ملاحاته مع رجل من بني جعفر
- ٢٦٠ كان بَخِيلاً لا يُكْرِمُ أَضيافَهُ
- ٢٦١ يرفض وليمة ضُربَ الناسُ فيها بالسياط
- ٢٦١ وسأله الوليد مَنْ تركت عند نسائك
- ٢٦١ مدحه لأبي جعفر المنصور
- ٢٦٢ قوله فيما أصاب الحاج من المطر
- ٢٦٣ كان ينشد من شعره فيستحسنه الناس
- ٢٦٥ ابن ميادة وعبد الواحد بن سليمان
- ٢٦٦ التقاؤه جماعة يرتجزون بشعره
- ٢٦٧ ما أكثر الماصين
- ٢٦٩ تمثل بعض ولد الحسن بشعره
- ٢٦٩ مدحه لجعفر بن سليمان أمير المدينة
- ٢٧٠ هجا بني أسد وبني تميم
- ٢٧١ ابن ميادة وسماعة بن أشول
- ٢٧١ هجاه عبد الرحمن بن جهيم الأسدي
- ٢٧٢ ابن ميادة وأبان بن سعيد
- ٢٧٤ ابن ميادة وأيوب بن سلمة

- ٢٧٤ ابن ميادة ورياح بن عثمان
- ٢٧٥ تشبيهه بالنساء
- ٢٧٦ خطب امرأة فلم يزوجه فقال
- ٢٧٧ مات في صدر خلافة المنصور
- ٢٧٨ أخبار حنين الحيري
- ٢٧٨ نسبه :
- ٢٧٨ غنى هشام بن عبد الملك في الحج
- ٢٨٠ كان يُعَلِّي بغنائه الثمن
- ٢٨٠ غَنَّى في ظل بيت أبي موسى الأشعري
- ٢٨١ خاف أن يفوقه ابن محرز بالعراق فردّه عنه
- ٢٨٢ خرج إلى حمص وغنّى بها فلم يستطعم أهلها غناه
- ٢٨٣ غنى خالد القسري عندما حرم الغناء
- ٢٨٤ غنى بشر بن مروان بحضور الشعبي
- ٢٨٥ شيء من أوصاف الحيرة
- ٢٨٦ المغنون المشهورون بالحيرة غير حنين ونوع غنائهم
- ٢٨٦ عمره ونسبه
- ٢٨٧ جده المغني
- ٢٨٨ غنى فازدحم الناس فسقط عليه السطح فمات
- ٢٩٠ من المائة المختارة
- ٢٩١ ابن أبي ربيعة مع بنت عبد الملك
- ٢٩٣ ذكر الغريض وأخباره
- ٢٩٣ اسمه وكنيته وسبب لقبه
- ٢٩٣ الأستاذ يحسد تلميذه
- ٢٩٤ تعلم النوح وكان ينوح في المآتم
- ٢٩٤ عداؤه في الأربعة المشهورين بالغناء
- ٢٩٥ قيل : كان أشجى غناء من ابن سريج
- ٢٩٥ غنى الناس بجمع فحسبوه من الجن
- ٢٩٥ نسبة هذا الصوت
- ٢٩٦ نفى الغريض وابن سريج ومعبد

- ٢٩٧ غنت شطباء المغنية علي بن جعفر فطرب
- ٢٩٧ لما ماتت الثريا ناح عليها الغريض
- ٢٩٨ سُكينة بنت الحسين تساوي بين المغنين
- ٢٩٨ نسبة هذا الصوت
- ٢٩٩ غنى عطاء بشعر العرجي فرده عليه
- ٢٩٩ قصة الأوقص المخزومي مع سكران يغني
- ٣٠٠ عطاء بن رباح والأبجر المغني
- ٣٠٠ ابن أبي عتيق والغريض
- ٣٠١ غنى بعض أهل المدينة فطربوا لغنائه
- ٣٠١ نسبة هذا الصوت
- ٣٠١ كان عمر وجميل يتعارضان في الشعر
- ٣٠٣ سمع الفرزدق شعر ابن أبي ربيعة فمدحه
- نسبة ما في قصيدة عمر وسائر هذه الأخبار من الأغاني
- ٣٠٣ سوى قصيدة جميل فإنَّ لها أخباراً تُذكر مع أخباره
- ٣٠٤ رجع الحديث إلى أخبار الغريض
- ٣٠٤ قيل : إنه كان يتلقى غناءه عن الجن
- ٣٠٥ نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
- ٣٠٦ سكينة والغريض وعمر
- ٣٠٧ نسبة هذا الغناء
- ٣٠٨ غنى عائشة بنت طلحة فأجزلت صلته
- ٣٠٩ الشعبي عند مصعب وزوجه عائشة
- ٣١٠ عائشة بنت طلحة وأزواجها
- ٣١١ نسبة هذا الصوت
- ٣١١ كان إذا غنى بشعر لكثير قال : أنا سريجي
- ٣١١ قدم يزيد مكة فغناه الغريض
- ٣١٢ عندما تتدخل المرأة في شؤون زوجها
- ٣١٣ رأس ابن الأشعث وعبد الملك
- ٣١٤ نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
- ٣١٤ خرج إليه معبد بمكة وسمع غناءه

- للغريض ولم تذكر طريقته ٣١٥
- خبر جميل وبشينة ٣١٦
- نسبة هذه الأصوات التي ذكرت في هذا الخبر
وهي كلها من قصيدة واحدة ٣١٩
- قريض عمر والغريض ٣٢٠
- نسبة هذا الصوت ٣٢١
- الوليد وابن أبي ربيعة والغريض ٣٢٢
- عمر وجميل وكثير في نظر نصيب ٣٢٣
- سمع أصوات رهبان فصنع لحناً عليها ٣٢٣
- نسبة هذا الصوت ٣٢٣
- إبراهيم بن أبي الهيثم والرجل الناسك ٣٢٤
- هروبه إلى اليمن خوفاً من ابن علقمة ٣٢٤
- رواية أخرى في وفاته ٣٢٦
- نسبة هذه الأصوات ٣٢٦
- من المائة المختارة ٣٢٧
- في رواية جحظة ٣٢٧
- أخبار الحكم بن عبدل ونسبه ٣٢٨
- نسبه ونشأته : ٣٢٨
- كان أعرج يكتب بحاجته على عصاه فلا ترد ٣٢٨
- أعاجيب الزمان ٣٢٨
- قوله وقد ولي الشرطة والإمارة أعرجان ٣٣٠
- ابن عبدل وعبد الملك بن بشر ٣٣٠
- هجاؤه ابن حسان وقد تزوج قيسية ٣٣١
- مسامرته امرأة تنشد شعره ٣٣٢
- خبر وفوده على ابن هبيرة ٣٣٢
- رثاؤه قوماً من بني غاضرة ٣٣٣
- هجاؤه ابن حسان لحاجة لم يقضها له ٣٣٣
- ابن عبدل وأبو المهاجر ٣٣٥
- ابن عبدل وعمر بن يزيد الأسدي ٣٣٥

- ٣٣٦ ابن عبدل يقتضي ديون امرأة من الكوفة
- ٣٣٦ ابن عبدل وعبد الملك بن بشر
- ٣٣٧ ابن عبدل وبشر بن مروان
- ٣٣٧ ابن عبدل وقد طلبه ابن هبيرة للغزو
- ٣٣٨ أعفاه الحجاج من الغزو
- ٣٣٨ تزوج همدانية ولما كَرَّهَهَا قال فيها شعراً
- ٣٣٩ كان منقطعاً إلى بشر بن مروان فلما مات رثاه
- ٣٤٠ كان يسمر عند عبد الملك في الشام
- ٣٤٠ يزيد بن عمر بن هبيرة وبنت ابن عبدل
- ٣٤١ ابن عبدل وصاحب العسس
- ٣٤١ ابن عبدل يعرض بابن هبيرة في شعره
- ٣٤٢ هل تلد الحية إلا حية؟
- ٣٤٢ هجا عمر بن يزيد الأسدي لبخله
- ٣٤٣ ابن عبدل ومحمد بن عمير كاتب عبد الملك بن بشر
- ٣٤٣ خطب امرأة فأبت
- ٣٤٣ وُلِدَ له ولد سماه بشراً تيمناً ببشر بن مروان
- ٣٤٤ عبد الملك بن بشر يقتضي دينه
- ٣٤٤ فضله الحجاج في الجائزة على الشعراء
- ٣٤٥ من المائة المختارة